

تَفْسِيرُ

كِتَابُ الدَّقَائِقِ وَحَرَاغِ الْغَرَائِبِ

الطَّبْعَةُ الْمَقْبُورَةُ

لِلْعَلَّامِ تَفْسِيرُ الْحَجَرِ الشَّامِ
الْشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفَيْهِي الْبَغْدَادِيِّ
مِنْ أَعْلَامِ الْقُرُونِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةِ

مُطْبَعَةُ
مَدِينَةِ دَرْكَاهِي

بِخَاتَمِ
مَدِينَةِ دَرْكَاهِي

الْمَدِينَةُ السَّادِيَّةُ

تَفْسِيرُ
كَتَرِ الدَّقَائِقِ وَبَحْرِ الْغَرَائِبِ

الطَّبَعَةُ الْمُنْقَحَةُ

الجزء السادس

لِلْعَلَّامَةِ الْمُسْتَشْرِحِ الْحَاجِّ شَيْخِ الْأَرَبِيِّ
الْشَيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْقَيْمِيِّ الْمَشْهُودِيِّ
عَنْ أَعْلَامِ الْقُرْنِ الثَّانِي عَشَرَ

تَحْقِيقُ
حُسَيْنِ دُرْكَاهِي



سرشناسه : قمی مشهدی، محمد بن محمد رضا، قرن ۱۲ ق.
 عنوان و پدیدآور : تفسیر کنز الدقائق و بحر الغرائب / محمد بن محمد رضا القمی مشهدی؛ تحقیق حسین درگاهی.
 مشخصات نشر : تهران: شمس الضحی، ۱۳۸۷.
 مشخصات ظاهری : ۱۴ ج.
 شابک : (ج ۶)؛ 4 - 12 - 964 - 978 - ISBN
 (دوره)؛ 3 - 06 - 964 - 978 - ISBN
 وضعیت فهرست نویسی : فیا.
 یادداشت : کتاب حاضر در سال های مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است.
 موضوع : تفاسیر ماثوره -- شیعه امامیه.
 موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۲ ق.
 شناسه افزوده : درگاهی، حسین، ۱۳۳۱ - ، مصحح.
 رده بندی کنگره : ۱۳۸۷ ک ۸ ق ۳ / ۹۷ BP
 رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۳۶
 شماره کتابخانه ملی : ۱۶۳۰۶۱۷



تفسیر کنز الدقائق و بحر الغرائب، الجزء السادس

تألیف: الشیخ محمد بن محمد رضا القمی المشهدی

تحقیق: حسین درگاهی

منشورات مؤسسة شمس الضحی

الطبعة الاولى: ۱۴۳۰ هـ ق - ۱۳۸۷ هـ ش.

طبع في ۱۰۰۰ نسخة

المطبعة: نگارش

سعر الدّورة في. ۱۷ مجلداً: ۱۱۰/۰۰۰ توماناً

شابک (ردمک): الجزء السادس: ۹۷۸-۹۶۴-۸۷۶۷-۱۲-۴

شابک (ردمک) الدّورة في ۱۴ مجلداً: ۹۷۸-۹۶۴-۸۷۶۷-۰۶-۳

صندوق البريد: تهران ۳۱۴۱-۱۹۳۹۵



مراكز التوزيع:

- (۱) قم، شارع معلم، ساحة روح الله، رقم ۶۵، هاتف و فکس: ۷۷۳۳۴۱۳ - ۷۷۴۴۹۸۸ (۹۸۲۵۱+)
- (۱) قم، شارع صفائیه، مقابل زقاق رقم ۳۸، منشورات دلیل ما، هاتف ۷۷۳۷۰۱۱ - ۷۷۳۷۰۰۱
- (۲) طهران، شارع انقلاب، شارع فخر رازی، رقم ۳۲، منشورات دلیل ما، هاتف ۶۶۴۶۴۱۴۱ - ۰۲۱
- (۳) مشهد، شارع الشهداء، شمالي حديقة النادري، زقاق خوراکیان، بنایه گنجینه کتاب التجارية، الطابق الأول، منشورات دلیل ما، هاتف ۲۲۳۷۱۱۳ - ۵ - ۰۵۱۱

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



كلمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيّنا وآله الطيّبين الطاهرين ولاسيما بقيّة الله في الأرضين واللعنة الدائمة على أعدائه وأعدائهم أجمعين.

النسخ التي استفدنا منها في تحقيق الربع الثاني من تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب، وهي من أوّل سورة الأنعام إلى آخر سورة الكهف:

١. نسخة مكتوبة في حياة المؤلف سنة ١١٠٥ هـ، في مكتبة آية الله العظمى النجفي المرعشي العامة، قم، رقم ١٢٨٣، مذكورة في فهرسها ٨٣/٤. رمزها: ج.
٢. نسخة في نفس المكتبة، رقم ٣٠٧، مذكورة في فهرسها ٣٥٠/١. رمزها: ب.
٣. نسخة في مكتبة مدرسة الشهيد المطهري، رقم ٢٠٥٤، مذكورة في فهرسها ١٦٢/١، مكتوبة في سنة ١٢٤٠ هـ. ق. رمزها: س.
٤. نسخة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، رقم ١٢٠٧٣، مكتوبة في حياة المؤلف وعلى ظهرها تقرّظ العلامة المجلسي رحمة الله تعالى عليه. رمزها: ر.

والحمد لله أولاً وآخراً

حسين درگاهي

سورة يونس

سورة يونس

مَكِّيَّة، وهي مائة وتسع آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

في كتاب ثواب الأعمال^(١)، بإسناده: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سورة يونس في كل شهرين أو ثلاثة، لم يخف عليه أن يكون من الجاهلين. وكان يوم القيامة من المقرّبين.

وفي مجمع البيان^(٢): أبي بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: من قرأها، أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بيونس وكذّب به، وبعدد من غرق مع فرعون. ﴿الرّاء﴾: فخّمها^(٣) ابن كثير ونافع وحفص. وأما لها الباكون، إجراءً لألف الراء مجرى المنقلبة من الياء.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): هو حرف من حروف الاسم الأعظم المنقطع في القرآن. فإذا ألفه الرسول أو الإمام فدعا به، أُجيب.

وفي تفسير العياشي^(٥): عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل، مضى بتمامه في أوّل آل عمران وأوّل الأعراف. وفي آخره: وليس من حروف مقطّعة حرف ينقضي أيامه، إلّا وقد قام قائم من بني هاشم عند انقضائه.

إلى قوله: ثمّ كان بدو خروج الحسين بن علي عليه السلام «الم [الله]». فلمّا^(٦) بلغت

١. ثواب الأعمال / ١٣٢، ح ١.

٢. المجمع ٨٧/٣.

٣. أنوار التنزيل ٤٣٨/١.

٤. تفسير القميّ ٣٠٨/١.

٥. تفسير العياشي ٣/٢، ح ٣.

٦. من المصدر.

مدّته^(١) مقدمته، قام قائم ولد العباس عند «المص». ويقوم قائمنا عند انقضائها بـ «المر»^(٢) فافهم ذلك، وعه، واكتمه.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٣) بإسناده إلى سفيان بن سعيد الثوري، عن الصادق عليه السلام حديث طويل. يقول فيه الصادق عليه السلام: «والر» معناه: أنا الله الرؤوف الرحيم.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾^(٤): إشارة إلى ما تضمنته السورة، أو القرآن من الآي. والمراد من «الكتاب»: أحدهما. ووصفه بالحكيم؛ لإشتماله على الحكم، أو لأنه كلام حكيم، أو محكمة آياته لم ينسخ منها.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾: استفهام إنكار، للتعجب.

و«عجبا» خبر كان، واسمه

﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾: وقرئ^(٥) [بالرفع على أَنْ الأمر]^(٥) بالعكس. أو على أَنْ «كان» تامة، وأن أوحينا» بدل من عجب و«اللام» للدلالة على أنهم جعلوه أعجوبة لهم يوجهون نحوه إنكارهم واستهزاءهم.

﴿إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾: من أفناء رجالهم، دون عظيم من عظمائهم.

قيل^(٦): كانوا يقولون: العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب! وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الأمور العاجلة، وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة. هذا وأنه ﷺ لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه، إلا في المال وخفة الحال أعون شيء في هذا الباب^(٧). ولذلك كان أكثر الأنبياء ﷺ قبله كذلك.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: «مقدمته» بدل «مدّته».

٢. المصدر: الر. ٣. المعاني ٢٢/ ح ١.

٤. أنوار التنزيل ٤٣٨/١. ٥. من المصدر.

٦. نفس المصدر والموضع.

٧. كذا في المصدر. وفي أ: البال، وفي سائر النسخ: المال.

وقيل ^(١): «تَعَجَّبُوا مِنْ أَنَّهُ بَعَثَ بَشَرًا رَسُولًا»، كما سبق ذكره في سورة الأنعام. «أَنْ أَتَذِرَ النَّاسَ»: «أَنْ» هي المفسرة. أو المخففة من الثقيلة، فتكون في موضع مفعول «أوحينا».

«وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا»: عَمَّ الإنذار، إذ قلما أحد ليس فيه ما ينبغي أن ينذر منه. وخصص البشارة بالمؤمنين، إذ ليس للكفار ما يصح أن يبشروا به. «أَنْ لَهُمْ»: بِأَنْ لَهُمْ.

«قَدَّمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ»: سابقة ومنزلة رفيعة. سميت: قدماً؛ لأنَّ السبق بها، كما سميت النعمة: يداً؛ لأنها تعطى باليد. وإضافتها إلى الصدق، لتحقيقها والتنبيه على أنَّهم إنَّما ينالونها بصدق القول والنية.

وفي أصول الكافي ^(٢): الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن يونس قال: أخبرني من رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «وَبَشِّرِ الَّذِينَ - إلى قوله - عند ربهم». قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٣): حدثني أبي، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «قدم صدق عند ربهم». قال: هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي روضة الكافي ^(٤): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عَمَّنْ ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام مثله سواء.

وفي مجمع البيان ^(٥): «أَنْ لَهُمْ قدم صدق عند ربهم». قيل: إنَّ معنى «قدم صدق»: شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وهو المروي عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢. الكافي ٤٢٢/١، ح. ٥.

٤. الكافي ٣٦٤/٨، ح. ٥٥٤.

١. أنوار التنزيل ٤٣٩/١.

٣. تفسير القمي ٣٠٨/١.

٥. المجمع ٨٩/٣.

وقيل^(١): هو تقديم الله إياهم في البعث يوم القيامة.
 أقول: ما روي من أنها ولاية أمير المؤمنين، أو هو رسول الله، أو شفاعة محمد ﷺ،
 أو قيل: هو تقديم الله إياهم في البعث يوم القيامة، مرجعه إلى شيء واحد. فإن شفاعة
 محمد ﷺ لمن له الولاية، ومن له الولاية هو الذي يقدمه الله في البعث.
 ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا﴾: يعنون الكتاب وما جاء به رسول الله ﷺ.
 ﴿لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾^(٢): وقرأ^(٣) ابن كثير والكوفيتون: «لساحر» على أن الإشارة إلى
 الرسول. وفيه اعتراف بأنهم صادفوا من الرسول أموراً خارقة للعادة، معجزة إياهم عن
 المعارضة.

وقرئ^(٣): «ما هذا إلا سحر مبين».
 ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: التي هي أصول الممكنات.
 ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: يقدر أمر الكائنات على ما اقتضته
 حكمته وسبقت به كلمته، ويهيء بتحريكه أسبابها وينزلها منه.
 و«التدبير» النظر في أديار الأمور، لتجيء محمودة العاقبة.
 وفي تفسير العياشي^(٤): عن الصباح بن سيابة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله خلق
 السنة اثني عشر شهراً، وهو ثلاثمائة وستون يوماً، فحجز^(٥) منها ستة أيام خلق فيها
 السموات والأرض في ستة أيام^(٦) فمن ثم تقاصرت الشهور.
 عن أبي جعفر^(٧)، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله خلق السموات
 والأرض في ستة أيام، فالسنة تنقص ستة أيام.
 عن جابر^(٨)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه:

-
١. نفس المصدر والموضع.
 ٢. أنوار التنزيل ٤٣٩/١.
 ٣. نفس المصدر والموضع.
 ٤. تفسير العياشي ١٢٠/٢، ح ٧.
 ٥. المصدر: فخرج.
 ٦. ليس في ب: في ستة أيام.
 ٧. نفس المصدر والموضع، ح ٦.
 ٨. نفس المصدر والموضع، ح ٨.

إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرَهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ خَلَقَ الْأَرْضَ قَبْلَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ
لتدبير الأمور.

وفي كتاب التوحيد^(١)، بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل. وفيه قوله:
«الرحمن على العرش استوى». يقول: على الملك احتوى.

وفيه^(٢) خطبة أيضاً للرضا عليه السلام. وفيها: مدبر لا بحركة.

وبإسناده^(٣) إلى أنس: عن النبي صلى الله عليه وآله، عن جبرئيل عليه السلام، عن الله تعالى حديث طويل.
وفيه: وأن من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة فأكفّه عنه، لئلا يدخله
العجب فيفسده ذلك. وأن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالفقر، ولو
أغنيته لأفسده^(٤). وأن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالغنّى، ولو
أفقرته لأفسده ذلك. وأن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالسقم، ولو
صحّحت جسمه لأفسده ذلك. وأن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا^(٥) بالصحّة، ولو أسقمته لأفسده ذلك. إنّي أدبر من عبادي لعلمي بقلوبهم، فإنّي أعلم
خبير.

﴿مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾: تقرير لعظمته وعزّ جلاله، وردّ على من زعم أنّ
ألهتهم تشفع لهم عند الله. وفيه إثبات الشفاعة لمن أذن له.

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ﴾: أي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للآلوهيّة والربوبيّة.

﴿وَيُكَيِّمُ﴾: لا غير. إذ لا يشاركه أحد في شيء من ذلك.

﴿فَاهْبُدُوهُ﴾: وحدوه بالعبادة.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٦): تفكّرون أدنى تفكّر، فينبهكم على أنّه المستحقّ للربوبيّة

والعبادة، لا ما تعبدونه.

١. التوحيد/٣٢١، ح ١.

٢. نفس المصدر/٣٧.

٣. نفس المصدر/٣٩٨، ح ١.

٤. ليس في أ، ب، ر: لأفسده.

٥. ما بين المعقوفين ليس في ب.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾: بالموت أو النشور، لا إلى غيره، فاستعدّوا للقاءه.

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾: مصدر مؤكّد لنفسه؛ لأنّ قوله: «إليه مرجعكم» وعد من الله.

﴿حَقًّا﴾: مصدر آخر مؤكّد لغيره، وهو ما دلّ عليه «وعد الله».

﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: بعد بدئه وإهلاكه.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾: أي بعدله.

أو بعد التهم، وقيامهم على العدل في أمورهم.

أو بإيمانهم؛ لأنّه العدل القويم، كما أنّ الشرك ظلم عظيم. وهو الأوجه، لمقابلة

قوله:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾^(١): فإنّ معناه:

ليجزى الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب أليم بسبب كفرهم. لكنّه غير النظم

للمبالغة في استحقاقهم للعقاب، والتنبيه على أنّ المقصود بالذات من الإبداء والإعادة

هو الإثابة، والعقاب واقع بالعرض. وأنّه تعالى يتولّى إثابة المؤمنين بما يليق بلفظه

وكرمه، ولذلك لم يعينه، وأمّا عقاب الكفرة فكأنّه داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وشؤم

أفعالهم.

والآية كالتعليل لقوله: «مرجعكم جميعاً». فإنّه لما كان المقصود من الإعادة مجازاة

الله المكلّفين على أعمالهم، كان مرجع الجميع إليه لا محالة. ويؤيده قراءة من قرأ: «أنّه

يبدأ» بالفتح، أي لأنّه. ويجوز أن يكون منصوباً أو مرفوعاً بما نصب «وعد الله حقّاً».

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾: أي ذات ضياء. وهو مصدر، كقيام. أو جمع ضوء،

كسياط وسوط. والياء فيه منقلبة عن الواو.

وعن ابن كثير^(١) برواية قبل: «ضياء» بهمزتين في كلّ القرآن، على القلب بتقديم

اللام على العين.

﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾: أي ذات نور. وسَمِيَ «نوراً» للمبالغة. وهو أعمّ من الضوء، كما عرفت.

وقيل ^(١): ما بالذات ضوء ^(٢)، وما بالعرض نور. وقد نبّه سبحانه بذلك على أنّه خلق الشمس نيرة بذاتها والقمر نيراً بعرض، مقابلة الشمس والاكتساب منها.

وفي روضة الكافي ^(٣): عليّ بن محمّد، عن عليّ بن العباس، عن عليّ بن حمّاد، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: فضرب [الله] ^(٤) مثل محمّد صلى الله عليه وآله الشمس، ومثل الوصيّ القمر. وهو قول الله تعالى: «جعل الشمس ضياء والقمر نوراً». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب التوحيد ^(٥): حدّثنا محمّد [بن] ^(٦) موسى بن المتوكل، قال: حدّثنا محمّد بن أبي عبد الله الكوفي، عن موسى بن عمران النخعي، عن عمّه الحسين بن يزيد، عن إسماعيل بن مسلم قال: حدّثنا أبو نعيم البلخي، عن مقاتل بن حيان ^(٧)، عن عبد الرحمن بن ذر ^(٨)، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: كنت أخذاً بيد النبي صلى الله عليه وآله ونحن نتماشي جميعاً، فما زلنا ^(٩) ننظر إلى الشمس حتّى غابت.

فقلت: يا رسول الله، أين تغيب؟

قال: في السماء. ثمّ ترفع من السماء السابعة ^(١٠) حتّى تكون تحت العرش، فتخرّ ساجدة فتسجد معها الملائكة الموكلون بها. ثمّ تقول: يا ربّ، من أين تأمرين أن أطلع،

١. نفس المصدر والموضع.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: منورة.

٣. الكافي ٣٧٩/٨، ح ٥٧٤.

٤. من المصدر.

٥. التوحيد ٢٨٠، ح ٧.

٦. من المصدر.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: مقاتل بن جنان.

٨. المصدر: عبد الرحمن بن أبي ذر.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: فجاز لنا.

١٠. المصدر: «ثمّ ترفع من سماء إلى سماء حتّى ترفع إلى السماء السابعة العليا» بدل «ثمّ ترفع من السماء السابعة».

أمن مغربي أم من مطلعي؟ فذلك قول الله ﷻ: «والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم» يعني بذلك: صنع الرب العزيز في ملكه [العليم] ^(١) بخلقه.
قال: فيأتيها جبرئيل عليه السلام بحلّة ضوء من نور العرش على مقادير ساعات النهار في طوله في الصيف وفي قصره في الشتاء، أو ما بين ذلك في الخريف والربيع.
قال: فتلبس تلك الحلّة، كما يلبس أحدكم ثيابه، ثم تنطلق بها في جو السماء حتّى تطلع من مطلعها.

قال النبي ﷺ: فكأنّي بها قد حبست مقدار ثلاث ليال ثم لاتكسى ضوءاً، وتؤمر أن تطلع من مغربها ^(٢). فذلك قوله ﷻ: «إذا الشمس كورت، وإذا النجوم انكدرت». والقمر كذلك مطلع ومجره في أفق السماء ومغربه وارتفاعه إلى السماء السابعة، ويسجد تحت العرش. ثم يأتيه جبرئيل عليه السلام بالحلّة من نور الكرسي، فذلك قوله ﷻ: «جعل الشمس ضياء والقمر نوراً».

﴿وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ﴾: الضمير لكل واحد، أي قدر مسير كلّ واحد منهما منازل، أو قدره ذا منازل، أو للقمر.

وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازل وإناطة أحكام الشرع به، ولذلك علّله بقوله:

﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾: حساب الأوقات من الأشهر والأيام ^(٣) في معاملاتكم وتصرفاتكم.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: ملتبساً بالحق، مراعيّاً فيه مقتضى الحكمة البالغة.

﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ^(٤): فإنهم المتفكرون بالتأمل فيها.

وقرأ ^(٤) ابن كثير والبصريان وحفص: «يفصل» بالياء.

١. من المصدر.

٢. كذا في المصدر. وفي المتن: مطلعها.

٣. ب: من الأشهر والأيام والليالي.

٤. أنوار التنزيل ٤٤٠/١.

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: من أنواع

الكائنات.

﴿لَا يَأْتِ﴾: على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته.

﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾^(٦): العواقب. فإنه يحملهم على التدبّر والتفكّر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: لا يتوقعونه، لإنكارهم بالبعث وذهولهم

بالمحسوسات عمّا وراءها.

﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: من الآخرة، لغفلتهم عنها.

﴿وَاطْمَأْنَنُوا بِهَا﴾: وسكنوا إليها مقصّرين همهمهم على لذائذها وزخارفها، أو سكنوا

فيها سكون من لا يزجج عنها.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾^(٧): لا يتفكّرون فيها، لانهما كهم فيما يصادها.

والعطف إمّا لتغاير الوصفين والتنبيه على أنّ الوعيد على الجمع بين الدهول عن

الآيات رأساً والانهماك في الشهوات، بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم أصلاً. وإمّا لتغاير

الفريقين.

والمراد بالأولين: من أنكر البعث، ولم ير إلا الحياة الدنيا. وبالأخرين: من ألهاه

حبّ العاجل عن التأمل في الآجل والإعداد له.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٨) قال: «الآيات» أمير المؤمنين والأئمة^(عليهم السلام). والدليل

على ذلك قول أمير المؤمنين^(عليه السلام): ما لله آية أكبر مني.

﴿أُولَئِكَ مَاؤُهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٩): بما واطبوا عليه وتمرّنوا به من

المعاصي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾: بسبب إيمانهم إلى

سلوك سبيل يؤدي إلى الجنة. أو لإدراك الحقائق، كما قال^(عليه السلام): من عمل بما علم، ورثه

الله علم ما لم يعلم. أو لما يريدونه في الجنة.

ومفهوم الترتيب وإن دلَّ على أنَّ سبب الهداية هو الإيمان والعمل الصالح، لكن دلَّ منطوق قوله: «بإيمانهم» على استقلال الإيمان بالسببية، وأنَّ العمل كالنتمة والرديف له.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾: استئناف. أو خبر ثان. أو حال من الضمير المنصوب على المعنى الأخير. وقوله:

﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾^(١): خبر. أو حال أخرى منه، أو من «الأنهار». أو متعلق «بتجري» أو «بيهدي».

وفي كتاب التوحيد^(١): حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْوَرَّاقُ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ السَّنَانِيُّ^(٢) وَعَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِمْرَانَ الدَّقَاقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ زَكْرِيَّا الْقَطَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا تَمِيمُ بْنُ بَهْلُولٍ، عَنْ أَبِيهِ [عَنْ^(٣) جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْبَصْرِيِّ^(٤)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْفَضْلِ الْهَاشِمِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدُ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا».

فقال: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُضِلُّ الظَّالِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ دَارِ كَرَامَتِهِ، وَيَهْدِي أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ إِلَى جَنَّتِهِ، كَمَا قَالَ: «وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ». وقال عَزَّ وَجَلَّ: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا - إِلَى قَوْلِهِ - فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ».

﴿دَعَاؤُهُمْ فِيهَا﴾: أي دعاؤهم.

﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسُبُّكَ تَسْبِيحاً.

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾: ما يحيي بعضهم بعضاً. أو تحية الملائكة إياهم.

١. التوحيد/٢٤١، ح ١.

٢. كذا في المصدر وتفتح المقال ٧١/٢. وفي النسخ: محمد بن علي الساني.

٣. من المصدر.

٤. كذا في المصدر وجامع الرواة ١٥٢/١. وفي النسخ: جعفر بن سليمان النضري.

﴿ فِيهَا سَلَامٌ وَ آخِرُ دَعْوَاهُمْ ﴾: وآخر دعائهم.

﴿ اِنَّ الْحَمْدَ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١): أي أن يقولوا ذلك.

ولعل المعنى: أنهم إذا دخلوا الجنة وعاینوا عظمة الله وكبريائه، مَجْدوه ونَعْتوه بنعوت الجلال. ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز بأصناف الكرامات، أو الله تعالى فحمدوه وأثنوا عليه بصفات الكرام.

و«أن» هي المخففة من الثقيلة. وقد قرئ بها، وينصب الحمد.

وفي كتاب علل الشرائع (١)، بإسناده إلى الحسن بن عبد الله، عن آبائه، عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله حديث طويل في تفسير: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

وفي آخره قال عليه السلام: وإذا قال: الحمد لله، أنعم الله عليه نعم الدنيا موصولاً بنعم الآخرة. وهو الكمة التي يقولها أهل الجنة إذا دخلوها. وينقطع الكلام الذي يقولونه في الدنيا ما خلا «الحمد لله» [٢] وذلك قول الله تعالى: «دعواهم إلى قوله أن الحمد لله».

وفي تفسير العياشي (٣): عن زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن التسبيح؟

فقال: هو اسم من أسماء الله، ودعوى أهل الجنة.

وفي روضة الكافي (٤)، بإسناده إلى أبي حمزة الثمالي: عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام وقد ذكر الشيعة وقربهم من الله تعالى: أنتم أهل تحية الله بسلامه.

علي بن إبراهيم (٥)، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن محمد بن إسحاق المدني، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله. ونقل عنه حديثاً طويلاً، يقول فيه حاكياً حال أهل الجنة: وإذا أراد المؤمن (٦) شيئاً [أو انتهى] (٧) إنما دعواه فيها إذا أراد، أن يقول:

١. العلل / ٢٥١، ذيل ح ٨.

٢. من المصدر.

٣. تفسير العياشي / ١٢٠/٢، ح ٩.

٤. الكافي / ٣٦٦/٨، ح ٥٥٦.

٥. نفس المصدر والمجلد / ١٠، ح ٦٩.

٦. المصدر: المؤمنون.

٧. من المصدر.

«سبحانك اللهم». فإذا قالها، تبادرت إليه الخدم بما اشتهى من غير أن يكون طلبه منهم أو أمر به. وذلك قول الله ﷻ: «دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام» يعني: الخدام.

قال: «وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين» يعني بذلك: عند ما يقضون من لذاتهم من الجماع والطعام والشراب، يحمدون الله ﷻ عند فراغهم. وفيها^(١) خطبة لأmir المؤمنين عليه السلام مسندة. وفي آخرها: والجنة لأهلها مأوى، دعواهم فيها أحسن الدعاء «سبحانك اللهم» دعاؤهم^(٢) المولى على ما آتاهم. «وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين».

وفي مصباح الشريعة^(٣): وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن أطيّب شيء في الجنة وألذّه حبّ الله والحبّ في الله والحمد لله. قال الله ﷻ: «وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين». وذلك أنّهم إذا عاينوا لما في الجنة من النعيم، هاجت المحبة في قلوبهم. فينادون عند ذلك: الحمد لله ربّ العالمين.

وفي مجمع البيان^(٤): وقال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى منّ عليّ بفاتحة الكتاب إلى قوله: «والحمد لله ربّ العالمين» دعوى أهل الجنة حين شكروا منه^(٥) حسن الثواب. «وَلَوْ يُعْجِلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ»: ولو يسرع إليهم.

«اسْتَعْجَلَهُم بِالْخَيْرِ»: قيل^(٦): وضع موضع تعجيلهم لهم بالخير، إشعاراً بسرعة إجابته لهم في الخير، حتّى كأن استعجالهم به تعجيله لهم. أو بأنّ المراد: شرّ استعجلوه، كقولهم: «فأمطر علينا حجارة من السماء». وتقدير الكلام: ولو يعجل الله للناس الشرّ تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالاً، كاستعجالهم بالخير. فحذف منه ما حذف، لدلالة الباقي عليه.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: دعائم.

٤. المجمع ٣١/١.

٦. أنوار التنزيل ٤٤١/١.

١. الكافي ١٧٣/٨، ح ١٩٣.

٣. مصباح الشريعة / ١٩٥.

٥. المصدر: «الله» بدل «منه».

﴿لَقَضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾: لأُميتوا وأهلكوا.

وقرأ^(١) ابن عامر ويعقوب: «لقضى» على البناء للفاعل، وهو الله تعالى.

وقرئ^(٢): «لقضينا».

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): قال: لو عَجَلَ اللهُ لهم الشرَّ، كما يستعجلون الخير

«لقضى إليهم أجلهم» أي فرغ من أجلهم.

﴿فَنَذَرَ الَّذِينَ لَا يَزُجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(٤): عطف على فعل محذوف

دلت عليه الشرطيَّة، كأنه قيل: ولكن لا نَعَجِّل ولا نَقْضِي، فنذرهم إمهالاً لهم واستدراجاً.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا﴾: لإزالته مخلصاً فيه.

﴿لِجَنِّهِ﴾: ملقى لجنبه، أي مضطجعاً.

﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾: وفائدة التردد تعميم الدعاء لجميع الأحوال، أو المضار.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ صُورَهُ مَرَّ﴾: مضى على طريقه واستمرَّ على كفره. أو مرَّ عن موقف

الدعاء لا يرجع إليه.

﴿كَانَ لَمْ يَدْعُنَا﴾: كأنه لم يدعنا. فحَقَفَ وحذف ضمير الشأن، كما قال: ونحُرُّ

مشرق اللون كأن ندياه حَقَان.

﴿إِلَى ضُرِّ مَسَّةٍ﴾: إلى كشف ضرِّ.

﴿كَذَلِكَ﴾: أي مثل ذلك التزيين.

﴿رُزِينَ لِلْمُؤْسِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٥): من الانهماك في الشهوات والإعراض عن

العبادات.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: يا أهل مكَّة.

﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾: حين ظلموا بالتكذيب.

٢. نفس المصدر والموضع.

١. نفس المصدر والموضع.

٣. تفسير القمي ٣٠٩/١.

﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالحجج الدالة على صدقهم. وهو حال من الواو بإضمار «قد» أو عطف على «ظلموا».

﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: وما استقام لهم أن يؤمنوا، لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بأنهم يموتون على كفرهم.

و «اللام» لتأكيد النفي.

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الجزاء. وهو إهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسول وإصرارهم عليه، بحيث تحقق أنه لا فائدة في إهلاكهم.

﴿تَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١٣): كل مجرم، أو مجزيكم. فوضع المظهر موضع المضمّر للدلالة على كمال جرمهم وأنهم أعلام فيه.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكناها استخلاف من يختبر.

﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (١٤): أتعملون خيراً أو شراً، فنعاملكم على مقتضى أعمالكم.

و «كيف» معمول «تعملون» فإن معنى الاستفهام يحجب أن يعمل فيه ما قبله.

وفائدته الدلالة على أن الاعتبار في الجزاء جهات الأفعال وكيفياتها، لا هي من حيث ذاتها، ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح أخرى. وفيه دلالة على أن للفعل جهة محسنة وجهة مقبحة يؤمر به أو يُنهى عنه لها.

﴿وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: يعني المشركين.

﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾: بكتاب آخر ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت، أو ما نكرهه من معائب آلهتنا.

﴿أَوْ بَدِّلُهُ﴾: بأن تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية أخرى. ولعلهم سألوا ذلك، كي يسعفهم إليه فيلزموه.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي﴾: ما يصح لي.

﴿أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾: من قبل نفسي. وهو مصدر استعمل ظرفاً. وإنما اكتفى

بالجواب عن التبديل ، لاستلزام امتناعه امتناع الإتيان بقرآن آخر .
وفي تفسير العياشي ^(١) : عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : «وإذا تتلى عليهم إلى قوله من تلقاء نفسي» : قالوا : بدّل مكان علي عليه السلام أبو بكر أو عمر ، اتّبعناه .
وفي أصول الكافي ^(٢) : علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن الحسين ، عن عمر بن يزيد ، عن محمد بن جمهور ، عن محمد بن سنان ، عن المفضل بن عمر قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى : «انت بقرآن غير هذا أو بدّله» . قال : قالوا : أو بدّل عليّاً .

﴿إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ : وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٣) : حدّثني الحسن بن علي ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن أبي السّفاتج ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى : «انت بقرآن غير هذا أو بدّله» يعني : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه .

وقوله : «إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ» تعليل لما يكون ، فإنّ المتّبع لغيره في أمر لا يستبدّ بالتصرّف فيه بوجه ، وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ، وردّ لما عرضوا له بهذا السؤال من أنّ القرآن كلامه واختراعه . ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصياناً ، فقال :

﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ : أي بالتبديل .

﴿عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ^(٤) : وفيه إيماء بأنّهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح .

وفي تفسير العياشي ^(٥) : عن منصور بن حازم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله : «إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» حتّى نزلت سورة الفتح ، فلم يعد إلى ذلك الكلام .

١ . تفسير العياشي ١٢٠/٢ ، ح ١٠ .

٢ . الكافي ٤١٩/١ ، ح ٣٧ .

٣ . تفسير العمري ٣١٠/١ .

٤ . تفسير العياشي ١٢٠/٢ ، ح ١٢ .

٥ . المصدر : «لم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله يقول» بدل «ما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله» .

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾: غير ذلك.

﴿مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾: ولا أعلمكم به على لساني.

وعن ابن كثير^(١): «ولأدراككم» بلام التأكيد، أي لو شاء الله ما تلوته عليكم، ولأعلمكم به على لسان غيري. والمعنى: أنه الحق الذي لا محيص عنه، لو لم أرسَل به لأرسِل به غيري.

وقرئ^(٢): «ولا أدراكم» بالهمزة فيهما، على لغة من يقلب الألف المبدلة من الياء همزة. أو على أنه من الدرء، بمعنى: الدفع، أي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرونني بالجدال. والمعنى: أن الأمر بمشيئة الله لا بمشيئتي حتى أجعله على نحو ما تشتهونه. ثم قرّر ذلك بقوله:

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾: مقدار عمر أربعين سنة.

﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾: من قبل القرآن، لا أتלוه ولا أعلمه. فإنه إشارة إلى أن القرآن معجز خارق للعادة. فإن من عاش بين أظهرهم أربعين سنة، ولم يمارس فيها علماً ولم يشاهد عالماً ولم ينشئ قريضاً ولا خطبة، ثم قرأ عليهم كتاباً برزت^(٣) فصاحته كَلْ منطق وعلا كل منشور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الأصول والفروع وأعرّب عن أقاصيص الأولين وأحاديث الآخرين على ما هي عليه، عَلم أنه مُعَلِّم من الله.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٤) أي أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر، لتعلموا أنه ليس إلا من الله.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: تفاد ممّا أضافوه إليه كناية أو تظلم للمشركين بافتراءهم على الله في قولهم: إنه لذو شريك وذو ولد.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: فكفر بها.

١. أنوار التنزيل ٤٤٢/١.

٢. أنوار التنزيل ٤٤٢/١.

٣. بز: غلب.

﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾^(١) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ: لأنه جماد لا يقدر على نفع ولا ضرر. والمعبود ينبغي أن يكون مثيباً ومعاقباً، حتى يعود عليه بجلب نفع أو دفع ضرر.

﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ: الْأَوْثَانُ.

﴿شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ: تشفع لنا فيما يهتَمُّنا من أمر الدنيا أو في الآخرة إن يكن بعث، وكأنهم كانوا شاكِّين فيه.

وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع إلى عبادة ما يُعلم قطعاً أنه لا يضر ولا ينفع، على توهم أنه ربما يشفع لهم عنده.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): قوله: «ويعبدون من دون الله إلى قوله عند الله».

قال: كانت قريش يعبدون الأصنام، ويقولون: إنما نعبدكم ليقربونا إلى الله زلفى، فإننا لا نقدر على عبادة الله.

فردَّ الله عليهم، فقال: قل لهم يا محمد: «أتنبئون الله بما لا يعلم» أي ليس. فوضع حرفاً مكان حرف، أي ليس له شريك يُعبد.

وفي تفسير العياشي^(٢): عن الزهري قال: أتى رجل أبا عبد الله عليه السلام فسأله عن شيء، فلم يجبه.

فقال له الرجل: فإن كنت ابن أبيك، فأنت من أبناء عبدة الأصنام.

فقال له: كذبت. إن الله أمر إبراهيم أن ينزل إسماعيل بمكة، ففعل. فقال إبراهيم: «رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبنني وبنيتي أن نعبد الأصنام». ^(٣) فلم يعبد أحد من ولد إسماعيل صنماً قط، لكنَّ العرب عبدة الأصنام. وقالت بنو إسماعيل: «هؤلاء شفعاؤنا [عند الله] ^(٤) وكفرت ولم تعبد الأصنام.

﴿قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ: أتخبرونه.

٢. تفسير العياشي ٢/٢٣٠، ح ٣١.

٤. من المصدر.

١. تفسير القمي ١/٣١٠.

٣. إبراهيم ٣٥.

﴿يَمَّا لَا يَعْلَمُ﴾: وهو أن له شريكاً، وفيه تقريع وتهكم بهم. أو هؤلاء شفعاؤنا عنده. وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات، لا يكون له تحقق ما.

﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: حال من العائد المحذوف، مؤكدة للنفي، منبهة على أن ما يعبدونه من دون الله إما سماوي أو أرضي. ولا شيء من الموجودات فيهما إلا وهو حادث مقهور مثلهم، لا يليق أن يُشرك به.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٣٨): عن إشراكهم، أو عن الشركاء الذين يشركونهم

به.

وقرأ^(١) حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين في أول النحل والروم، بالتاء.

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: يعني قبل بعث نوح عليه السلام كانوا على الفطرة؛ لا مهتدين ولا ضاللاً، كما مضى بيانه.

﴿فَاخْتَلَفُوا﴾: باتّباع الهوى والأباطيل، أو ببعثة الرسل، فتبعتهم طائفة وأصرت أخرى.

﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: بتأخير الحكم بينهم. أو العذاب الفاصل بينهم إلى يوم القيامة، فإنه يوم الفصل والجزاء.

﴿لَقَضَيْ بَيْنَهُمْ﴾: عاجلاً.

﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٣٩): بإهلاك المبطل وإبقاء المحق. ولكن الحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار للتكليف والاجتناب، وتلك للثواب والعقاب.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْ لَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: أي من الآيات التي اقترحوها.

﴿قُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾: هو المختص بعلمه. فلعله يعلم في إنزال الآيات المقترحة

مفاسد تصرف عن إنزالها.

﴿فَانْتَظِرُوا﴾: لنزول ما اقترحتموه.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾^(١): لما يفعل الله بكم، بجحودكم ما نزل من الآيات العظام واقتراحكم غيره.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٢) بإسناده إلى محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سأله عن شيء من الفرج.

قال: أليس انتظار الفرج من الفرج^(٣)؟! إِنْ الله ﷻ قال^(٤): «فانتظروا إني معكم من المنتظرين».

وبإسناده^(٥) إلى أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: قال الرضا عليه السلام: ما أحسن الصبر وانتظار الفرج. أما سمعت قول الله ﷻ: «و ارتقبوا إني معكم قريب». وقوله ﷻ: «فانتظروا إني معكم من المنتظرين». فعليكم بالصبر، فإنه إنما يجيء الفرج على اليأس. فقد كان الذي من قبلكم أصبر منكم.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾: صحّة وسعة.

﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسْتُهُمْ﴾: كفحط ومرض.

﴿إِذَا لَهُمْ مُكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾: بالظعن فيها والاحتيايل في دفعها.

قيل^(٦): قُحِطَ أهل مكة سبع سنين، حتّى كادوا يهلكون. ثمّ رحمهم بالمطر، فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله.

﴿قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مُكْرًا﴾: منكم، قد دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدهم. وإنّما دلّ على سرعتهم المفضّل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جواباً لـ «إذا» الشرطيّة.

فالمكر إخفاء الكيد. وهو من الله إمّا الاستدراج، أو الجزاء على المكر.

﴿إِنْ رُسُلُنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾^(٧): تحقيق للانتقام، وتنبية على أنّ ما دبروا في إخفائه لم يخف على الحفظة فضلاً عن أن يخفى على الله.

١. كمال الدين ٦٤٥، ح ٤.

٢. ليس في المصدر: أليس انتظار الفرج من الفرج.

٣. المصدر: يقول.

٤. نفس المصدر والصفحة، ح ٥.

٥. أنوار التنزيل ٤٤٣/١.

وعن يعقوب^(١): «يمكرون» بالياء، ليوافق ما قبله.

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾: يحملكم على السير، ويمكنكم منه.

﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِّ﴾: في السفن.

﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾: بمن فيها.

عدل عن الخطاب إلى الغيبة للمبالغة، كأنه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم.

﴿بِرِّيحٍ طَبَّيَّةٍ﴾: لينة الهبوب.

﴿وَفَرَحُوا بِهَا﴾: بتلك الريح.

﴿جَاءَتْهَا﴾: جواب «إذا». والضمير «للفلك» أو «للريح الطيبة» بمعنى: تلقتها.

﴿وَبِحَّاصِفٍ﴾: شديدة الهبوب.

﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾: يجيء الموج منه.

﴿وَنَظُّوا أَنَّهُمْ أَحْبَطَ بِهِمْ﴾: أهلكوا وسُدَّتْ عليهم مسالك الخلاص، كمن أحاط به

العدو.

﴿دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: من غير إشراك، لتراجع الفطرة وزوال المعارض من

شدة الخوف. وهو بدل من «نظنوا» بدل اشتغال؛ لأنَّ دعاءهم من لوازم ظنهم.

﴿لَئِنْ أَتَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ٣٣: على إرادة القول. أو مفعول «دعوا»

لأنه من جملة القول.

﴿فَلَمَّا أَتَاهُمْ﴾: إجابة لدعائهم.

﴿إِذَا هُمْ يَبْتَغُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: فأجروا الفساد فيها وسارعوا إلى ما كانوا عليه.

﴿بَغْيِرَ الْحَقِّ﴾: مبطلين فيه. وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة

واحراق زروعهم وقلع أشجارهم، فإنها إفساد بحق.

وفي الكافي^(١): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن إسباط ومحمد بن أحمد، عن موسى بن القاسم البجلي [عن علي بن أسباط^(٢)]، عن أبي الحسن عليه السلام حديث طويل. يقول فيه عليه السلام: فإن اضطرب بك البحر، فأتك على جانبك الأيمن وقل: بسم الله، اسكن بسكينة الله، وقر بوقار الله، واهدأ بإذن الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾: فَإِنَّ وَبَالَهُ عَلَيْكُمْ. أَوْ إِنَّهُ عَلَى أَمْثَالِكُمْ وَأَبْنَاءَ جَنْسِكُمْ.

﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: لا تبقى، ويبقى عقابها.

ورفعه، على أنه خبر «بغيتكم»، و«على أنفسكم» صلته. أو خبر محذوف، تقديره: ذلك متاع الحياة الدنيا، و«على أنفسكم» خبر «بغيتكم».

ونصبه^(٣) حفص، على أنه مصدر مؤكد؛ أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا. أو مفعول البغي؛ لأنه بمعنى الطلب، فيكون الجار من صلته، والخبر محذوف، تقديره: بغيتكم متاع الحياة الدنيا محذور أو ضلال. أو مفعول فعل دلّ عليه البغي، و«على أنفسكم» خبره.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): وقال أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه الذي كتبه إلى شيعته، ويذكر خروج عائشة [إلى البصرة وعظم خطأ طلحة والزبير، فقال: وأي خطيئة أعظم مما أتيا، أخرجنا زوجة رسول الله ﷺ] ^(٥) من بيتها وكشفا عنها حجاباً ستره الله عليها، وصانا حلالتهما في بيوتهما. ما أنصفا - لا لله ولا لرسوله - من أنفسهما ثلاث خصال، مرجعها على الناس في كتاب الله: البغي والمكر والنكث. قال الله: «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ». وقال: «ومن نكث فإنما ينكث على نفسه». وقال:

٢. من المصدر.

١. الكافي ٤٧١/٣، ح ٥.

٤. تفسير العمي ٢١٠/٢.

٣. أنوار التنزيل ٤٤٤/١.

٥. من المصدر.

«ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله». وقد بغيا عليّ، ونكثا بيعتي، ومكرا بي.
وفي تفسير العياشي^(١): عن منصور بن يونس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاث
يرجعن على صاحبهنّ: النكث والبغي والمكر. قال الله: «يا أيّها الناس إنّما بغيكُم على
أنفسكم».

﴿ثُمَّ إِنَّا مَرْجِعُكُمْ﴾: في القيامة.
﴿فَتُبْنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢): بالجزاء عليه.
﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: حالها العجبية في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها، بعد
إقبالها واغترار الناس بها.
﴿كَمَا أَتَزَلَّاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾: فاشتبك بسببه، حتّى خالط
بعضها بعضاً.

﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾: من الزروع والبقول والحشيش.
﴿حَتَّى إِذَا لَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾: بأصناف النبات وأشكالها وألوانها
المختلفة، كعروس أخذت من ألوان الثياب والتزيّن، فتزيّنت بها.
و «ازَّيَّنَتْ» أصله: تزيّنت، فأدغم.
وقد قرئ^(٣) على الأصل: «وأزيّنت». على «أفعلت» من غير إعلال، كأغيلت.
والمعنى: صارت ذات زينة. و «ازيانت» كإيياضت.

﴿وَوَظَنَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾: متمكنون من حصدها ودفع غلتها.
﴿أَتَاَهَا أَمْرُنَا﴾: ضرب زرعها ما يجتاحه.
﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا﴾: زرعها.
﴿حَصِيدًا﴾: شبيهاً بما حصد من أصله.
﴿كَأَن لَّمْ تَغْنِ﴾: كأن لم يغن زرعها، أي لم يلبث. فالمضاف محذوف في
الموضعين للمبالغة.

وقرى^(١) بالياء، على الأصل.

﴿بِالْأَنْسِ﴾: فيما قبله. وهو مثل في الوقت القريب. والممثل به مضمون الحكاية، وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاماً بعد ما كان غصاً والتفّ وزين الأرض حتى طمع فيه أهله وظنّوا أنّه قد سلم من الجوائح لا الماء، وإنّ وليه حرف التشبيه؛ لأنّه من التشبيه المركّب.

﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣٠): فإنّهم المتفكرون به.

وفي روضة الكافي^(٢)، كلام لعليّ بن الحسين عليه السلام في الوعظ والزهد في الدنيا. يقول فيه عليه السلام: فازهدوا فيما زهدكم الله فيه من عاجل الدنيا. فإنّ الله سبحانه يقول وقوله الحق: «إنّما مثل الحياة الدنيا» إلى آخر الآية. فكونوا عباد الله من القوم الذين يتفكرون. وفيها^(٣) خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام. وفيها: فاجعلوا عباد الله اجتهادكم في هذه [الدنيا]^(٤) التزوّد من يومها القصير ليوم الآخرة الطويل، فإنّها دار عمل، والآخرة دار القرار والجزاء. فتجافوا عنها، فإنّ المغترّ من اغترّبها. لن تعدو الدنيا إذا تناهت إليه أمنيّة أهل الرغبة فيها، المحبّين لها، المطمئنّين إليها، المفتونين بها أن تكون كما قال الله سبحانه: «كساء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ممّا يأكل الناس والأنعام».

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٥): حدّثني أبي، عن محمّد بن الفضيل، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، بلغنا أنّ لآل جعفر راية ولآل العباس رايتين.

فهل انتهى إليك من علم ذلك شيء؟

قال: أمّا آل جعفر، فليس بشيء ولا إلى شيء. وأمّا آل العباس، فإنّ لهم ملكاً مبطناً، يقربون فيه البعيد ويبعدون فيه القريب، وسلطانهم عسر ليس فيه^(٦) يسر، حتّى إذا أمّنوا مكر الله وأمّنوا عقابه صيغ فيهم صيحة لا يبقى لهم منال يجمعهم ولا آذان

٢. الكافي ٧٥/٨، ح ٢٩.

١. نفس المصدر والمجلّد ٤٤٥.

٤. من المصدر.

٣. نفس المصدر والمجلّد ١٧٤، ح ١٩٤.

٦. ليس في المصدر.

٥. تفسير العمّي ٣١٠/١.

تسمعهم. وهو قول الله ^(١) ﷻ: «حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ الْآيَةَ.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة ^(٢): حدثنا أبو الحسن علي بن موسى بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله [بن موسى] ^(٣) بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: وجدت في كتاب أبي عليه السلام قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الطوال، عن أبيه، عن الحسن بن علي الطبرسي، عن أبي جعفر محمد [بن الحسن] ^(٤) بن علي بن إبراهيم بن مهزيار قال: سمعت أبي يقول: سمعت جدي علي بن إبراهيم [بن مهزيار] ^(٥) يقول: قال لي صاحب الزمان عليه السلام: يا ابن مهزيار، كيف خلفت إخوانك في العراق؟

قلت: في ضَنَك عيش وهناة ^(٦) وقد تواترت عليهم سيوف بني الشيصبان ^(٧). فقال: قاتلهم الله، أَنَّى يُؤْفَكُونَ. كَأَنِّي بِالْقَوْمِ قَدْ قُتِلُوا فِي ديارهم، وأخذهم أمر ربهم ليلاً ونهاراً.

قلت: متى يكون ذلك، يا ابن رسول الله؟

قال: إذا حيل بينكم وبين سبل الكعبة بأقوام لا خلاق لهم، والله ورسوله منهم براء، وظهرت الحمرة في السماء فيها أعمدة كأعمدة اللّجّين تتلألاً نوراً ^(٨)، ويخرج الشروسي ^(٩) من إرمينية وأذربيجان يريدون الجبل الأسود المتلاحم بالجبل الأحمر لزيق جبال طالقان. فيكون بينه وبين المروزي وقعة صيلمانية ^(١٠)، يشب فيها الصغير ويهرم منها الكبير، ويظهر القتل بينهما، فعندها توقّعوا خروجه إلى الزوراء. فلا يلبث

١. المصدر: «ولا (رجال تمنعهم) وهو قول الله» بدل «ولا أذان تسمعهم وهو قول الله».

٢. كمال الدين / ٤٦٥ - ٤٧٠، ح ٢٣. ٣ - ٥. من المصدر.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: هذا. والهناة: الداهية.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: «بني الشيطان» بدل «سيوف بني الشيصبان» وهو كناية عن بني العباس.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: يتلألاً الألوان.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: «ويسير» بدل «الشروسي».

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: صلبانية. والصيلم: الأمر الشديد. وقعة صيلم: مستأصلة.

فيها حتى يوافي باهات^(١). ثم يوافي واسط العراق فيقيم بها سنة أو دونها. ثم يخرج إلى كوفان، فتكون بينهم [وقعة من النجف إلى الحيرة إلى الغري^(٢)] وقعة شديدة تذهل منها العقول، فعندها يكون^(٣) بوار الفنتين^(٤) وعلى الله حصاد الباقيين. ثم تلا: «بسم الله الرحمن الرحيم، أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس».

فقلت: سيدي يا ابن رسول الله، فما الأمر؟

قال: نحن أمر الله ﷻ وجنوده.

قلت: سيدي يا ابن رسول الله، حان^(٥) الوقت؟

قال: «اقتربت الساعة وانشق القمر». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

«وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ»: قيل^(٦): أي دار السلامة من التقضي والآفة. أو دار يسلم الله والملائكة على من يدخلها.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٧)، بإسناده إلى العلاء بن عبد الكريم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام في هذه الآية يقول: إن السلام هو الله ﷻ، وداره التي خلق لعباده ولأوليائه^(٨) الجنة.

وبإسناده^(٩) إلى عبد الله بن الفضل^(١٠) الهاشمي، عن أبي عبد الله حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: اسم من أسماء الله ﷻ.

«وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ»: بالتوفيق.

«إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^(١١): الذي هو طريقها.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١٢): روى الحسين بن جبير في كتابه نخب المناقب،

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: بأهاب. وفي نور الثقلين ٣/٣٠٠، ح ٤١ «ماهان» بدل «باهات».

٢. من المصدر.

٣. كذا في المصدر.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: بوار الفشي.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: حال.

٦. المجموع ١٣٠٣، وأنوار التنزيل ٤٤٥/١.

٧. المعاني ١٧٦/١، ح ١.

٨. المصدر: وداره التي خلقها لأوليائه.

٩. نفس المصدر والموضع.

١٠. أ، ب: عبد الله بن الفضل.

١١. تأويل الآيات الظاهرة ٢١٤/١.

بإسناده حديثاً، يرفعه إلى عبدالله بن العباس وزيد بن علي في قوله: «والله يدعو إلى دار السلام» يعني به الجنة. «ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» قال: يعني ولاية علي عليه السلام.

وفي الكافي^(١): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد، عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل. يقول فيه عليه السلام: فأخبر الله تبارك وتعالى أول من دعا إلى نفسه ودعا إلى طاعته واتباع أمره، فبدأ بنفسه فقال: «والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم».

«لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى»: المثوبة الحسنی.

«وَزِيَادَةٌ»: وما يزيد على المثوبة تفضلاً، لقوله: «ويزيدهم من فضله».

وقيل^(٢): «الحسنى» الجنة، مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وأكثر.

وقيل^(٣): «الزيادة» مغفرة من الله ورضوان.

وقيل^(٤): «الحسنى» الجنة. و«الزيادة» هو اللقاء.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): قوله: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ».

قال: النظر إلى رحمة الله تعالى.

وفي رواية أبي الجارود^(٦)، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ».

قال: أما الحسنی، فالجنة. وأما الزيادة، فالدنیا. ما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به في الآخرة، ويجمع لهم ثواب الدنيا والآخرة.

٢. أنوار التنزيل ٤٤٥/١.

٤. أنوار التنزيل ٤٤٥/١.

٦. تفسير القمي ٣١١/١.

١. الكافي ١٣/٥، ح ١.

٣. أنوار التنزيل ٤٤٥/١.

٥. تفسير القمي ٣١١/١.

وفي مجمع البيان^(١): «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» ذكر في ذلك وجوه. إلى قوله: وثالثها، أن الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب. عن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفي أمالي الطائفة^(٢)، بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل. يقول فيه عليه السلام: قال الله تعالى: «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» [و«الحسنى»]^(٣) هي الجنة. و«الزيادة» هي الدنيا.

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾: لا يغشاها.

﴿قَتَرٌ﴾: غبرة فيها سواد.

﴿وَلَا ذَلَّةٌ﴾: هوان.

والمعنى: لا يرهقهم ما يرهق أهل النار، ولا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال.

وفي أصول الكافي^(٤): الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن أبان بن ميمون القداح قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: أقرأ.

قلت: من أي شيء أقرأ؟

قال: من السورة التاسعة^(٥).

قال: قلت: فجعلت ألتمسها.

فقال: اقرأ من سورة يونس.

قال: فقرأت: «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة».

قال: حسبك.

قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأعجب كيف لا أشيب إذا قرأت القرآن.

١. المجمع ١٠٤/٣.

٢. أمالي الطوسي ٢٥/١.

٣. من المصدر.

٤. الكافي ٦٣٢/٢، ح ١٩.

٥. وتكون العاشرة في المصحف الإمام.

علي بن إبراهيم^(١)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن [منصور بن]^(٢) يونس، عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من شيء إلا وله كيل ووزن إلا الدموع، فإن القطرة تطفئ بحاراً من نار. فإذا اغرورقت العين بمائها، لم يرهق وجهاً قتر ولا ذلة. فإذا فاضت، حرّمه الله على النار. ولو أن ياكياً [بكى]^(٣) في أمة، لرحموا.

عدة من أصحابنا^(٤)، عن سهل بن زياد، عن ابن فضال، عن أبي جميلة ومنصور بن يونس، عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال في حديث طويل: ولا فاضت عين على خده فرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة.

وفي مجمع البيان^(٥): وروى الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ما من عين تفرقت^(٦) بمائها، إلا حرّم الله ذلك الجسد على النار. فإن فاضت من خشية الله، لم يلحق^(٧) ذلك الوجه قتر ولا ذلة. وفي تفسير العياشي^(٨)، مثله.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٩): وقال علي بن إبراهيم عليه السلام: «القدر» الجوع والفقر. و«الذلة» الخوف.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١٠) دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها، بخلاف الدنيا وزخارفها.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾: عطف على قوله: «للمّذين أحسنوا الحسنی» على مذهب من يجوز: في الدار زيد والحجرة عمرو. أو الذين مبتدأ والخبر «جزاء سيئة»، على تقدير: وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها، أي أن

٢. من المصدر.

١. الكافي ٤٨١/٢، ح ١.

٤. نفس المصدر والمجلّد ٤٨٢، ح ٢.

٣. من المصدر.

٦. في تفسير العياشي: ما من عبد اغرورقت بمائها.

٥. المجمع ١٠٤/٣.

٨. تفسير العياشي ١٢١/٢، ح ١٥.

٧. المصدر وتفسير العياشي: لم يرهق.

٩. تفسير القمي ٣١١/١.

تجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزداد عليها.

وفيه تنبيه على أن الزيادة هي الفضل، أو التضعيف. أو كأنما أغشيت وجوههم. أو أولئك أصحاب النار» وما بينهما اعتراض «فجزاء سيئة» مبتدأ، خبره محذوف، أي جزاء سيئة بمثلها واقع. أو بمثلها، على زيادة الباء. أو تقديره: مقدّر بمثلها.

﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: وقرئ^(١) بالياء.

﴿مَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾: ما من أحد يعصمهم من سخط الله. أو من جهة الله. أو من عنده، كما يكون للمؤمنين.

﴿كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾: لفرط سوادها وظلمتها.

و«مظلمًا» حال من «الليل» والعامل فيه «أغشيت» لأنه العامل في «قطعا». وهو موصوف بالجارّ والمجرور. فالعامل في الموصوف عامل في الصفة، أو معنى الفعل في «من الليل».

وقرأ^(٢) ابن كثير والكسائي ويعقوب: «قطعا» بالسكون. وعلى هذا يصح أن يكون «مظلمًا» صفة له، أو حالاً منه.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣): في تفسير علي بن إبراهيم^(٤): في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام: هؤلاء أهل البدع والشبهات والشهوات يسود وجوههم، ثم يلقونه. يقول الله تبارك وتعالى: «كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلمًا» [يسود الله وجوههم يوم القيامة]^(٥) ويلبسهم الذلّة والصغار. ويقول الله ﷻ: «أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون».

وفي روضة الكافي^(٦): يحيى الحلبي، عن المثنى، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﷻ: «كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلمًا». أما ترى البيت

٢. نفس المصدر والموضع.

١. أنوار التنزيل ٤٤٥/١.

٤. من المصدر.

٣. تفسير القمي ٣١١/١.

٥. الكافي ٢٥٢/٨، ح ٣٥٥.

إذا كان الليل، كان أشدّ سواداً من خارج؟ فكذا هم يزادون سواداً.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾: يعني الفريقين.

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾: ألزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم.

﴿أَنْتُمْ﴾: تأكيد للضمير المنتقل إليه من عامله.

﴿وَأَشْرِكُواكُمْ﴾: عطف عليه.

وقرئ^(١) بالنصب، على المفعول معه.

﴿فَرَزْنَا بَيْنَهُمْ﴾: وقطعنا الوصل الذي بينهم، وفرقنا بينهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): يبعث الله ناراً تزيل بين الكفار والمؤمنين.

﴿وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِذَا نَا تَعْبُدُونَ﴾^(٣): مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم.

إنما عبدوا في الحقيقة أهواءهم؛ لأنها الأمرة بالإشراك لا ما أشركوا به.

وقيل^(٣): ينطق الله الأصنام، فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا منها.

وقيل^(٤): المراد بالشركاء: الملائكة والمسيح.

وقيل^(٥): الشياطين.

﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾: فإنه العالم بكنه الحال.

﴿إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾^(٦): «إن» هي المخففة عن الثقيلة و«اللام» هي

الفارقة.

﴿هَئِلَكَ﴾: في ذلك المقام.

﴿يَتَّبِعُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾: تختبر ما قدمت من عمل، فتعابن نفعه وضره.

وقرأ^(٧) حمزة والكسائي: «تتلو» من التلاوة، أي تقرأ ذكر ما قدمت. أو من التلو، أي

تتبع عمله، فيقوده إلى الجنة أو إلى النار.

٢. تفسير القمي ٣١٢/١.

١. أنوار التنزيل ٤٤٦/١.

٤-٦. نفس المصدر والموضع.

٣. أنوار التنزيل ٤٤٦/١.

وقرى^(١): «نبلو» بالنون، ونصب «كلّ» إبدان «ما» منه. والمعنى: نختبرها، أي نفعل بها فعل المختبر لحالها، المتعرّف لسعادتها وشقاوتها بتعرّف ما أسلفت من أعمالها. ويجوز أن يراد: تُصيب بالبلاء، أي بالعذاب كلّ نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشرّ. فتكون «ما» منصوبة بنزع الخافض.

﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ﴾: إلى جزائه إيّاهم بما أسلفوا.

﴿مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ﴾: ربّهم ومتولّي أمرهم على الحقيقة، لا ما اتّخذوه مولى.

وقرى^(٢): «الحقّ» بالنصب، على المدح أو المصدر المؤكّد.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾: وضاع عنهم.

﴿مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ﴾^(٣): من أنّ آلهتهم تشفع لهم. أو ما كانوا يدّعون أنّها آلهة.

[وفي نهج البلاغة^(٤): فكيف لو تناهت بكم الأمور وبُعثت القبور «هنالك تبلو كلّ نفس ما أسلفت، وردّوا إلى الله مولاهم الحقّ، وضلّ عنهم ما كانوا يفترون»]^(٥).

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾: منهما جميعاً، فإنّ الأرزاق تحصل بأسباب سماوية ومواد أرضية. أو من كلّ واحد منهما، توسعة عليكم.

وقيل^(٦): «من» لبيان «من» على حذف المضاف، أي من أهل السماء والأرض.

﴿أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾: أَمْنَ يستطيع خلقهما وتسويتها. أو من يحفظهما

من الآفات مع كثرتهما وسرعة انفعالهما من أدنى شيء.

﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: من يحيي ويميت. أو من

ينشئ الحيوان من النطفة، والنطفة منه.

﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: ومن يلي تدبير أمر العالم. وهو تعميم بعد تخصيص.

﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾: إذ لا يقدرّون على المكابرة والعناد في ذلك، لفرط وضوحه.

١. نفس المصدر والموضع.

٣. نهج البلاغة / ٣٤٩، خطبة ٢٢٦.

٥. أنوار التنزيل ٤٤٦/١.

٢. أنوار التنزيل ٤٤٦/١.

٤. ما بين المعقوفتين ليس في ب.

﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٦): أنفسكم عقابه، بإشراككم إياه ما لا يشاركه في شيء من ذلك.

﴿قَدْ لَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ﴾: المتولّي لهذه الأمور، المستحقّ للعبادة. هو ربكم الثابت ربوبيته؛ لأنه الذي أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أموركم.

﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾: استفهام انكار، أي ليس بعد الحقّ إلا الضلال. فمن تخطّى الحقّ الذي هو عبادة الله، وقع في الضلال.

﴿فَأَنَّى تُصْرِفُونَ﴾ (٧): عن الحقّ إلى الضلال.

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾: أي كما حقت الربوبية لله. أو أنّ الحقّ بعد الضلال. أو أنهم مصروفون عن الحقّ، حقت كلمة الله وحكمه.

وقرأ^(١) نافع وابن عامر: «كلمات» هنا وفي آخر السورة، وفي غافر.

﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾: تمردوا في كفرهم، وخرجوا عن حدّ الاستصلاح.

﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨): بدل من «الكلمة». أو تعليل لحقيقتها، والمراد بها: العدة بالعذاب.

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: جعل الإعادة كالإبداء في الإلزام بها، لظهور برهانها وإن لم يساعدوا عليها. أمر الرسول بأن ينوب عنهم في الجواب، فقال:

﴿قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: لأنّ لجأهم لا يدعهم أن يعترفوا بها.

﴿فَأَنَّى تُؤْفِكُونَ﴾ (٩): تُصْرِفُونَ عن قصد السبيل.

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾: بنصب الحجج، وإرسال الرسل، والتوفيق للنظر والتدبر.

و«هدى» كما يعدّى «بإلى» لتضمّنه معنى الانتهاء، يعدّى باللام، للدلالة على أنّ

المنتهى غاية الهداية، ولأنها لم تتوجّه نحوه على سبيل الاتفاق، ولذلك عُدّي بها ما أُسند إلى الله.

﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي﴾: أم الذي لا يهتدي.

﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾: من قولهم: هُدي بنفسه: إذا هتدى. أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله. وهذا حال أشرف شركائهم، كالملائكة والمسيح وعزير.

وقرأ^(١) ابن كثير، وورش عن نافع، وابن عامر: «يَهْدَى» بفتح الهاء وتشديد الدال. ويعقوب وحفص، بالكسر والتشديد. والأصل: يهتدي، فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء، أو كسرت لالتقاء الساكنين.

وروى^(٢) أبو بكر «يهدي» باتباع الياء الهاء.

وقرأ^(٣) أبو عمرو بالإدغام المجزّد، ولم يبال بالتقاء الساكنين؛ لأنّ المدغم في حكم المتحرّك.

وعن نافع^(٤) برواية قالون، مثله.

وقرئ^(٥): «أن يهدي» على المبالغة.

﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٦): بما يقتضي صريح العقل بطلانه.

في تفسير عليّ بن إبراهيم^(٧): أبو عليّ الأشعريّ، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن فضال والحجّال جميعاً، عن ثعلبة، عن عبد الرحمن بن مسلمة الجريريّ^(٨) قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يُوخُونَا وَيَكْذُبُونَا أَنَا نَقُولُ: إِنَّ صِبْحَتَيْنِ تَكُونَانِ. يقولون: من أين تعرف المحقّة من المبطلة إذا كانتا؟

قال: فماذا تردّون عليهم؟

٢-٥. نفس المصدر والموضع.

١. أنوار التنزيل ٤٤٧/١.

٦. الكافي ٢٠٨/٨، ح ٢٥٢.

٧. كذا في المصدر وجامع الرواة ٤٥٤/١. وفي النسخ: الجزيريّ.

قلت: ما نردّ عليهم شيئاً!

قال: قولوا: يصدّق بها إذا كانت من كان يؤمن بها من قبل. إنّ الله ﷻ يقول: «أفمن يهدي -إلى قوله- كيف تحكمون».

عن^(١)، عن محمد [عن^(٢)] ابن فضال والحجّال، عن داود بن فرقد قال: سمع رجلاً من العجلىّة^(٣) هذا الحديث، قوله: ينادي مناد: ألا إنّ فلان بن فلان وشيعته هم الفائزون أوّل النهار. وينادي آخر النهار: ألا إنّ عثمان وشيعته هم الفائزون. قال: وينادي أوّل النهار منادي آخر النهار.

فقال الرجل: فما يدرينا أيّما الصادق من الكاذب؟

فقال: يصدّق عليها من كان يؤمن بها قبل أن ينادي. إنّ الله ﷻ يقول: «أفمن يهدي إلى الحقّ» الآية.

وفي كشف المحجّة^(٤) لابن طاووس ﷺ، عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل. وفيه يقول عليه السلام: اسمعوا قولي يهدكم الله إذا قلت، وأطيعوا أمري إذا أمرت. فوالله لئن أطمعتموني، لاتغفروا. وإن عصيتموني، لأثرشدوا. قال الله تعالى: «أفمن يهدي» الآية. وفي عيون الأخبار^(٥)، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في وصف الإمامة والإمام، وذكر فضل الإمام ورتبته، حديث طويل. يقول فيه الرضا عليه السلام: إنّ الأنبياء والأئمّة يوقّهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتیه غيرهم. فيكون علمهم فوق كلّ علم أهل زمانهم في قوله ﷻ: «أفمن يهدي إلى الحقّ» الآية. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في

١. الكافي ٢٠٩/٨، ح ٢٥٣.

٢. العجلىّة: قبيلة من ربيعة، وهو عجل بن لجيم بن صعب.

٣. كشف المحجّة ١٨٧.

٤. العيون ١٧٤/١، ح ١.

٥. تفسير القمي ٣١٢/١.

٦. من المصدر.

قوله: «أفمن يهدي إلى الحقّ» الآية: فأما من يهدي إلى الحقّ، فهم محمّد وآل محمّد من بعده. وأما من لا يهدي إلّا أن يهدي، فهو من خالف من قريش وغيرهم أهل بيته من بعده.

وفي الكافي^(١): عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن عمرو بن عثمان^(٢)، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لقد قضى أمير المؤمنين عليه السلام بقضية ما قضى بها أحد كان قبله. وكانت أوّل قضية قضى بها بعد رسول الله ﷺ. وذلك أنّه لما قبض رسول الله ﷺ وأفضى الأمر إلى أبي بكر، أتني برجل قد شرب الخمر.

فقال له أبو بكر: أشربت الخمر؟

فقال الرجل: نعم.

فقال: ولم شربتها وهي محرّمة؟

فقال: إنّي أسلمت ومنزلي بين ظهرائي قوم يشربون الخمر ويستحلّونها، ولو أعلم أنّها حرام اجتنبتها.

قال: فالتفت أبو بكر إلى عمر فقال: ما تقول يا أبا حفص، في أمر هذا الرجل؟

فقال: معضلة، وأبو الحسن لها.

فقال أبو بكر: يا غلام، ادع لنا عليّاً.

فقال عمر: بل يؤتى الحكم في منزله.

فأتوه ومعهم سلمان الفارسيّ عليه السلام. فأخبروه بقضية الرجل، فاقتصّ عليه قصّته.

فقال عليّ عليه السلام لأبي بكر: ابعت^(٣) من يدور به على مجالس المهاجرين والأنصار.

فمن كان تلا عليه آية التحريم، فليشهد عليه.

١. الكافي ٢٤٩٧، ح ٤.

٢. كذا في المصدر وجامع الرواة ٦٢٧١، وفي النسخ: عمر بن عثمان.

٣. المصدر: ابعت معه.

ففعّل أبو بكر ما قال علي عليه السلام. فلم يشهد عليه أحد، فخلّي^(١) سبيله. فقال سلمان لعلّي عليه السلام^(٢): لقد أرشدتهم. فقال علي عليه السلام: إنّما أردت أن أجدّد تأكيد هذه الآية فيّ وفيهم «أفمن يهدي» الآية.

وفي تفسير العياشي^(٣): عن عمرو بن القاسم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وذكر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ثم قرأ: «أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع إلى قوله تحكمون».

فقلنا: من هو، أصلحك الله؟

فقال: بلغنا أنّ ذلك علي عليه السلام.

﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ﴾: فيما يعتقدون.

﴿الْأَظْنَى﴾: مستنداً إلى خيالات فارغة وأقيسة فاسدة، كقياس الغائب على الشاهد،

والخالق على المخلوق بأدنى مشاركة موهومة. والمراد بالأكثر: الجميع. أو من ينتمي إلى تمييز ونظر، ولا يرضى بالتقليد الصرف.

﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾: من العلم والاعتقاد الحق.

﴿شَيْئاً﴾: من الإغناء. ويجوز أن يكون مفعولاً به و«من الحق» حالاً منه.

قيل^(٤): وفيه دليل على أنّ تحصيل العلم في الأصول واجب، والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز.

وأقول: في الآية دلالة على النهي عن اتباع الظن مطلقاً، وذمّ تقليد من لا يحصل

بقوله غير الظن.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾^(٥): وعيد على أتباعهم للظن وإعراضهم عن البرهان.

﴿وَمَا كَانَ﴾: ما صحّ واستقام.

﴿هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: افتراء من الخلق.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: فتخلّي.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: «فقال علي عليه السلام» بدل «فقال سلمان لعلّي عليه السلام».

٣. تفسير العياشي ١٢٢/٢، ح ١٨.

٤. أنوار التنزيل ١/٤٤٧.

﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: مطابق لما تقدّمه من الكتب الإلهية، المشهود على صدقها. ولا يكون كذباً، كيف وهو لكونه معجزاً عيار عليها شاهد على صحتها.

ونصبه بأنه خبر «لكان» مقدراً. أو علة لفعل محذوف، تقديره: لكن أنزله الله تصديقاً للذي.

وقرئ^(١) بالرفع، على تقدير: ولكن هو تصديق.

﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾: وتفصيل ما حقق وأثبت من العقائد والشرائع.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: متنفياً عنه الريب.

وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك. ويجوز أن يكون حالاً من «الكتاب» فإنه مفعول في المعنى، وأن يكون استثناءً.

﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢٧): خبر آخر، تقديره: كائناً من رب العالمين. أو متعلق «بتصديق» أو «بتفصيل» و«لا ريب فيه» اعتراض، أو بالفعل المعلّل بهما. ويجوز أن يكون حالاً من «الكتاب» أو الضمير في «فيه». ومساق الآية، بعد المنع عن اتباع الظن، لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾: بل يقولون.

﴿افْتَرَاهُ﴾: محمد. ومعنى الهمزة فيه، للإنكار.

﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾: في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء. فإنكم مثلي في العربية والفصاحة، وأشدّ تمرناً في النظم والعبارة.

﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾: ومع ذلك فاستعينوا بمن أمكنكم أن تستعينوا به.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: سوى الله تعالى. فإنه وحده قادر على ذلك.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢٨): أنه اختلقه.

﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾: بل سارعوا إلى التكذيب.

﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾: بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه. أو بما جهلوه ولم يحيطوا به علماً، من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم.

﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾: ولم يعثروا بعد على تأويله، ولم تبلغ أذهانهم معانيه. أو ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الأخبار بالغيوب، حتى يتبين لهم أنه صدق أم كذب. والمعنى أن القرآن معجز من جهة اللفظ.

والمعنى: ثم أنهم فاجؤوا تكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه. ومعنى التوقع في «لَمَّا»: أنه ظهر لهم بالآخرة إعجازه، لما كرر عليهم التحدي. فرازوا^(١) قواهم في معارضته، فتضاءلت دونها. أو لما شاهدوا وقوع ما أخبر به طبقاً لإخباره مراراً، فلم يقلعوا عن^(٢) التكذيب تمرّداً وعناداً.

وفي تفسير العياشي^(٣): عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سئل عن الأمور العظام التي تكون ممّا لم تكن؟

فقال: لم يأن أوان كشفها بعد. وذلك قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾ الآية.

عن حمران^(٤) قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الأمور العظام من الرجعة وغيرها؟

فقال: إنّ هذا الذي تسألوني عنه لم يأت أوانه. قال الله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾ الآية.

وفي أصول الكافي^(٥): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن يونس، عن أبي يعقوب إسحاق بن عبدالله، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله خص عباده بآيتين من كتاب الله، أن لا يقولوا حتى يعلموا، ولا يردّوا ما لم يعلموا. وقال عليه السلام: «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلّا الحق». وقال: «بل كذبوا بما لم يحيطوا

١. فرازوا: فجزبوا واختبروا.

٣. تفسير العياشي ١٢٢/٢، ح ١٩.

٥. الكافي ٤٣/١، ح ٨.

٢. أ، ب: فلم يقدموا على.

٤. نفس المصدر والموضع، ح ٢٠.

بعلمه ولمّا يأتهم تأويله». [قال: كذب الَّذِينَ من قبلهم. قال نزلت في الرجعة، كذبوا بها. أي أنّها لا تكون] ^(١).

وفي تفسير العياشي ^(٢): عن اسحاق بن عبدالعزيز قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: خص الله هذه الأمة بأيتين من كتابه، ألا يقولوا ما لا يعلمون [وآلا يردّوا ما لا يعلمون] ^(٣). ثم قرأ: «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب» الآية. وقوله: «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتهم تأويله» الآية.

﴿كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أنبياءهم.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ^(٤): فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم.

﴿وَمِنْهُمْ﴾: ومن المكذّبين.

﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾: من يصدّق به في نفسه ويعلم أنّه حقّ، ولكن يعاند. أو من سيؤمن به ويتوب عن كفره.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾: قيل ^(٥): في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبّره، أو فيما يستقبل، بل يموت على الكفر.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٦): في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام: هم أعداء محمّد وآل محمّد عليه السلام من بعده.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ ^(٧): بالمعاندين، أو بالمصرّين.

﴿وَأَن كَذَّبُوكَ﴾: فإن أصرّوا على تكذيبك بعد إلزام الحجة.

﴿قُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾: ففترأ منهم، فقد أذرت.

والمعنى: لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم، حقّاً كان أو باطلاً.

﴿أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ^(٨): لا تؤاخذون بعملي، ولا أوأخذ

١. ما بين المعقوفتين ليس في المصدر.

٢. تفسير العياشي ١٢٣/٢، ح ٢٢.

٣. من المصدر.

٤. تفسير الصافي ٤٠٣/٢، وأنوار التنزيل ٤٤٨/١.

٥. تفسير القمي ٣١٢/١.

بعملكم. ولما فيه من إيهام الإعراض عنهم وتخلية سبيلهم، قيل ^(١): إنه منسوخ بآية السيف.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾: إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون، كالأصم الذي لا يسمع أصلاً.

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ﴾: تقدر على إسماعهم.

﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ ^(٢): ولو انضم إلى صممهم عدم تفقههم.

وفيه تنبيه على أن حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه. ولذلك لا يوصف به البهائم. وهو لا يتأتى إلا باستعمال العقل السليم في تدبره. وعقولهم لما كانت مؤوفة بمعارضة الوهم ومشايعة الإلف والتقليد، تعذر إفهامهم الحكم والمعاني الدقيقة. فلم ينتفعوا بسرد الألفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾: يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقونك.

﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾: تقدر على هدايتهم.

﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ ^(٣): وإن انضم إلى عدم البصر عدم البصيرة. فإن المقصود

من الإبصار: هو الاعتبار والاستبصار. والعمدة في ذلك البصيرة، ولذلك يحدثس الأعمى المستبصر يتفطن ما لا يدركه البصير الأحق. والآية كالتعليل للأمر بالتبري والإعراض عنهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾: بسلب حواسهم وعقولهم.

﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ^(٤): بإفسادها وتقويت منافعها عليهم.

وفيه دليل على أن للعبد فعلاً، وأنه ليس مسلوب الاختيار بالكلية، كما زعمت الأشاعرة.

ويجوز أن يكون وعيداً لهم، بمعنى: أن ما يحق بهم يوم القيامة من العذاب عدل

من الله لا يظلمهم به، ولكنهم ظلموا به أنفسهم باقتراف أسبابه.

وقرأ حمزة والكسائي بالتخفيف ورفع «الناس».

وفي الكافي^(١): عن أبي جعفر عليه السلام: «إن الله الحليم^(٢) العليم إنما غضبه على من لم يقبل منه رضاه، وإنما يمنع من لم يقبل منه عطاءه، وإنما يضل من لم يقبل منه هداه. الحديث.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾: يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا أو القبور، لهول ما يرون.

والجملة التشبيهية في موقع الحال، أي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة. أو صفة «ليوم» والعائد محذوف، تقديره: كأن لم يلبثوا قبله. أو لمصدر محذوف، أي حشراً كأن لم يلبثوا قبله.

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يعرف بعضهم بعضاً، كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلاً. فهذا أول ما نشروا، ثم ينقطع التعارف لشدة الأمر عليهم.

وهو حال أخرى مقدرة. أو بيان لقوله: «كأن لم يلبثوا». أو متعلق الظرف، والتقدير: يتعارفون يوم يحشرهم.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: استئناف للشهادة على خسرانهم والتعجب منه. ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في «يتعارفون» على إرادة القول.

﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(٣): لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف، فاستكسبوا بها جهالات أدت بهم إلى الردى والعذاب الدائم.

﴿وَأَمَّا نُورُكَ﴾: نبصرتك.

﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾: من العذاب في حياتك، كما أراه يوم بدر.

﴿أَوْ تَوَفِّيْنَاكَ﴾: قبل أن نريك.

﴿فَالَيْتَنَا مَرَّجُهُمْ﴾: فنريكه في الآخرة. وهو جواب «نتوفيتك». وجواب «نريتك» محذوف، مثل فذاك.

﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِدَ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾^(٦): مجاز عليه ذكر الشهادة، وأراد نتيجتها ومقتضاها، ولذلك رتبها على الرجوع بـ «ثم». أو مؤدَّ شهادته على أفعالهم يوم القيامة. ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: من الأمم الماضية.

﴿رَسُولٌ﴾: يُبعث إليهم ليدعوهم إلى الحق.

﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾: بالبينات، فكذبوه.

﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: بين الرسول ومكذبيه.

﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل. فأنجي الرسول، وأهلك المكذبون.

﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾^(٧): وقيل^(١): معناه: لكل أمة يوم القيامة رسول تُنسب إليه. فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان، قضى بينهم بإنجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله: «وجيء بالنبیین والشهداء وقضي بينهم».

وفي تفسير العياشي^(٢): عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام: تفسيرها بالباطن: أن لكل قرن من هذه الأمة رسولاً من آل محمد يخرج إلى القرن الذي هو إليهم رسول، وهم الأولياء وهم الرسل. وأما قوله: «فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط» قال: معناه: أن رسل الله يقضون بالقسط «وهم لا يظلمون» كما قال الله.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾: استبعاداً له، واستهزاءً به.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٨): خطاب منهم للنبي والمؤمنين.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلَا نَفْعاً﴾: فكيف أملك لكم، فأستعجل في جلب العذاب إليكم.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: أن أملكه. أو ولكن ما شاء الله من ذلك كائن.

١. المجمع ١١٤/٣ بتفاوت يسير، وأنوار التنزيل ٤٤٩/١.

٢. تفسير العياشي ١٢٣/٢، ح ٢٣.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: مضروب لهلاكهم.

﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(١): لا يتأخرون ولا يتقدمون.

فلا تستعجلوا، فيجيء وقتكم وينجز وعدكم.

وقوله: «لا يستقدمون» معطوف على الشرطية.

وفي تفسير العياشي^(١): عن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: «إِذَا جَاءَ الْآيَةُ». جاء الآيات.

قال: هو الذي سُمِّيَ لملك الموت ليلة القدر.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾: الذي تستعجلون به.

﴿بَيِّنَاتٍ﴾: وقت بيات واشتغال بالنوم.

﴿أَوْ نَهَاراً﴾: حين كنتم منشغلين بطلب معاشكم.

﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾^(٢): أي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه

لا يلائم الاستعجال؟!

وهو متعلق «بأرايتهم» لأنه بمعنى: أخبروني. و«المجرمون» وضع موضع الضمير،

للدلالة على أنهم لجرمهم ينبغي أن يفزعوا من مجيء الوعيد لأن يستعجلوه.

وجواب الشرط محذوف، وهو: تندموا على الاستعجال، أو تعرفوا خطأه.

ويجوز أن يكون الجواب «ماذا» كقولك: إن أتيتك ماذا تعطيني؟ وتكون الجملة

متعلقة «بأرايتهم» أو بقوله:

﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْسَمْتُمْ بِهِ﴾: بمعنى: إن أتاكم عذابه، آمستم به بعد وقوعه حين

لا ينفعكم الإيمان.

وعلى التقدير الآخر «ماذا يستعجل» اعتراض، ودخول حرف الاستفهام على «ثم»

لإنكار التأخير.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «قل أرأيتم إلى قوله منه المجرمون» فهذا عذاب ينزل في آخر الزمان على فسقة أهل القبلة، وهم يجحدون نزول العذاب عليهم.

وفي مجمع البيان^(٢) عنه عليه السلام مثله.

﴿الآن﴾: على إرادة القول، أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب: الآن أمتم به؟! وعن نافع^(٣) «الآن» بحذف الهمزة، والقاء حركتها على اللام.

﴿وَقَدْ كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾^(٤): تكذيباً واستهزاء.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: عطف على «قيل» المقدر.

﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾: المؤلم على الدوام.

﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾^(٥): من الكفر والمعاصي.

﴿وَيَسْتَنْبِثُونَكَ﴾: ويستخبرونك.

﴿أَحَقُّ هُوَ﴾: قيل^(٦): أحق ما تقول من الوعد أو ادعاء النبوة، تقوله بجداً أم باطل

تهزل به.

قيل^(٥): قاله حي بن أخطب لما قدم مكة.

والأظهر أن الاستفهام فيه على أصله، لقوله: «ويستنبثونك».

وقيل^(٧): إنه للإنكار. ويؤيده أنه قرئ: «أَلْحَقَّ هُوَ» فإن فيه تعريضاً بأنه باطل.

و«أحق» مبتدأ، والضمير مرتفع به ساذ مسدّ الخبر. أو خبر مقدم، والجملة في موضع

النصب بـ «يستنبثونك».

﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾: أن العذاب لكائن. أو ما ادّعيته لثابت.

وقيل^(٧): كلا الضميرين للقرآن.

و«إي» بمعنى: نعم. وهو من لوازم القسم. ولذلك يوصل بواوه في التصديق،

١. تفسير القمي ٣١٢/١.

٢. المجمع ١١٥/٣ بتفاوت.

٣. أنوار التنزيل ٤٥٠/١.

٤-٧. نفس المصدر والموضع.

فيقال: إِي والله. ولا يقال: إِي، وحده.

وفي أصول الكافي^(١): علي بن إبراهيم [عن أبيه]^(٢)، عن القسم بن محمد الجوهري، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «ويستنبئونك أحق هو» ما تقول في^(٣) علي عليه السلام. «قل إِي وربِّي إِنَّه لَحَقٌّ وما أنتم بمعجزين».

وفي أمالي الصدوق^(٤): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ عليه السلام، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الصَّفَّار، عن علي بن محمد القاساني، عن سليمان بن داود المنقري، عن يحيى بن سعيد، عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: «ويستنبئونك - إلى قوله - لحق».

قال: يستنبئك يا محمد، أهل مكة عن علي بن أبي طالب إمام هو؟ «قل إِي وربِّي إِنَّه لَحَقٌّ».

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥)، مثله.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٦): روى أبو عبدالله الحسين بن جبير عليه السلام في نخب المناقب، حديثاً مسنداً عن الباقر عليه السلام في قوله: «ويستنبئونك أحق هو قل إِي وربِّي إِنَّه لَحَقٌّ وما أنتم بمعجزين».

قال: يسألونك يا محمد: أعلي عليه السلام وصيك؟ قل: إِي وربِّي، إِنَّه لوصيي.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ بفائتين العذاب.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾: قيل^(٧): بالشرك، أو التعدي على الغير.

﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾: من خزائنها وأموالها.

﴿لَأَقْتَدَتْ بِهِ﴾: لجعلته فدية من العذاب. من قولهم: افتدى به، بمعنى: فداه.

١. الكافي ٤٣٠/١، ح ٨٧.

٢. كذا في المصدر وفي النسخ: «ما يقول محمد في» بدل «ما تقول في».

٣. أمالي الصدوق ٥٣٥، ح ٧.

٤. تفسير القمي ٥١٣/١.

٥. أنوار التنزيل ٤٥٠/١.

٦. تأويل الآيات الباهرة ٢١٤/١.

﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾: قيل^(١): لأنهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الأمر وهوله، فلم يقدروا أن ينطقوا.

وقيل^(٢): «أسروا الندامة» أخلصوها؛ لأن إخفاءها إخلاصها. أو لأنه يقال: سر الشيء، لخالصته. من حيث أنها تخفى ويضن^(٣) بها.

وقيل^(٤): أظهروها. من قولهم: أسر الشيء وأسره إذا أظهره.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): ثم قال: «ولو أن لكل نفس ظلمت» آل محمد صلوات الله عليهم حقهم. «ما في الأرض جميعاً لافتدت به» ذلك الوقت، يعني: الرجعة.

وحدثني محمد بن جعفر^(٦) قال: حدثني محمد بن أحمد، عن أحمد بن الحسين، عن صالح بن أبي حماد^(٧)، عن الحسن بن موسى الخشاب، عن رجل، عن حماد بن عيسى، عن عمن رواه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن قوله: «وأسروا الندامة لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ». قال: قيل له: ما ينفعهم إسرار الندامة وهم في العذاب؟ قال: كرهوا شماتة الأعداء.

وفي روضة الكافي^(٨)، بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله حديث طويل. يقول فيه عليه السلام: وشر الندامة ندامة يوم القيامة.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: ليس تكريراً؛ لأن الأول قضاء بين الأنبياء ومكذبيهم، والثاني مجازاة المشركين على الشرك أو الحكومة بين الظالمين والمظلومين. والضمير إنما يتناولهم، لدلالة الظلم عليهم.

١. نفس المصدر والموضع، وتفسير الصافي ٤٠٦/٢.

٢. نفس المصدر والموضع. ٣. ضن به عليه: بخل.

٤. نفس المصدر والموضع. ٥. تفسير القمي ٣١٣/١.

٦. نفس المصدر والموضع.

٧. المصدر: صالح بن أبي عمار. وجامع الرواة ٤٠٥/١: صالح بن أبي حماد.

٨. الكافي ٨٢/٨، ضمن ح ٣٩.

﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: تقرير لقدرته تعالى على الإثابة والعقاب.
 ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه.
 ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥): لأنهم لا يعلمون - لقصور عقلهم - إلا ظاهراً من الحياة الدنيا.

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: في الدنيا، فهو يقدر عليها في العقبى؛ لأنَّ القادر لذاته لا نزول قدرته. والمادة القابلة بالذات، الحياة والموت، قابلة لهما أبداً.
 ﴿وَالْيَهُ تَرْجَعُونَ﴾^(٦): بالموت والنشور.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٧): أي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الأعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح، والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد، وهدى إلى الحق واليقين، ورحمة للمؤمنين حيث أنزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان.
 والتذكير فيها للتعظيم.

وفي كتاب الإلهيلجة^(١): قال الصادق عليه السلام: وأنزل عليكم^(٢) كتاباً فيه شفاء لما في الصدور من أمر^(٣) الخواطر ومشبهات^(٤) الأمور.

وفي أصول الكافي^(٥): علي، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: شكى رجل إلى النبي ﷺ وجعاً في صدره.
 قال: استشف بالقرآن. فإن الله ﷻ يقول: «وشفاء لما في الصدور».

وفي روضة الكافي^(٦): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عمرو بن عثمان، عن علي بن

١. البحار ١٥٢/٣، تفسير الصافي ٤٠٧/٢. ٢. المصدر: إنزاله عليهم.

٣. المصدر: أمراض. ٤. المصدر: مشبهات.

٥. الكافي ٦٠٠/٢، ح ٧. ٦. الكافي ٤٢/٨، ح ٨.

عيسى، رفعه قال: إِنَّ موسى عليه السلام نجاه الله تبارك وتعالى، فقال في مناجاته: يا موسى، لا يطول في الدنيا أَمَلُكَ. وذكر حديثاً قدسياً طويلاً. يقول فيه عزمن قائل وقد ذكر محمداً عليه السلام: ولأنزلن عليه قرآناً فرقاناً شفاءً لما في الصدور من نفث ^(١) الشيطان.

وفي نهج البلاغة ^(٢): قال: عليه السلام: وتعلموا القرآن، فإنه ربيع القلوب. واستشفوا بنوره، فإنه شفاء لما في الصدور.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾: «الباء» متعلقة بفعل يفسره قوله:

﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾: فإن اسم الإشارة بمنزلة الضمير، تقديره: بفضل الله وبرحمته فليعتنوا، أو فليفرحوا «فبذلك فليفرحوا». وفائدة ذلك التكرير، التأكيد والبيان بعد الإجمال وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح.

أو بفعل دل عليه «قد جاء تكم». وذلك إشارة إلى مصدره، أي فبمجيئها فليفرحوا. و«الفاء» بمعنى الشرط، كأنه قيل: إن يفرحوا بشيء فيهما، فليفرحوا. أو للربط بما قبلها. والدلالة على أن مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد، كقوله:

لا تجزعي ان منفساً بأهلكة وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي ^(٣)

وعن يعقوب ^(٤): «فلتفرحوا» بالتاء، على الأصل المرفوض.

وقد روي مرفوعاً. ويؤيده أنه قرئ: «فافرحوا».

﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ^(٥) من حطام الدنيا، فإنها إلى الزوال. وهو ضمير «ذلك».

وقرأ ^(٥) ابن عامر: «تجمعون» على معنى: فبذلك فليفرح المؤمنون، فهو خير مما تجمعونه أيها المخاطبون.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: نفس.

٢. نهج البلاغة / ١٦٤ خطبة ١١.

٣. صدر البيت ليس في أنوار التنزيل ٤٥١/١.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. نفس المصدر والموضع.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): قال: ثم قال جل ذكره: «يا أيها الناس إلى قوله ورحمة للمؤمنين».

قال: رسول الله ﷺ والقرآن.

ثم قال: قل لهم يا محمد: «بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون».

قال: «الفضل» رسول الله ﷺ. و«رحمته» أمير المؤمنين عليه السلام. «فبذلك فليفرحوا» قال: [فليفرح] شيعتنا، هو خير مما أعطوا أعداءنا من الذهب والفضة.

وفي مجمع البيان^(٢): روي عن أنس، عن النبي ﷺ أنه قال: من هداه الله للإسلام وعلمه القرآن ثم شكى بالفاقة، كتب الله الفاقة بين عينيه إلى يوم القيامة. ثم تلا: «قل بفضل الله وبرحمته» الآية.

وقال أبو جعفر^(٣): «فضل الله» رسوله. و«رحمته» علي بن أبي طالب عليه السلام. وفي أصول الكافي^(٤): عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد، عن عمر بن عبد العزيز، عن محمد بن الفضيل، عن الرضا عليه السلام قال: قلت له: «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون».

قال: بولاية محمد وآل محمد عليه السلام هو خير مما يجمع هؤلاء من دنياهم. وفي أمالي الصدوق^(٥): بإسناده إلى النبي ﷺ حديث طويل. وفيه يقول عليه السلام: لعلي عليه السلام: والذي بعث محمداً بالحق نبياً، ما آمن بي من أنكرك، ولا أقرب بي من جحدك، ولا آمن بالله من كفر بك. وإن فضلك لمن فضلي، وإن فضلي لفضل الله ﷻ. وهو قول ربي ﷻ: «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا»^(٦) هو خير مما يجمعون».

١. تفسير القمي ٣١٣/١.

٢. المجمع ١١٧/٣.

٣. الكافي ٤٢٣/١، ح ٥٥.

٤. أ، ب، ر: فليفرحوا يعني الشيعة.

٥. من المصدر.

٦. نفس المصدر والموضع.

٧. أمالي الصدوق ٤٠٠، ح ١٣.

«ففضل الله» نبوة نبيكم. و«رحمته» ولاية علي بن أبي طالب. «فبذلك» قال: بالنبوة والولاية. «فليفرحوا» يعني: الشيعة. «هو خير مما يجمعون» يعني: مخالفهم من الأهل والمال والولد في دار الدنيا.

وفي تفسير العياشي^(١): عن الأصم بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام في قول الله: «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا».

قال: فليفرح^(٢) شيعتنا. «هو خير مما» أعطي عدونا من الذهب والفضة. عن أبي حمزة^(٣)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: «بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون». قال: الإقرار بنبوة محمد ﷺ والانتساب^(٤) بأمير المؤمنين عليه السلام، هو خير ممن يجمع هؤلاء في دنياهم.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ؟﴾: جعل الرزق منزلاً؛ لأنه مقدّر في السماء محصل بأسباب منها.

و«ما» في موضع نصب «بأنزل» أو بـ «أرأيتم» فإنه بمعنى: أخبر. و«لكم» دل على أن المراد منه: ما حلّ.

﴿فَجَعَلْنَاهُ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً﴾: مثل «هذه أنعام وحرم حجر»^(٥) «ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا»^(٦).

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ﴾: في التحريم والتحليل، فتقولون ذلك بحكمه.

﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ؟﴾^(٧) في نسبة ذلك إليه.

ويجوز أن تكون المنفصلة متصلة «بأرأيتم». و«قل» مكرّر للتأكيد. والمعنى: أخبروني الله أذن لكم في التحليل والتحريم، فأنتم تفعلون ذلك بإذنه، أم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: فليفرحوا.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: الانتساب.

٦. الأنعام / ١٣٩.

١. تفسير العياشي ١٢٤/٢، ح ٢٨.

٣. نفس المصدر والموضع، ح ٢٩.

٥. الأنعام / ١٣٨.

ويجوز أن يكون الاستفهام للإنكار، و«أم» منقطعة. ومعنى الهمزة فيها التقرير، لافترائهم على الله.

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَمُتُّونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: أي شيء ظنهم؟
﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أيحسبون أن لا يجازوا عليه.

وهو منصوب بالظن. ويدل عليه أنه قرئ بلفظ الماضي؛ لأنه كائن. وفي إبهام الوعيد تهديد عظيم.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾: حيث أنعم عليهم بالعقل، وهداهم بإرسال الرسل وانزال الكتب.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(١): هذه النعمة.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾: ولا تكون في أمر.

وأصله الهمز، من شأنت شأنه: إذا قصدت قصده. والضمير في

﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ﴾: له. لأن تلاوة القرآن معظم شأن الرسول، أو لأن القراءة تكون

لشأن. فيكون التقدير: من أجله. ومفعول «تتلو»

﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾: على أن «من» تبعيضية، أو مزيدة لتأكيد النفي، أو للقرآن. وإضماره

قبل الذكر ثم بيانه، تفخيم له أو لله.

﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾: تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم. ولذلك

ذكر حيث خص ما فيه فخامة، وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير.

﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾: رقباء مطلعين عليه.

﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: تخوضون فيه وتندفعون.

وفي مجمع البيان^(١): عن الصادق عليه السلام. وفي تفسير علي بن إبراهيم: قال: كان

رسول الله ﷺ إذا قرأ هذه الآية، بكى بكاء شديداً.

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ﴾: ولا يبعد عنه، ولا يغيب عن علمه.

وقرأ^(١) الكسائي، بكسر الزاء.

﴿مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾: موازن نملة صغيرة، أو هباء.

﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: أي في الوجود والإمكان. فإن العامة لاتعرف ممكناً غيرهما ليس فيهما ولا متعلقاً بهما. وتقديماً «الأرض» لأن الكلام في حال أهلها. والمقصود منه: هو البرهان على إحاطة علمه بها.

وفي كتاب التوحيد^(٢): عن عليّ عليه السلام يقول فيه، وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من الآيات: وأما قوله: «وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء» كذلك ربنا لا يعزب عنه شيء. وكيف يكون من خلق الأشياء لا يعلم ما خلق وهو الخلاق العليم.

﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٣): كلام برأسه مقرر لما قبله.

و«لا» نافية للجنس. و«أصغر» اسمها. و«في كتاب» خبرها.

وقرأ^(٤) حمزة ويعقوب بالرفع، على الابتداء والخبر. ومن عطف على لفظ «مثقال ذرة» وجعل الفتح بدل الكسر، لامتناع الصرف، أو على محله مع الجار، جعل الاستثناء منقطعاً.

وقيل^(٥): المراد بالكتاب: اللوح المحفوظ.

﴿إِلَّا أَنْ أُولِيَاءَ اللَّهِ﴾: الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ بِالطَّاعَةِ، وَيَتَوَلَّاهُمْ بِالكَرَامَةِ.

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: من لحوق مكروه.

﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٦): لفوات مأمول.

والآية كمجمل، فسرّه قوله:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾^(٧): بيان لتوليهم إياه.

٢. التوحيد/ ٢٦٥، ح. ٥.

٤. المجمع ١١٩/٣، وأنوار التنزيل ٤٥٢/١.

١. أنوار التنزيل ٤٥٢/١.

٣. أنوار التنزيل ٤٥٢/١.

ومحلّ «الذين آمنوا» النصب. أو الرفع على المدح، أو على وصف الأولياء، أو على الابتداء، وخبره «لهم البشرى».

وفي تفسير العياشي^(١): عن عبدالرحمن بن سالم الأشلّ، عن بعض الفقهاء قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لَا إِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ إِلَى قَوْلِهِ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ».

ثمّ قال: أتدرون من أولياء الله؟

قالوا: من هم، يا أمير المؤمنين؟

فقال: هم نحن وأتباعنا. فمن تبعنا من بعدنا، طوبى لنا وطوبى لهم. وطوباهم أفضل من طوبانا.

قيل: ما شأن طوباهم أفضل من طوبانا، ألسنا نحن وهم على أمر؟

قال: لا، لأنهم حمّلوا ما لم تحمّلوا وأطاقوا ما لم تطيقوا.

عن بريد العجلي^(٢)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب علي بن الحسين عليه السلام «لَا إِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ إِلَى قَوْلِهِ يَحْزَنُونَ»: إذا أدّوا فرائض الله، وأخذوا بسنن رسول الله ﷺ، وتورّعوا عن محارم الله، وزهدوا في عاجل زهرة الدنيا، ورغبوا فيما عند الله، واكتسبوا الطيب من رزق الله، لا يريدون به التفاخر والتكاثر، ثمّ أنفقوا فيما يلزمهم من حقوق واجبة، فأولئك الذين بارك الله لهم فيما اكتسبوا ويثابون على ما قدّموا لآخرتهم.

وفي مجمع البيان^(٣)، مثله.

وفي كتاب كمال الدين وتعمام النعمة^(٤)، بإسناده إلى أبي بصير قال: قال الصادق عليه السلام: يا أبا بصير، طوبى لشيعتنا قائمنا المنتظرين لظهوره في غيبته والمطيعين له في ظهوره. أولئك «أولياء الله» إلى قوله ولا هم يحزنون».

٢. نفس المصدر والموضع، ح ٣١.

١. تفسير العياشي ١٢٤/٢، ح ٣٠.

٤. كمال الدين ٣٥٧، ح ٥٤.

٣. المجمع ١٢٠/٣.

وفي الجوامع^(١): عن النبي ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ؟
 فقال : هم الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ بِرُؤْيَتِهِمْ ، يعني : في السمت والهيئة .
 وفي الكافي^(٢) : عن الصادق عليه السلام ، عن النبي ﷺ : من عرف الله وعظمه ، منع فاه من
 الكلام ، وبطنه من الطعام ، وعنى نفسه بالصيام والقيام .
 فقالوا : بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله ، هؤلاء أولياء الله ؟
 قال : إِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ سَكَنُوا فَكَانَ سَكْوَتُهُمْ ذِكْرًا ، ونظروا فكان نظرهم عبرة ، ونطقوا
 فكان نطقهم حكمة ، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة . لو لا الآجال التي كتب الله
 عليهم^(٣) ، لم تَقَرَّ أرواحهم في أجسادهم ، خوفاً من العذاب وشوقاً إلى الثواب .
 وفي كتاب الخصال^(٤) : عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : إِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخْفَى أَرْبَعَةً
 فِي أَرْبَعَةٍ : أَخْفَى وَلِيَّهَ فِي عِبَادِهِ ، فَلَا تَسْتَصْغِرُ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ ، فَرَبَّمَا يَكُونُ وَلِيَّهَ
 وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ . والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة .
 ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ : وهو ما بَشَّرَ به الْمُتَّقِينَ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى
 لِسَانِ نَبِيِّهِ ، وما يريهم من الرؤيا الصادقة ، وبَشَّرَهم عند النزع .
 «وفي الآخرة» بيان لتوليّه لهم .
 وفي من لا يحضره الفقيه^(٥) : وأتى رسول الله ﷺ رجلاً من أهل البادية ، له جسم^(٦)
 وجمال . فقال : يا رسول الله ، أخبرني عن قول الله ﷻ : «الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى قَوْلِهِ وَفِي
 الْآخِرَةِ» .

فقال : أمّا قوله : «لهم البشري في الحياة الدنيا» فهي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن
 فيبشّر بها في دنياه . وأمّا قول ﷻ : «في الآخرة» فإنّها بشارة المؤمن يبشّر بها عند موته ،
 إِنْ اللَّهُ ﷻ قَدْ غَفَرَ لَكَ ، ولمن يحملك إلى قبرك .

٢ . الكافي ٢/٢٣٧ ، ح ٢٥ .

١ . الجوامع ١٩٦ .

٤ . الخصال ٢١٠ / ، ح ٣١ .

٣ . المصدر : قد كتبت عليهم .

٦ . المصدر : حشم .

٥ . الفقيه ٧٩/١ ، ح ٣٥٦ .

وفي أصول الكافي^(١): عَدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر، عن حماد بن عثمان، عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي عبد الله عليه السلام أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ»: يَبْشُرُهُمْ بِقِيَامِ الْقَائِمِ، وَبِظُهُورِهِ، وَبِقَتْلِ أَعْدَائِهِمْ، وَبِالْنَّجَاةِ فِي الْآخِرَةِ، وَالْوُرُودِ عَلَى مُحَمَّدٍ عليه السلام وَالصَّادِقِينَ عَلَى الْحَوْضِ. وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ أَخَذْتُ مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ.

وفي الكافي^(٢): عَدَّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن فضال، عن علي بن عتبة، عن أبيه قال: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا عَتَبَةَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ. وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ أَنْ يَرَى مَا تَقَرَّبَهُ عَيْنُهُ، إِلَّا أَنْ تَبْلُغَ نَفْسُهُ إِلَى هَذِهِ. ثُمَّ أَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى الْوَرِيدِ، ثُمَّ انْكَأَ. وَكَانَ مَعِيَ الْمَعْلَى، فَعَمَزَنِي أَنْ أَسْأَلَهُ.

فَقُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، فَإِذَا بَلَغْتَ نَفْسَهُ هَذِهِ، أَيُّ شَيْءٍ يَرَى؟ فَقُلْتُ لَهُ بَضْعُ عَشْرَةِ مَرَّةٍ: أَيُّ شَيْءٍ؟

فَقَالَ فِي كُلِّهَا: يَرَى. لَا يَزِيدُ عَلَيْهَا.

ثُمَّ جَلَسَ فِي آخِرِهَا، فَقَالَ: يَا عَتَبَةَ.

فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ.

فَقَالَ: أَبَيْتُ إِلَّا أَنْ تَعْلَمَ؟

فَقُلْتُ: نَعَمْ، يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ. إِنَّمَا دِينِي مَعَ دِينِكَ، فَإِذَا ذَهَبَ دِينِي كَانَ ذَلِكَ^(٣).

كَيْفَ لِي بِكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، كُلِّ سَاعَةٍ؟ وَبِكَيْتَ، فَرَّقَ لِي.

فَقَالَ: يَرَاهُمَا، وَاللَّهِ.

١. الكافي ٤٢٩/١، ح ٨٣.

٢. نفس المصدر ١٢٨/٣، ح ١.

٣. قال في الوافي: «كَانَ تَامَةً، أَيُّ إِذَا ذَهَبَ دِينِي، تَحَقَّقَ تَخَلُّفِي عَنْكَ وَمَفَارِقَتِي إِيَّاكَ وَعَدَمُ اكْتِرَائِي بِالْجَهْلِ بِمَا تَعْلَمُ. وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَاشِيِّ وَالْمَقُولِ عَنِ الْمُحَاسِنِ: «إِنَّمَا دِينِي مَعَ دَمِي، فَإِذَا ذَهَبَ دِينِي كَانَ ذَلِكَ». وَعَلَيْهِ فَالْمَعْنَى: أَنَّ دِينِي مَقْرُونٌ بِحَيَاتِي، فَمَعَ عَدَمِ الدِّينِ فَكَأَنِّي لَسْتُ بِحَيٍّ».

قلت: بأبي وأمي، من هما؟ قال: ذلك رسول الله ﷺ وعليّ ﷺ. يا عقبة، لن تموت نفس مؤمنة أبداً حتى تراهما. قلت: فإذا نظر إليهما المؤمن، أيرجع إلى الدنيا؟ فقال: لا، يمضي أمامه. إذا نظر إليهما، مضى أمامه.

فقلت له: يقولان شيئاً؟

قال: نعم. يدخلان جميعاً على المؤمن، فيجلس رسول الله ﷺ عند رأسه وعليّ ﷺ عند رجله. فيكب^(١) عليه رسول الله ﷺ فيقول: يا وليّ الله، أبشر أنا رسول الله. إني خير لك ممّا تركت من الدنيا. ثمّ ينهض رسول الله ﷺ. فيقوم عليّ ﷺ حتى يكبّ عليه، فيقول: يا وليّ الله، أبشر أنا عليّ بن أبي طالب الذي كنت تحبه، أما لأنفعنك.

ثمّ قال: إنّ هذا في كتاب الله ﷻ.

فقلت: أين - جعلني الله فداك - هذا من كتاب الله؟

قال: في يونس، قول الله ﷻ ها هنا: «الذين آمنوا وكانوا يتّقون، لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم».

ابن عثمان، عن عقبة أنّه سمع أبا عبد الله ﷺ يقول: إنّ الرجل إذا وقعت نفسه في صدره، رأى.

قلت: جعلت فداك، وما يرى؟

قال: يرى رسول الله ﷺ. فيقول له رسول الله ﷺ: أنا رسول الله أبشر. ثمّ يرى عليّ بن أبي طالب ﷺ فيقول: أنا عليّ بن أبي طالب الذي كنت تحبه، يجب عليّ^(٢) أن أنفعك اليوم.

قال: قلت له: يكون أحد من الناس يرى هذا ثمّ يرجع إلى الدنيا؟

قال: إذا رأى هذا أبدأ مات، وأعظم ذلك^(١).

قال: وذلك في القرآن قول الله ﷻ: «الَّذِينَ آمَنُوا - إِلَى قَوْلِهِ - لِكَلِمَاتِ اللَّهِ».

أبو علي الأشعري^(٢)، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن أبي المستهل، عن محمد بن حنظلة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، حديث سمعته من بعض شيعتك ومواليك يرويه عن أبيك!

قال: وما هو؟

قلت: زعموا أنه كان يقول: أغبط ما يكون أمرى بما نحن عليه إذا كانت النفس في هذه.

فقال: نعم. إذا كان ذلك، أتاه نبي الله ﷺ وأتاه علي عليه السلام وأتاه جبرئيل عليه السلام وأتاه ملك الموت عليه السلام.

فيقول ذلك الملك لعلي عليه السلام: يا علي، إن فلاناً كان موالياً لك ولأهل بيتك؟

فيقول: نعم، كان يتولانا ويتبرأ من عدونا.

فيقول ذلك نبي الله لجبرئيل عليه السلام. فيرفع ذلك جبرئيل إلى الله ﷻ.

عدة من أصحابنا^(٣)، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن عبد العزيز العبدي، عن ابن أبي يعفور قال: كان خطاب الجهنني خليطاً لنا، وكان شديد النصب لآل محمد، وكان يصحب نجدة الحروري^(٤).

قال: فدخلت عليه أعوده للخلطة والتقية، فإذا هو يُغمي^(٥) عليه في حد الموت.

فسمعتة يقول: ما لي ولك، يا علي؟

١. قال في الوافي: أي مات موتاً دائماً لا رجعة بعده. أو المعنى: ما رأى هذا قط إلا مات. «وأعظم» أي: عذ

سؤالي عظيماً. ولنا أن نجعل قوله: «وأعظم ذلك» عطفاً على قوله: «مات»، يعني: مات وعذ ما رأى وما

بشره عظيماً لم يرد معهما رجوعاً إلى الدنيا. ٢. الكافي ١٣٤/٣، ح ١٣.

٣. الكافي ١٣٣/٣، ح ٩.

٤. الحرورية: طائفة من الخوارج، منسوبة إلى حروراء، وهي قرية بالكوفة.

٥. المصدر: مغمى.

فأخبرت بذلك أبا عبد الله عليه السلام .

قال : رآه ، وربّ الكعبة . رآه ، وربّ الكعبة .

سهل بن زياد^(١)، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن حمّاد بن عثمان، عن عبد الحميد بن عوّاض قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إذا بلغت نفس أحدكم هذه ، قيل له : أما ما كنت تحذر من هم الدنيا وحزنها ، فقد أمنت منه . ويقال له : رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة عليه السلام أمامك .

وفي روضة الكافي^(٢) : محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن معمر بن خلاد^(٣) ، عن الرضا عليه السلام قال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أصبح ، قال لأصحابه : هل من مبشرات ، يعني به : الرؤيا .

عنه^(٤) ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن أبي جميلة ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله في قول الله تعالى : «لهم البشرى في الحياة الدنيا» .

قال : هي الرؤيا الحسنة ، يرى المؤمن فيشربها في دنياه .

وفي تفسير العياشي^(٥) : عن عبد الرحيم قال : قال أبو جعفر عليه السلام : أما أحدكم حين تبلغ نفسه هاهنا ، ينزل عليه ملك الموت فيقول له : أما ما كنت ترجو ، فقد أعطيته . وأما ما كنت تخافه ، فقد أمنت منه . ويفتح له باب إلى منزله من الجنة ، ويقال له : انظر إلى مسكنك من الجنة ، وانظر هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ والحسن والحسين عليهما السلام رفاؤك . وهو قول الله تعالى : «الذين آمنوا وكانوا يتّقون ، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة» .

٢ . الكافي ٩٠/٨ ، ح ٥٩ .

١ . الكافي ١٣٤/٣ ، ح ١٠ .

٣ . كذا في المصدر . وجامع الرواة ٢٥٢/٢ . وفي النسخ : عمر بن خلاد .

٥ . تفسير العياشي ١٢٤/٢ ، ح ٣٢ .

٤ . نفس المصدر والموضع ، ح ٦٠ .

عن أبي حمزة الثمالي^(١) قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما يصنع بأحد عند الموت؟ قال: أما والله، يا أبا حمزة، ما بين أحدكم وبين أن يرى مكانه من الله ومكانه منّا إلا أن تبلغ نفسه هاهنا - ثم أهوى بيده إلى نحره - ألا أبشرك يا أبا حمزة؟ فقلت: بلى، جعلت فداك.

فقال: إذا كان ذلك، أتاه رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام معه قعد عند رأسه. فقال له إذا كان ذلك رسول الله ﷺ: أما تعرفني؟ أنا رسول الله. هلمّ إلينا، فما أمامك خير لك ممّا خلفت. أمّا ما كنت تخاف، فقد أمتته. وأمّا ما كنت ترجو، فقد هجمت عليه. أيتها الروح، اخرجي إلى روح الله ورضوانه. فيقول له علي عليه السلام مثل قول رسول الله ﷺ. ثم قال: يا أبا حمزة، ألا أخبرك بذلك في كتاب الله «الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ» الآية.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: لا تغيير لأقواله، ولا إخلاف لمواعيده.
 ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين.
 ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٢): هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشّره وتعظيم شأنه. وليس من شرطه أن يقع بعده كلام يتصل بما قبله.
 ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾: إشراكهم تكذيبهم وتهديدهم.
 وقرأ^(٣) نافع: «يحزنك» من أحزنه. وكلاهما بمعنى.
 ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾: استئناف، بمعنى التعليل. ويدلّ عليه القراءة بالفتح، كأنه قيل: لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم؛ لأنّ الغلبة لله جميعاً لا يملك غيره شيئاً منها، فهو يقهرهم وينصرك عليهم.

﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوالهم.

﴿الْعَلِيمُ﴾^(٤): بعز ماتهم، فيكافئهم عليها.

﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾: من الملائكة والشقلين. وإذا كان هؤلاء الذين هم أشرف الممكنات عبداً لا يصلح أحد منهم للربوبية، فما لا يعقل منها أحق أن لا يكون له نذاً أو شريكاً. وهو كالدليل على قوله:

﴿وَمَا يَتَّبِعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾: أي شركاء على الحقيقة وإن كانوا يسمونها شركاء.

ويجوز أن يكون «شركاء» مفعول «يدعون» ومفعول «يتبع» محذوف دل عليه:

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾: أي ما يتبعون يقيناً، وإنما يتبعون ظنهم أنها شركاء.

ويجوز أن يكون «ما» استفهامية منصوبة «بیتبع». وموصولة معطوفة على «من».

وقرئ^(١): «تدعون» بالتاء. والمعنى: أي شيء يتبع به الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبیین، أي أنهم لا يتبعون إلا الله ولا يعبدون غيره، فما لكم لا تتبعونهم فيه، كقوله: «أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة» فيكون إلزاماً بعد برهان. وما بعده مصروف عن خطابهم، لبيان سندهم ومنشأ رأيهم.

﴿وَأَن هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾^(٢): يكذبون فيما ينسبون إلى الله. أو يحزرون ويقدرّون أنها شركاء تقديرأ باطلاً.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾: تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما، ليدلهم على تفرّده باستحقاق العبادة. وإنما قال: «مبصراً» ولم يقل: «لتبصروا فيه» تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾^(٣): سماع تدبر واعتبار.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾: أي تبناه.

﴿سُبْحَانَهُ﴾: تنزيهه له من التبني، فإنه لا يصح إلا مَن يتصور له الولد، وتعجب من

كلمتهم الحمقاء.

﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾: عِلَّةٌ لِنَنْزَعِهِ. فَإِنْ اتَّخَذَ الْوَلَدَ [مُسَبَّبَ عَنِ الْحَاجَةِ.

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ]: تقرير لغناه.

﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾: نفى لمعارض^(١) ما أقامه من البرهان، مبالغة في تجهيلهم وتحقيقاً لبطلان قولهم.

و«بهذا» متعلق بسلطان. أو نعت له أو «بعندكم» كأنه قيل: إن عندكم في هذا من سلطان.

﴿اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢): توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم. وفيه دليل على أن كل قول لا دليل عليه، فهو جهالة. والعقائد لا بد لها من قاطع، وأن التقليد فيها غير سائغ.

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: باتخاذ الولد، وإضافة الشريك إليه.

﴿لَا يُلْحِقُونَ﴾^(٣): لا ينجون من النار، ولا يفوزون بالجنة.

﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾: خبر لمبتدأ محذوف، أي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رئاستهم في الكفر. أو حياتهم، أو تغلبهم متاع.

أو مبتدأ خبره محذوف، أي لهم تمتع في الدنيا.

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾: بالموت، فيلقون الشقاء المؤبد.

﴿ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾^(٤): بسبب كفرهم.

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ تِبْنَ نُوحٍ﴾: خبره مع قومه.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ﴾: عظم عليكم وشق.

﴿مَقَامِي﴾: نفسي، كفولك: فعلت كذا لمكان فلان. أو كوني وإقامتي بينكم مدة

مديدة. أو قيامي على الدعوة.

﴿وَتَذَكِيرِي﴾: إياكم.

١. ليس في أ، ب، ر.

﴿بَايَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾: وثقت به.

﴿فَاجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾: فاعزموا عليه.

﴿وَشُرَكَاءَ كُمْ﴾: أي مع شركائكم. ويؤيده القراءة بالرفع، عطفاً على الضمير المتصل. وجاز من غير أن يؤكد للفصل.

وقيل ^(١): إنه معطوف على «أمركم» بحذف المضاف؛ أي وأمر شركاءكم.

وقيل ^(٢): إنه منصوب بفعل محذوف، تقديره: وادعوا شركاءكم. وقد قرئ به.

وعن نافع ^(٣): «فاجمعوا» من الجمع. والمعنى: أمرهم بالعزم أو الاجتماع على قصده والسعي في إهلاكه على أي وجه يمكنهم، ثقة بالله وقلة بمبالاة بهم.

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ﴾: في قصدي.

﴿عَلَيْكُمْ غُمَّةٌ﴾: مستوراً، واجعلوه ظاهراً مكشوفاً. من غمّه: إذا ستره.

أو ثم لا يكن عليكم حالكم غمّاً إذا أهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري.

في تفسير علي بن إبراهيم ^(٤) عليه السلام: لا تغتموا.

﴿ثُمَّ أَفْضُوا﴾: أدوا.

﴿إِلَيَّ﴾: ذلك الأمر الذي تريدون لي.

وقرئ ^(٥): «ثم افضوا» بالفاء، أي انتهوا إليّ بشركم، أو ابرزوا إليّ. من أفضى: إذا خرج إلى الفضاء.

﴿وَلَا تَنْظُرُونَ﴾ ^(٦): ولا تمهلوني.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم عن تذكيري.

٢. نفس المصدر والموضع. والمجمع ١٢٣/٣.

٤. تفسير القمي ٣١٤/١.

١. أنوار التنزيل ٤٥٤/١.

٣. أنوار التنزيل ٤٥٤/١.

٥. أنوار التنزيل ٤٥٤/١.

﴿فَمَا سَأَلْتَكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾: يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم إياي لأجله، أو يفوتني لتوليكم.

﴿إِنْ أَجْرِي﴾: ما ثوابي على الدعوة والتذكير.

﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾: لا تعلق له بكم يثيبني به، آمنتم أو توليتم.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٧١): المنقادين لحكمه، لا أخالف أمره ولا أرجو غيره.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: فأصروا على تكذيبه بعد ما ألزهم الحجة وبين أن توليهم ليس إلا لعنادهم وتمردهم، لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب.

﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾: من الغرق.

﴿وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾: قيل (١): وكانوا ثمانين.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾: من الهالكين به.

﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: بالطوفان.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (٧٢): تعظيم لما جرى عليهم، وتحذير لمن كذب الرسول، وتسلية له.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾: أرسلنا.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد نوح.

﴿رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾: كل رسول إلى قومه.

﴿فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات الواضحة، المثبتة لدعواهم.

﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾: فما استقام لهم أن يؤمنوا، لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله إياهم.

﴿بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾: قيل (٢): أي بسبب تعوّدهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل.

وفي الأخبار^(١): أن المراد: في الذر.

وفي أصول الكافي^(٢): محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن^(٣) محمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن عبدالله بن عقبة^(٤)، عن عبدالله بن محمد الجعفي وعقبة جميعاً، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله ﷻ خلق الخلق، فخلق من أحبّ ممّا أحبّ، وكان ما أحبّ أن خلقه من طينة الجنة. وخلق من أبغض ممّا أبغض، وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار. ثم بعثهم في الظلال.

فقلت: وأي شيء الظلال؟

فقال: ألم تر إلى ظلك في الشمس شيئاً، وليس بشيء؟ ثم بعث منهم النبيين، فدعواهم إلى الإقرار بالله ﷻ. وهو قوله: «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله». ثم دعواهم إلى الإقرار بالنبيين، فأقرّ بعضهم [وأنكر بعض]^(٥). ثم دعواهم إلى ولايتنا فأقرّ بها والله من أحبّ وأنكرها من أبغض. وهو قوله: «ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل».

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: كان التكذيب ثمة^(٦).

وفي تفسير العياشي^(٧): عن زرارة وحرمان، عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليه السلام قالوا: إن الله خلق [الخلق]^(٨) وهم^(٩) أظلة. فأرسل رسوله محمداً ﷺ فمنهم من آمن به ومنهم من كذبه.

عن أبي بصير^(١٠)، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «ثم بعثنا إلى قوله من قبل».

قال: بعث الله الرسل إلى الخلق وهم كذبوا به من قبل في أصلاب الرجال وأرحام

١. تفسير الصافي ٤١٢/٢، والبرهان ١٩٢/٢.

٢. الكافي ٤٣٦/١، ح ٢.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: ابن.

٤. ليس في المصدر: عن عبدالله بن عقبة.

٥. من المصدر.

٦. ثمة: هناك.

٧. تفسير العياشي ١٢٦/٢، ح ٣٥.

٨. من المصدر.

٩. المصدر: وهي.

١٠. نفس المصدر والموضع، ح ٣٦.

النساء. فمن صدق حينئذ، صدق بعد ذلك. ومن كذب حينئذ، كذب بعد ذلك.
 ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٧١): بخذلانهم، لانهما كهم في الضلال واتباع
 المألوف. وفي أمثال ذلك دليل على أنَّ الأفعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد.
 وقد مرَّ تحقيق ذلك.]

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: من بعد هؤلاء الرسل.
 ﴿مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا﴾: بالآيات التسع.
 ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾: عن اتباعهما.
 ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ (٧٢): معتادين الاجرام. فلذلك تهاونوا برسالة ربهم،
 واجترأوا على رذها.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾: وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيلة للشك.
 ﴿قَالُوا﴾: من فرط تمردهم.
 ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٧٣): ظاهر أنه سحر. أو فائق في فته، واضح فيما بين اخوانه.
 ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾: إنه لسحر. فحذف محكي القول لدلالة ما
 قبله عليه، ولا يجوز أن يكون:

﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾: لأنهم بتوا القول، بل هو استئناف بإنكار ما قالوه. اللهم إلا أن يكون
 الاستفهام فيه للتقرير، والمحكي مفهوم قولهم.
 ويجوز أن يكون معنى «أتقولون للحق»: أتعيبونه. من قولهم: فلان يخاف القالة،
 كقوله: «سمعنا فتى يذكرهم» فيستغني عن المفعول.

﴿وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُونَ﴾ (٧٤): من تمام كلام موسى^(١) للدلالة على أنه ليس بسحر، فإنه
 لو كان سحراً لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة، ولأنَّ العالم بأنه لا يفلح الساحر
 لا يسحر.

أو من تمام قولهم، إن جعل «أسحر هذا» محكيًا، كأنهم قالوا: أجتنتنا بالسحر تطلب به الفلاح «ولا يفلح الساحرون».

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا﴾: لتصرفنا عن الحق.

و«اللفت» و«القتل» اخوان.

﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: من عبادة الأصنام.

﴿وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾: الملك فيها. سمي بها لانتصاف الملوك

بالكبرياء، أو التكبر على الناس باستتباعهم.

﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٧٨): بمصدقين فيما جئتما به.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ﴾: وقرأ^(١) حمزة والكسائي: «بكل سحار».

﴿عَلِيمٍ﴾^(٧٩): حاذق فيه.

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾^(٨٠) فَلَمَّا الْقُوا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ

بِهِ السَّحَرُ: أي الذي جئتم به هو السحر، لا ما سماه فرعون وقومه سحرًا.

وقرأ^(٢) أبو عمرو: «السحر» على أن «ما» استفهامية مرفوعة بالابتداء، و«جئتم به»

خبرها، و«السحر» بدل منه. أو خبر مبتدأ محذوف، تقديره: أهو السحر. أو مبتدأ

خبره محذوف، أي السحر هو.

ويجوز أن ينتصب «ما» بفعل يفسره ما بعده، تقديره: أي شيء أتيتم.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَبِيطٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يَضِلُّ عَمَلُ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٨١): لا يثبت ولا يقويه.

قيل^(٣): وفيه دليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة له.

﴿وَوَيْحُ اللَّهِ الْحَقُّ﴾: ويثبته.

﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾: بأوامره وقضاياه.

ورئى: «بكلمته».

﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾^(٨٦) ذلك .

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى﴾ : في مبدأ أمره .

﴿إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ﴾ : إلّا أولاد من أولاد قومه ؛ بنى إسرائيل ، دعاهم فلم يجيبوه خوفاً من فرعون ، إلّا طائفة من شبّانهم .

وقيل ^(١) : الضمير لفرعون ، و«الذُرِّيَّة» طائفة من شبّانهم آمنوا به . أو مؤمن آل فرعون وامراته آسية ، وخازنه ، وزوجته ، وماشطته ^(٢) ومشاطته .

﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ : أي مع خوف منهم .

والضمير لفرعون ، وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء . أو على أن المراد بفرعون : آله ، كما يقال : ربيعة ومضر . أو للذُرِّيَّة . أو للقوم .

﴿أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ : أن يعذبهم فرعون . وهو بدل منه ، أو مفعول «خوف» . وإفراده بالضمير للدلالة على أن الخوف من الملائكة سببه .

﴿وَأَنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾ : لغالب فيها .

﴿وَأَنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٨٧) : في الكبر والعتوّ ، حتّى ادّعى الربوبية واسترقّ أسباط

الأنبياء .

﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ : لما رأى تخوّف المؤمنين به .

﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ : فنقوا به واعتمدوا عليه .

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾^(٨٨) : مستسلمين لقضاء الله ، مخلصين له .

وليس هذا من تعلق الحكم بشرطين . فإنّ المعلق بالإيمان وجوب التوكّل . فإنّه المقضي له . والمشروط بالإسلام حصوله ، فإنّه لا يوجد مع التخليط . ونظيره : إن دعاك زيد فأجبه إن قدرت .

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ : لأنهم كانوا مؤمنين مخلصين ، ولذلك أجيبت دعوتهم .

١ . المجمع ١٢٧/٣ بتفاوت يسير . وأنوار التنزيل ٤٥٥/١ .

٢ . كذا في المصدر . وفي النسخ : مشاطته .

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾: موضع فتنة.

﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٥): أي لا تسلطهم علينا، فيفتنونا عن ديننا أو يعذبونا.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام: قوم موسى استعبدهم آل فرعون، وقالوا: لو كان لهؤلاء على الله كرامة كما يقولون، ما سلطنا عليهم. فقال موسى لقومه: «يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين».

وفي تفسير العياشي^(٢): عن زرارة وحرمان ومحمد بن مسلم في قوله: «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

قال: لا تسلطهم علينا، فتفتنهم بنا.

وفي تهذيب الأحكام^(٣)، في دعاء مروى عنهم عليه السلام: ودعاك المؤمنون فقالوا: «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٨٦): من كيدهم وشؤم مشاهدتهم. وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن الداعي ينبغي أن يتوكل أولاً لتجابه دعوته.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا﴾: أن اتخذا مباءة، أي مرجعاً.

﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْتُوتَا﴾: يسكنون فيها، أو يرجعون إليها للعبادة.

﴿وَاجْعَلُوا﴾: أنتما وقومكما.

﴿بَيْتُكُمْ﴾: تلك البيوت.

﴿قِبْلَةً﴾: مصلى.

وقيل^(٤): مساجد متوجّهة نحو القبلة، يعني: الكعبة. وكان موسى يصلي إليها.

٢. تفسير العياشي ١٢٧/٢، ح ٣٨.

١. تفسير القمي ٣١٤/١.

٣. تهذيب الأحكام ٩٦٣، ح ٣٠. نور الثقلين ٣١٤/٢، ح ١١١.

٤. المجمع ١٢٩/٣. وأنوار التنزيل ٤٥٦/١.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: فيها. أمروا بذلك أول أمرهم، لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): عن الكاظم عليه السلام: لما خاف بنو إسرائيل جبابرتها، أوحى الله إلى موسى وهارون: «أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة». قال: أمروا أن يصلوا في بيوتهم.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢): بالنصرة في الدنيا، والجنة في العقبى.

وأما ثني بالضمير أولاً، لأن التبوء للقوم واتخاذ المعابد ممّا يتعاطاه رؤوس القوم بتشاور. ثم جمع، لأن جعل البيوت مساجد والصلاة فيها ممّا ينبغي أن يفعله كل أحد. ثم وحّد، لأن البشارة في الأصل وظيفة صاحب الشريعة.

وفي عيون الأخبار^(٣)، في باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأئمة حديث طويل. وفيه قالت العلماء: فأخبرنا هل فسّر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب؟

فقال الرضا عليه السلام: فسّر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطناً، أو موضعاً. فأول ذلك قوله ﷺ الخ.

إلى أن قال عليه السلام: وأما الرابعة، فأخراجه ﷺ الناس من المسجد ما خلا العترة، حتى تكلم الناس في ذلك.

وتكلم العباس، فقال: يا رسول الله، تركت عليّاً وأخرجتنا؟

فقال رسول الله ﷺ: ما تركته وأخرجتكم، ولكن الله ﷻ تركه وأخرجكم.

وفي هذا بيان قوله ﷺ لعلي عليه السلام: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى.

قالت العلماء: وأين هذا من القرآن؟

قال أبو الحسن عليه السلام: أوجدكم في ذلك قرآناً وأقرأه عليكم؟

١. تفسير القمي ٣١٥/١. وفيه: عن الكاظم عليه السلام عن أبي إبراهيم عليه السلام.

٢. العيون ١٨١/١ - ١٨٢.

قالوا: هات.

قال: قول الله ﷻ: «وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة». ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى. وفيها أيضاً منزلة عليّ من رسول الله ﷺ [وهذا دليل ظاهر في قول رسول الله ﷺ حين قال: ألا إن هذا المسجد لا يحلّ لجنب إلّا لمحمّد وآله ﷺ] ^(١).

قالت العلماء: يا أبا الحسن، هذا الشرح وهذا البيان لا يوجد إلّا عندكم، معشر أهل بيت رسول الله ﷺ.

قال: ومن ينكر لنا ذلك، ورسول الله ﷺ يقول: أنا مدينة العلم وعليّ بابها. فمن أراد المدينة، فليأتها من بابها. فبيما أوضحنا وشرحنا من الفضل والشرف والتقدمة والاصطفاء والطهارة ما لا ينكره معاند، والله تعالى الحمد على ذلك، فهذه الرابعة.

وفي كتاب علل الشرائع ^(٢)، بإسناده إلى أبي رافع قال: إن رسول الله ﷺ خطب الناس، فقال: يا أيّها الناس إن الله ﷻ أمر موسى وهارون «أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً». وأمرهما أن لا يبيت في مسجد هما جنب ولا يقرب فيه ^(٣) النساء، إلّا هارون وذريّته. إن عليّاً منّي بمنزلة هارون من موسى، فلا يحلّ لأحد أن يقرب النساء في مسجدي ولا يبيت فيه جنب إلّا عليّ وذريّته. فمن ساء ^(٤) ذلك، فها هنا. وضرب بيده نحو الشام.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم ^(٥): حدّثنا محمّد بن جعفر قال: حدّثنا محمّد بن مالك، عن عباد بن يعقوب، [عن محمّد بن يعقوب] ^(٦)، عن [أبي] ^(٧) جعفر الأحول، عن

٢. العلل / ٢٠١، ح ٢.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: «سار» بدل «ساء».

٦. ليس في ب.

١. ما بين المعقوفتين ليس في أ، ب، ر.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: منها.

٥. تفسير القميّ ٣١٤/١ - ٣١٥.

٧. من المصدر.

منصور، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: لَمَّا خَافَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ جَبَابِرَتَهَا أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ عليهما السلام: «أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بِيوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً».

قال: أَمَرُوا أَنْ يَصَلُّوا فِي بُيُوتِهِمْ.

حَدَّثَنِي ^(١) أَبِي، عَنِ الْحَسَنِ ^(٢) بْنِ مَجْبُوبٍ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ رَزِينٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قال: فَقُلْتُ: كَانَ هَارُونَ أَخَا مُوسَى لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ؟

قال: نعم.

إِلَى قَوْلِهِ: قُلْتُ: فَكَانَ الْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِمَا جَمِيعاً؟

قال كان الوحي ينزل على موسى، وموسى يوحىه إلى هارون.

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْ زِينَةً﴾: مَا يَتَزَيَّنُ بِهِ مِنَ اللِّبَاسِ وَالْمَرَكَابِ وَنَحْوِهِمَا.

﴿وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: وَأَنْوَاعًا مِنَ الْمَالِ.

﴿رَبَّنَا لِضَلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾: قِيلَ ^(٣): دَعَا عَلَيْهِمْ بِلَفْظِ الْأَمْرِ بِمَا عَلِمَ مِنْ مِمَارَسَةِ أَحْوَالِهِمْ أَنَّهُ لَا يَكُونُ غَيْرَهُ، كَقَوْلِكَ: لَعَنَ اللَّهُ إِبْلِيسَ.

وقيل ^(٤): «اللام» للعاقبة وهي متعلقة «بآتيت».

وجوز ^(٥) البعض أن تكون للعلّة، لأنّ إيتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال، ولأنّهم لمّا جعلوها سبباً للضلال فكأنّهم أوتوها ليضلّوا، فيكون «رَبَّنَا»

تكريراً للأوّل، تأكيداً وتنبهياً على أنّ المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم ^(٦): أَيِ يَفْتَنُوا النَّاسَ بِالْأَمْوَالِ، لِيَعْبُدُوهُ وَلَا يَعْبُدُوكَ.

﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾: أَهْلِكْهَا.

والطمس: المحق.

١. نفس المصدر ١٣٧٢-١٣٧. ٢. بعض نسخ المصدر: الحسين بن محبوب.

٣. المجموع ١٢٩٣، وأنوار التنزيل ٤٥٧١. ٤. أنوار التنزيل ٤٥٧١.

٥. أنوار التنزيل ٤٥٧١. ٦. تفسير القمي ٣١٥/١.

وقرى^(١): «واطمس» بالضم.

﴿وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: أي وأقسها واطبع عليها، حتى لا تنشرح للإيمان.

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^(٨): جواب للدعاء. أو دعاء بلفظ النهي. أو

عطف على «ليضلوا»، وما بينهما دعاء معترض.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾: يعني موسى وهارون، لأنه كان يؤمن.

﴿فَاسْتَقِيمَا﴾: فانبثنا على ما أنتما عليه من الدعوه والزام الحجة ولا تستعجلا، فإن ما

طلبتما كائن ولكن في وقته.

وفي كتاب الخصال^(٩): عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أملى الله تعالى لفرعون ما

بين الكلمتين [قوله]: «أنا ربكم الأعلى»^(٣) وقوله: «ما علمت لكم من إله غيري»^(٤) [٥]

أربعين سنة، ثم أخذ الله نكال الآخرة والأولى. وكان بين أن قال الله ﷻ لموسى

وهارون: «قد أجيب دعوتكما» وبين أن عرفه الله تعالى الإجابة أربعون^(٦) سنة^(٧).

علي بن إبراهيم^(٨)، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قال النبي ﷺ: دعا موسى عليه السلام وأمن هارون عليه السلام وأمنت الملائكة عليهم السلام. فقال الله تعالى:

«قد أجيب دعوتكما فاستقيما». ومن غزا في سبيل الله أستجيب له، كما استجبت

لكما^(٩) يوم القيامة.

وفي الكافي^(١٠)، وفي تفسير العياشي^(١١): عن الصادق عليه السلام: كان بين قول الله تعالى:

«قد أجيب دعوتكما» وبين أخذ فرعون أربعون سنة.

١. أنوار التنزيل ٤٥٦/١.

٢. الخصال ٥٣٩ - ٥٤٠، ح ١١، ونور الثقلين ٣١٥/٢، ح ١١٦ عنه.

٣. القصص ٣٨.

٤. النازعات ٢٤.

٥. من المصدر. ٦. كذا في نور الثقلين. وفي المصدر: أربعين.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: «وبين أخذ فرعون أربعون عاماً» بدل «وبين أن عرفه ... سنة».

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: لهما.

٩. الكافي ٥١٠/٢، ح ٨.

١٠. الكافي ٤٨٩/٢، ح ٥.

١١. تفسير العياشي ١٢٧/٢، ح ٤٠.

﴿وَلَا تَتَّبِعَنِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥٨): طريق الجهلة في الاستعجال، أو عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله.

وعن ابن عامر^(١) «ولا تتبعان» بالنون الخفيفة وكسرها، لالتقاء الساكنين. «ولا تتبعان» من تبع. «ولا تتبعان» أيضاً.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾: أي عبرناهم في البحر حتى بلغوا الشطّ حافطين لهم.

وقرئ^(٢): «جوزنا». وهو من فعل المرادف لفاعل، كضعف، وضاعف.

﴿فَاتَّبَعَهُمْ﴾: فأدركهم.

يقال: تبعته، حتى أتبعته.

﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ تَغَيَّبُوا وَعَدُوٌّ﴾: باغين وعادين. أو للبغي والعدو.

وقرئ^(٣): «وعدوا».

وفي تفسير العياشي^(٤): روينا لما صار موسى في البحر أتبعه فرعون وجنوده. قال:

فتهيّب فرس فرعون أن يدخل البحر، فمثل له جبرئيل على مكة^(٥). فلما رأى فرس فرعون الرمكة، أتبعها فدخل البحر هو وأصحابه فغرقوا^(٦).

﴿حَتَّى إِذَا أَذْرَكَ الْفَرَقُ﴾: لحقه.

﴿قَالَ أَمَنْتُ أَنَّهُ﴾: أي بآئه.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٧): وقرأ^(٨) حمزة

والكسائي: «إنه» بالكسر، على إضمار القول أو الاستئناف، بدلاً وتفسيراً «لأمنت». فنكسب عن الإيمان أو ان القبول، وبالغ فيه ولا يقبل.

١. أنوار التنزيل ٤٥٦/١.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. تفسير العياشي ١٢٧/٢، ح ٤١. وفيه: «عن ابن أبي عمير: عن بعض أصحابنا يرفعه قال: بدل «روينا».

٥. الرمكة: الفرس الرذونة تتخذ للنسل.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: ففرعوا.

٧. أنوار التنزيل ٤٥٧/١.

وفي كتاب علل الشرائع^(١)، بإسناده إلى ابن أبي عمير: عن موسى بن جعفر عليه السلام حديث طويل. يقول فيه عليه السلام: «أما قوله: «لعله يتذكر أو يخشى» فإنما قال ليكون أحرص لموسى على الذهاب، وقد علم الله ﷻ أن فرعون لا يتذكر ولا يخشى إلا عند رؤية البأس. ألا تسمع الله ﷻ يقول: «حتي إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين». فلم يقبل الله إيمانه. وقال: «الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين».

وفي عيون الأخبار^(٢): عن الرضا عليه السلام أنه سئل: لأي علة غرق الله تعالى فرعون، وقد آمن به وقد أقر بتوحيده؟

قال: لأنه آمن عند رؤية البأس، والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول، وذلك حكم الله تعالى ذكره [في السلف والخلف]. قال الله تعالى: «فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم»^(٣) إيمانهم لما رأوا بأسنا». وقال ﷻ: «يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً». وهكذا فرعون لما أدركه الغرق قال: «آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين». فقيل له: «الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين، فاليوم ننجيك ببذنبك لتكون لمن خلفك آية».

وقد كان فرعون من قرنه إلى قدمه في الحديد قد لبسه على بدنه. فلما غرق، ألقاه الله تعالى على نجوة^(٤) من الأرض، وسبيل الثقل أن يرسب ولا يرتفع، فكان ذلك آية وعلامة. ولعله أخرى أغرقه الله ﷻ وهي أنه استغاث بموسى لما أدركه الغرق، ولم يستغث بالله. فأوحى الله إليه: يا موسى، لم تغث^(٥) فرعون لأنك لم تخلقه. ولو استغاث بي لأغثته.

١. علل الشرائع ٦٧/ ح ١.

٢. العيون ٧٦٢، ح ٧.

٣. النجوة: ما ارتفع من الأرض.

٤. ما بين المعقوفين ليس في أ، ب، ر.

٥. المصدر: ما أعنت.

﴿الآن﴾: أتؤمن الآن وقد أيست من نفسك ولم يبق لك اختيار.

وفي مجمع البيان ^(١): «الآن وقد عصيت» الآية. وروي عن أبي جعفر عليه السلام: «الآن» بإلقاء حركة الهمزة على اللام، وحذف الهمزة.

﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾: قبل ذلك مدة عمرك.

﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ^(٢): الضالين، المضلين عن الإيمان.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٣)، عن الصادق عليه السلام: ما أتى جبرئيل رسول الله ﷺ إلا كئيباً حزيناً، ولم يزل كذلك منذ أهلك الله فرعون. فلما أمره الله بنزول هذه الآية «الآن» وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين»، نزل عليه وهو ضاحك مستبشر.

فقال رسول الله ﷺ: ما أتيتني يا جبرئيل، إلا وتبينت الحزن في وجهك حتى الساعة!

قال: نعم، يا محمد. لما غرق الله فرعون، قال: «أمنت أنه لا إله إلا الذي أمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين» فأخذت حمأة فوضعتها في فيه، ثم قلت: «الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين». وعملت ذلك من غير أمر الله، ثم خفت أن تلحقه الرحمة من الله ﷻ ويعذبني الله على ما فعلت. فلما كان الآن وأمرني الله أن أؤذي إليك ما قلته أنا لفرعون أمنت وعلمت أن ذلك كان الله تعالى رضى ^(٤) فيه.

وفي رواية أبي الجارود ^(٥)، عن أبي جعفر عليه السلام: أن بني إسرائيل قالوا: يا موسى، ادع الله تعالى أن يجعل لنا ممّا نحن فيه فرجاً.

[فدعا] ^(٦) فأوحى الله إليه: أن سر بهم.

قال: يا ربّ، البحر أمامهم!

قال: امض فإنّي أمره أن يطيعك وينفّرج ^(٧) لك.

٢. تفسير القمي ٣١٦/١.

١. المجمع ١٣٠/٣.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: ورضائه.

٤. تفسير القمي ٣١٥/١-٣١٦.

٥. من المصدر.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: فيفرج.

٧. كذا في المصدر.

فخرج موسى ببني إسرائيل، وأتبعهم فرعون. حتّى إذا كاد أن يلحقهم ونظروا إليه قد أظلمهم، قال موسى للبحر: انفرج لي.
قال: ما كنت لأفعل.

وقال بنو إسرائيل لموسى: غررتنا وأهلكتنا، فليتك تركتنا يستعبدنا آل فرعون ولم نخرج الآن نقتل قتلة.

قال: كلّاً إنّ معي ربّي سيهدين، واشتدّ على موسى ما كان يصنع به عامّة قومه «وقالوا يا موسى إنّنا لمدركون» زعمت أنّ البحر ينفرج لنا حتّى نمضي ونذهب، وقد رهقنا^(١) فرعون وقومه وهم هؤلاء تراهم قد دنوا منا.

فدعا موسى ربّه، فأوحى الله إليه: أن اضرب بعصاك البحر. فضربه، فانفلق البحر. فمضى موسى وأصحابه حتّى قطعوا البحر.

وأدركهم آل فرعون. فلمّا نظروا إلى البحر قالوا لفرعون. ما تعجب ممّا ترى؟
قال: أنا فعلت هذا. فمروا وامضوا فيه.

فلمّا توسّط فرعون ومن معه، أمر الله البحر فأطبق^(٢) فغرقهم أجمعين. فلمّا أدرك فرعون الغرق «قال أمنت أنّه إلى قوله وأنا من المسلمين». يقول الله ﷻ «الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين» يقول: كنت من العاصين «فالיום ننجيك بيدنك». قال: إنّ قوم فرعون ذهبوا أجمعين في البحر فلم ير منهم أحد، هووا في البحر إلى النار. فأما فرعون فنبذه الله ﷻ وحده فألقاه^(٣) بالساحل، لينظروا إليه وليعرفوه ليكون لمن خلفه آية، ولئلاّ يشكّ أحد في هلاكه. إنهم كانوا اتّخذوه ربّاً، فأراههم^(٤) الله ﷻ إياه جيفة ملقاة في الساحل ليكون لمن خلفه عبرة وعظة. يقول الله: «وإنّ كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون».

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾: ننقذك ممّا وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافياً. أو

٢. المصدر: فانطبق عليهم.

١. رهقنا، أي: لحقنا.

٤. من المصدر.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: وأفناه.

نلقيك على نجوة من الأرض؛ وهي المكان المرتفع، ليرك بنو إسرائيل .

وقرأ^(١) يعقوب: «ننجيك». من أنجى .

وقرئ^(٢): «ننجيك» بالحاء، أي نلقيك بناحية الساحل .

﴿يَبْدَنُكَ﴾: في موضع الحال، أي بيدك عارياً عن الروح. أو كاملاً سويّاً. أو عرياناً من غير لباس. أو بدرعك، وكانت له درع من ذهب يُعرَف بها.

وقرئ^(٣): «بأبدانك» أي بأجزاء البدن كلّها، كقولهم: هوى بأجرامه. أو بدروعك، كأنه كان في المصدر مظاهراً بينها.

﴿لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾: لمن وراءك علامة، وهم بنو إسرائيل، إذ كان في نفوسهم من عظمتهم ما يخيّل إليهم أنه لا يهلك حتى كذبوا موسى ﷺ حين أخبرهم بغرقه إلى أن عاينوه مطروحاً على ممرّهم من الساحل.

أو لمن يأتي بعدك من القرون إذا سمعوا مآل أمرك ممّن شاهدك، عبرة ونكالا عن الطغيان، أو حجة تدلّهم على أنّ الإنسان على ما كان عليه من عظم الشأن وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية.

وقرئ^(٤): «لَمَنْ خَلَقَكَ» أي: لخالقك آية، كسائر الآيات. فإنّ أفرادها إياك بالإلقاء إلى الساحل دليل على أنّه تعمّد منه، لكشف تزويرك وإمالة الشبهة في أمرك، وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وإرادته. وهذا الوجه أيضاً محتمل على القراءة المشهورة.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٥): أنّ موسى على نبينا وآله وعليه السلام أخبر بني إسرائيل أنّ الله أغرق فرعون، فلم يصدّقه. فأمر الله ﷻ البحر، فلفظ به على ساحل البحر حتّى رأوه ميتاً. ويأتي تمام الكلام فيه.

﴿وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾^(٦): لا يتفكّرون فيها، ولا يعتبرون بها.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾: أنزلنا.

﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءاً صَدَقٍ﴾: منزلاً صالحاً مرضياً، وهو الشام ومصر.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): ردهم إلى مصر، وغرق فرعون.

﴿وَوَرِّقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: من اللذائذ.

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾: فما اختلفوا في أمر دينهم، إلا من بعد ما قرأوا

التوراة وعلموا أحكامها. أو في أمر محمد ﷺ من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(١٣): فيميز المحق عن

المبطل بالإنجاء والإهلاك.

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾: من القصص، على سبيل الفرض والتقدير.

﴿فَأَسْأَلِ الَّذِينَ يَفْرُقُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: فإنه محقق عندهم، ثابت في كتبهم على

نحو ما ألقينا إليك. والمراد تحقيق ذلك، والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وأن

القرآن مصدق لما فيها. أو وصف أهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل الله.

أو تهيج الرسول وزيادة تثبته لإمكان وقوع الشك له.

وقيل^(٢): الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته، أو لكل من يسمع، أي إن كنت أيها

السامع في شك مما نزلنا على لسان نبيتنا عليك.

﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: واضحاً؛ لأنه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْتَرِينَ﴾^(٣): بالتزلزل عما أنت عليه من الجزم واليقين.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤): أيضاً من باب

التهيج والتثبيت وقطع الأطماع عنه، كقوله: «فلا تكونن ظهيراً للكافرين».

وفي كتاب علل الشرائع^(٥): حدثنا [المظفر بن] جعفر بن المظفر العلوي [حدثنا

جعفر بن محمد بن مسعود، عن أبيه قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ أَبِي الْخَيْرِ، عَنْ مُحَمَّدٍ [١] بْنِ حَسَّانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الدَّارِمِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الْأَذْخَرِيِّ، وَكَانَ مَعَهُ يَصْحَبُ مُوسَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الرُّضَا، أَنَّ مُوسَى أَخْبَرَهُ أَنَّ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ كَتَبَ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ عَنْ مَسَائِلَ فِيهَا: وَأَخْبَرَنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: «فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ مَنْ الْمَخَاطَبُ بِالْآيَةِ. فَإِنْ كَانَ الْمَخَاطَبُ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ أَلَيْسَ قَدْ شَكَّ فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ الْمَخَاطَبُ بِهِ غَيْرُهُ، فَعَلَى غَيْرِهِ إِذَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ؟

قال موسى: فسألت أخي علي بن محمد ﷺ عن ذلك.

قال: أَمَا قَوْلُهُ: «فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ» فَإِنَّ الْمَخَاطَبَ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَلَمْ يَكُنْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ. وَلَكِنْ قَالَتِ الْجَهْلَةُ: كَيْفَ لَا يَبْعَثُ إِلَيْنَا نَبِيًّا مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَّهُ لَمْ يَفْرُقْ (٢) بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فِي الْإِسْتِغْنَاءِ عَنِ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَشْيِ فِي الْأَسْوَاقِ. فَأَوْحَى اللَّهُ ﷻ إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ: «فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ» بِمَحْضَرٍ مِنَ الْجَهْلَةِ، هَلْ بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا قَبْلَكَ إِلَّا وَهُوَ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ وَلَمْ يَكُنْ بِهِمْ أَسْوَةٌ.

وَأَمَّا قَالَ: «وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ» وَلَمْ يَكُنْ، وَلَكِنْ لِيَتَّبِعَهُمْ، كَمَا قَالَ لَهُ ﷺ: «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ». وَلَوْ قَالَ: تَعَالَوْا نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، لَمْ يَكُونُوا يَجِيبُونَ لِلْمِبَاهِلَةِ. وَقَدْ عَرَفَ أَنَّ نَبِيَّهُ ﷺ مُؤَدٍّ عَنْهُ رِسَالَتَهُ وَمَا هُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَكَذَلِكَ عَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ صَادِقٌ فِيمَا يَقُولُ، وَلَكِنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْصَفَ مِنْ نَفْسِهِ.

وَبِإِسْنَادِهِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي (٣) عَمِيرٍ، رَفَعَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: «فَإِنْ

١. من المصدر.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: «ليفرق» بدل «إنه لم يفرق».

٣. ليس في المصدر.

كنت في شك مما أنزلنا إليك - إلى قوله - من قبلك».

قال : قال رسول الله ﷺ : لا أشك ولا أسأل .

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(١) : حدثني أبي ، عن عمرو بن سعيد الراشدي ، عن ابن مسكان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لما أسري برسول الله ﷺ إلى السماء وأوحى إليه في علي ما أوحى إليه من شرفه ومن عظمته عند الله ، ورد إلى البيت المعمور وجمع له النبيين وصلوا خلفه ، عرض في نفس رسول الله من عظم ما أوحى إليه في علي . فأنزل الله «فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك» يعني : الأنبياء ، فقد أنزلنا إليهم في كتبهم من فضله ما أنزلنا في كتابك . «لقد جاءك الحق إلى قوله فتكون من الخاسرين» .

فقال الصادق عليه السلام : فوالله ، ما شك وما سأل .

وفي تفسير العياشي ^(٢) : عن عبد الصمد بن بشير ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله : «فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك» .

قال : لما أسري بالنبي ﷺ ففرغ من مناجاة ربه ، رد إلى البيت المعمور ؛ وهو بيت في السماء الرابعة بحذاء الكعبة . فجمع الله له النبيين والمرسلين والملائكة ، ثم أمر جبرئيل فأذن وأقام الصلاة ^(٣) ، وتقدم رسول الله ﷺ فصلى بهم . فلما فرغ التفت إليهم ، فقال له الله «فاستألف الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين» . فسألهم يومئذ النبي ، ثم نزل .

وفي الخرائج والجرائح ^(٤) : في روايات الخاصة أن أبا جعفر عليه السلام قال : إن رسول الله ﷺ قال : لما أسري بي نزل جبرئيل بالبراق ؛ وهو أصغر من البغل وأكبر من الحمار ، مضطرب الأذنين ، عيناه في حوافره ، خطاه مد البصر ، وله جناحان يجريان به من

١. تفسير القمي ٣١٧/١ .

٢. تفسير العياشي ١٢٨/٢ ، ح ٤٣ .

٣. ليس في المصدر .

٤. الخرائج / ج ١ / ٨٤ ، ح ١٤٨ . ونور الثقلين ٣٢٠/٢ - ٣٢١ ، ح ١٣٠ عنه .

خلفه، عليه سرج من ياقوت فيه من كل لون، أهدب العرف^(١) الأيمن. فوقه^(٢) على باب خديجة ودخل إلى رسول الله ﷺ، فمرح^(٣) البراق.

فخرج إليه جبرئيل وقال: اسكن، فإنما يركبك أحب خلق الله إليه. فسكن. فخرج رسول الله ﷺ فركب ليلاً، فتوجه نحو بيت المقدس، فاستقبله شيخ. فقال جبرئيل: هذا أبوك إبراهيم عليه السلام.

[فثنى رجله^(٤) وهم بالنزول.

فقال له جبرئيل: كما أنت.

فجمع ما شاء الله من الأنبياء في بيت المقدس. فأذن جبرئيل، وتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ» هؤلاء الأنبياء الذين جمعوا. «فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» قال: فلم يشك رسول الله ﷺ ولم يسأل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ﴾: ثبت عليهم.

﴿كَلِمَةً رَبِّكَ﴾: أي إخباره بأنهم يموتون على الكفر، أو يخلدون في العذاب.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٥): إذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه، لأنه لا يخبر إلا عن علم

بأنهم لا يؤمنون.

﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^(٦): وحينئذ لا ينفعهم، كما لم ينفع

فرعون.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): وقوله ﷻ: «إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ

لَا يُؤْمِنُونَ، ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم».

١. العرف: شعر عنق الفرس. وأهدب العرف، أي: طويله وكثيره مرسلًا من الجانب الأيمن.

٢. المصدر: فأوقفه.

٣. المرح: شدة النشاط والفرح.

٤. تفسير القمي ٣١٧/١.

٥. من المصدر.

قال: الَّذِينَ جحدوا أمير المؤمنين صلوات الله عليه .

وقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ» .

قال: عرضت عليهم الولاية وقد فرض الله تعالى عليهم الإيمان بها، فلم يؤمنوا بها .

﴿ فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةً آمَنَتْ ﴾ : فهلاك كانت قرية من القرى التي أهلكتها آمنت قبل

معاناة العذاب ولم تؤخر إليها، كما أخر فرعون .

﴿ فَتَفَعَّلَهَا إِيْمَانُهَا ﴾ : بأن يقبله الله منها، ويكشف العذاب عنها

﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾ : لكن قوم يونس .

﴿ لَمَّا آمَنُوا ﴾ : أول ما رأوا أماراة العذاب، ولم يؤخروه إلى حلوله ،

﴿ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ : ويجوز أن تكون الجملة في معنى

النفي، لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلاً. لأن المراد من القرى:

أهلها، كأنه قال: ما آمن أهل قرية من القرى العاصية فنفعهم إيمانهم، إلا قوم يونس .

ويؤيده قراءة الرفع على البدل .

﴿ وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (١٧) : إلى آجالهم .

وفي الجوامع^(١): وكان قد بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه، فذهب

عنهم مغاضباً. فلما فقدوه، خافوا نزول العذاب. فلبسوا المسوح وعجوا وبكوا،

فصرف الله عنهم العذاب وكان قد نزل وقرب منهم .

وفي تفسير العياشي^(٢): عن أبي عبيدة الحذاء، عن الباقر عليه السلام قال: كتب

أمير المؤمنين عليه السلام قال: حدثني رسول الله ﷺ أن جبرئيل حدثه، أن يونس بن متى عليه السلام

بعثه الله إلى قومه، وهو ابن ثلاثين سنة. وكان رجلاً تعتريه الحدة^(٣). وكان قليل الصبر

على قومه والمدارة لهم، عاجزاً عما حمل من ثقل حمل أوقار النبوة وأعلامها. وأنه

تفسخ تحتها كما يتفسخ الجذع تحت حمله. وأنه أقام فيهم يدعوهم إلى الإيمان بالله

والتصديق به واتباعه ثلاثاً وثلاثين سنة، فلم يؤمن به ولم يتبعه من قومه إلا رجلاً، اسم أحدهما روبييل، واسم الآخر تنوخا.

وكان روبييل من أهل بيت العلم والنبوة والحكمة، وكان قديم الصحبة ليونس بن مَتَّى من قبل أن يبعثه الله بالنبوة. وكان تنوخا رجلاً مستضعفاً عابداً زاهداً منهمكاً في العبادة، وليس له علم ولا حكم. وكان روبييل صاحب غنم يرعاها ويتقوت منها. وكان تنوخا رجلاً خطاباً يحتطب على رأسه يأكل من كسبه. وكان لروبييل منزلة من يونس غير منزلة تنوخا، لعلم روبييل وحكمته وقديم صحبته.

فلما رأى يونس أنَّ قومه لا يجيبونه ولا يؤمنون، ضجر وعرف من نفسه قلة الصبر فشكى ذلك إلى ربه، وكان فيما شكى أن قال: يا رب، إنك بعثتني إلى قومي ولي ثلاثون سنة. فلبثت فيهم أَدعوهم إلى الإيمان بك والتصديق برسالتني وأخوفهم عذابك ونعمتك ثلاثاً وثلاثين سنة، فكذبوني ولم يؤمنوا بي وجحدوا نبوتي واستخفوا برسالتني. وقد توعدوني^(١)، وخفت أن يقتلوني. فأنزل عليهم عذابك، فإنهم قوم لا يؤمنون.

قال: فأوحى الله إلى يونس: أنَّ فيهم الحمل والجنين والطفل والشيخ الكبير والمرأة الضعيفة والمستضعف المهين، وأنا الحكم العدل، سبقت رحمتي غضبي لا أعذب الصغار بذنوب الكبار من قومك. وهم يا يونس، عبادي وخلقي وبريتي في بلادتي وفي عيلتي أحب أن أتأناهم^(٢) وأرفق بهم وأنتظر توبتهم. وإنما بعثتك إلى قومك لتكون حيطاً^(٣) عليهم، تعطف عليهم بسجال الرحمة^(٤) الماسة منهم، وتتأناهم برأفة النبوة. وتصبر معهم بأحلام الرسالة، وتكون لهم كهيئة الطبيب المداوي العالم بمداواة الدواء. فخرقت^(٥) بهم، ولم تستعمل قلوبهم بالرفق، ولم تسسهم بسياسة المرسلين.

١. المصدر: تواعدوني.

٢. من التائي، أي: الرفق والمداواة.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: حفيظاً.

٤. المصدر: لسخاء الرحمة.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: فخرجت.

ثم سألتني، مع سوء نظرك، العذاب لهم عند قلة الصبر منك. وعبدني نوح كان أصبر منك على قومه، وأحسن صحبة، وأشد تأنيباً في الصبر عندي، وأبلغ في العذر فغضبت له حين غضب لي، وأجبتة حين دعاني.

فقال يونس: يا رب، إنما غضبت عليهم فيك، وإنما دعوت عليهم حين عصوك. فو عزتك، لا أتعطف عليهم برأفة أبداً، ولا أنظر إليهم بنصيحة شفيق بعد كفرهم وتكذيبهم إياي وجحدهم نبوتي، فأنزل عليهم عذابك فإنهم لا يؤمنون أبداً.

فقال الله: يا يونس، إنهم مائة ألف أو يزيدون من خلقي، يعمرّون بلادني، وبلدون عبادي. ومحبتني أن أتأناهم للذي سبق من علمي فيهم وفيك، وتقديري وتدييري غير علمك وتقديرك. وأنت المرسل، وأنا الرب الحكيم. وعلمي فيهم يا يونس باطن في الغيب عندي، لا يعلم ما منتهاه، وعلمك فيهم ظاهر لا باطن له. يا يونس، قد أجبتك إلى ما سألت من إنزال العذاب عليهم. وما ذلك يا يونس، بأوفر لحظك عندي، ولا أحمد^(١) لشأنك. وسيأتيهم عذابي في شوال، يوم الأربعاء، وسط الشهر، بعد طلوع الشمس، فأعلمهم ذلك.

قال: فسرّ ذلك يونس ولم يسؤه، ولم يدر ما عاقبته. فانطلق يونس إلى تنوخا العابد، فأخبره بما أوحى الله إليه من نزول العذاب على قومه في ذلك اليوم.

وقال له: انطلق حتى أعلمهم بما أوحى الله إلي من نزول العذاب.

فقال: تنوخا: فدعهم في غمرتهم ومعصيتهم حتى يعذبهم الله.

فقال له يونس: بل تلقى روبيل فنشاورة، فإنه رجل عالم حكيم من أهل بيت النبوة.

فانطلقا إلى روبيل، فأخبره يونس بما أوحى الله إليه من نزول العذاب على قومه في

شوال يوم الأربعاء في وسط الشهر بعد طلوع الشمس.

فقال له: ماترى؟ انطلق بنا حتى أعلمهم ذلك.

فقال له روبييل: ارجع إلى ربك رجعة نبيّ حكيم ورسول كريم، واسأله أن يصرف عنهم العذاب. فإنه غني عن عذابهم، وهو يحبّ الرفق بعباده، وما ذلك بأضرّ لك عنده ولا أسوأ لمنزلتك لديه. ولعلّ قومك بعد ما سمعت ورأيت من كفرهم وجحودهم يؤمنون يوماً، فصابرهم وتأناهم.

فقال له تنوخا: ويحك يا روبييل، ما أشرت على يونس وأمرته به بعد كفرهم بالله وجحدهم لنبيّه^(١) وتكذيبهم إياه وإخراجهم إياه من مساكنه وما همّوا به من رجمه.

فقال روبييل لتنوخا: اسكت، فإنك رجل عابد لا علم لك.

ثمّ أقبل على يونس، فقال: أرايت يا يونس، إذا أنزل الله العذاب على قومك فيهلكهم جميعاً أو يهلك بعضاً ويبقى بعضاً؟

فقال له يونس: بل يهلكهم جميعاً، وكذلك سألته. ما دخلتني لهم رحمة^(٢) تعطف، فأراجع^(٣) الله فيهم واسأله أن يصرف عنهم.

فقال له روبييل: أتدري يا يونس، لعلّ الله إذا أنزل عليهم العذاب فأحسنوا به أن يتوبوا إليه أو يستغفروه. فيرحمهم فإنه أرحم الراحمين، ويكشف عنهم العذاب من بعد ما أخبرتهم عن الله تعالى أنّه ينزل عليهم العذاب يوم الأربعاء، فتكون بذلك عندهم كذاباً.

فقال له تنوخا: ويحك يا روبييل، لقد قلت عظيماً. يخبرك النبيّ المرسل أنّ الله أوحى إليه أنّ العذاب ينزل عليهم، فتردّ قول الله وتشكّ فيه وفي قول رسوله؟ اذهب، فقد حبط عملك.

فقال روبييل لتنوخا: لقد فسد^(٤) رأيك.

ثمّ أقبل على يونس، فقال: أنزل الوحي والأمر من الله فيهم على ما أنزل عليك فيهم من إنزال العذاب عليهم، وقوله الحقّ. أرايت إذا كان ذلك فهلك قومك كلّهم وخربت

٢. كذا في المصدر وفي النسخ: رحمته.

٤. المصدر: فشل.

١. كذا في المصدر وفي النسخ: لنبيّهم.

٣. المصدر: فأراجع.

قريتهم، أليس يمحوا الله اسمك من النبوة وتبطل رسالتك وتكون كبعض ضعفاء الناس ويهلك على يدك مائة ألف [أو يزيدون] ^(١) من الناس.

فأبى يونس أن يقبل وصيته فانطلق معه تنوخا ^(٢) إلى قومه، فأخبرهم أن الله أوحى إليه أنه منزل العذاب عليهم يوم الأربعاء في شوال في وسط الشهر بعد طلوع الشمس. فردوا عليه قوله وكذبوه، وأخرجوه من قريتهم إخراجاً عنيفاً. فخرج يونس ومعه تنوخا من القرية وتنحياً عنهم غير بعيد وأقاما ينتظران العذاب.

وأقام روبيل مع قومه في قريتهم. حتى إذا دخل عليهم شوال، صرخ ^(٣) روبيل بأعلى صوته في رأس الجبل إلى القوم: أنا روبيل الشفيق عليكم الرحيم بكم إلى ربّ، قد أنكرتم ^(٤) عذاب الله. هذا شوال قد دخل عليكم، وقد أخبركم يونس نبيكم ورسول ربكم، أن الله أوحى إليه أن العذاب عليكم في شوال في وسط الشهر يوم الأربعاء بعد طلوع الشمس. ولن يخلف الله وعده رسله، فانظروا ماذا أنتم صانعون؟

فأفزعهم كلامه، فوقع في قلوبهم تحقّق نزول العذاب. فأجفلوا ^(٥) نحو روبيل، وقالوا له: ماذا أنت مشير به علينا يا روبيل؟ فإنك رجل عالم حكيم، لم نزل نعرفك بالرافة ^(٦) علينا والرحمة لنا، وقد بلغنا ما أشرت به على يونس، فمرنا بأمرك وأشر علينا برأيك.

فقال لهم روبيل: فإنّي أرى لكم وأشير عليكم أن تنظروا وتعمدوا إذا طلع الفجر يوم الأربعاء في وسط الشهر، أن تعزلوا الأطفال عن الأمهات في أسفل الجبل في طريق الأودية، وتقفوا النساء في سفح الجبل، ويكون هذا كلّ قبل طلوع الشمس. فعجّوا عجيج الكبير منكم والصغير بالصراخ والبكاء والتضرّع إلى الله والتوبة إليه

١. من المصدر.

٢. المصدر: تنوخا من القرية وتنحياً عنهم غير بعيد ورجع يونس إلى قومه.

٣. كذا في المصدر وفي النسخ: خرج.

٤. كذا في المصدر وفي النسخ: أنكر بكم.

٥. فأجفلوا، أي: أسرعوا نحوه بالذهاب.

٦. بعض نسخ المصدر: بالرافة.

والاستغفار له، وارفعوا رؤوسكم إلى السماء وقولوا: رَبَّنَا، ظَلَمْنَا وَكُذَّبْنَا نَبِيَّكَ وَتَبْنَا إِلَيْكَ مِنْ ذُنُوبِنَا. وَإِنْ لَا تَغْفِرَ لَنَا وَتَرْحَمَنَا، لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ الْمَعَذَّبِينَ. فاقبل توبتنا، وارحمنا يا أرحم الراحمين. ثُمَّ لَا تَمْلَأُوا مِنَ الْبُكَاءِ وَالصَّرَاخِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ وَالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ حَتَّى تَوَارِيَ الشَّمْسُ بِالْحِجَابِ، أَوْ يَكْشِفَ اللَّهُ عَنْكُمْ الْعَذَابَ قَبْلَ ذَلِكَ.

فأجمع رأي القوم على أن يفعلوا ما أشار به عليهم روبييل. فلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ الَّذِي تَوَقَّعُوا فِيهِ الْعَذَابَ، تَنَحَّى روبييل عَنِ الْقَرْيَةِ حَيْثُ يَسْمَعُ صَرَاحَهُمْ وَيَرَى الْعَذَابَ إِذَا نَزَلَ. فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، فَعَلَ قَوْمُ يُونُسَ مَا أَمَرَهُمْ روبييل بِهِ. فَلَمَّا بَزَغَتِ الشَّمْسُ، أَقْبَلَتْ رِيحٌ صَفْرَاءُ مَظْلَمَةٌ مُسْرِعَةٌ لَهَا صَرِيرٌ وَحْفِيفٌ [وهدير]^(١). فَلَمَّا رَأَوْهَا عَجَّوْا جَمِيعاً بِالصَّرَاخِ وَالبُكَاءِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ وَتَابَوْا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفَرُوهُ، وَصَرَخَتِ الْأَطْفَالُ بِأَصْوَاتِهَا تَطْلُبُ أُمَّهَاتِهَا، وَعَجَّتْ سَخَالُ الْبَهَائِمِ تَطْلُبُ الثَّدْيَ، وَعَجَّتْ^(٢) الْأَنْعَامُ تَطْلُبُ الرِّعَاءَ. فَلَمْ يَزَالُوا بِذَلِكَ وَيُونُسَ وَتَنُوخًا يَسْمَعَانِ صَيِحَّتَهُمْ^(٣) وَصَرَاحَهُمْ، وَيَدْعُونَ اللَّهَ عَلَيْهِمْ بِتَغْلِيظِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ. وَروبييل فِي مَوْضِعِهِ يَسْمَعُ صَرَاحَهُمْ وَعَجَّتَهُمْ^(٤) وَيَرَى مَا نَزَلَ، وَهُوَ يَدْعُو اللَّهَ بِكَشْفِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ.

فَلَمَّا أَنْ زَالَتِ الشَّمْسُ وَفَتَحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَسَكَنَ غَضَبُ الرَّبِّ تَعَالَى وَرَحِمَهُمُ الرَّحْمَنُ، فَاسْتَجَابَ دَعَاءَهُمْ وَقَبِلَ تَوْبَتَهُمْ وَأَقَالَهُمْ عَشْرَتَهُمْ.

وَأَوْحَى إِلَى إِسْرَافِيلَ: أَنْ أَهْبِطْ إِلَى قَوْمِ يُونُسَ. فَإِنَّهُمْ قَدْ عَجَّوْا إِلَيَّ بِالْبُكَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَتَابَوْا إِلَيَّ وَاسْتَغْفَرُونِي، فَرَحِمْتُهُمْ وَتَبْتُ عَلَيْهِمْ. وَأَنَا اللَّهُ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، أَسْرِعْ إِلَى قَبُولِ تَوْبَةِ عَبْدِي التَّائِبِ مِنَ الذَّنْبِ^(٥). وَقَدْ كَانَ عَبْدِي يُونُسَ وَرَسُولِي، سَأَلَنِي نَزُولَ الْعَذَابِ عَلَى قَوْمِهِ، وَقَدْ أَنْزَلْتُهُ عَلَيْهِمْ. وَأَنَا اللَّهُ أَحَقُّ مِنْ وَفَى بَعْدِهِ وَقَدْ أَنْزَلْتُهُ عَلَيْهِمْ،

١. من المصدر.

٢. كذا في المصدر وفي النسخ: وسعت.

٣. بعض نسخ المصدر: ضجيجهم.

٤. المصدر: عجيجهم.

٥. المصدر: الذنوب.

ولم يكن اشترط يونس حين سألتني أن أنزل عليهم العذاب أن أهلكهم، فاهبط إليهم فاصرف عنهم ما قد نزل بهم من عذابي.

فقال إسرافيل: يا رب، إن عذابك قد بلغ أكتافهم، وكاد أن يهلكهم، وما أراه إلا وقد نزل بساحتهم، فإلى أين أصرفه؟

فقال الله: كلاً، إني قد أمرت ملائكتي أن يصرفوه ولا ينزلوه عليهم حتى يأتيهم أمري فيهم وعزيمتي. فاهبط يا إسرافيل عليهم واصرفه عنهم. واصرف به إلى الجبال وبناحية مفاوض^(١) العيون ومجاري السيول في الجبال العاتية العادية المستطيلة على الجبال، فأذلها به ولتئها حتى تصير ملتئمة^(٢) حديداً جامداً.

فهبط إسرافيل عليهم، فنشر أجنحته، فاستاق بها ذلك العذاب حتى ضرب بها تلك الجبال التي أوحى الله إليه أن يصرفه إليها.

قال أبو جعفر عليه السلام: وهي الجبال التي بناحية الموصل اليوم، فصارت حديداً إلى يوم القيامة.

فلما رأى قوم يونس أن العذاب قد صرف عنهم، هبطوا إلى منازلهم من رؤوس الجبال وضموا إليهم نساءهم وأولادهم وأموالهم، وحمدوا الله على ما صرف عنهم. وأصبح يونس وتنوخا يوم الخميس، في موضعهما الذي كانا فيه، لا يشكأن أن العذاب قد نزل بهم وأهلكهم جميعاً لما خفيت أصواتهم عنهما. فأقبلا ناحية القرية يوم الخميس، مع طلوع الشمس، ينظران إلى ما صار إليه القوم.

فلما دنوا واستقبلهم^(٣) الحطابون والحمار والرعاة بأعناقهم ونظروا إلى أهل القرية مطمئنين، قال يونس لتنوخا: يا تنوخا، كذبني الوحي وكذبت وعدي لقومي. لا وعزة ربي، لا يرون لي وجهاً أبداً بعد ما كذبني^(٤) الوحي.

فانطلق يونس هارباً على وجهه، مغاضباً لربه ناحية بحر أيلة، مستنكراً فراراً من أن

١. كذا في المصدر وفي النسخ: وناحية مفاض. ٢. المصدر: ملئنة.

٣. المصدر: فلما دنوا من القوم واستقبلتهم. ٤. كذا في المصدر وفي النسخ: فأكذبني.

يراه أحد من قومه، فيقول له: يا كذاب. فلذلك قال الله: «وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه» الآية.

ورجع تنوخا إلى القرية فتلقى روبيل، فقال له: يا تنوخا، أي الرأيين كان أصوب وأحق [أن يتبع] ^(١) رأيي أو رأيك؟

فقال تنوخا: بل رأيك كان أصوب، ولقد كنت أشرت برأي العلماء والحكماء. وقال له تنوخا: أما إنني لم أزل أرى أنني أفضل منك لزهدتي وفضل عبادتي، حتى استبان فضلك بفضل علمك. وما أعطاك الله، ربك من الحكمة مع التقوى، أفضل من الزهد والعبادة بلا علم.

فاصطحبا، فلم يزالا مقيمين مع قومهما. ومضى يونس على وجهه مغاضباً لربه، فكان من قصته ما أخبر الله به في كتابه. فأمنوا فمتعنهم إلى حين.

قال أبو عبيدة: قلت لأبي جعفر عليه السلام: كم كان غاب يونس عن قومه حتى رجع إليه بالنبوة والرسالة، فأمنوا به وصدّقه؟

قال: أربعة أسابيع: سبعاً منها في ذهابه إلى البحر، [وسبعاً في بطن الحوت، وسبعاً تحت الشجرة بالعراء] ^(٢)، وسبعاً منها في رجوعه إلى قومه. فقلت له: وما هذه الأسابيع، شهوراً أو أياماً أو ساعات؟

فقال: يا أبا عبيدة، إن العذاب أتاها يوم الأربعاء في النصف من شوال، وصرف عنهم من يومهم ذلك. فانطلق يونس مغاضباً، فمضى يوم الخميس سبعة أيام في مسيره إلى البحر وسبعة أيام في بطن الحوت وسبعة أيام تحت الشجرة بالعراء وسبعة أيام في رجوعه إلى قومه. فكان ذهابه ورجوعه ثمانية وعشرون يوماً. ثم أتاها، فأمنوا به وصدّقه وأتبعوه. فلذلك قال: «فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتّعناهم إلى حين».

عن أبي بصير^(١)، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لَمَّا أَظْلَمَ قوم يونس العذاب، دعوا الله فصرفه عنهم.

قلت: كيف ذلك؟

قال: كان في العلم أَنه يصرفه عنهم.

عن الثمالي^(٢)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إِنَّ يونس لَمَّا آذاه قومه، دعا الله عليهم. فأصبحوا أَوَّلَ يوم ووجوههم صفر^(٣)، وأصبحوا اليوم الثاني ووجوههم سود.

قال: وكان الله واعددهم أَن يأتِيهم العذاب، حَتَّى نالوه برماحهم^(٤). ففرَّقوا بين النساء وأولادهنَّ والبقر وأولادها، ولبسوا المسوح والصوف، ووضعوا الحبال في أعناقهم والرماد على رؤوسهم، وضجَّوا ضجَّةً واحدةً إلى ربِّهم، وقالوا: آمَنَّا بإله يونس.

قال: فصرف الله عنهم العذاب إلى جبال آمد^(٥).

قال: وأصبح يونس وهو يظنُّ أَنهم هلكوا، فوجدهم في عافية.

عن معمر^(٦)، قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام: إِنَّ يونس لَمَّا أمره الله [بما أمره]^(٧) فأعلم قومه فأظْلَمهم العذاب، فرَّقوا بينهم وبين أولادهم وبين البهائم وأولادها، ثُمَّ عَجَّوا وضجَّوا فكشف^(٨) الله عنهم العذاب. وهذان الحديثان طويلان أخذت منهما موضع الحاجة.

وفي كتاب علل الشرائع^(٩)، بإسناده إلى علي بن سالم، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لأَيِّ علَّة صرف الله العذاب عن قوم يونس وقد أظْلَمهم، ولم يفعل كذلك بغيرهم من الأمم؟

١. تفسير العتاشي ١٣٦/٢، ح ٤٥.

٢. نفس المصدر والموضع، ح ٤٦.

٣. المصدر: صفرة.

٤. كذا في المصدر وفي النسخ: برياحهم.

٥. كذا في المصدر وفي النسخ: أعد. قال الحموي: أيد: أعظم ديار بكر.

٦. نفس المصدر والمجلد ١٣٧، ح ٤٧.

٧. من المصدر.

٨. المصدر: فكف.

٩. العلل ٧٧، ح ١.

قال: لأنه كان في علم الله أنه سيصرفه عنهم لتوبتهم. وإنما ترك إخبار يونس بذلك، لأنه ﷺ أراد أن يفرّغه لعبادته في بطن الحوت فيستوجب بذلك ثوابه وكرامته. وبإسناده^(١) إلى سماعة، أنه سمعه عليه السلام وهو يقول: ما ردّ الله العذاب عن قوم قد أظلمهم إلا قوم يونس.

فقلت: أكان قد أظلمهم؟

فقال: نعم، حتّى نالوه بأكفهم.

قلت: فكيف كان ذلك؟

قال: كان في العلم المثبت عند الله ﷻ الذي لم يطلع عليه أحد أنه سيصرفه عنهم. وفي الكافي^(٢)، بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل. يقول فيه: إنّ جبرئيل استثنى في هلاك قوم يونس، ولم يسمعه يونس.

وفي تهذيب الأحكام^(٣): علي بن الحسين^(٤)، عن محمد بن عبد الله بن زرارة، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان الأحمر، عن كثير النوا، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال، وقد ذكر يوم عاشوراء: وهذا اليوم الذي تاب الله فيه على قوم يونس عليه السلام.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ما ردّ الله ﷻ العذاب إلا عن قوم يونس. وكان يونس يدعوهم إلى الإسلام، فيأبوا ذلك، فهم أن يدعو عليهم. وكان فيهم رجلان عابد وعالم. وكان اسم أحدهما مليخا^(٦)، والآخر اسمه روبيل. وكان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم،

١. نفس المصدر والموضع، ح ٢.

٢. نور الثقلين ٣٣٠/٢، ح ١٤٢؛ و تفسير الصافي ٤٢٧/٢؛ الكافي ١٤٨/١، ح ١٤؛ تفسير القمي ٧٤/٢.

٣. التهذيب ٣٠٠/٤، ح ٩٠٨. وقد لخص المؤلف الخبر.

٤. المصدر: علي بن الحسن.

٥. تفسير القمي ٣١٧/١-٣١٨.

٦. مرّ في الحديث السابق: أنّ اسمه «متوخا».

وكان العالم ينهأه ويقول: لا تدع^(١) عليهم، فإن الله يستجيب لك ولا يحب هلاك عباده. فقبل قول العابد، ولم يقبل قول العالم، فدعا عليهم. فأوحى الله إليه: يأتيهم العذاب في سنة كذا وكذا، وفي شهر كذا وكذا، وفي يوم كذا وكذا.

فلما قرب الوقت، خرج يونس من بينهم مع العابد وبقي العالم فيهم. فلما كان ذلك اليوم، نزل العذاب. فقال العالم لهم: يا قوم، افزعوا إلى الله ﷻ فلعله يرحمكم فيردّ العذاب عنكم. فقالوا: كيف نصنع؟

قال: اجتمعوا واخرجوا إلى المعازة، وفرّقوا بين النساء والأولاد وبين الإبل وأولادها وبين البقر وأولادها وبين الغنم وأولادها، ثم ابكوا وادعوا. فذهبوا وفعلوا ذلك وضجّوا وبكوا، فرحمهم الله وصرف عنهم العذاب. وفرّق العذاب على الجبال، وقد كان نزل وقرب منهم. فأقبل يونس لينظر كيف أهلكهم الله، فرأى الزارعين يزرعون في أرضهم! قال لهم: ما فعل قوم يونس؟

فقالوا له، ولم يعرفوه: إن يونس دعا عليهم، فاستجاب الله ﷻ له ونزل العذاب عليهم. فاجتمعوا وبكوا ودعوا، فرحمهم الله وصرف ذلك عنهم وفرّق العذاب على الجبال. فهم إذن يطلبون يونس، ليؤمنوا به. فغضب يونس ومرّ على وجهه مغاضباً لله، كما حكى الله تعالى. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي رواية أبي الجارود^(٢)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لبث يونس في بطن الحوت ثلاثة أيام، ونادى في الظلمات؛ ظلمة بطن الحوت وظلمة الليل وظلمة البحر: «أن

١. كذا في المصدر وفي النسخ: لاتدعوا. ٢. تفسير القمي ٣١٩/١ - ٣٢٠.

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين». فاستجاب الله له، فأخرجه الحوت إلى الساحل، ثم قذفه فألقاه بالساحل. وأنبث الله عليه شجرة من يقطين؛ وهو القرع. فكان يمصّه ويستظلّ به وبورقه. وكان تساقط شعره ورقّ جلده. وكان يونس يسبح الله ويذكره بالليل والنهار.

فلما أن قوي واشتدّ، بعث الله دودة فأكلت أسفل القرع فذبلت القرعة ثم ييبست. فشقّ ذلك على يونس، فظلّ حزينا.

فأوحى الله إليه: ما لك حزينا، يا يونس؟

قال: يا ربّ، هذه الشجرة التي كانت تنفعني فسَلَطَتْ عليها دودة فيبست!

قال: يا يونس، أحزنت لشجرة لم تزرعها ولم تسقها ولم تعن^(١) بها إن ييبست حين استغنيت عنها، ولم تحزن لأهل نينوى أكثر من مائة ألف أردت أن ينزل عليهم العذاب. إن أهل نينوى آمنوا واتّقوا، فارجع إليهم.

فانطلق يونس إلى قومه. فلما دنا يونس من نينوى، استحيى أن يدخل.

فقال لراع لقيه: انت أهل نينوى وقل لهم: إن هذا يونس قد جاء.

قال له الراعي: أتكذب، أما تستحيي ويونس قد غرق في البحر وذهب؟

قال له يونس: اللهم إن هذه الشاة تشهد لك أنني يونس.

فنطقت الشاة بأنّه يونس. فلما أتى الراعي قومه وأخبرهم، أخذوه وهموا بضربه.

فقال: إن لي بيّنة بما أقول.

قالوا: من يشهد لك؟

قال: هذه الشاة تشهد.

فشهدت بأنّه صادق، وأنّ يونس قد ردّه الله إليهم. فخرجوا يطلبونه، فجاؤوا به

وآمنوا وحسن إيمانهم. فمتّعهم الله إلى حين، وهو الموت، وأجارهم من ذلك العذاب.

١. كذا في المصدر وفي النسخ: لم تعباً.

وعن عليّ عليه السلام ^(١) حديث طويل، يقول في آخره: وأُنبت الله عليه شجرة من يقطين، وهي الدبا، فأظلمت من الشمس فسكن ^(٢). ثم أمر الشجرة، فتنَحَّت عنه ووقع الشمس عليه، فجزع.

فأوحى الله إليه: يا يونس، لمَ لم ترحم مائة ألف أو يزيدون، وأنت تجزع من ألم ساعة؟

فقال: ربّ، عفوك عفوك.

فردّ الله عليه بدنه، ورجع إلى قومه وأمنوا به. وهو قوله: «فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها

إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتّعناهم إلى حين».

وفي روضة الكافي ^(٣): عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن معروف بن خربوذ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تعالى رباح رحمة ورياح عذاب. فإن شاء أن يجعل الرياح من العذاب رحمة، فعل.

قال: ولن يجعل الرحمة من الريح عذاباً.

قال: وذلك أنّه لم يرحم قوماً قطّ أطاعوه فكانت طاعتهم إياه وبالاً عليهم، إلا بعد تحوّلهم عن طاعته. قال: وكذلك فعل يقوم يونس لما آمنوا، رحمهم الله بعد ما كان قدّر عليهم العذاب وقضاه. ثمّ تداركهم برحمته، فجعل العذاب المقدّر عليهم رحمة، فصرفه عنهم وقد أنزله عليهم وغشّهم. وذلك لما آمنوا به وتضرّعوا إليه.

وفي من لا يحضره الفقيه ^(٤): وفي العلل التي ذكرها الفضل بن شاذان رحمته الله عن الرضا عليه السلام قال: إنّما جعل للكسوف صلاة؛ لأنّه من آيات الله تعالى لا يدرى الرحمة ظهرت أم لعذاب. فأحبّ النبيّ أن تفرّج أمّته إلى خالقها وراحمها عند ذلك، ليصرف

١. تفسير القميّ ٣١٩/١.

٢. المصدر: فسكر.

٣. الكافي ٩٢/٨، ح ٦٤.

٤. الفقيه ٣٤٢/١، ح ١٥١٣.

عنهم شرًّا و يقيهم^(١) مكر وهما، كما صرف عن قوم يونس حين تضرَّعوا إلى الله ﷻ.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ : إِيْمَانُ كُلِّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مَشِيئَةً حَتْمَ .

﴿لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ﴾ : بحيث لا يشذَّ منهم أحد .

﴿جَمِيعاً﴾ : مجتمعين على الإيمان لا يختلفون فيه . ولكن حينئذ يفوتهم استحقاق

الثواب ، وينافي فائدة التكليف .

﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٢) : وترتيب الإكراه على المشيئة «بالفاء»

وإيلاؤها حرف الاستفهام ، للإنكار .

وتقديم الضمير على الفعل ، للدلالة على أنَّ شأن النبي أيضاً التبليغ ، لا الإكراه

للجمع على الإيمان ، فإنَّه لا يمكنه .

وفي كتاب التوحيد^(٣) : أبي ، قال : حدَّثنا عبدالله بن جعفر الحميري ، عن أحمد بن

محمَّد بن فضال ، عن علي بن عقبة ، عن أبيه قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : اجعلوا

أمركم لله ، ولا تجعلوه للناس . فإنَّه ما كان لله ، فهو لله ﷻ . وما كان للناس فلا يصعد إلى

الله . لا تخاصموا الناس لدينكم ، فإنَّ المخاصمة ممرضة للقلب . إنَّ الله ﷻ قال

لنبيِّه ﷺ : «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» . وقال : «أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ

الناس حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» . ذروا الناس ، فإنَّ الناس أخذوا عن الناس ، وإنَّكم أخذتم

عن رسول الله . وإنِّي سمعت أبي يقول : إنَّ الله ﷻ إذا كتب على عبد أن يدخل في هذا

الأمر كان أسرع إليه من الطير إلى وكره .

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ : إلَّا بإرادته وألطافه وتوفيقه . فلا تجهد نفسك

في هداها ، فإنَّه إلى الله .

﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ﴾ : العذاب . أو الخذلان ، فإنَّه سببه .

وقرئ^(٣) بالراء .

١ . كذا في المصدر وفي النسخ : و يقيها . ٢ . التوحيد / ٤١٤ ، ح ١٣ .

٣ . أنوار التنزيل ٤٥٨/١ .

وقرأ^(١) أبو بكر: «ونجعل» بالنون.

﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٢): لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات. أو لا يعقلون دلائله وأحكامه لما على قلوبهم من الطبع.

وفي عيون الأخبار^(٣)، في باب ما جاء عن الرضا من الأخبار في التوحيد: حَدَّثَنَا [تميم بن]^(٤) عبدالله بن تميم القرشي قال: حَدَّثَنَا أَبِي، عن أحمد بن علي الأنصاري، عن أبي الصلت عبدالسلام بن صالح الهروي قال: سأل المأمون أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن قول الله جَلْ ثَنَاؤُهُ: «ولو شاء ربك -إلى قوله- إَلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ». فقال الرضا عليه السلام:

فَقَالَ الرضا عليه السلام: حَدَّثَنِي أَبِي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبي طالب عليه السلام قال: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا لِلرَّسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَوْ أَكْرَهْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ قَدَرْتُ عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ عَلَى الْإِسْلَامِ لَكُنْزَ عِدَدِنَا وَقَوْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا كُنْتُ لِأُلْقِيَ اللَّهُ تَعَالَى بِبِدْعَةٍ لَمْ يَحْدِثْ إِلَيَّ فِيهَا شَيْئًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ: يَا مُحَمَّدُ «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً» عَلَى سَبِيلِ الْإِلْجَاءِ وَالْإِضْطِرَارِ فِي الدُّنْيَا، كَمَا يُؤْمِنُونَ^(٥) عِنْدَ الْمَعَايِنَةِ وَرُؤْيَةِ الْبَاسِ فِي الْآخِرَةِ. وَلَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهِمْ، لَمْ يَسْتَحَقُّوا مِنِّي ثَوَاباً وَلَا مَدْحاً. وَلَكِنِّي أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَوْفَّقُوا مَخْتَارِينَ غَيْرَ مُضْطَرِّينَ، لِتَسْتَحَقُّوا مِنِّي الزُّلْفَى وَالْكَرَامَةَ وَدَوَامَ الْخُلُودِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ. «أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ».

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ»، فَلَيْسَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ تَحْرِيمِ الْإِيمَانِ عَلَيْهَا، وَلَكِنْ عَلَى مَعْنَى: أَنَّهَا مَا كَانَتْ لِتُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ. وَ«إِذْنُهُ» أَمْرُهُ لَهَا

٢. العيون ١١٠/١، ح ٣٣.

١. أنوار التنزيل ٤٥٨/١.

٤. كذا في المصدر وفي النسخ: يؤمن.

٣. من المصدر.

بالإيمان ما كانت مكلفة متعبدة، والجأؤه إيّاها إلى الإيمان عند زوال [التكليف] ^(١) والتعبّد عنها.

فقال المأمون: فرّجت عني [يا أبا الحسن] ^(٢) فرّج الله عنك.

﴿قُلْ انظُرُوا﴾: أي تفكّروا.

﴿مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: من عجائب صنعه، ليدلّكم على وحدته وكمال

قدرته.

و«ماذا» إن جعلت استفهاميّة علّقت «انظروا» عن العمل.

﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ^(٣): في علم الله وحكمه. و«ما» نافية.

أو استفهاميّة في موضع النصب.

وفي أصول الكافي ^(٤): الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن أحمد بن

محمّد بن عبدالله، عن أحمد بن هلال، عن أميّة بن عليّ، عن داود الرقيّ قال: سألت أبا

عبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: «وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون».

قال: «الآيات» هم الأئمّة. و«النذر» هم الأنبياء عليهم السلام.

وفي روضة الكافي ^(٥): محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم،

عن عبدالله بن يحيى الكاهليّ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: «وما تغني -إلى

قوله - لا يؤمنون».

قال: لما أسري برسول الله صلى الله عليه وآله، أتاه جبرئيل بالبراق. فركبها فأتى بيت المقدس،

فلقي من لقي من إخوانه من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين. ثم رجع فحدّث

أصحابه: إنّي أتيت بيت المقدس ورجعت من الليلة، وقد جاءني جبرئيل بالبراق

فركبتها. وآية ذلك أنّي مررت بغير لأبي سفيان على ماء لبني فلان، وقد أضلّوا جملاً

لهم أحمر، وقد همّ القوم في طلبه.

١. من المصدر.

٢. من المصدر.

٣. الكافي ٢٠٧/١، ح ١.

٤. نفس المصدر ٣٤٦/٨، ح ٥٥٥.

فقال بعضهم لبعض: إنما جاء الشام وهو راكب سريع، ولكنكم قد أتيتم الشام وعرفتموها، فسلوه عن أسواقها وأبوابها وتجارها.

فقالوا: يا رسول الله، كيف الشام وكيف أسواقها؟ قال: وكان رسول الله ﷺ إذا سُئِلَ عن الشيء لا يعرفه، شَقَّ عليه حتى يرى ذلك في وجهه.

قال: فبينما هو كذلك إذا أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله، هذه الشام قد رفعت لك.

فالتفت رسول الله ﷺ فإذا هو بالشام بأبوابها وأسواقها وتجارها.

قال: أين السائل عن الشام؟

فقالوا له: فلان وفلان.

فأجابهم رسول الله ﷺ في كل ما سألوه عنه، فلم يؤمن منهم إلا قليل. وهو قول الله تبارك وتعالى: «وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون».

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: نعوذ بالله أن لا نؤمن بالله ورسوله، آمنا بالله ورسوله.

﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: مثل وقائعهم، ونزول بأس الله بهم إذا لا يستحقون غيره. من قولهم: أيام العرب لو قائعها.

﴿قُلْ فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ (٥٧): لذلك. أو فانظروا هلاكي، إني معكم من المنتظرين هلاككم.

وفي تفسير العياشي^(١): عن محمد بن الفضل^(٢)، عن أبي الحسن، الرضا عليه السلام قال: سألته عن شيء في الفرج.

فقال: أوليس تعلم أن انتظار الفرج من الفرج؟ إن الله ﷻ يقول: «انتظروا إني معكم من المنتظرين».

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: عطف على محذوف دل عليه «إلا مثل أيام الذين خلوا»، كأنه قيل: نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم. على حكاية الحال الماضية.

﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٣٦): كذلك الإنجاء. أو إنجاء كذلك ننجي محمداً وصحبه حين نهلك المشركين.

و«حقاً علينا» قيل: اعتراض. ونصبه بفعل مقدر، أي حق ذلك علينا حقاً. وقيل: بدل من «كذلك».

وفي تفسير العياشي: عن مصقلة الطحال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما يمنعكم أن تشهدوا على من مات منكم على هذا الأمر أنه من أهل الجنة؟ إن الله يقول: «كذلك حقاً علينا ننج المؤمنين».

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: قيل^(١): خطاب لأهل مكة.

﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾: وصحته.

﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾: فهذا خلاصة ديني اعتقاداً وعملاً. فأعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الإنصاف، لتعلموا صحتها. وهو أنني لا أعبد ما تخلقونه وتعبدونه، ولكن أعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفاكم. وإنما خصص التوفي بالذكر للتهديد.

﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٣٧): بما دل عليه العقل، ونطق به الوحي.

وحذف الجار من «أن» ويجوز أن يكون من المطرّد مع «أن» وأن يكون من غيره، كقوله:

أمرتك بالخير فافعل ما أمرت به

﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾: عطف على «أن أكون» غير أن صلة «أن» محكية بصيغة

الأمر. ولا فرق بينهما في الغرض، لأن المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدلّ معه عليه. وصيغ الأفعال كلّها كذلك، سواء الخبر منها والطلب.

والمعنى: وأمرت بالاستقامة في الدين والاشتداد فيها بأداء الفرائض والانتهاء عن القبائح، أو في الصلاة باستقبال القبلة.

﴿حَنِيفًا﴾: حال من «الذين» أو «الوجه».

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٣٧) ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾:

بنفسه إن دعوته أو خذلته.

﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾: فإن دعوته.

﴿فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٣٨) ﴿جِزَاءَ لِّلشَّرِّ﴾، وجواب لسؤال مقدّر عن تبعة الدعاء.

﴿وَأَنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾: وإن يصبك به.

﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾.

﴿وَأَنْ يُرَدَّكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ﴾: فلا دافع.

﴿لِفَضْلِهِ﴾: الذي أرادك به.

ولعله ذكر الإرادة مع الخير والمَسِّ مع الضرر، مع تلازم الأمرين، للتنبيه على أن

الخير مراد بالذات وأن الضرر إنما مسهم لا بالقصد الأول.

ووضع الفضل موضع الضمير، للدلالة على أنه متفصل بما يريد بهم من الخير

لا استحقاق لهم عليه. ولم يستثن، لأن مراد الله لا يمكن رده.

﴿يُصِيبُ بِهِ﴾: بالخير.

﴿مَنْ يَشَأْ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٣٩): فتعرّضوا لرحمته بالطاعة، ولا تيأسوا

من غفرانه بالمعصية.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: رسوله أو القرآن، ولم يبق لكم عذر.

﴿فَمَنْ اهْتَدَى﴾: بالإيمان والمتابعة.

﴿فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾: لأن نفعه لها.

﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾: بالكفر بهما.

﴿فَأَنَّمَا يُضِلُّ عَلَيْهَا﴾: لأنَّ وبال الضلال عليها.

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (١٠٨): بحفيظ موكول إليَّ أمركم، وإنما أنا بشير ونذير.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾: بالامتثال والتبليغ.

﴿وَاصْبِرْ﴾: على دعوتهم وتحمل أذيتهم.

﴿حَتَّىٰ يَخُصِمَ اللَّهُ﴾: بالنصرة، أو بالأمر بالقتال.

﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (١٠٩): إذ لا يمكن الخطأ في حكمه، لإطلاعه على السرائر

اطّلاعه على الظواهر.

سورة هود

سورة هود

مَكِّيَّة. وهي مائة وثلاث وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

في كتاب ثواب الأعمال^(١)، بإسناده إلى أبي محمد الحسن بن علي^(٢) عليه السلام قال: من قرأ سورة هود في كل جمعة، بعثه الله ﷻ يوم القيامة في زمرة النبيين، ولم يعرف له خطيئة عملها يوم القيامة.

وفي مجمع البيان^(٣): أبي بن كعب، عن النبي ﷺ من قرأها، أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح عليه السلام وكذب به، وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وموسى. وكان يوم القيامة من السعداء.

وروى الثعلبي^(٤) بإسناده: عن أبي إسحاق، عن أبي جحيفة قال: قيل: يا رسول الله، قد أسرع إليك الشيب!

قال: شيبني هود وأخواتها.

وفي كتاب الخصال^(٥): عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، أسرع إليك الشيب!

قال: شيبني هود، والواقعة، والمرسلات، وعم يتساءلون.

١. ثواب الأعمال / ١٣٣.

٢. المصدر: أبي جعفر محمد بن علي.

٣. المجمع ١٤٠٣.

٤. المجمع ١٤٠٣.

٥. الخصال / ١٩٩، ح ١٠.

﴿الرِّكَابُ﴾: مبتدأ وخبر. أو «كتاب» خبر مبتدأ محذوف. وسبق تأويل «الر» في أول سورة يونس.

﴿أُحْكِمْتَ آيَاتَهُ﴾: نظمت نظاماً محكماً، لا يعتريه إخلال من جهة اللفظ والمعنى. قيل^(١): أو منعت من الفساد والنسخ، فإن المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ. أو أحكمت بالحجج والدلائل. أو جعلت حكيمة، منقول^(٢) من حكم بالضم: إذا صار حكيماً؛ لأنها مشتملة على أمهات الحكم النظرية والعملية.

﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾: بالفوائد، من العقائد والأحكام والمواعظ والأخبار. أو بجعلها سوراً. أو بالإنزال نجماً نجماً. أو فصل فيها ولخص ما يحتاج إليه.

وقرئ^(٣): «ثم فصلت» أي فرقت بين الحق والباطل. و«أحكمت آياته ثم فصلت» على البناء للمتكلم. و«ثم» للتفاوت في الحكم أو للتراخي في الأخبار.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: هو القرآن.

﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾^(٥): صفة أخرى للكتاب. أو خبر بعد خبر. أو صلة لـ «أحكمت» أو «فصلت». وهو تقرير لإحكامها وتفصيلها على أكمل ما ينبغي، باعتبار ما ظهر أمره وما خفي.

﴿الَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾: لأن لا تعبدوا.

وقيل^(٥): «أن» مفسرة، لأن في تفصيل الآيات معنى القول.

وقيل^(٦): يجوز أن يكون كلاماً مبتدأ، للإغراء على التوحيد. أو الأمر بالتبرؤ من

عبادة الغير، كأنه قيل: ترك عبادة غير الله، بمعنى: الزموه^(٧)، أو اتركوها^(٨) تركاً.

١. أنوار التنزيل ٤٦٠/١.

٢. كذا في المصدر، وفي أ، ب، ر: مفعولة. وفي سائر النسخ: منقولة.

٤. تفسير القمي ٣٢١/١.

٣. أنوار التنزيل ٤٦٠/١.

٧. ب: الزموها.

٥ و٦. أنوار التنزيل ٤٦٠/١.

٨. أ، ب، ر: تركوها.

﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ﴾: من الله.

﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾^(١): بالعقاب على الشرك، والثواب على التوحيد.

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾: عطف على «ألا تعبدوا».

﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾: ثم توسلوا إلى مطلوبكم بالتوبة. فإن المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع.

وقيل^(٢): استغفروا من الشرك، ثم توبوا إلى الله بالطاعة.

ويجوز أن يكون «ثم» لتفاوت ما بين الأمرين.

﴿يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾: يعيشكم في أمن ودعة.

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو آخر أعماركم المقدرة. أو لا يهلككم بعذاب الاستئصال.

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾: ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة. وهو وعد للموحد الثابت بخير الدارين.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): عن الباقر عليه السلام: أن ذلك علي بن أبي طالب صلوات الله عليه.

ونقل ابن مردويه^(٤) من العامة^(٥)، بأسناده عن رجاله، عن ابن عباس قال: قوله تعالى: «وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ» أن المعني به: علي بن أبي طالب عليه السلام.

﴿وَأَنْ تَوَلَّوْا﴾: وإن تتولوا.

﴿فَأَنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾^(٦): يوم القيامة.

وقيل^(٥): يوم الشدائد، وقد ابتلوا بالقحط حتى أكلوا الجيف.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٧): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام: أنه الدخان والصيحة.

١. أنوار التنزيل ٤٦١/١.

٢. تفسير القمي ٣٢١/١.

٣. أي: وهو من العامة.

٤. تفسير البرهان ٢٠٦/٢، ح ٥ عنه.

٥. أنوار التنزيل ٤٦١/١.

٦. تفسير القمي ٣٢١/١.

وقرئ^(١): «وإن تولّوا» من ولي.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾: رجوعكم في ذلك اليوم. وهو شاذّ عن القياس.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢): فيقدر على تعذيبهم أشدّ عذاب. وكأنّه تقدير لكبر

اليوم.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَمْتَنُونَ ضُورَهُمْ﴾: يثنونها عن الحقّ وينحرفون عنه. أو يعطفونها على

الكفر وعداوة النبي ﷺ. أو يولّون ظهورهم.

وقرئ^(٣): «تثنوني» بالتاء والياء، من أثنوني، وهو بناء المبالغة.

وفي الجوامع^(٤): وفي قراءة أهل البيت ﷺ: يثنوني، على يفعل^(٥). من الثني،

وهو [بناء] مبالغة.

و«تثنون» من الثن: وهو الكلاء الضعيف. أراد به ضعف قلوبهم، أو مطاوعة

صدورهم للثني. و«نثنت» من اثنتان، كإباض، بالهمزة.

﴿لَيْسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾: من الله بسرّهم، فلا يُطِيع رسوله والمؤمنين عليه.

قيل^(٦): أو من رسوله.

قيل^(٧): إنّها نزلت في طائفة من المشركين، قالوا: إذا أرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا

وطوينا صدورنا على عداوة محمّد ﷺ، كيف يعلم!؟

وقيل^(٨): نزلت في المنافقين. وفيه نظر، إذ الآية مكّيّة، والنفاق حدث بالمدينة.

وفي روضة الكافي^(٩): ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن سدير، عن أبي

جعفر ﷺ قال: أخبرني جابر بن عبد الله أنّ المشركين كانوا إذا مرّوا برسول الله ﷺ

١. أنوار التنزيل ٤٦١/١.

٢. أنوار التنزيل ٤٦١/١.

٣. الجوامع ٢٠١.

٤. كذا في المصدر وفي النسخ: يفعل.

٥. من المصدر.

٦. تفسير الصافي ٤٣١/٢.

٧. أنوار التنزيل ٤٦١/١.

٨. نفس المصدر والموضع.

٩. الكافي ١٤٤/٨، ح ١١٥.

حول البيت، طأطأ أحدهم ظهره ورأسه - هكذا - وغطى رأسه بثوبه حتى ^(١) لا يراه رسول الله ﷺ. فأنزل الله الآية.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٢): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام: يكتمون ما في صدورهم من بغض علي عليه السلام. قال رسول الله ﷺ: إن آية المنافق بغض علي عليه السلام. [قال رسول الله ﷺ] ^(٣): فكان قوم يظهرون المودة لعلي عليه السلام عند النبي ﷺ. ويسرون ^(٤) بغضه.

﴿الْأَحْيَنَ يَسْتَغْفُونَ ثِيَابَهُمْ﴾: ألا حين يأرون إلى فراشهم يتغطون ^(٥) ثيابهم كراهة استماع كلام الله، كقوله: «جعلوا أصابعهم في أذانهم».

وقيل ^(٦): يتغطون بثيابهم.

﴿يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ﴾: في قلوبهم.

﴿وَمَا يُغْلِثُونَ﴾: بأفواههم. يستوي في علمه سرهم وعلنهم، فكيف يخفي عليه ما عسى يظهرونه.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بالأسرار ذات الصدور، أو بالقلوب وأحوالها.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾: غذاؤها ومعاشها، لتكفله إياه تفضلاً ورحمة. وإنما أتى بلفظ الوجوب، تحقيقاً لوصوله، وحملًا على التوكل فيه.

﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾: أماكنها في الحياة والممات. أو الأصلاب والأرحام. أو مساكنها من الأرض حين وجدت بالفعل، ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة.

﴿كُلُّ﴾: كل واحد من الدواب وأحوالها.

﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾: مذكور في اللوح المحفوظ. وكأنه أريد بالآية: بيان كونه

١. ليس في المصدر.

٣. من الهامش وليس في المصدر.

٥. أ، ب، ر: يقطعون.

٢. تفسير القمي ٣٢١/١.

٤. كذا في المصدر وفي النسخ: يسترون.

٦. أنوار التنزيل ٤٦١/١، وتفسير الصافي ٤٣١/٢.

عالمًا بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادراً على الممكنات بأسرها، تقريراً للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعد.

وفي نهج البلاغة^(١): قال عليه السلام: قَسَمَ أرزاقهم، وأحصى آثارهم وأعمالهم، وعدّد أنفسهم^(٢) وخاتمة أعينهم وما تخفي صدورهم من الضمير، ومستقرّهم ومستودعهم من الأرحام والظهور، إلى أن تتناهى بهم^(٣) الغايات.

وفي تفسير العياشي^(٤): محمّد بن فضيل، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أتى رسول الله ﷺ رجل من أهل البادية.

فقال: يا رسول الله، إن لي بنين وبنات وإخوة وأخوات وبنين وبنات وبنين وإخوة وبنين أخوات، والمعيشة علينا خفيفة^(٥). فإن رأيت يا رسول الله، أن تدعو الله أن يوسّع علينا؟

قال: وبكى. فرقّ له رسول الله ﷺ^(٦) وقرأ: «وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرّها ومستودعها كلّ في كتاب مبين». وقال و^(٧) من كفل بهذه الأفواه المضمونة على الله رزقها، صبّ الله عليه الرزق صبّاً، كالماء المنهمر. إن قليل فقليلاً، وإن كثير فكثيراً.

قال: ثمّ دعا رسول الله ﷺ وأمّن له المسلمون.

قال: قال أبو جعفر عليه السلام: فحدّثني من رأى الرجل في زمن عمر، فسأله عن حاله.

فقال: من أحسن من خوّله^(٨) حلالاً وأكثرهم مالاً.

١. نهج البلاغة / ١٢٣، ضمن خطبة ٩.

٢. كذا في المصدر وفي النسخ: قَسَمَ أرزاقهم، وأعمارهم، وعدّد انفسهم.

٣. كذا في المصدر وفي النسخ: تناهى لهم. ٤. تفسير العياشي ١٣٩/٢ - ١٤٠، ح ٣.

٥. لعله مصحف «ضيقة».

٦. المصدر: فرقّ له المسلمون فقال رسول الله ﷺ: «وما من دابة» الخ.

٧. ليس في المصدر، وب: وقال و.

٨. كذا في المصدر وفي النسخ: حوله. وخوّله الله المال: أعطاه إياه منفصلاً وملكه إياه.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: أي خلقهما وما فيهما، كما مرّ بيانه في الأعراف. أو ما في جهتي العلو والسفل. وجمع السماوات دون الأرضين، لاختلاف العلويات بالأصل والذات دون السفليات.

وفي الكافي^(١): عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن إسماعيل، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق الدنيا في ستّة أيّام، ثمّ اختزلها^(٢) عن أيّام السنة. فالسنة ثلاثمائة وأربع وخمسون يوماً.

وفي كتاب الاحتجاج^(٣) للطبرسي: عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، وفيه: وأمّا قوله: «إنّما أعظكم بواحدة»^(٤) فإنّ الله تبارك وتعالى ذكره أنزل^(٥) عزائم الشرائع وآيات الفرائض في أوقات مختلفة، كما «خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام». ولو شاء لخلقها من أقلّ من لمح البصر^(٦)، ولكنّه جعل الأناة والمداراة أمثالا^(٧) لأمنائه وإيجاباً للحجّة على خلقه.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٨): وقوله تبارك وتعالى: «وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام» - إلى قوله^(٩) - وكان عرشه على الماء». وذلك في مبتدأ^(١٠) الخلق، أنّ الربّ تبارك وتعالى خلق الهواء، ثمّ خلق القلم فأمره أن يجري.

فقال: يا ربّ، بما أجري؟

فقال: بما هو كائن.

ثمّ خلق الظلمة من الهواء، وخلق النور من الهواء، [وخلق الماء من الهواء]^(١١)،

١. الكافي ٧٨/٤، صدرح ٢.

٢. كذا في المصدر وفي النسخ: أخذتها.

٣. الاحتجاج ٣٧٩/١.

٤. سبأ ٤٦.

٥. المصدر: نزل.

٦. كذا في المصدر وفي النسخ: ولو شاء أن يخلقها من أقلّ من لمح البصر لخلق.

٧. كذا في المصدر وفي النسخ: مثلاً.

٨. تفسير القميّ ٣٢١/١ - ٣٢٢.

٩. ليس في المصدر: إلى قوله.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: مبدأ.

١١. من المصدر.

وخلق العرش من الهواء، وخلق العقيم^(١) من الهواء؛ وهو الريح الشديد، وخلق النار من الهواء، وخلق الخلق كلهم من هذه الستة التي خلقت من الهواء. فسلط العقيم على الماء، فضرته فأكثر الموج والزبد، وجعل يثور دخانه في الهواء.

فلما بلغ الوقت الذي أراد، قال للزبد: اجمد، فجمد. وقال للموج: اجمد، فجمد. فجعل الزبد أرضاً، وجعل الموج جبلاً رواسي للأرض.

فلما أجمدها، قال للروح والقدرة: سؤيا عرشي إلى السماء، فسؤيا عرشه إلى السماء. وقال للدخان: اجمد، فجمد. ثم قال له: ازفر، فزفر. فناداها «والأرض جميعاً اثتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين، فقضاهن سبع سموات في يومين ومن الأرض مثلهن».

فلما أخذ في رزق خلقه خلق السماء وجنانها^(٢) والملائكة يوم الخميس، وخلق الأرض يوم الأحد، وخلق دواب البر والبحر يوم الاثنين؛ وهما اليومان اللذان يقول الله ﷻ: «أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين»^(٣). وخلق الشجر ونبات الأرض^(٤) وأنهارها وما فيها والهوام في يوم الثلاثاء، وخلق الجان؛ وهو أبو الجن يوم السبت، وخلق الطير في يوم الأربعاء، وخلق آدم في ست ساعات في يوم الجمعة. فهذه^(٥) الستة الأيام خلق الله السماوات والأرض وما بينهما.

وفي روضة الكافي^(٦): عبدالله بن سنان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن الله خلق الخير يوم الأحد [وما كان ليخلق الشر قبل الخير، وفي يوم الأحد]^(٧) والاثنين خلق الأرضين، وخلق أقواتها في يوم الثلاثاء، وخلق السماوات يوم الأربعاء ويوم الخميس، وخلق أقواتها يوم الجمعة. وذلك قول الله ﷻ: «خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام».

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: الغيم.

٢. المصدر: جناتها.

٣. فصلت ٩.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: والنبات والارض.

٥. كذا في المصدر وفي النسخ: ففي هذه.

٦. الكافي ١٤٥/٨، ح ١١٧.

٧. من المصدر.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾: قبل خلقهما.

قيل^(١): لم يكن حائل بينهما، لأنه كان موضوعاً على متن الماء. واستدل به على إمكان الخلاء، وأن الماء أول حادث بعد العرش من أجرام هذا العالم.

وقيل^(٢) كان الماء على متن الريح.

وفي كتاب التوحيد^(٣): حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمهم الله قال: حدثنا محمد بن أبي عبدالله الكوفي، عن محمد بن إسماعيل البرمكي قال: حدثنا جذعان بن نصر [أبو نصر]^(٤) الكندي قال: حدثنا سهل بن زياد الأدمي، عن الحسن بن محبوب، عن عبدالله^(٥) بن كثير، عن داود الرقي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى: «وكان عرشه على الماء».

فقال لي: ما يقولون [في ذلك]^(٦)؟

قلت: يقولون: إن العرش كان على الماء، والرب فوقه.

فقال: كذبوا. من زعم هذا، فقد صير الله محمولاً ووصفه بصفة المخلوقين ولزمه أن الشيء الذي يحمله أقوى منه.

قلت: بين لي، جعلت فداك.

فقال: إن الله تعالى حمل علمه ودينه الماء قبل أن تكون سماء أو أرض أو إنس أو جن أو شمس أو قمر. فلما أراد أن يخلق الخلق، نشرهم بين يديه.

فقال لهم: من ربكم؟

فكان أول من نطق رسول الله وأمير المؤمنين والأئمة صلوات الله عليهم. فقالوا: أنت ربنا.

فحملهم العلم والدين. ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة علمي وديني وأمنائي في خلقي، وهم المسؤولون.

١ و٢. أنوار التنزيل ٤٦٢/١.

٣. التوحيد ٣١٩-٣٢٠، ح ١.

٤. بعض نسخ المصدر: عبدالرحمن.

٥. من المصدر.

٦. من المصدر.

ثم قيل لبني آدم: أقرّوا الله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالطاعة.

فقالوا: نعم، ربّنا، أقررنا.

فقال للملائكة: اشهدوا.

فقال الملائكة: شهدنا على أن لا يقولوا «إنا كنّا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنّما أشرك آباؤنا من قبل وكنّا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون»^(١). إنّ^(٢) ولا يتنا مؤكّدة عليهم في الميثاق.

وعلى هذا الخبر، المراد بالعرش: العلم، كما سبق أيضاً في الأخبار الأخر. ومعنى «كان عرشه على الماء»: أنّ علمه التفصيلي الذي هو عين الموجودات كان منحصراً في الماء. فلا يلزم إمكان الخلاء، ولا مح^(٣) آخر.

وفي أصول الكافي^(٤): محمّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن عبد الرحمن بن كثير، عن داود الرقي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «وكان عرشه على الماء».

فقال: ما يقولون؟

قلت: يقولون: إنّ العرش كان على الماء، والربّ فوقه.

فقال: كذبوا. من زعم هذا، فقد صير الله محمولاً ووصفه بصفة المخلوقين^(٥) ولزمه أنّ الشيء الذي يحمله أقوى منه.

قلت: بيّن لي، جعلت فداك.

فقال: إنّ الله حمّل دينه وعلمه على^(٦) الماء قبل أن يكون سماء أو أرض أو جنّ أو إنس أو شمس أو قمر.

١. الأعراف/١٧٣.

٢. المصدر: «يا داود» بدل «ان».

٣. كذا في النسخ. ويمكن أن يكون «محل».

٤. الكافي ١/١٣٢-١٣٣، صدر ح ٧.

٥. المصدر: المخلوق.

٦. ليس في المصدر.

محمّد بن يحيى^(١)، عن عبدالله بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رثاب، عن سدير الصيرفيّ قال: سمعت حمران بن أعين يسأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله ﷻ: «بديع السماوات والأرض»^(٢).

قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ الله ﷻ ابتدع الأشياء كلّها بعلمه على غير مثال كان قبله. فابتدع السماوات والأرضين، ولم يكن قبلهنّ سموات ولا أرضون. أما تسمع لقوله تعالى: «وكان عرشه على الماء»؟

والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي الكافي^(٣): محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن سنان، عن محمّد بن عمران العجليّ قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أيّ شيء كان موضع البيت حيث كان الماء في قول الله تعالى: «وكان عرشه على الماء»؟

قال: كان مهاة بيضاء، يعني: درّة.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٤): حدّثني أبي، عن عليّ بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرميّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خرج هشام بن عبد الملك حاجاً ومعه الأبرش الكلبيّ، فلقيّا أبا عبدالله عليه السلام في المسجد الحرام. فقال هشام للأبرش: تعرف هذا؟

قال: لا.

قال: هذا الذي تزعم الشيعة أنّه وصيّ إمام لكثرة^(٥) علمه.

فقال الأبرش: لأسألك عن مسألة^(٦) لا يجيبني فيها إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ.

فقال هشام: وددت أنّك فعلت ذلك.

٢. الأنعام/١٠١.

١. الكافي ٢٥٦/١، صدرح ٢.

٤. تفسير القميّ ٦٩/٢ - ٧٠.

٣. الكافي ١٨٨/٤، ح ١.

٥. المصدر: «نبيّ من كثرة» بدل «وصيّ الإمام لكثرة».

٦. المصدر: مسائل.

فلقي الأبرش أبا عبدالله عليه السلام. فقال: يا أبا عبدالله، أخبرني عن قول الله: «أو لم ير الذين كفروا أَن السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا»^(١). فيما كان رتقهما، وبما كان فتقهما؟

فقال أبو عبدالله: يا أبرش، هو كما وصف نفسه «وكان عرشه على الماء» والماء على الهواء، والهواء لا يحدّ ولم يكن يومئذ خلق غيرهما، والماء عذب فرات. فلمّا أراد أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربت الماء حتّى صار موجاً، ثمّ أزيداً، فصار زبدًا واحدًا فجمعه في موضع البيت، ثمّ جعله جبلاً من زيد، ثمّ دحى الأرض من تحته، فقال الله تبارك وتعالى: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا»^(٢)، ثمّ مكث الربّ تبارك وتعالى ما شاء. فلمّا أراد أن يخلق السماء، أمر الرياح، فضربت البحور حتّى أزيدت بها. فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار، فخلق منه السماء وجعل فيها البروج والنجوم ومنازل الشمس والقمر وأجراها في الفلك. وكانت السماء خضراء على لون الماء الأخضر، وكانت الأرض غبراء على لون الماء العذب، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. وستقف عليه بتمامه عند قوله تعالى: «أو لم ير الذين كفروا» الآية، إن شاء الله.

حدّثني أبي^(٣)، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليمانيّ، عن الطفيل^(٤)، عن أبي جعفر، عن أبيه عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال، وقد أرسل إليه ابن عبّاس يسأل عن مسائل: وأمّا ما سأل عنه من العرش ممّ خلقه الله؟ فإنّ الله خلقه أرباعاً لم يخلق قبله إلّا ثلاثة أشياء: الهواء والقلم والنور. ثمّ خلقه الله ألواناً مختلفة^(٥). والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

٢. آل عمران/٩٦.

١. الأنبياء/٣٠.

٤. المصدر: أبي الطفيل.

٣. تفسير العمّي ٢٣/٢ - ٢٤.

٥. المصدر: ثمّ خلقه من ألوان أنوار مختلفة.

حَدَّثَنِي أَبِي ^(١)، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مَجُوبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ الْأَحُولِ، عَنْ سَلَامِ بْنِ الْمُسْتَنِيرِ ^(٢)، عَنْ ثَوِيرٍ ^(٣) بْنِ أَبِي فَاخْتَةَ، وَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا سَتَقِفُ عَلَيْهِ إِذَا لَزِمَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَفِيهِ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ» يَعْنِي: بِأَرْضٍ لَمْ تَكْسِبْ عَلَيْهَا الذُّنُوبَ، بَارِزَةً لَيْسَ عَلَيْهَا جِبَالٌ وَلَا نَبَاتٌ كَمَا دَحَاهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ. وَيَعِيدُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ كَمَا كَانَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، مُسْتَقْلًا بِعَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ.

﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيَكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: مُتَعَلِّقٌ بِ«خَلَقَ» أَيِ خَلَقَ ذَلِكَ، كَخَلَقَ مِنْ خَلْقٍ، لِيُعَامِلَكُمْ مَعَامِلَةَ الْمُبْتَلَى لِأَحْوَالِكُمْ كَيْفَ تَعْمَلُونَ. فَإِنَّ جُمْلَةَ ذَلِكَ أَسْبَابُ وَمَوَادِّ لَوْجُودِكُمْ وَمَعَاشِكُمْ وَمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَعْمَالُكُمْ، وَدَلَائِلُ وَأَمَارَاتُ تَسْتَدَلُّونَ بِهَا وَتَسْتَنْبِطُونَ مِنْهَا.

وَأَمَّا جَازٌ تَعْلِيْقُ فَعَلِ الْبَلْوَى، لَمَّا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الْعِلْمِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ طَرِيقٌ إِلَيْهِ، كَالنَّظَرِ وَالِاسْتِمَاعِ.

وَأَمَّا ذِكْرُ صِغَةِ التَّفْضِيلِ وَالِاخْتِبَارِ الشَّامِلِ، لِفَرْقِ الْمَكْلَفَيْنِ بِاعْتِبَارِ الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ، لِلتَّحْرِيزِ عَلَى أَحْسَنِ الْمَحَاسِنِ وَالتَّحْضِيضِ عَلَى التَّرَفُّعِ دَائِمًا مِنْ مَرَاتِبِ الْعَمَلِ وَالْعِلْمِ. فَإِنَّ الْمُرَادَ بِالْعَمَلِ مَا يَعْمَلُ الْقَلْبُ وَالْجَوَارِحُ.

وَفِي أَصُولِ الْكَافِي ^(٤): عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، [عَنْ أَبِيهِ] ^(٥) عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ الْمَنْقَرِيِّ، عَنْ سَفْيَانَ بْنِ عِيْنَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لِيَبْلُوكُمْ أَيَكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا».

قَالَ: لَيْسَ مَعْنَى: أَكْثَرُكُمْ ^(٦) عَمَلًا، وَلَكِنْ أَصُوبُكُمْ عَمَلًا. وَأَمَّا الْإِصَابَةُ خَشْيَةُ اللَّهِ وَالنِّيَّةُ الصَّادِقَةُ. وَالحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

١. تفسير القمي ٢/٢٥٢ والحديث عن علي بن الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

٢. كذا في المصدر، وجامع الرواة ١/٣٧٠. وفي النسخ: سالم بن المستنير.

٣. كذا في المصدر، وجامع الرواة ١/١٤١. وفي النسخ: ثور.

٤. الكافي ١٦٢، صدر ح ٤.

٥. من المصدر.

٦. المصدر: «يعني: أكثر» بدل «معنى: أكثركم».

وروى العامة^(١) عن النبي ﷺ: أَيْكَمُ أَحْسَنَ عَقْلاً^(٢)، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله.

وفي نهج البلاغة^(٣): قَالَ ﷺ: أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً، لَا أَنَّهُ جَهْلٌ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ [مَصُونٍ]^(٤) أَسْرَارِهِمْ وَ^(٥) مَكْتُونِ ضَمَائِرِهِمْ «وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا». فَيَكُونُ الثَّوَابُ جِزَاءً، وَالْعِقَابُ بَوَاءً^(٦).

وفي كتاب الاحتجاج^(٧) للطبرسي: عَنْ [الْحَسَنِ بْنِ] عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَعَلِمَ مَا هُمْ إِلَيْهِ صَائِرُونَ، فَأَمَرَهُمْ^(٨) وَنَهَاَهُمْ^(٩). فَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ شَيْءٍ، فَقَدْ جَعَلَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى الْإِخْذِ بِهِ. وَمَا نَهَاَهُمْ عَنْهُ مِنْ شَيْءٍ، فَقَدْ جَعَلَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى تَرْكِهِ. وَلَا يَكُونُونَ آخِذِينَ وَلَا تَارِكِينَ إِلَّا بِإِذْنِهِ. [وَمَا جَبَرَ اللَّهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ عَلَى مَعْصِيَةٍ^(١٠)، بَلْ اخْتَبَرَهُمْ بِالْبَلَاةِ، كَمَا قَالَ: «لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا».

قوله ﷺ: وَلَا يَكُونُونَ آخِذِينَ وَلَا تَارِكِينَ، إِلَّا بِإِذْنِهِ [أَيُّ^(١١) إِلَّا^(١٢)] بِتَخْلِيَتِهِ^(١٣).
«وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ»^(١٤) أَيُّ مَا الْبَعْثُ، أَوِ الْقَوْلُ بِهِ، أَوِ الْقُرْآنُ الْمُتَضَمِّنُ لَذِكْرِهِ، إِلَّا كَالسَّحْرِ فِي الْخَدِيعَةِ وَالْبَطْلَانِ.

وقرأ^(١٥) حمزة والكسائي: «إِلَّا سَاحِرٌ». عَلَى أَنَّ الْإِشَارَةَ إِلَى الْقَائِلِ.

-
١. أنوار التنزيل ٤٦٢/١.
 ٢. ب: عملاً.
 ٣. نهج البلاغة/٢٠٠-٢٠١، ضمن خطبة ١٤٤.
 ٤. من المصدر.
 ٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: «في» بدل «و».
 ٦. البواء: المكافاة.
 ٧. الاحتجاج ١٥٨/٢.
 ٨. من المصدر.
 ٩. كذا في المصدر وفي النسخ: مِمَّا أَمَرَهُمْ.
 ١٠. المصدر: معصيته.
 ١١. ليس في ب.
 ١٢. ليس في المصدر.
 ١٣. المصدر: بتخليته وعلمه.
 ١٤. أنوار التنزيل ٤٦٢/١.

وقرئ^(١): «أَنْكُمْ» بالفتح. على تَضَمَّن «قلت» معنى: ذكرت. أو «أَنْ» بمعنى: علّ، أي ولئن قلت علّكم مبعوثون، بمعنى: توقّعوا بعثكم ولا تبتّوا بإنكاره، لعدّوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في إنكاره.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ﴾: الموعود.

﴿إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾: إلى جماعة من الأوقات قليلة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): عن أمير المؤمنين عليه السلام: يعني به: الوقت. ﴿لَيَقُولُنَّ﴾: استهزاء.

﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾: ما يمنعه من الوقوع.

﴿إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾: قيل^(٣): كيوم بدر.

﴿لَيْسَ مَضْرُوفًا عَنْهُمْ﴾: ليس العذاب مدفوعاً عنهم.

و«يوم» منصوب بخبر ليس مقدماً عليه. وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها. ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾: وأحاط بهم. وضع الماضي موضع المستقبل، تحقيقاً ومبالغة في التهديد.

﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٤): أي العذاب الذي كانوا به يستعجلون. فوضع

«يستعجلون» موضع «يستعجلون» لأنّ استعجالهم كان استهزاء.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥) يعني: إن متّعناهم في هذه الدنيا إلى خروج القائم عليه السلام فنردّهم ونعذبهم. «ليقولنّ ما يحبس» أي ليقولون لا يقوم القائم ولا يخرج على حدّ الاستهزاء.

أخبرنا أحمد بن إدريس^(٥) قال: حدّثنا أحمد بن محمّد، عن علي بن الحكم، عن

١. أنوار التنزيل ٤٦٢/١.

٢. تفسير القميّ ٣٢٣/١. والظاهر أنّه توضيح من علي بن إبراهيم.

٣. أنوار التنزيل ٤٦٢/١.

٤. تفسير القميّ ٣٢٢/١.

٥. تفسير القميّ ٣٢٣/١.

سيف، عن ^(١) حسان، عن هشام بن عمار، عن أبيه، وكان من أصحاب علي عليه السلام [عن علي عليه السلام] ^(٢) في قوله: «ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه». [قال: ^(٣) «الأمة المعدودة» أصحاب القائم صلوات الله عليه الثلاثمائة والبضعة عشر.

وفي تفسير العياشي ^(٤): عن الحسين، عن الخزاز، عن أبي عبدالله عليه السلام: «ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة». [قال: هو القائم وأصحابه. عن أبان بن مسافر ^(٥)، عن أبي عبدالله عليه السلام: في قول الله «ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة»] ^(٦) يعني: عدة، كعدة بدر. «ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم». قال: العذاب.

عن عبدالأعلى الحلبي ^(٧) قال: قال أبو جعفر عليه السلام: أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً، هم والله الأمة المعدودة التي قال الله في كتابه. وتلا هذه الآية. قال: يجتمعون والله ^(٨) في ساعة واحدة، قرعاً ^(٩) كقرع الخريف. وفي روضة الكافي ^(١٠)، وفي مجمع البيان: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي خالد، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: «فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً» ^(١١). قال: «الخيرات» الولاية.

وقوله تبارك وتعالى: «أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً» يعني: أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً.

١. كذا في المصدر وفي النسخ: ابن.

٢. من المصدر.

٣. من المصدر.

٤. تفسير العياشي ١٤١/٢، ح ٩.

٥. نفس المصدر والمجلد ١٤٠، ح ٧.

٦. ما بين المعقوفين ليس في أ، ب، ر.

٧. تفسير العياشي ١٤٠/٢، ح ٨.

٨. المصدر: «له» بذل «والله».

٩. القرع - محرّكة -: قطع من السحاب متفرقة صفار.

١٠. الكافي ٣١٣/٨، ح ٤٨٧، والمجمع ١٤٤/٣ ولا يوجد فيه إلا ذيل الحديث مرسل.

١١. البقرة ١٤٨.

قال: وهم والله الأمة المعدودة.

قال: يجتمعون والله في ساعة واحدة، فزعاً كقزع الخريف.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾: ولئن أعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها.

﴿ثُمَّ نَرْغَبَهَا مِنْهُ﴾: ثم سلبنا تلك النعمة منه.

﴿إِنَّهُ لَيُؤْوِسُ﴾: قطوع رجاء من فضل الله، لقلّة صبره وعدم ثقته بالله.

﴿كَفُورٌ﴾ (٣٥): مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ﴾: كصحة بعد سقم، وغنى بعد عدم.

وفي اختلاف الفعلين في الإسناد نكتة لا تخفى.

﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾: أي المصائب التي ساءتني.

﴿إِنَّهُ لَفَرِحَ﴾: بطر بالنعم، مغترّ بها.

﴿فَقُورٌ﴾ (٣٦): على الناس، مشغول عن الشكر والقيام بحقّها.

وفي لفظ الإذاقة والمسّ تنبيه على أنّ ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن،

كالأنموذج لما يجده في الآخرة، وأنه يقع في الكفران والبطر بأدنى شيء؛ لأنّ الذوق

إدراك الطعم، والمسّ مبتدأ الوصول.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(١) قال: إذا أغنى الله العبد ثم افتقر، أصابه الأيأس

والجزع والهلع. وإذا كشف الله عنه ذلك، فرح.

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: على الضراء، إيماناً بالله واستسلاماً لقضائه.

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: شكراً لآلائه، سابقها ولاحقها.

في تفسير عليّ بن إبراهيم^(٢) قال: صبروا في الشدة، وعملوا الصالحات في

الرخاء.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾: لذنوبهم.

﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾^(٧): أَقْلَهُ الْجَنَّةِ.

والاستثناء من الإنسان، لأنَّ المراد به: الجنس. فإذا كان محلِّي باللام، أفاد الاستغراق. ومن حمّله على الكافر، لسبق ذكرهم، جعل الاستثناء منقطعاً.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾: تترك تبليغ بعض ما يوحي إليك، وهو ما

يخالف رأي المشركين، مخافة ردِّهم واستهزائهم. ولا يلزم من توقُّع الشيء لوجود ما يدعو إليه وقوعه، لجواز أن يكون ما يصرف عنه، وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والثقة في التبليغ هاهنا.

﴿وَصَافِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾: وعارض لك أحياناً ضيق صدرك، بأن تتلوهم عليهم مخافة.

﴿أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ﴾: ينفقه في الاستتباع، كالمملوك.

﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾: يصدِّقه.

وقيل^(١): الضمير في «به» مبهم، يفسره «أن يقولوا».

﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾: ليس عليك إلا الإنذار بما أوحى إليك، ولا عليك ردُّوا أو

اقترحوا. فما بالك يضيق به صدرك.

﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(٧): فتوكَّل عليه، فإنَّه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء

أقوالهم وأفعالهم.

وفي روضة الكافي^(٢)، محمَّد بن يحيى، عن أحمد بن محمَّد [عن محمَّد] ^(٣) بن

خالد والحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان،

عن عمار بن سويد^(٤) قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في هذه الآية: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

لَمَّا نَزَلَ قَدِيدَهُ^(٥)، قال لعلي عليه السلام: [يا علي] إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يُوَالِيَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ،

٢. الكافي ٣٧٨/٨-٣٧٩، ح ٥٧٢.

١. أنوار التنزيل ٤٦٣/١.

٣. من المصدر.

٤. كذا في المصدر وجامع الرواة ١-٦١٢. وفي النسخ: عمار بن سويد.

٥. كذا في المصدر وفي النسخ: غديراً. من المصدر.

ففعّل. وسألت رَبِّي أن يؤاخي بيني وبينك، ففعّل. وسألت رَبِّي أن يجعلك وصيّي، ففعّل.

فقال رجلان من قريش: والله، لصاع من تمر في شَنِّ بال^(١) أحبّ إلينا ممّا سأل محمّد ربّه. فهلّا سأل ربّه ملكاً يعضده على عدوّه، أو كنزاً يستغني به عن فاقتّه. والله، ما دعاه إلى حقّ ولا باطل إلّا أجابه إليه.

فأنزل الله إليه: «فلعلّك تارك» الآية.

وفي تفسير العيّاشي^(٢): عن جابر بن أرقم، عن أخيه زيد بن أرقم قال: إنّ جبرئيل الروح الأمين نزل على رسول الله ﷺ بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام عشية عرفة. فضاّق بذلك [صدر] رسول الله ﷺ مخافة تكذيب أهل الإفك والنفاق. فدعا قوماً أنا فيهم، فاستشارهم في ذلك ليقوم به في الموسم، فلم ندر ما نقول له. وبكى عليه السلام.

فقال له جبرئيل: [ما لك] ^(٣)يا محمّد، أجزعت من أمر الله؟

فقال كلّاً يا جبرئيل، ولكن قد علم ربّي ما لقيت من قريش إذ لم يقرّوا لي بالرسالة حتّى أمرني بجهادهم وأهبط إليّ جنوداً من السماء فنصروني. فكيف يقرّون لعليّ من بعدي؟

فانصرف عنه جبرئيل عليه السلام. فنزل عليه «فلعلّك تارك» الآية.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: «أم» منقطعة. و«الهاء» لما يوحى.

﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ﴾: في البيان وحسن النظم.

تحذّاهم أولاً بعشر سور، ثمّ لما عجزوا عنها سهّل الأمر عليهم وتحذّاهم بسورة. وتوحيد المثل باعتبار كلّ واحدة.

﴿مُفْتَرِيَاتٍ﴾: مختلفات من عند أنفسكم، إن صحّ أنّي اختلقته من عند نفسي. فإنّكم

٢. تفسير العيّاشي ١٤١/٢، ح ١٠.

١. شَنِّ بال: قرية بالية.

٣. من المصدر.

عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما أقدر عليه، بل أنتم أقدر لتعلمكم القصص والأشعار وتعودكم القريض والنظم.

﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: إلى المعاونة على المعارضة.

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٢): أنه مفترى.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾: بإتيان ما دعوتهم إليه.

وجمع الضمير إما لتعظيم الرسول، أو لأن المؤمنين أيضاً كانوا يتحدّونهم. وكان أمر الرسول متناولاً لهم من حيث أنه يجب اتباعه عليهم في كل أمر إلا ما خصّه الدليل. وللتنبية على أن التحذير مما يوجب رسوخ إيمانهم وقوة يقينهم، فلا يغفلون عنه. ولذلك رتب عليه قوله:

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾: ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله ولا يقدر عليه سواه.

﴿وَأَنَّ لِلَّهِ الْإِلَهَ الْوَاحِدَ﴾: واعلموا أن لا إله إلا هو، الله العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره، ولظهور عجز آلهتهم، ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه بإعجاز عليه. وفيه تهديد وإقناط من أن يجيرهم من بأس الله تعالى آلهتهم.

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٣٣): ثابتون على الإسلام، راسخون مخلصون فيه، إذا تحقّق عندكم إعجازه مطلقاً.

ويجوز أن يكون الكلّ خطاباً للمشركين.

والضمير في «لم يستجيبوا» لـ «من استطعتم» أي فإن لم يستجيبوا لكم إلى المظاهرة لعجزهم، وقد عرفتم من أنفسكم القصور عن المعارضة، فاعلموا أنه نظم لا يعلمه إلا الله، وأنه منزل من عند الله، وأن ما دعاكم إليه من التوحيد حقّ، فهل أنتم داخلون في الإسلام بعد قيام الحجّة القاطعة؟

وفي مثل هذا الاستفهام إيجاب ببلغ لما فيه من معنى الطلب، والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر.

وفي تفسير العياشي^(١): عن الصادق عليه السلام: «فإن لم يستجيبوا لك» في ولاية علي عليه السلام. «فهل أنتم مسلمون» لعلّي ولايته.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّاتَهَا﴾: بإحسانه وبرّه.

﴿تُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا﴾: نوصل إليهم جزاء أعمالهم في الدنيا، من الصحة والسعة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الأولاد.

وقرئ^(٢): «يُوفِّ» بالياء، أي يوفّ الله. و«توفّ» بالتاء، على البناء للمفعول. و«نوف» بالتخفيف والرفع، لأن الشرط ماض، كقوله:

وإن أتاه كريم^(٣) يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَتَخُسُّونَ﴾^(٤): لا ينقصون شيئاً من أجورهم.

والآية قيل^(٥): في أهل الرياء.

وقيل^(٦): في المنافقين.

وقيل^(٧): في الكفرة وبرّهم.

وفي تفسير العياشي^(٨): عن الصادق عليه السلام يعني: فلان وفلان.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾: مطلقاً في مقابلة ما عملوا؛ لأنهم

استوفوا ما تقتضيه صور أعمالهم الحسنة، وبقيت لهم أوزار العزائم السيئة.

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾: لأنهم لم يبق لهم ثواب في الآخرة. أو لم يكن؛ لأنهم لم

يريدوا به وجه الله. والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الإخلاص.

ويجوز تعليق الظرف بـ«صنعوا»، على أن الضمير للدنيا.

﴿وَبَاطِلٌ﴾: في نفسه.

﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٩): لأنه لم يعمل على ما ينبغي. وكأن كل واحدة من الجملتين

علة لما قبلها.

١. تفسير العياشي ١٤٢/٢، ضمن ح ١١.

٢. أنوار التنزيل ١/٤٦٤.

٣. المصدر، ب: خليل.

٤-٦. نفس المصدر والموضع.

٧. تفسير العياشي ١٤٢/٢، ضمن ح ١١.

وقرئ^(١): «وباطلاً» على أنه مفعول «يعملون» و«ما» إبهامية. أو في معنى المصدر، و«ما» موصولة على معنى: وبطل بطلاً ما كانوا يعملون. و«بطل»^(٢) على الفعل.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): قال^(٤): من عمل الخير على أن يعطيه الله ثوابه في الدنيا، أعطاه الله ثوابه في الدنيا، وكان له في الآخرة النار.

وفي مجمع البيان^(٥): أن النبي ﷺ قال: «بشروا أمتي بالثناء والتمكين في الأرض. فمن عمل منهم عملاً للدنيا، لم يكن له في الآخرة نصيب.

وفي الكافي^(٦): علي بن إبراهيم، عن أبيه وعلي بن محمد القاساني جميعاً، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن سفيان بن عيينة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأل رجل أبي بعد منصرفه من الموقف.

فقال: أترى يخيب الله هذا الخلق كله؟

فقال أبي: ما وقف [بهذا الموقف]^(٧) أحد إلا غفر له؛ مؤمناً كان أو كافراً. إلا أنهم في مغفرتهم على ثلاث منازل: مؤمن غفر الله له.

إلى أن قال: وكافر وقف بهذا الموقف يريد^(٨) زينة الحياة الدنيا، غفر الله ما تقدم من ذنبه إن تاب من الشرك فيما بقي من عمره. وإن لم يتب، وفاه أجره ولم يحرمه أجر هذا الموقف. وذلك قول رسول الله ﷺ: «من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون».

«أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَتِيَةٍ مِنْ رَبِّهِ»: برهان من الله يدلّه على الحق والثواب فيما يأتيه ويذره.

-
١. أنوار التنزيل ٤٦٤/١.
 ٢. أي قرئ: «بطل».
 ٣. تفسير القمي ٣٢٤/١.
 ٤. ب: قال الجعفي.
 ٥. المجمع ١٤٨/٣.
 ٦. كذا في المصدر وفي النسخ: بشر.
 ٧. الكافي ٥٢١/٤ - ٥٢٢، ح ١٠.
 ٨. من المصدر.
 ٩. ليس في المصدر.

و«الهمزة» لإنكار أن يعقب ما هذا شأنه هؤلاء المقصّرين همهم وأفكارهم على الدنيا، وأن يقارب بينهم في المنزلة. وهو الذي أغنى عن ذكر الخبر، وتقديره: أضمن كان على بيّنة، كمن كان يريد الدنيا.

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ﴾: من الله يشهد له.

﴿مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى﴾: يعني التوراة.

و«من قبله كتاب موسى» جملة مبتدأة.

وقرئ: «كتاب» بالنصب، عطفاً على الضمير في «يتلوه» أي يتلو القرآن شاهد من كان على بيّنة دالة على أنه حق، كقوله تعالى: «وشهد شاهد من بني إسرائيل».

ويقراً: «من قبل القرآن التوراة».

﴿إِمَاماً﴾: كتاباً مؤتمّاً به في الدين.

﴿وَرَحْمَةً﴾: على المنزل عليهم؛ لأنه الوصلة إلى الفوز بخير الدارين.

وفي أصول الكافي^(١): الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الحسن بن عليّ، عن أحمد بن عمر الحلال قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله ﷻ: «أفمن كان على بيّنة من ربه ويتلوه شاهد منه».

فقال: أمير المؤمنين عليه السلام الشاهد على رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ على بيّنة من ربه.

وفي مجمع البيان^(٢): عن الباقر والرضا عليه السلام: أن الشاهد منه عليّ بن أبي طالب، يشهد للنبيّ وهو منه.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٣): عن [الصادق عليه السلام]: «إنما نزل «أفمن كان على بيّنة من ربه ويتلوه شاهد منه إماماً ورحمةً ومن قبله كتاب موسى».

٢. المجمع ١٥٠/٣ ببعض التصرف.

١. الكافي ١٩٠/١، ح ٣.

٣. لم نعر عليه في تفسير القميّ ولم ينقل عنه في تفسير البرهان، ولكن نقل عنه في تفسير الصافي ونور الثقلين.

حَدَّثَنِي [١] أَبِي^(٢)، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي عِمْرَانَ^(٣)، عَنْ يُونُسَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ وَالْفَضِيلِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّمَا أُنْزِلَتْ «أَفْمن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ» يَعْنِي: رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. «وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ إِمَاماً وَرَحْمَةً وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابُ مُوسَى أُولَئِكَ يَؤْمِنُونَ بِهِ». فَقَدَّمُوا وَأَخَّرُوا فِي التَّأْلِيفِ.

وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ^(٤): عَنْ بَرِيدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ الْعَجَلِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: الَّذِي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ رَسُولُ اللَّهِ. وَالَّذِي تَلَاهُ مِنْ بَعْدِهِ الشَّاهِدُ مِنْهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ أَوْصِيَائِهِ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى^(٥) قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيّاً عليه السلام وَهُوَ يَقُولُ: مَا مِنْ رَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ إِلَّا وَقَدْ نَزَلَ^(٦) فِيهِ آيَةٌ أَوْ آيَتَانِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: فَمَا نَزَلَ فِيكَ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟

فَقَالَ: أَمَا تَقْرَأُ الْآيَةَ الَّتِي فِي هُودٍ «أَفْمن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ»؟ مُحَمَّدٌ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ، وَأَنَا الشَّاهِدُ.

وَفِي بَصَائِرِ الدَّرَجَاتِ^(٧): مُحَمَّدٌ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمَّادٍ، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: وَاللَّهِ، مَا نَزَلَتْ آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهَا فِيمَنْ أُنْزِلَتْ، وَلَا مَمَّنَ عَلَى رَأْسِهِ الْمَوَاسِي [مَنْ قَرِيشَ] ^(٨) إِلَّا وَقَدْ أُنْزِلَتْ فِيهِ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، تَسُوقُهُ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا الْآيَةُ الَّتِي نَزَلَتْ فِيكَ؟

قَالَ لَهُ: أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: «أَفْمن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ إِلَى قَوْلِهِ شَاهِدٌ مِنْهُ»؟

١. ما بين المعقوفتين ليس في أ، ب، ر. ٢. تفسير القمي ٣٢٤/١.

٣. كذا في المصدر وجامع الرواة ٣٢٤/٢. وفي النسخ: يحيى بن عمران.

٤. تفسير العيَّاشي ١٤٢/٢، ح ١٢. ٥. نفس المصدر والموضع، ح ١٣.

٦. المصدر: أنزلت. ٧. بصائر الدرجات ١٥٢-١٥٣، ح ٢ بإسقاط صدره.

٨. من المصدر.

فرسول الله ﷺ على بيّنة من ربه، وأنا شاهد له فيه، وأتلوه منه^(١).

وعلى هذه الرواية يكون المراد بالبيّنة: القرآن. ويكون «يتلوه» من التلاوة.

وفي كتاب الاحتجاج^(٢): قال سليم بن قيس: سألت رجل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال، وأنا أسمع: أخبرني بأفضل منقبة لك.

قال: ما أنزل الله في كتابه.

قال^(٣): وما أنزل الله فيك؟

قال: «أفمن كان على بيّنة من ربه ويتلوه شاهد منه»^(٤). أنا الشاهد من رسول

الله ﷺ.

وفيه^(٥): في حديث قال له بعض الزنادقة: وأجد الله يخبر أنّه يتلو نبيّه شاهد منه،

وكان الذي تلاه عبد الأصنام برهة من دهره!

فقال عليه السلام: وأما قوله: «ويتلوه شاهد منه» فذلك حجة الله أقامها الله على خلقه،

وعرفهم أنّه لا يستحقّ مجلس النبي ﷺ إلّا من يقوم مقامه، ولا يتلوه إلّا من يكون في

الطهارة مثله بمنزله^(٦)، لئلا يتسع لمن ماسه حسّ^(٧) الكفر في وقت من الأوقات

انتحال الاستحقاق بمقام الرسول، وليضيق العذر على من يعينه على إثمه وظلمه. إذ

كان الله قد حظر على من ماسه^(٨) الكفر تقلّد ما فوّضه إلى أنبيائه وأوليائه بقوله^(٩)

لإبراهيم: «لا ينال عهدي الظالمين»^(١٠) أي المشركين؛ لأنّه سمى الشرك ظلماً بقوله:

«إنّ الشرك لظلم عظيم»^(١١). فلمّا علم إبراهيم أنّ عهد الله [بالإمامة]^(١٢) لا ينال عبدة

١. المصدر: معه.

٢. الاحتجاج ٢٣١/١ - ٢٣٢.

٣. كذا في المصدر وفي النسخ: «أو قال» بدل «قال و».

٤. كذا في المصدر وفي النسخ: «أنّه سئل عن أفضل منقبة له فتلا هذه الآية وقال» بدل «قال: أفمن كان - إلى -

٥. الاحتجاج ٣٦٥/١ - ٣٧٤.

شاهد منه».

٦. كذا في المصدر وفي النسخ: رجس.

٧. ليس في المصدر.

٨. كذا في المصدر وفي النسخ: مته.

٩. كذا في المصدر وفي النسخ: يقول تعالى.

١٠. البقرة ١٢٤.

١١. لقمان ١٣.

١٢. من المصدر.

الأصنام قال: «واجتنبني وبنِّي أن نعبد الأصنام»^(١). واعلم أن من أثر المنافقين على الصادقين والكفار على الأبرار، فقد افترى على الله إثماً عظيماً. إذ كان قد بين في كتابه الفرق بين المحق والمبطل والطاهر والنجس والمؤمن والكافر، وأنه لا يتلو النبي عند فقدِه إلا من حلَّ محلّه صدقاً وعدلاً وطهارة وفضلاً.

وفي أمالي شيخ الطائفة رحمته الله^(٢)، بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يوم الجمعة يخطب على المنبر، فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما من رجل من قريش جرت عليه المواسي^(٣) إلا وقد نزلت فيه آية من كتاب الله تعالى. أعرفها كما أعرفه.

فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أتتك التي أنزلت فيك؟ فقال: إذا سألت فافهم، ولا عليك أن لا تسأل عنها غيري. أقرأت سورة هود؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين.

قال: أفسمعت الله يقول: «أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه؟» قال: نعم [٤].

قال: الذي على بينة من ربه محمد صلى الله عليه وسلم. و [الذي] ^(٥) يتلوه شاهد منه، [وهو الشاهد وهو منه، وأنا علي بن أبي طالب وأنا منه] أنا الشاهد وأنا منه.

وفي مجمع البيان^(٦): عن الحسين بن علي عليه السلام: شاهد من الله، محمد صلى الله عليه وسلم. وعلى هذا «من كان على بينة» يعم كل مؤمن مخلص ذو بصيرة في دينه، وهذا لا ينافي في نزوله في النبي والوصي. وإلى التعميم نظر من فسّر الشاهد بالقرآن، أي شاهد من الله يشهد بصحته.

﴿أُولَئِكَ﴾: إشارة إلى «من كان على بينة».

٢. أمالي الطوسي ٣٨١/١ - ٣٨٢.

١. إبراهيم/٣٥.

٤. ما بين المعقوفتين ليس في ب.

٣. كذا في المصدر وفي النسخ: الموائيق.

٦. من المصدر.

٥. من المصدر.

٧. مجمع البيان ١٥٠/٣.

﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: بالقرآن، أو بالرسول.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾: من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله ﷺ.

﴿فَالنَّارَ مَوْعِدُهُ﴾: يردّها لا محالة.

وفي مجمع البيان^(١): عن النبي ﷺ: لا يسمع بي أحد من الأمة، لا يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي، إلا كان من أهل النار.

وفي روضة الكافي^(٢)، خطبة لأmir المؤمنين عليه السلام وهي خطبة الوسيلة، يقول عليه السلام فيها بعد أن ذكر النبي ﷺ: وفي التولي والإعراض عنه محادة الله وغضبه وسخطه، والبعد منه و^(٣)مسكن النار. وذلك قوله: «ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده» يعني: الجحود به والعصيان له.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾: من الموعود، أو القرآن.

وقرئ^(٤): «مرية» بالضم. وهما: الشك.

وفي تفسير العياشي^(٥): عن الصادق عليه السلام: في ولاية علي.

﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٦): لقلة نظرهم واختلال فكرهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: كأن أسند إليه ما لم ينزله. أو نفى عنه ما أنزله.

﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾: في الموقف، بأن يُحْبَسُوا وتعرض أعمالهم.

﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾: من الملائكة والنبين. أو من جوارحهم.

وفي كتاب المناقب^(٧) لابن شهر آشوب: عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «ويقول

الأشهاد».

قال: نحن الأشهاد.

٢. الكافي ٢٦٨، ح ٤.

٤. أنوار التنزيل ٤٦٤/١.

٦. المناقب ١٧٩/٤.

١. المجمع ١٥٠/٣.

٣. ليس في المصدر.

٥. تفسير العياشي ١٤٢/٢، ضمن ح ١١.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): قوله: «ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ» يعني بالأشهاد الأئمة عليهم السلام. «ألا لعنة الله على الظالمين» لآل محمد حقهم. وهو جمع شاهد، أصحاب. أو شهيد، كأشراف، جمع شريف.

﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٢): تهويل عظيم مما يحق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله. ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: عن دينه.

﴿وَيَتَّبِعُونَهَا عُوجاً﴾: ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب. أو يبنون أهلها أن يعوجوا بالردة.

﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾^(٣): والحال أنهم كافرون بالآخرة.

وتكرير كلمة «هم» لتأكيد كفرهم واختصاصهم به.

وفي تفسير العياشي^(٤): علي بن إبراهيم^(٥)، عن أبي عبيدة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: «ومن أظلم إلى قوله يبنونها عوجاً».

قال: هم أربعة ملوك من قريش، يتبع بعضهم بعضاً. والملوك الأربعة: الثلاثة، ومعاوية.

وفيه^(٦): «يصدون عن سبيل الله» [يعني:]^(٥) يصدون عن طريق الله، وهي الإمامة. «يبنونها عوجاً» صرفوها إلى غيره^(٦).

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: أي ما كانوا معجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم.

١. تفسير القمي ٣٢٤/١ - ٣٢٥.

٢. تفسير العياشي ١٤٣/٢، ح ١٤.

٣. ليس في المصدر: علي بن إبراهيم.

٤. أي في تفسير القمي ٣٢٥/١ ولعل عبارة «علي بن إبراهيم» الواردة في صدر حديث العياشي تقدمت سهواً.

٥. من المصدر.

٦. المصدر: «يعني حرفوها إلى غيرها» بدل «صرفوها إلى غيره».

﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾: يمنعونهم من العقاب، ولكنه آخر عقابهم إلى هذا اليوم ليكون أشد وأدوم.

﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾: استئناف.

وقرأ^(١) ابن كثير وابن عامر ويعقوب: «يُضَعَفُ» بالتشديد.

﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾: لتصامهم عن الحق وبغضهم له.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): قال: ما قدرُوا أن يسمعوا بذكر أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿وَمَا كَانُوا يَنْصُرُونَ﴾^(٣): لتعاميهم عن آيات الله. وكأنه العلة لمضاعفة العذاب.

وقيل^(٤): هو بيان لما نفاه من ولاية الآلهة^(٥) بقوله: «وما كان لهم من دون الله أولياء».

فإن ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية. وقوله: «يضاعف لهم العذاب» اعتراض.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(٦): من الآلهة وشفاعتها. أو خسروا بما بدلوا وضاع

عنهم ما حصلوا، فلم يبق لهم سوى الحسرة والندامة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٧): بطل الذين دعوا غير أمير المؤمنين.

﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسَرُونَ﴾^(٨): لأحد أبيين وأكثر خسراناً منهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَاخْتَبَأُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾: اطمأنوا إليه وخشعوا له. من

الخبث: وهي الأرض المطمثنة.

وفي أصول الكافي^(٩): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن

سعيد، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن زيد الشحام، عن أبي

عبدالله عليه السلام قال: قلت له: إن عندنا رجلاً يقال له: كليب، فلا يجيء عنكم شيء إلا قال:

أنا أسلم. فسمّيناه: كليب تسليم.

١. أنوار التنزيل ٤٦٥/١.

٢. تفسير القمي ٣٢٥/١.

٣. أنوار التنزيل ٤٦٥/١.

٤. كذا في المصدر وفي النسخ: الآله.

٥. تفسير القمي ٣٢٥/١.

٦. الكافي ٣٩٠/١-٣٩١، ح ٣.

قال: فترحم عليه. ثم قال: أتدرون ما التسليم؟ فسكتنا.
فقال: هو والله الإخبات. قال الله ﷻ: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ».

﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣٧): دائمون.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾: الكافر والمؤمن.

﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾: يجوز أن يراد به: تشبيه الكافر بالأعمى، لتعاميه عن آيات الله. وبالأصم، لتصامه عن استماع كلام الله وتأنيبه عن تدبر معانيه. وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير؛ لأن أمره بالصدق. فيكون كل واحد منهما مشبهاً باثنين باعتبار وصفين. أو تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم، والمؤمن بالجامع بين ضديهما. والعاطف لعطف الصفة على الصفة، كقوله:

* الصابح فالغانم فالأيب *

وهذا من باب اللف والطباق.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾: هل يستوي الفريقان.

﴿مَثَلًا﴾: تمثيلاً، أو صفة، أو حالاً.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٣٨): بضرب الأمثال والتأمل فيها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ﴾: بأنني لكم.

وقرأ^(١) عاصم وابن عامر وحمزة بالكسر، على إرادة القول.

﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾^(٣٩): أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص.

وفي روضة الكافي^(٢): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى عهد إلى آدم، وذكر حديثاً طويلاً يذكر فيه وصية آدم إلى هبة الله وأشياء كثيرة. وفيه: وبشر آدم

نوح عليه السلام . فقال : إن الله تبارك وتعالى باعث نبياً ، اسمه نوح . وإنه يدعوا إلى الله ﷻ ويكذبه قومه ، فيهلكهم الله بالطوفان . وكان بين آدم وبين نوح عليه السلام عشرة آباء ، أنبياء وأوصياء كلهم . وأوصى آدم إلى هبة الله أن من أدركه منكم فليؤمن به وليتبعه وليصدق به ، فإنه ينجو من الغرق .

إلى أن قال : فلبث هبة الله والعقب منه مستخفين^(١) بما عندهم من العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث النبوة وآثار علم النبوة ، حتى بعث الله نوحاً عليه السلام . وظهرت وصية هبة الله حين نظروا في وصية آدم ، فوجدوا نوحاً نبياً قد بشر به آدم عليه السلام . فآمنوا به واتبعوه وصدقوه . وقد كان آدم عليه السلام وصى هبة الله أن يتعاهد هذه الوصية عند رأس كل سنة ، فيكون يوم عيدهم ، ويتعاهدون نوحاً وزمانه الذي يخرج فيه . وكذلك جاء في وصية كل نبي حتى بعث الله محمداً ﷺ . وإنما عرفوا نوحاً بالعلم الذي عندهم ، وهو قول الله ﷻ : «ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه» إلى آخر الآية .

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢) : وروي في الخبر أن اسم نوح عليه السلام عبدالغفار . وإنما سمي نوحاً لأنه كان ينوح على نفسه .

﴿الَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ : بدل من «أني لكم» أو مفعول «مبين» .

ويجوز أن يكون «أن» مفسرة متعلقة «بأرسلنا» أو «بنذير» .

وفي تفسير العياشي^(٣) : عن إسماعيل الجعفي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : كانت شريعة نوح عليه السلام أن يعبد الله بالتوحيد والإخلاص وخلع الأنداد ، وهي الفطرة التي فطر الناس عليها . وأخذ ميثاقه على نوح والنبئين أن يعبدوا^(٤) الله ، ولا يشركوا^(٥) به شيئاً . وأمره بالصلاة والأمر والنهي والحرام والحلال ، ولم يفرض عليه أحكام حدود ولا فرض مواريث . فهذه شريعته .

١. أ، ب : مستخفين . ٢. تفسير القمي ١/ ٣٢٨ .

٣. تفسير العياشي ١٤٤/ ٢ ، صدرح ١٨ . ٤. المصدر : أن يعبدون .

٥. المصدر : لا يشركون .

وفي روضة الكافي^(١): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن إسماعيل الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام نحوه، إلا أن فيها: «والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» صريحاً.

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ آيَمٍ﴾^(٢): مؤلم. وهو في الحقيقة صفة المُعَذَّب، لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة: جدّ جدّه، ونهاره صائم للمبالغة.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾: لا مزية لك علينا تخصّك بالنبوة ووجوب الطاعة.

﴿وَمَا تَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَن يُكْفَرُوا﴾: أخسأؤنا.

جمع أرذل، كأنه بالغلبة صار مثل الاسم كالكبير. أو أرذل، جمع رذل.

﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾: ظاهر الرأي من غير تعمّق، من البدو. أو أول الرأي، من البدء.

والياء مبذلة من الهمزة، لانكسار ما قبلها.

وقرأ^(٣) أبو عمرو بالهمزة. وانتصابه بالظرف على حذف المضاف، أي وقت حدوث بادئ الرأي. والعامل فيه «اتّبعك». وإنما استرذلوهم لذلك، أو لفقرهم. فإنهم لمّا لم يعلموا إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، كان الأخطأ بها أشرف عندهم، والمحروم منها أرذل.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣) يعني: الفقراء والمساكين.

﴿وَمَا تَرَىٰ لَكُمْ﴾: لك ولمتّبعيك.

﴿عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾: يؤهّلكم للنبوة، واستحقاق المتابعة.

﴿بَلْ تَنْظُرُونَ كَافِرِينَ﴾^(٤): إيتاك في دعوى النبوة، وإيتاهم في دعوى العلم بصدقك.

فغلب المخاطب على الغائبين.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني.

﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾: حجة شاهدة بصحة دعواي.

﴿وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾: بإيتاء البينة، أو النبوة.

﴿فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ﴾: فخفيت عليكم، فلم تهلكم.

وتوحيد الضمير، لأن البينة في نفسها هي الرحمة. أو لأن خفاءها يوجب خفاء النبوة. أو على تقدير: فعميت بعد البينة، وحذفها للاختصار. أو لأنه لكل واحدة منهما.

وقرأ^(١) حمزة والكسائي وحفص: «فعميت» أي أخفيت.

وقرئ^(٢): «فعماها». على أن الفعل لله.

﴿أَنْزَلْنَاهُمْ مَكُومًا﴾: أنكرهم على الاهتداء بها.

﴿وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾^(٣): لا تختارونها ولا تتأملون فيها. وحيث اجتمع ضميران،

وليس أحدهما مرفوعاً وقدم الأعراف منهما، جاز في الثاني الفصل والوصل.

﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ. وهو وإن لم يذكر، فمعلوم مما ذكر.

﴿مَالًا﴾: جعلاً.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾: فإنه المأمول منه.

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: جواب لهم حين سألوا طردهم.

﴿إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾: فيخاصمون طاردهم عنده. أو إنهم يلاقونه ويفوزون بقربه،

فكيف أطردهم.

﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾^(٤): بلقاء ربكم. أو بأقذاركم. أو في التماس طردهم.

أو تسفهون عليهم، بأن تدعوهم أراذل.

﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾: بدفع انتقامه.

﴿إِنْ طَرَدْتُّهُمْ﴾: وهم بتلك الصفة والمثابة.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: لتعرفوا أن التماس طردهم وتوقيف الإيمان عليه ليس

بصواب.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾: خزائن رزقه وأمواله حتى جحدتم فضلي.

﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ﴾: عطف على «عندي خزائن الله» أي ولا أقول أنا أعلم الغيب حتى

تكذبوني، استبعاداً. أو حتى أعلم أن هؤلاء أتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة وعقد

قلب.

وعلى الثاني يجوز عطفه على «أقول».

﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾: حتى تقولوا: ما أنت إلا بشر مثلنا.

﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾: ولا أقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم.

﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾: فإن ما أعدّه الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا.

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾: إن قلت شيئاً من ذلك.

و«الازدراء» افتعال. من زري عليه: إذا عابه. قلبت تاؤه دالاً لتجانس الراء في الجهر.

واسناده إلى الأعين للمبالغة، والتنبيه على أنهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير

رؤية، وبما عاينوه من رثائه حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم.

﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا﴾: خاصمتنا.

﴿فَاكْتَرَتْ جِدَالَنَا﴾: فأطلته، أو أتيت بأنواعه.

﴿فَأَتَيْنَا بِمَا بَعَدْنَا﴾: من العذاب.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: في الدعوى والوعيد. فإن مناظرتك لا تؤثر فينا.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾: عاجلاً أو آجلاً.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: بدفع العذاب، أو الهرب منه.

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾: شرط ودليل جواب قوله:

﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾: وتقدير الكلام: إن كان الله يريد أن يغويكم، فإن

أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي.

وقيل ^(١): «أن يغويكم» أن يهلككم. من غوي الفصيل: إذا [بشم ^(٢)] فهلك.
وفي قرب الإسناد ^(٣) للحميري: أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن
الرضا عليه السلام قال: وقال نوح: «ولا ينفعكم نصحي إلى قوله يريد أن يغويكم».
قال: الأمر إلى الله، يهدي ويضل ^(٤).

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٥): حدثني أبي، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن
عمر اليماني، عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر، عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام أنه قال،
وقد ذكر عبدالله بن عباس: وأما قوله: «ولا ينفعكم نصحي» الآية، نزلت في أبيه.
وفي تفسير العياشي ^(٦) نحوه. إلا أن فيه بدل «أبيه»: «العباس» صريحاً.

﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾: خالقكم، والمتصرف فيكم وفق إرادته.

﴿وَاللَّهِ تَرْجَعُونَ﴾ ^(٧): فيجازيكم على أعمالكم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَائِي﴾: وباله.

وقرئ ^(٨): «أجرامي» على الجمع.

﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرَمُونَ﴾ ^(٩): من إجرامكم في إسناد الافتراء إليّ.

﴿وَأَوْحِي إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: فلا تحزن حزن

بأنس مستكين.

﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ^(١٠): أقنطه الله من إيمانهم، ونهاه أن يغمّ بما فعلوه من التكذيب

والإيذاء.

وفي روضة الكافي ^(١١): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر،

١. أنوار التنزيل ٤٦٧/١.

٢. بشم من الطعام: أكثر منه حتى اتخم وشمه.

٣. من المصدر.

٤. قرب الإسناد ١٥٨/.

٥. المصدر: «من يشاء» بدل «ويضل».

٦. تفسير القمي ٢٣/٢.

٧. تفسير العياشي ١٤٤/٢، ح ١٧.

٨. أنوار التنزيل ٤٦٧/١.

٩. الكافي ٢٨٣/٨، ذيل ح ٤٢٤. ببعض التصرف في صدر المقول هنا.

عن أبان بن عثمان، عن إسماعيل الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام: «إِنْ نُوحًا لَبِثَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا يَدْعُوهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً. فَلَمَّا أَبَوْا وَعَتَوْا، قَالَ: يَا رَبِّ «إِنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ»^(١) فَأَوْحَى اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِ: «أَنْتَ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَى قَوْلِهِ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ». فَلِذَلِكَ قَالَ نُوحٌ عَلَى نَبِيَّتَا وَآلِهِ وَعليه السلام: «وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاغِرًا كَفَّارًا»^(٢). فَأَوْحَى اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِ: «أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ»^(٣) وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ أَخَذْتُ مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمَّادٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ التِّيمِيِّ، عَنْ فَضْلِ الرِّسَانِ^(٥)، عَنْ صَالِحِ بْنِ مِثْمٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: مَا كَانَ عِلْمُ نُوحٍ حِينَ دَعَا عَلَى قَوْمِهِ أَتَهُمْ «لَا يَلِدُوا»^(٦) إِلَّا فَاغِرًا كَفَّارًا.

فقال: أما سمعت قول الله لنوح: «أَنْتَ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ». وفي كتاب علل الشرائع^(٨)، بإسناده إلى حنان بن سدير، عن أبيه قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أَرَأَيْتَ نُوحًا حِينَ دَعَا عَلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: «رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا، إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاغِرًا كَفَّارًا». قال عليه السلام: عِلْمُ أَنْتَ لَا يَنْجُبُ مِنْ بَيْنِهِمْ أَحَدًا.

قال: قلت: وكيف علم ذلك؟

قال: أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: «أَنْتَ لَنْ يُؤْمِنَ»^(٩) مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ. فعند ذلك دعا عليهم بهذا الدعاء.

﴿وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: ملتبساً بأعيننا. عبّر بكثرة العين الذي يحفظ به الشيء

٢. نوح/٢٧.

١. القمر/١٠.

٤. تفسير القمي ٣٨٨/٢.

٣. المؤمنون/٢٦.

٥. كما في جامع الرواة ٥/٢ وفي ب: فضل بن ريسان، وفي المصدر: فضيل الرسام.

٧. المصدر: لا يلدون.

٦. ليس في المصدر.

٩. المصدر: لا يؤمن.

٨. العلل/٣١، ح ١.

ويراعى عن الاختلال والزيغ، عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل.
﴿وَوَحِّينَا﴾: إليك كيف تصنعها.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ ابْنِ أَبِي عمير، عَنْ ابْنِ سنان، عَنْ أَبِي عبد الله عليه السلام قال: بقي نوح في قومه ثلاثمائة سنة يدعوهم إلى الله ﷻ فلم يجيبوه. فهم أن يدعو عليهم، فوافاه عند طلوع الشمس اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الدنيا، وهم العظماء من الملائكة.
فقال لهم نوح: ما أنتم؟

فقالوا: نحن اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الدنيا. وأن غلظ مسيرة سماء الدنيا خمسمائة عام، ومن سماء الدنيا إلى الدنيا مسيرة خمسمائة عام. وخرجنا عند طلوع الشمس، ووافيناك في هذا الوقت، فنسألك أن لا تدعو على قومك.
فقال نوح عليه السلام: قد أجلتهم ثلاثمائة سنة.

فلما أتى عليهم ستمائة سنة ولم يؤمنوا، هم أن يدعو عليهم. فوافاه اثنا عشر ألف قبيلة من قبائل ملائكة السماء الثانية.
[فقال نوح: من أنتم؟]

قالوا: نحن اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الثانية^(٢) وأن غلظ السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام، ومن السماء الثانية إلى السماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وغلظ السماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، ومن السماء الدنيا إلى الدنيا مسيرة خمسمائة عام. خرجنا عند طلوع الشمس، ووافيناك ضحوة نسألك أن لا تدعو على قومك.

فقال نوح عليه السلام: قد أجلتهم ثلاثمائة سنة.
فلما أتى عليهم تسعمائة سنة ولم يؤمنوا^(٣)، هم أن يدعو عليهم. فأنزل الله ﷻ: «أَنَّهُ

٢. من المصدر.

١. تفسير القمي ١/٣٢٥-٣٢٦.

٣. ليس في المصدر: ولم يؤمنوا.

لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون».

فقال نوح: «رَبِّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً، إِنَّكَ إِنْ تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفّاراً».

فأمره الله تعالى أن يغرس النخل، [فأقبل يغرس النخل] ^(١). فكان قومه يمرّون به ويسخرون منه ويستهزئون به، ويقولون: شيخ قد أتى له تسعمائة سنة يغرس النخل. وكانوا يرمونه بالحجارة. فلما أتى لذلك خمسون سنة وبلغ النخل واستحكم، أمر بقطعه. فسخروا منه، وقالوا: بلغ النخل مبلغه. وهو قول ﷺ: «كلّما مرّ عليه ملا من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون، فسوف تعلمون». فأمره الله أن يتخذ ^(٢) السفينة، وأمر جبرئيل عليه السلام أن ينزل عليه ويعلمه كيف يتخذها. فقدر طولها في الأرض ألفاً ومائتي ذراع، وعرضها ثمانمائة ذراع، وطولها في السماء ثمانون ذراعاً.

فقال: يارب، من يعينني على اتخاذها؟

فأوحى الله ﷻ إليه: ناد في قومك: من أعاني عليها وينجر منها شيئاً، فصار ما ينجره ذهباً وفضّة.

فنادى نوح عليه السلام فيهم بذلك، فأعانوه عليها. وكانوا يسخرون منه، ويقولون: يتخذ ^(٣) سفينة في البر!

وفي روضة الكافي ^(٤): عن أبي عبد الله عليه السلام في تقدير السفينة، مثله.

وأما ما روي في عيون الأخبار ^(٥)، في باب ما جاء من خبر الشامي: عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل. وفيه: سأله عن سفينة نوح ما كان عرضها وطولها؟ فقال: «كان طولها ثمانمائة ذراع، وعرضها خمسمائة ذراع، وارتفاعها في السماء

٢. المصدر: ينحت.

٤. الكافي ٢٨٣/٨، صدر ح ٤٢٦.

١. ليس في المصدر.

٣. المصدر: ينحت.

٥. العيون ٢٤٤/١.

ثمانين ذراعاً». فمخالف لما مضى من وجهين: أحدهما أنَّ فيما سبق أنَّ عرضها كان ثمانمائة، وفي هذا الخبر طولها. والثاني أنَّ فيما مضى أنَّ طولها ألف ومائتي ذراع، وفي هذا الخبر ثمانمائة. فلعلَّه وهم الراوي وأبدل العرض بالطول، وألفاً ومائتي ذراع بخمسمائة ذراع.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(١)، بإسناده إلى أيوب بن راشد، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان أعمار قوم نوح عليه السلام ثلاثمائة سنة.

وبإسناده إلى سدير الصيرفي^(٢) عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل. وفيه يقول عليه السلام: وأما إبطاء نوح عليه السلام فإنه لما استنزل العقوبة على قومه من السماء، بعث الله تبارك وتعالى جبرئيل الروح الأمين معه سبع^(٣) نوايات.

فقال: يا نبي الله، إنَّ الله تبارك وتعالى يقول لك: إنَّ هؤلاء خلائقي وعبادي، لست أبيدهم بصاعقة من صواعقي إلَّا بعد تأكيد الدعوة والزام الحجة. فعاود اجتهدك في الدعوة لقومك، فإني مثيبك عليه. واغرس هذه النوى، فإنَّ لك في نباتها وبلوغها وإدراكها إذا أثمرت الفرج والخلاص. فبشَّر بذلك من أتبعك من المؤمنين.

فلما نبتت الأشجار وتأزَّرت^(٤) وتسوّقت وأغصنت^(٥) وأثمرت وزها التمر عليها^(٦) بعد زمان طويل، استنجز من الله العدة. فأمره الله تبارك وتعالى أن يغرس من نوى تلك الأشجار، ويعاود الصبر والاجتهاد ويؤكد الحجة على قومه. فأخبر بذلك الطوائف التي آمنت به، فارتدَّ منهم ثلاثمائة رجل وقالوا: لو كان ما يدعيه نوح حقاً لما وقع في وعد ربّه خلف.

ثمَّ أنَّ الله تبارك وتعالى لم يزل يأمره عند كلِّ مرّة بأن يغرسها مرّة بعد أخرى، إلى أن

١. كمال الدين/ ٥٢٣، ح ٢.

٢. كمال الدين/ ٣٥٥-٣٥٦، ح ٥٠.

٣. المصدر: «سبع» بدل «معه سبع».

٤. كذا في المصدر وفي النسخ: بارزت.

٥. المصدر: تغصنت.

٦. كذا في المصدر وفي النسخ: «زهر التمر على ما كان» بدل «زها التمر عليها».

غرسها سبع مرّات، فما زالت تلك الطوائف من المؤمنين ترتدّ منهم طائفة بعد طائفة، إلى أن عاد إلى نَيْف وسبعين رجلاً.

فأوحى الله تبارك وتعالى إليه عند ذلك، وقال: يا نوح، الآن أسفر الصبح عن الليل لعينك، حين صرح الحقّ عن محضه وصفا [الأمر والإيمان] ^(١) من الكدر بارتداد كلّ من كانت طينته خبيثة. فلو أنّي أهلك الكفار وأبقيت من قد ارتدّ من الطوائف الّتي كانت آمنت بك، لما كنت صدّقت وعدي السابق للمؤمنين الّذين أخلصوا التوحيد من قومك واعتصموا بحبل نبوّتك، بأن أستخلفهم في الأرض وأمكّن لهم دينهم وأبدّل ^(٢) خوفهم بالأمن، لكي تخلص العبادة لي بذهاب الشرك ^(٣) من قلوبهم. وكيف يكون الاستخلاف والتمكين وبدل [الخوف] ^(٤) بالأمن منّي لهم، مع ما كنت أعلم من ضعف يقين الّذين ارتدّوا وخبت طينتهم وسوء سرائرهم الّتي كانت نتائج النفاق وسنوخ ^(٥) الضلالة. فلو أنّهم تنسّموا من الملك الّذي أوتي المؤمنين وقت الاستخلاف إذا أهلك أعداءهم، لنشقوا ^(٦) روائح صفاته ولا استحكمت ^(٧) سرائر نفاقهم وثار خيال ^(٨) ضلالة قلوبهم ولكاشفوا إخوانهم بالعداوة وحاربهم على طلب الرئاسة والتفرد بالأمر والنهي. وكيف يكون التمكين في الدين وانتشار الأمر في المؤمنين مع إثارة الفتن وإيقاع الحروب، كلّاً فـ «اصنع الفلك بأعيننا ووحينا».

وفي مجمع البيان ^(٩): عن المفصل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل. يقول فيه عليه السلام: فإنّ نوحاً لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الهدى،

١. كذا في المصدر. ويوجد المعقوفتان فيه أيضاً.

٢. كذا في المصدر وفي النسخ: أبدلهم. ٣. كذا أيضاً في بعض نسخ المصدر. وفيه: الشكّ.

٤. من المصدر.

٥. المصدر، ب: سنوخ. وسنوخ - جمع سنخ -: الأصل.

٦. كذا في المصدر وفي النسخ: لنشقوا. ٧. كذا في المصدر وفي النسخ: وإلا استحكمت.

٨. المصدر: «تأبدت حبال» بدل «ثارت خيال».

٩. بل في تفسير العياشي ١٤٤/٢ - ١٤٥، ضمن ح ١٩، ونور الثقلين ٣٥٤/٢ ح ٧٤ عنه.

فيمرّون به ويسخرون منه. فلمّا رأى ذلك منهم، دعا عليهم. فقال: «ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إلى قوله إلا فاجراً كفّاراً».

قال: فأوحى الله إليه: يا نوح، أن «اصنع الفلك» وأوسعها وعجل عملها «بأعيننا ووحينا». فعمل نوح سفينته^(١) في مسجد الكوفة بيده، يأتي بالخشب من بُعد حتّى فرغ منها.

وفي روضة الكافي^(٢): عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن هشام الخراساني، عن المفصل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، في كم عمل نوح عليه السلام سفينته حتّى فرغ منها؟

قال: في دورين.

قلت: وكم الدور؟

قال: ثمانين سنة.

قلت: إنّ العامة يقولون: عملها في خمسمائة عام.

فقال: كلّاً، كيف كان^(٣) والله يقول: «ووحينا».

وفي الكافي^(٤) والعيّاشي^(٥): عن الصادق عليه السلام: وكان منزل^(٦) نوح وقومه في قرية على منزل من الفرات، ممّا يلي غربي الكوفة. وكان نوح رجلاً نجّاراً، فجعله الله نبياً وانتجبه. ونوح أوّل من عمل سفينة تجري على ظهر الماء.

قال: ولبت نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الهدى، فيمرّون^(٧) به ويسخرون منه. فلمّا رأى ذلك منهم، دعا عليهم. فقال: «ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً».

١. كذا في المصدر وفي النسخ: فعجل نوح سفينة.

٢. الكافي ٢٨٠/٨ - ٢٨١، ضمن ح ٤٢١. ٣. ليس في المصدر.

٤. الكافي ٢٨٠/٨ - ٢٨١، ضمن ح ٤٢١. ٥. تفسير العيّاشي ١٤٤/٢ - ١٤٥، ضمن ح ١٩.

٦. كذا في الكافي وفي النسخ والعيّاشي: نزل. ٧. الكافي: «الله فيهمزؤون» بدل «الهدى، فيمرّون».

فأوحى الله إليه: يانوح «اصنع الفلك»^(١) وأوسعها وعجل عملها «بأعيننا ووحينا»^(٢).
فعمل نوح سفينة في مسجد الكوفة بيده، فيأتي بالخشب من بُعد حتى فرغ منها.
سئل: في كم عمل نوح سفينته حتى فرغ منها؟

قال: في دورين.

قيل: وكم الدور؟

قال: ثمانون سنة.

قيل: فإن العامة يقولون: عملها في خمسمائة عام.

فقال: كلا، كيف والله يقول: «ووحينا».

قيل^(٣): آخر الحديث يحتمل معنيين: أحدهما، أن ما يكون بأمر الله وتعليمه كيف يطول زمانه إلى هذه المدة؟! والثاني، أن يكون عليه السلام قد فسر الوحي هنا بالسرعة والعجلة، فإنه جاء بهذا المعنى. يقال: الوحا الوحا، ممدوداً ومقصوراً. يعني: البدار البدار^(٤).

﴿وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: ولا تراجعني فيهم، ولا تدعني باستدفاع العذاب

عنهم.

﴿إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٥): محكوم عليه بالإغراق، فلا سبيل إلى كفه.

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾: حكاية حال ماضية.

﴿وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾: استهزؤوا به لعمله السفينة.

قيل^(٥): كان يعملها في برية بعيدة من الماء أو أن عزته، وكانوا يضحكون منه ويقولون له: صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً!

وفي روضة الكافي^(٦): علي بن إبراهيم، عن أبيه. ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن

٢. ليس في الكافي: «بأعيننا ووحينا».

٤. كذا في المصدر وفي النسخ: البدا البدا.

٦. الكافي ٢٨٣/٨، ح ٤٢٥.

١. الكافي: سفينة.

٣. تفسير الصافي ٤٤٦٢-٤٤٧.

٥. أنوار التنزيل ٤٦٨/١.

محمّد جميعاً، عن الحسن بن عليّ، عن عمر بن أبان، عن إسماعيل الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **إِنْ نوحاً عليه السلام لما غرس النوى، مرّ عليه قومه فجعلوا يضحكون ويسخرون ويقولون: قد قعد غراساً. حتّى إذا طال ^(١) النخل، وكان جبّاراً طوّالاً، قطعه ثمّ نحتّه، فقالوا قد قعد نجّاراً. ثمّ ألفه فجعله سفينة. فمرّوا عليه يضحكون ويسخرون ويقولون: قد قعد ملاحاً في فلاة من الأرض حتّى فرغ منها.**

﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ ^(٢): منّا.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: إذا أخذكم الغرق في الدنيا، والحرق في الآخرة.

وقيل ^(٣): المراد بالسخرية: الاستهجال ^(٤).

﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾: يعني به: إيتاهم. وبالعذاب: الغرق.

﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾: وينزل عليه. أو يحلّ حلول الدين لا انفكاك عنه.

﴿عَذَابٌ مُّؤَيَّمٌ﴾ ^(٥): دائم. وهو عذاب النار.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: هو غاية لقوله: «ويصنع الفلك»، وما بينهما حال من الضمير

فيه. أو «حتّى» هي التي يتبدأ بعدها الكلام.

﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾: نبع الماء منه وارتفع، كالقدر تفور.

و«التنور» تنور الخبز. ابتدأ منه النبوع على خرق العادة. وكان في الكوفة في موضع

مسجدها، أو في الهند، أو بعين وردة من أرض الجزيرة.

وقيل ^(٦): «التنور» وجه الأرض، أو أشرف موضع فيها.

وفي روضة الكافي ^(٧): عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن هشام

الخراسانيّ، عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، أخبرني

عن قول الله تعالى: «حتّى إذا جاء أمرنا وفار التنور». فأين كان موضعه، وكيف كان؟

١. أ، ب، ر: حال. ٢. أنوار التنزيل ٤٦٨/١.

٣. كذا في المصدر وفي النسخ: الاستعجال. ٤. أنوار التنزيل ٤٦٨/١.

٥. الكافي ٢٨١/٨، ضمن ح ٤٢١.

قال: كان التَّنُورُ في بيت عجوز مؤمنة، في دبر قبلة ميمنة المسجد. فقلت له: فإنَّ ذلك موضع زاوية باب الفيل اليوم.

ثمَّ قلت له: وكان بدو خروج الماء من ذلك التَّنُورُ؟

فقال: نعم. إِنَّ الله ﷻ أَحَبُّ أَنْ يري قوم نوح آية. ثمَّ أَنَّ الله تعالى أرسل عليهم^(١) المطر يفيض فيضاً، وفاض الفرات فيضاً، والعيون كلَّهنَّ فيضاً. فغرقهم الله، وأنجى نوحاً ومن معه في السفينة.

وفي الكافي^(٢): مُحَمَّد بن يحيى، عن بعض أصحابنا، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله ﷺ قال: سمعته يقول: نعم المسجد مسجد الكوفة، صَلَّى فيه ألف نبيٍّ وألف وصيٍّ. ومنه فار التَّنُورُ، وفيه نجرت السفينة. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي مجمع البيان^(٣): وروى أبو عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر ﷺ قال: مسجد كوفان روضة من رياض الجنَّة، الصلاة فيه بسبعين^(٤) صلاة، صَلَّى فيه ألف نبيٍّ وسبعون نبياً، وفيه فار التَّنُورُ ونجرت^(٥) السفينة. وهو سرَّة بابل^(٦)، ومجمع الأنبياء.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٧): عن الأعمش يرفعه إلى عليّ ﷺ في قوله: «حتَّى إذا جاء أمرنا وفار التَّنُورُ».

فقال: أما والله، ما هو تَّنُور الخبز - ثمَّ أوماً بيده إلى الشمس، فقال -: طلوعها.

عن الحسن بن علي^(٨)، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله ﷺ قال: جاءت امرأة

١. إ: إليهم.

٢. الكافي ٤٩٢/٣، صدر ح ٣.

٣. المجمع ١٦٣/٣.

٤. كذا في المصدر وفي النسخ: «تسعين» بدل «بسبعين».

٥. المصدر: جرت.

٦. سرَّة بابل، أي وسطه الحقيقي وبابل: اسم موضع بالعراق.

٧. بل في تفسير العياشي ١٤٧/٢، ح ٢٥، ونور الثقلين ٣٥٦/٢، ح ٨٢ عنه.

٨. تفسير العياشي ١٤٧/٢، ح ٢٢.

نوح إليه، وهو يعمل السفينة. فقالت له: إِنَّ التَّنُورَ قد خرج منه ماء. فقام إليه مسرعاً حتى جعل الطبق عليه، فختمه بخاتمه، فقام الماء. فلَمَّا فرغ نوح من السفينة، جاء إلى خاتمه ففَضَّه وكشف الطبق، فغار الماء.

وفي تفسير العياشي^(١) عنه عليه السلام: [جاءت امرأة نوح إليه، وهو يعمل السفينة. فقالت له: إِنَّ التَّنُورَ قد خرج منه ماء. فقام إليه مسرعاً حتى جعل الطبق عليه، فختمه بخاتمه، فقام الماء.]^(٢) فلَمَّا فرغ من السفينة، وكان ميعاده فيما بينه وبين ربِّه في إهلاك قومه أن يفر التَّنُور، فغار، فقالت امرأته: إِنَّ التَّنُورَ قد فار. فقام إليه فختمه، فقام الماء وأدخل من أراد أن يدخل وأخرج من أراد أن يخرج. ثم جاء إلى خاتمه فنزعه. يقول الله: «ففتحننا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر»^(٣).

قال: وكان نجرها في وسط مسجدكم [ولقد نقص عن ذرعه سبعمائة ذراع]^(٤).
﴿قُلْنَا اخْمِلْ فِيهَا﴾: في السفينة.

﴿مِنْ كُلِّ﴾: نوع من الحيوانات المنتفع بها.

وفي كتاب علل الشرائع^(٥)، بإسناده إلى أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه، عن جدِّه عليه السلام حديث طويل. يقول فيه عليه السلام: إِنَّ النَّبِيَّ لما حضرته الوفاة، دفع إلى علي عليه السلام ميراثه من الدواب وغيره.

وفي آخره قال أبو عبد الله عليه السلام: إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ [مات]^(٦) من الدوابِّ الحمار^(٧) اليعفور، توفي ساعة قبض رسول الله. قطع خطامه، ثم مرَّ يركض حتى أتى^(٨) بشر بني حطمة

١. بل في الكافي ٢٨١/٨ - ٢٨٢، ح ٤٢٢ عن أمير المؤمنين عليه السلام وتفسير الصافي ٤٤٣/٢ - ٤٤٤.

٢. المصدر: «إِنَّ نوحاً صَلَّى الله عليه بدل ما بين المعقوفتين والظاهر أنه تكرار لحديث العياشي السابق.

٣. القمر/ ١١ - ١٣.

٤. من المصدر.

٥. العلل/ ١٦٧، ذيل ح ١.

٦. من المصدر.

٧. المصدر: حمارة.

٨. المصدر: وافي.

بقبا^(١) فرمى بنفسه فيها، فكانت قبره.

ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: إِنْ يَغْفُورَ كُلَّمَا رَسُلَ اللَّهُ ﷺ [فقال: ^(٢)بأبي أنت وأمي، إِنْ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، أَنَّهُ كَانَ مَعَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ. فَنَظَرَ إِلَيْهِ يَوْمًا نُوحٌ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسَحَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا الْحِمَارِ حِمَارٌ يَرْكَبُهُ سَيِّدُ النَّبِيِّينَ وَخَاتَمُهُمْ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِي ذَلِكَ الْحِمَارَ.

وفي أصول الكافي^(٣): وَرَوَى أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنْ ذَلِكَ الْحِمَارُ كُلَّمَا رَسُلَ اللَّهُ ﷺ. وَذَكَرَ نَحْوَهُ.

﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: ذَكَرْنَا وَأَنْشَى. هَذَا عَلَى قِرَاءَةِ حَفْصٍ. وَالْبَاقُونَ أَضَافُوا عَلَى مَعْنَى: أَحْمَلُ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ، أَيْ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ ذَكَرَ، وَكُلِّ صِنْفٍ أَنْشَى.

وفي روضة الكافي^(٤): مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَنَانَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ الْجَعْفِيِّ وَعَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَمْرٍو وَعَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ أَبِي الدِّيلَمِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: لَمَّا حَمَلَ نُوحٌ فِي السَّفِينَةِ الْأَزْوَاجَ الثَّمَانِيَةَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ ﷻ: «ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ [مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ]»^(٥) [فَكَانَ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ، زَوْجٌ دَاجِنَةٌ يَرْبِيهَا النَّاسُ وَالزَّوْجُ الْآخَرُ الضَّأْنُ الَّتِي تَكُونُ فِي الْجِبَالِ الْوَحْشِيَّةِ، أَحْلَى لَهُمْ صِيْدَهَا. وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ، زَوْجٌ دَاجِنَةٌ يَرْبِيهَا النَّاسُ وَالزَّوْجُ الْآخَرُ الظُّبَاءُ] الَّتِي تَكُونُ فِي الْمَفَاوِزِ. وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ؛ الْبَخَاتِي وَالْعَرَابِ. وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ؛ زَوْجٌ دَاجِنَةٌ لِلنَّاسِ وَالزَّوْجُ الْآخَرُ الْبَقَرُ الْوَحْشِيَّةِ. وَكُلُّ طَيْرٍ طَيْبٌ وَحْشِيٌّ أَوْ إِنْسِيٌّ، ثُمَّ غَرَقَتِ الْأَرْضُ.

وفي مجمع البيان^(٨): وَرَوَى عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ صَفْوَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ،

١. كذا في المصدر وفي النسخ: بئر حطيم بقباء.

٢. من المصدر.

٣. الكافي ٢٣٧/١، ذيل ح ٩.

٤. الكافي ٢٨٣/٨ - ٢٨٤، ح ٤٢٧.

٥. الانعام/١٤٣.

٦. من المصدر.

٨. المجمع ١٦٠/٣.

٧. المصدر: الطبري.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما أراد الله هلاك قوم نوح، عَقَمَ أرحام النساء أربعين سنة فلم يلد لهم مولود. فلَمَّا فرغ نوح من اتخاذ السفينة. أمره الله أن ينادي بالسريانية أن يجتمع إليه جميع الحيوانات، فلم يبق حيوان إلا حضر. فأدخل من كل جنس من أجناس الحيوان زوجين، ما خلا الفأر والسنور. وأنهم لَمَّا شكوا من سرقين الدواب والقدر، دعا بالخنزير، فمسح جبينه فعطس فسقط من أنفه زوج فأر، فتناسل. فلَمَّا كثرو شكوا إليه منها، فدعا بالأسد، فمسح جبينه فعطس ^(١) فسقط من أنفه زوج سنور. وفي حديث آخر ^(٢) أنهم شكوا العذرة، فأمر الله الفيل فعطس فسقط الخنزير.

وفي تفسير العياشي ^(٣): عن أبي عبدالله عليه السلام: أن نوحاً حمل الكلب في السفينة، ولم يحمل ولد الزنا.

عن عبيد الله ^(٤) الحلبي ^(٥)، عنه عليه السلام قال: ينبغي لولد الزنا أن لا تجوز له شهادة، ولا يؤم بالناس. لم يحمله نوح في السفينة، وقد حمل فيها الكلب والخنزير.

وفي كتاب علل الشرائع ^(٦): عن الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل: ما بال الماعز معرقة ^(٧) الذنب باذلة ^(٨) الحياء والعورة؟

فقال: لأن الماعز عصت نوحاً لَمَّا أدخلها السفينة، فدفعها فكسر ذنبها. والنعجة مستورة الحياء والعورة، لأن النعجة بادرت بالدخول إلى السفينة، فمسح نوح يده على حيائها ^(٩) وذنبها فاستوت الألية.

وفي عيون الأخبار ^(١٠)، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من خبر الشامي وما سأل عنه

١. ليس في ب.

٢. المجمع ١٦٠/٣.

٣. تفسير العياشي ١٤٨/٢، ح ٢٧.

٤. نفس المصدر والموضع، ح ٢٨.

٥. بعض نسخ المصدر: عبدالله الحلبي.

٦. العلل ٤٩٤-٤٩٥، ح ١.

٧. المصدر: مفرقة. وهي ملوية من فرقة فلاتاً: إذا لوى رقبته فسمع لها صوت ومعرقة: مقطوعة.

٨. المصدر: بادية.

٩. كذا في المصدر وفي النسخ: حيالها.

١٠. العيون ٢٤٦/١.

أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل . وفيه : سأله : ما بال المعز ^(١) معرقة ^(٢) الذنب بادية الحياء والعورة ؟

فقال : لأن المعز ^(٣) عصت نوحاً عليه السلام لما أدخلها السفينة ^(٤) ، فدفعها فكسر ذنبها . والنعجة مستورة الحياء والعورة ، لأن النعجة بادرت بالدخول إلى السفينة ، فمسح يده على حيائها ^(٥) وذنبها فاستوت الألية ^(٦) .

وفي كتاب الخصال ^(٧) : عن الرضا عليه السلام : اتخذ نوح في الفلك تسعين بيتاً للبهائم . وفي تفسير العياشي ^(٨) : عنه عليه السلام : إن الله أمر نوحاً أن يحمل أو يحمل في السفينة من كل زوجين اثنين ، فحمل الفحل والعجوة ^(٩) فكانا زوجاً .

﴿ وَاهْلَكَ ﴾ : عطف على « زوجين » أو « اثنين » . والمراد : امرأته وبنوه ونساؤهم .
﴿ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾ : بأنه من المغرقين . يريد : ابنه كنعان وأمه واعلة ، فإنهما كانا كافرين .

﴿ وَمَنْ آمَنَ ﴾ : والمؤمنين من غيرهم .
﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ^(١٠) : قيل ^(١١) : كانوا تسعة وسبعين ، زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة : سام وحام ويافث [ونساؤهم] ^(١٢) . واثنان وسبعون رجلاً وامرأة من غيرهم .
وروى الشيخ أبو جعفر في كتاب النبوة ^(١٣) ، بإسناده : عن حنان بن سدير ، عن

١. المصدر : الماعز . ٢. بعض نسخ المصدر : مرفوعة .

٣. المصدر : الماعز . ٤. ليس في أ ، ب .

٥. كذا في المصدر وفي النسخ : حيالها . ٦. المصدر : فاستترت بالألية .

٧. الخصال / ٥٩٨ بعض التصرف . ٨. المصدر : على .

٩. لم نثر عليه في تفسير العياشي ولكن رواه عنه تفسير نور الثقلين ٣٥٧٢ ، ح ٨٤ عن الصادق عليه السلام وتفسير الصافي ٤٤٥/٢ - ٤٤٦ ، تفسير العياشي ج ٤٠/٢٦٢/٢ .

١٠. كذا في المصدر وفي النسخ : فحمل العجل والعجوة .

١١. أنوار التنزيل ٤٦٨/١ . ١٢. من المصدر .

١٣. عنه في المجمع ١٦٠/٣ .

أبي عبدالله عليه السلام قال: من ^(١) آمن مع نوح من قومه ثمانية نفر.

وفي كتاب معاني الأخبار ^(٢): أبي عليه السلام قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ مُوسَى بْنِ عَمْرٍو، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ غَالِبٍ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ حَمْرَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام مثله.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٣): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ صَفْوَانَ، عَنْ أَبِي بصير، عَنْ أَبِي عبدالله، وذكر حديثاً طويلاً. يقول فيه عليه السلام: فَلَمَّا فَرَّغَ نُوحٌ مِنْ اتِّخَاذِ السَّفِينَةِ، أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَنَادِيَ بِالسَّرِيَانَةِ: لَا يَبْقَى بَهِيمَةٌ وَلَا حَيَوَانٌ إِلَّا حَضَرَ. فَأَدْخَلَ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ مِنْ أَجْناسِ الْحَيَوَانِ زَوْجَيْنِ فِي السَّفِينَةِ. وَكَانَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ مِنْ جَمِيعِ الدُّنْيَا ثَمَانُونَ رَجُلًا. فَقَالَ اللَّهُ تعالى: «أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ» الآية. وَكَانَ نَجَرَ السَّفِينَةَ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ إِهْلَاكَهُمْ، كَانَتْ امْرَأَةُ نُوحٍ تَخْبِزُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَعْرِفُ: بِقَارِ التَّنُّورِ، فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ. وَكَانَ نُوحٌ اتَّخَذَ لِكُلِّ ضَرْبٍ مِنْ أَجْناسِ الْحَيَوَانَاتِ ^(٤) مَوْضِعًا فِي السَّفِينَةِ، وَجَمَعَ لَهُمْ فِيهَا مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْغَذَاءِ. فَصَاحَتْ امْرَأَتُهُ لَمَّا فَارَ التَّنُّورَ، فَجَاءَ نُوحٌ إِلَى التَّنُّورِ فَوَضَعَ عَلَيْهَا طِينًا وَخَتَمَهُ حَتَّى أَدْخَلَ جَمِيعَ الْحَيَوَانِ السَّفِينَةَ. ثُمَّ جَاءَ إِلَى التَّنُّورِ، فَفَضَّ الْخَاتَمَ وَرَفَعَ الطِّينَ. وَانْكَسَفَتِ الشَّمْسُ، وَجَاءَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ مِنْهُمْ [صَبَّ بِلَا قَطْرٍ، وَتَفَجَّرَتِ الْأَرْضُ عَيْونًا. وَهُوَ قَوْلُهُ تعالى: «فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مِنْهُمْ» ^(٥) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عَيْونًا فَالتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ].

وفي رواية أبي الجارود ^(٦)، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: لَيْسَ كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَنِي آدَمَ ^(٧) مَنْ وَلَدَ نُوحٌ. قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: «أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ إِلَى قَوْلِهِ وَمَنْ

١. ليس في المصدر.

٢. تفسير القمي ٣٢٦/١ - ٣٢٧.

٣. المصدر: الحيوان.

٤. من المصدر.

٥. تفسير القمي ٢٢٣/٢.

٦. كذا في المصدر وفي النسخ: من نبي.

أمن». وقال: «ذرية من حملنا مع نوح»^(١).

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾: أي صيروا فيها راكبين كما يركب الدواب في البر.

﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾: متصل «باركوا» حال من الواو، أي اركبوا فيها مسمين الله تعالى، أو قائلين: بسم الله وقت إجرائها وإرسالها. أو مكانهما، على أن المجري والمرسى للوقت والمكان. أو للمصدر والمضاف محذوف، كقولهم: أتيتك خفوق النجم. وانتصابهما بما قدرناه حالاً.

ويجوز رفعهما بـ «بسم الله» على أن المراد بهما المصدر. أو جملة من مبتدأ وخبر، أي إجراؤها بسم الله. على أن «بسم الله» خبره، أو صلته والخبر محذوف. وهي إما جملة مقتضية لا تعلق لها بما قبلها، أو حال مقدرة من الواو أو الهاء.

وقرأ^(٢) حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص: «مجراها» بالفتح، من جرى.

وقرئ: «مرساها» أيضاً، من رسا. وكلاهما يحتمل الثلاثة. و«مجريها ومرسيها» بلفظ الفاعل، صفتين لله تعالى.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ صفوان، عَنْ أَبِي بصير، عَنْ أَبِي عبد الله عليه السلام. وذكر حديثاً طويلاً. وفيه يقول عليه السلام: «ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمَرْسِيهَا».

يقول: «مجريها» أي مسيرها. و«مرسيها» أي موقعها^(٤).

﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٥): أي لولا مغفرته لفرطتكم ورحمته إياكم، لما نجاكم.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ﴾: متصل بمحذوف دل عليه «اركبوا» أي فركبوا مسمين، وهي تجري وهم فيها.

﴿فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾: في موج من الطوفان، وهي ما يرتفع من الماء عند اضطرابه. كل موجة فيها، كجبل في تراكمها وارتفاعها.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(١)، بإسناده إلى أبان بن تغلب، عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل، يذكر فيه القائم عليه السلام، وفيه: فإذا نشر راية رسول الله، تنحط^(٢) إليه ثلاثة عشر ألف ملك ينصرون^(٣) القائم عليه السلام وهم الذين كانوا مع نوح عليه السلام في السفينة.

وفي الكافي^(٤): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أسباط. ومحمد بن أحمد، عن موسى بن القاسم البجلي^(٥)، عن علي بن أسباط قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلت فداك، ما ترى أخذ برّاً أو بحرّاً، فإنّ طريقنا مخوف شديد الخطر؟ فقال: اخرج برّاً، ولا عليك أن تأتي في^(٦) مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وتصلّي ركعتين في غير وقت فريضة. ثمّ تستخير الله مائة مرّة ومرّة. ثمّ تنظر، فإن عزم الله عليك^(٧) على البحر، فقل الذي قال الله تعالى: «وقال اركبوا - إلى قوله - لغفور رحيم». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

علي بن إبراهيم^(٨)، عن أبيه، عن علي بن أسباط، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إن ركبت البحر، فإذا صرت في السفينة، فقل: «بسم الله مجريها ومرسيها إن ربي لغفور رحيم». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

عده من أصحابنا^(٩)، عن أحمد بن محمد، عن أبي يوسف يعقوب بن عبد الله من ولد أبي فاطمة، عن إسماعيل بن زيد مولى عبد الله بن يحيى الكاهلي، عن أبي عبدالله، عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، يذكر فيه مسجد الكوفة. وفيه يقول عليه السلام: ومنه سارت سفينة نوح.

١. كمال الدين/ ٦٧٢، ضمن ح ٢٢.

٢. المصدر: انخط.

٣. المصدر: «ثلاثة عشر ملكاً كلهم ينتظر» بدل «ينصرون».

٤. الكافي ٤٧١/٣، صدر ح ٥.

٥. ب: العجلي.

٦. ليس في المصدر.

٧. المصدر: لك.

٨. الكافي ٢٥٧٥، ضمن ح ٣.

٩. الكافي ٤٩٢٣، ضمن ح ٢.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ صفوان، عَنْ أَبِي بصير، عَنْ أَبِي عبد الله عليه السلام قال: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ ﷻ هَلَاكَ قَوْمِ نُوحٍ، وَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا وَفِيهِ يَقُولُ ﷻ: فَبَقِيَ الْمَاءُ يَصْبُ^(٢) مِنَ السَّمَاءِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا وَمِنَ الْأَرْضِ الْعَيُونَ، حَتَّى ارْتَفَعَتِ السَّفِينَةُ، فَمَسَحَتِ السَّمَاءَ.

وفي روضة الكافي^(٣): مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ يَزِيدٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قال: ارْتَفَعَ الْمَاءُ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ وَعَلَى كُلِّ سَهْلٍ خَمْسَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا.

وفي عيون الأخبار^(٤)، بِإِسْنَادِهِ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ خَالِدٍ الصَّيْرَفِيِّ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قال: إِنَّ نُوحًا عليه السلام لَمَّا رَكِبَ السَّفِينَةَ، أَوْحَى اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِ: يَا نُوحُ، إِنْ خَفْتَ الْغُرُقَ، فَهَلِّلْنِي أَلْفًا. ثُمَّ أَسْأَلْنِي النِّجَاةَ أَنْجُكَ مِنَ الْغُرُقِ وَمَنْ آمَنَ مَعَكَ.

قال: فَلَمَّا اسْتَوَى نُوحٌ وَمِنْ مَعِهِ فِي السَّفِينَةِ وَرَفَعَ الْقَلْسَ وَ^(٥)عَصَفَ الرِّيحَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَأْمَنْ نُوحٌ عليه السلام [الغُرُقَ]^(٦) وَأَعْجَلَتْهُ الرِّيحُ فَلَمْ يَدْرِكْ لَهُ أَنْ يَهْلَلِ اللَّهَ أَلْفَ مَرَّةٍ. فَقَالَ بِالسَّرِيانَةِ: هَيْلُولِيَا، أَلْفًا أَلْفًا. يَامَارِيَا يَامَارِيَا، أَتَقْنُ^(٧).

قال: فَاسْتَوَى الْقَلْسَ وَاسْتَقَرَّتِ^(٨) السَّفِينَةُ.

فقال نوح عليه السلام: إِنَّ كَلَامًا نَجَّانِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْغُرُقِ، لِحَقِيقٍ أَنْ لَا يَفَارِقَنِي.

قال: فَتَقَشَّ فِي خَاتَمِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَلْفَ مَرَّةٍ. يَا رَبِّ أَصْلِحْنِي.

وفي كتاب الخصال^(٩): عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام

١. تفسير القمي ٣٢٦/١-٣٢٧ و ٣٢٨.

٢. المصدر: يَنْصُبُ.

٣. الكافي ٢٨٤/٨، ح ٤٢٨.

٤. العيون ٥٥/٢، ضمن ح ٢٠٦.

٥. كذا في المصدر وفي النسخ: «القلص» بدل «القلس» و «القلس» جبل للسفينة ضخم من ليف. وقيل: من

٦. من المصدر.

غيره.

٨. كذا في المصدر وفي النسخ: القلص واستقرت.

٧. بعض نسخ المصدر: ايقن.

٩. الخصال ٣٣٥، ضمن ح ٣٦.

قال: إِنَّ نوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا ركب فِي^(١) السفينة، أوحى الله ﷻ إليه. وذكر نحو ما في عيون الأخبار.

وفي كتاب الاحتجاج^(٢) للطبرسي ﷺ: وعن معمر بن راشد قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ نوحاً لَمَّا ركب السفينة وخاف من الغرق، قال: اللهم إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ لَمَّا أَنْجَيْتَنِي [من الغرق]^(٣). فَنَجَّاهُ اللهُ ﷻ. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب علل الشرائع^(٤)، بإسناده إلى سهل بن زياد الأدمي قال: حَدَّثَنِي عبدالعظيم بن عبدالله الحسني قال: سمعت علي بن محمد العسكري عليه السلام يقول: عاش نوح عليه السلام ألفين وخمسمائة سنة. وكان يوماً في السفينة نائماً، فهبَّتْ الرِّيحُ فَكشفت عن عورته. فضحك حام ويافث، فزجرهما سام عليه السلام ونهاهما عن الضحك. وكان كلما غطى^(٥) سام شيئاً تكشفه الرِّيحُ، كشفه حام ويافث. فانتبه نوح فرأهم وهم يضحكون. فقال: ما هذا؟

فأخبره سام بما كان.

رفع نوح عليه السلام يده إلى السماء يدعو ويقول: اللهم، غَيِّرْ ما في^(٦) صلب حام حتَّى لا يولد له ولد^(٧) إِلَّا السُّودَانُ. اللهم غَيِّرْ ما في^(٨) صلب يافث.

فغَيَّرَ اللهُ ما في^(٩) صلبيهما. فجميع السودان حيث كانوا من حام، وجميع الترك والسقالب^(١٠) ويأجوج ومأجوج والصين من يافث حيث كانوا، وجميع البيض سواهم من سام.

١. ليس في المصدر.

٢. الاحتجاج ٥٥/١.

٣. من المصدر.

٤. العلل/٣٢، ح ١.

٥. كذا في المصدر وفي النسخ: وكلما كان غطى.

٦. المصدر: «ماء» بدل «ما في».

٧. ليس في المصدر.

٨. المصدر: «ماء» بدل «ما في».

٩. المصدر: «ماء» بدل «ما في».

١٠. المصدر: السقالب.

وقال نوح عليه السلام لحام ويافث: جعل الله ذريَّتكما خولاً^(١) لذرية سام إلى يوم القيامة، لأنه برّني وعققتما نبي. فلا زالت سمة عقوقكما لي في ذريَّتكما ظاهرة، وسمعة البرّ بي في ذرية سام ظاهرة ما بقيت الدنيا.

﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾: كنعان.

وقرئ^(٢): «ابناه» على الندبة، ولكونها حكاية سَوَّخ حذف الحرف.

وفي تفسير العيّاشي^(٣): عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ونادى نوح

ابنه».

قال: إنّما في لغة طيء ابنه^(٤) بنصب الألف، يعني: ابن امرأته.

عن موسى^(٥)، عن العلاء بن سيابة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: «ونادى نوح

ابنه».

قال: ليس بابنه، إنّما هو ابن امرأته. وهو لغة طيء، يقولون لابن امرأته: ابنه.

وفي مجمع البيان^(٦): وروي عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأبي جعفر محمد بن

عليّ، وأبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: «ونادى نوح ابنه». بفتح الهاء على أنّ أصلها:

ابنها، حذفت الألف.

وروي^(٧) أيضاً: ابنها. والضمير على التقديرين^(٨) لامرأته.

﴿وَكَانَ فِي مَعَزٍ﴾: عزل فيه نفسه عن أبيه، أو عن دينه. مفعول، للمكان. من عزله

عنه: إذا أبعد.

﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾: أي في السفينة.

والجمهور كسروا^(٩) الياء، ليدلّ على ياء الإضافة المحذوفة في جميع القرآن. غير

١. الخول - جمع الخولي -: بالعبيد والإماء.

٢. أنوار التنزيل ٤٦٩/١.

٣. تفسير العيّاشي ١٤٨/٢، ح ٣١.

٤. كذا في المصدر وفي النسخ: ابنه.

٥. تفسير العيّاشي ١٤٨/٢، ح ٣١.

٦. المجمع ١٦٠/٣.

٧. تفسير الصافي ٤٤٨/٢.

٨. ليس في المصدر: على التقديرين.

٩. أنوار التنزيل ٤٦٩/١.

ابن كثير؛ فإنه وقف عليها في لقمان في الموضع الأول باتفاق الرواة، وفي الثالث في رواية قبل وعاصم، فإنه فتح هاهنا اقتصاراً على الفتح من الألف المبدلة من ياء الإضافة، واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع. وقد أدغم الباء في الميم أبو عمرو والكسائي وحفص، لتقاربهما.

وفي تفسير العياشي^(١): عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في قول نوح عليه السلام: «يا بني اركب معنا».

قال: ليس بابنه.

قال: قلت: إن نوحاً قال: «يا بني»!

قال: فإن نوحاً قال ذلك، وهو لا يعلم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): عن الصادق عليه السلام: نظر نوح إلى ابنه يقع ويقوم، فقال له: «يا بني اركب» الآية.

﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣) في الدين والانعزال.

﴿قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾: أن يغرقني.

وفي كتاب علل الشرائع^(٤)، بإسناده إلى علي بن أبي حمزة، عن أبي نعيم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن النجف كان جبلاً. وهو الذي قال ابن نوح: «سأوي إلى جبل يعصمني من الماء». ولم يكن على وجه الأرض جبل أعظم منه. فأوحى الله ﷻ إليه: يا جبل، أيعتصم بك متي. فتقطع قطعاً^(٥) إلى بلاد الشام، وصار رملاً رقيقاً، وصار بعد ذلك بحراً. وكان يسمى ذلك البحر: بحر نبي. ثم جف بعد ذلك، فقيل: نبي جف^(٥) فسمي بنيجف. ثم صار الناس بعد ذلك يسمونه بنجف، لأنه كان أخف على ألسنتهم.

١. تفسير العياشي ١٤٩/٢، ح ٣٢.

٢. تفسير القمي ٣٢٧/١.

٣. العلل ٣١، ح ١.

٤. من المصدر.

٥. كذا في المصدر وفي النسخ: بنيجف.

وفي من لا يحضره الفقيه^(١): روى صفوان بن مهران الجمال، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: سار [أبي] وأنا معه في القادسية، حتى أشرف على النجف.

فقال: هو الجبل الذي اعتصم به ابن جدّي نوح، فقال: «سأوي إلى جبل يعصمني من الماء». فأوحى الله ﷻ إليه: يا جبل، أيعتصم بك أحد منّي؟! فغار^(٢) في الأرض، وتقطع إلى الشام.

﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾: إلّا الراحم، وهو الله تعالى، أو الإمكان من رحمهم الله تعالى، وهم المؤمنون. ردّ بذلك أن يكون اليوم معتصم^(٣) من جبل ونحوه يعصم اللانذ به، إلّا معتصم المؤمنين، وهو السفينة.

وقيل^(٤): «لا عاصم» يعني: لا ذا عصمة، كقوله: «في عيشة راضية».

وقيل^(٥): الاستثناء^(٦) منقطع، أي لكن من رحمه الله يعصمه.

وقرئ: «إِلَّا مَنْ رُحِمَ» على البناء للمفعول.

﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ﴾: بين نوح وابنه. أو بين ابنه والجبل.

﴿فَكَانَ مِنَ الْمَغْرُقِينَ﴾^(٧): وصار من المهلكين بالماء.

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي﴾: نوديا بما ينادي به أولو العلم وأمر

بما يؤمرون به تمثيلاً لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما، بالأمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر إلى امتثال أمره، مهابة من عظمته وخشية من أليم عقابه.

و«البلع» النشف. و«الإقلاع» الإمساك.

وفي تفسير العياشي^(٨): عن إبراهيم بن أبي العلاء، عن غير واحد، عن أحدهما

١. الفقيه ٣٥١/٢، صدرح ١٦١٢.

٣. ب: المعتصم.

٥. نفس المصدر والموضع.

٧. تفسير العياشي ١٤٩/٢، ح ٣٣.

٢. المصدر: «منّي أحد» بدل «أحد منّي فغار».

٤. أنوار التنزيل ٤٦٩/١.

٦. كذا في المصدر وفي النسخ: الاستثناء.

قال: لَمَّا قَالَ اللَّهُ: «يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي»، قالت الأرض: إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَبْلَعَ مَائِي أَنَا فَقَطْ، وَلَمْ أَوْمَرْ أَنْ أَبْلَعَ مَاءَ السَّمَاءِ.

قال: فبلعت الأرض ماءها، وبقي ماء السماء فصيرَ بحرًا [حول السماء] ^(١) وحول الدنيا.

عن عبدالرحمن بن الحجاج ^(٢)، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ».

قال: نزلت بلغة الهند، اشربي.

وفي رواية عباد ^(٣)، عنه عليه السلام: «يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ» حبشية.

وفي عيون الأخبار ^(٤)، بإسناده إلى عبدالله ^(٥) قال: قلت له: يا ابن رسول الله، لَأَيِّ

عَلَّةٍ أَغْرَقَ اللَّهُ تَعَالَى الدُّنْيَا كُلَّهَا فِي زَمَنِ نُوحٍ، وَفِيهِمُ الْأَطْفَالُ وَفِيهِمْ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ؟

فقال: مَا كَانَ فِيهِمُ الْأَطْفَالُ، لِأَنَّ اللَّهَ أَعْقَمَ أَصْلَابَ قَوْمِهِ ^(٦) وَأَرْحَامَ نِسَائِهِمْ أَرْبَعِينَ

عَامًا، فَانْقَطَعَ نَسْلُهُمْ فَغَرِقُوا وَلَا طِفْلَ فِيهِمْ. وَمَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى لِيَهْلِكَ بَعْدَابِهِ مَنْ لَا ذَنْبَ

لَهُ. وَأَمَّا الْبَاقُونَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ عليه السلام فَأَغْرَقُوا لِتَكْذِيبِهِمْ لِنَبِيِّ اللَّهِ نُوحٍ عليه السلام. وَسَاءَ ثَرَهُمْ أَغْرَقَ

بِرِضَاهُمْ بِتَكْذِيبِ الْمَكْذِبِينَ. وَمَنْ غَابَ عَنْ ^(٧) أَمْرِ فَرَضِي بِهِ، كَانَ كَمَنْ شَهِدَهُ وَأَتَاهُ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٨): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ صَفْوَانَ، [عَنْ أَبِي بَصِيرٍ] ^(٩) عَنْ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تعالى إِهْلَاكَ قَوْمِ نُوحٍ، أَعْقَمَ أَرْحَامَ النِّسَاءِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَلَمْ

يُولَدْ ^(١٠) فِيهِمْ مَوْلُودٌ. وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ أَخَذْتُ مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ.

١. من المصدر. ويوجد المعقوفتان فيه أيضاً. ٢. تفسير العياشي ١٤٩/٢، ح ٣٤.

٣. نفس المصدر والموضع ويوجد الرواية فيه بين المعقوفتين.

٤. العيون ٧٥/٢، ح ٢.

٥. المصدر: «عبد السلام بن صالح الهروي عن الرضا عليه السلام» بدل «عبدالله».

٦. المصدر: قوم نوح. ٧. كذا في المصدر وفي النسخ: غلب في.

٨. تفسير القمي ٣٢٦/١ - ٣٢٧.

٩. من المصدر.

١٠. كذا في المصدر وفي النسخ: فلم يلد.

﴿وَغِيَضَ الْمَاءَ﴾: نقص .

﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾: وأنجز ما وعد من إهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين .

﴿وَأَسْتَوَتْ﴾: واستقرت السفينة .

﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾: جبل بالموصل .

وقيل ^(١): بالشام .

وقيل ^(٢): بآمد ^(٣) .

﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ^(٤): هلاكاً لهم .

يقال: بعد، بُعداً وبُعْداً: إذا بعد بعداً بعيداً بحيث لا يرجى عودة. ثم استعير للهلاك، وخصَّ بدعاء السوء .

والآية في غاية الفصاحة، لفخامة لفظها وحسن نظمها، والدلالة على كنه الحال مع الإيجاز الخالي عن الإخلال .

وفي إيراد الأخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل، وأنه متعين في نفسه مستغن عن ذكره إذ لا يذهب الوهم إلى غيره. للعلم بأن مثل هذه الأفعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار .

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٥): عن الصادق عليه السلام في حديث: ودارت السفينة، وضربت الأمواج حتى وافت مكة وطافت بالبيت. وغرق جميع الدنيا إلا موضع البيت. وإنما سمي البيت العتيق، لأنه أعتق من الغرق. فبقي الماء ينصب من السماء أربعين صباحاً ومن الأرض العيون، حتى ارتفعت السفينة فمسحت السماء .

قال: فرفع نوح يده، فقال: يا رهمان اتقن. وفي ^(٦) تفسيرها: يا رب أحسن. فأمر الله ﷻ الأرض أن تبلع ماءها، [وهو قوله ﷻ: «وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء

٢. أنوار التنزيل ٤٦٩/١ .

١. أنوار التنزيل ٤٦٩/١ .

٤. تفسير القمي ٣٢٨/١ .

٣. كذا في المصدر وفي النسخ: بآمل .

٥. المصدر: «اخفرس» بدل «اتقن» وفي .

أقلعي» أي أمسكي. «وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي» فبلعت الأرض ماءها^(١) فأراد ماء السماء أن يدخل في الأرض، فامتنعت الأرض [من]^(٢) قبولها، وقالت: إنما أمرني الله أن أبلع مائي، فبقي ماء السماء على وجه الأرض، واستوت السفينة على جبل الجودي وهو بالموصل جبل عظيم، فبعث الله ﷺ جبرئيل، فساق الماء إلى البحار حول الدنيا.

وفي تفسير العياشي^(٣) عن أبي بصير، عن أبي الحسن موسى ﷺ قال: قال: يا [أبا] ^(٤) محمد، إن الله أوحى إلى الجبال أنني مهرق سفينة نوح على جبل منكّن في الطوفان. فتطاوت، وشمخت، وتواضع جبل عندكم بالموصل يقال له: الجودي. فمرّت السفينة تدور في طوفان على الجبال كلّها حتّى أشرفت إلى الجودي، فوقفت^(٥). فقال نوح: بارات قني، بارات قني^(٦).

قال: قلت: جعلت فداك، أي شيء هذا الكلام؟

فقال: اللهم أصلح، اللهم أصلح.

عن أبي بصير^(٧) عن أبي الحسن موسى ﷺ قال: كان نوح في السفينة، فلبث فيها ما شاء الله. وكانت مأمورة، فخلّى سبيلها نوح. فأوحى الله إلى الجبال: إنني واضع سفينة عبدي نوح على جبل منكّن. فتطاوت الجبال وشمخت غير الجودي، وهو جبل بالموصل. فضرب جوجو^(٨) السفينة الجبل، فقال نوح عند ذلك: رب اتقن. وهو بالعربية: رب أصلح.

وروى كثير^(٩) النوا^(١٠)، عن أبي جعفر ﷺ يقول: سمع نوح صرير السفينة على

١. ما بين المعقوفتين ليس في أ، ب.

٢. من المصدر.

٣. تفسير العياشي ١٥٠/٢، ح ٣٧.

٤. المصدر: فوقعت.

٥. هكذا في بعض نسخ المصدر، كما أشار إليه في هامشه وفيه: يا راتقي، يا راتقي.

٦. نفس المصدر والموضع، ح ٣٨.

٧. تفسير العياشي ١٥١/٢، ح ٣٩.

٨. جوجو: صدر.

٩. كذا في المصدر وفي النسخ: النوى.

الجودي، فخاف عليها. فأخرج رأسه من كوة كانت فيها، فرفع يده وأشار بإصبعه ويقول: رهمان^(١) اتقن. تأويلها: رب أحسن.

وفي تهذيب الأحكام^(٢)، بإسناده إلى المفضل بن عمر: عن أبي عبد الله عليه السلام: أن الله ﷻ أوحى إلى نوح عليه السلام وهو في السفينة أن يطوف بالبيت أسبوعاً. فطاف بالبيت كما أوحى الله إليه. ثم نزل في الماء إلى ركبته، فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم عليه السلام. فحمله في جوف السفينة حتى طاف ما شاء الله أن يطوف. ثم ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها، ففيها قال الله تعالى للأرض: «ابلعي ماءك». فبلعت ماءها من مسجد الكوفة، كما بدأ الماء منه، وتفرق الجمع الذي كان مع نوح عليه السلام في السفينة.

وفي مجمع البيان^(٣): «وقيل يا أرض ابلعي ماءك». قيل: إنها لم تبتلع ماء السماء لقوله: «ابلعي ماءك». وأن ماء السماء صار بحاراً وأنهاراً. وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام. وفي أصول الكافي^(٤): أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن علي بن الحكم، رفعه إلى^(٥) أبي بصير قال: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام في السنة التي قبض فيها أبو عبد الله عليه السلام.

فقلت: جعلت فداك، ما لك ذبحت كبشاً ونحر فلان بدنة؟

فقال: يا [أبا] محمد^(٦)، إن نوحاً عليه السلام كان في السفينة، وكان فيها ما شاء الله، وكانت السفينة مأمورة، فطافت بالبيت وهو طواف النساء، وخلق سبيلها نوح عليه السلام. فأوحى الله ﷻ إلى الجبال: إنني وازع سفينة نوح [عبد]ي^(٧) على جبل منكن. فتناولت وشمخت وتواضع الجودي، وهو جبل عندكم. فضربت السفينة بجؤجؤها الجبل. قال: فقال نوح عند ذلك: يا بار^(٨) اتقن. وهو بالسريانية: رب أصلح.

قال: فظننت أن أبا الحسن عليه السلام عرض بنفسه.

١. بعض نسخ المصدر: ريعمان.

٢. التهذيب ٢٣/٦، ضمن ح ٥١.

٣. المجمع ١٦٥/٣.

٤. الكافي ١٢٤/٢، ح ١٢.

٥. كذا في المصدر وفي النسخ: عن.

٦. من المصدر.

٧. من المصدر.

٨. المصدر: يا ماري.

وفي روضة الكافي^(١): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن هشام الخراساني، عن المفضل بن عمر قال: قلت له: كم لبث نوح في السفينة حتى نصب [الماء]^(٢) وخرجوا منها؟

فقال: لبثوا فيها سبعة أيام ولياليها. فطافت بالبيت أسبوعاً، ثم استوت على الجودي، وهو فرات الكوفة. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

علي بن إبراهيم^(٣)، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن الحسن بن صالح الثوري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن سفينة نوح سعت بين الصفا والمروة، وطافت بالبيت سبعة أشواط، ثم استوت على الجودي.

وفي الكافي^(٤): محمد بن يحيى، عن بعض أصحابه، عن الوشاء، عن علي بن أبي حمزة قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: إن سفينة نوح كانت مأمورة، وطافت بالبيت [أسبوعاً، ثم استوت على الجودي]^(٥) حيث غرقت الأرض، ثم أتت منى في أيامها، ثم رجعت السفينة وكانت مأمورة وطافت بالبيت طواف النساء.

وفي تهذيب الأحكام^(٦): علي بن الحسن، عن محمد بن عبدالله بن زرارة، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان الأحمر، عن كثير النوا^(٧)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لزقت السفينة يوم عاشوراء على الجودي، فأمر نوح عليه السلام من معه من الجن والإنس أن يصوموا ذلك اليوم.

وفي تفسير العياشي^(٨): عن عبد الحميد بن أبي الديلم [عن أبي عبدالله عليه السلام]^(٩) قال: لما ركب نوح عليه السلام في السفينة، «قيل بعداً للقوم الظالمين».

١. الكافي ٢٨١/٨، ضمن ح ٤٢٢ وهو المروي عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢. من المصدر.

٣. الكافي ٢٨٣/٨، ذيل ح ٤٢٦ بتصريف في الصدر المتقول هنا.

٥. ليس في المصدر.

٤. الكافي ٢١٢/٤، ح ١.

٦. التهذيب ٣٠٠/٤، صدر ح ٩٠٨.

٧. كذا في المصدر وفي النسخ: النوى.

٨. تفسير العياشي ١٥١/٢، ح ٤٠.

٩. من المصدر.

وفي مجمع البيان^(١): ويروى أن كفار قريش أرادوا أن يتعاطوا معارضة القرآن، فعكفوا [على لباب البرّ ولحوم الضأن وسلاف^(٢) الخمر أربعين يوماً لتصفوا أذهانهم. فلما أخذوا فيما أرادوا، سمعوا^(٣)] هذه الآية. فقال بعضهم لبعض: هذا كلام لا يشبه كلام المخلوقين^(٤). وتركوا ما أخذوا فيه، وافترقوا.

وفي كتاب الخصال^(٥): عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن نوحاً لما كان أيام الطوفان، دعا مياه الأرض فأجابته إلا الماء المَرَو [ماء] الكبرى.

﴿وَنَادَى نُوحٌ﴾: وأراد ندائه، بدليل عطف قوله:

﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِي﴾: فإنه النداء.

﴿وَأَنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾: أي كل وعد تعده حق، لا يتطرق إليه الخلف. وقد وعدت أن

تنجّي أهلي، فما حاله أو فما له لم ينج؟

ويجوز أن يكون هذا النداء قبل غرقه.

﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾^(٦): لأنك أعلمهم وأعدلهم، أو لأنك أكثر حكمة من

ذوي الحكم. على أن الحاكم من الحكمة، كالدارع من الدرع.

﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾: لقطع الولاية بين المؤمن والكافر. وأشار إليه

بقوله:

﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾: فإنه تعليل لنفي كونه من أهله. وأصله: أنه ذو عمل فاسد.

فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة، كقول الخنساء تصف ناقة:

ترتاع ما رتعت^(٧) حتى إذا ذكرت فإنما هي إقبال وإدبار

١. المجمع ١٦٥/٣.

٢. السلاف: ما تحلب وسال قبل العصر وهو أفضل الخمر.

٣. ليس في ب.

٤. المصدر: هذا كلام لا يشبهه شيء من الكلام ولا يشبه كلام المخلوقين.

٥. الخصال ٥٢/ح ٦٧. من المصدر. ويوجد المعقوفتان فيه أيضاً.

٧. أنوار التنزيل ٤٧٠/١: «ترتع ما غفلت» بدل «ترتاع ما رتعت».

ثم بَدَلَ الفاسد بغير الصالح، تصريحاً بالمناقضة بين وصفيهما، وانتفاء ما أوجب النجاة لمن نجا من أهله.

وقرأ^(١) الكسائي ويعقوب: «إِنَّهُ عمل» أي عمل عملاً غير صالح.

وفي كتاب الاحتجاج^(٢) للطبرسي: روي عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام قال: إِنَّ يَهُودِيّاً من يهود الشام وأخبارهم قال لأمير المؤمنين: فهذا نوح عليه السلام صبر في ذات الله تعالى وأعذر قومه إذ كَذَبَ.

قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله صبر في ذات الله، فأعذر^(٣) قومه إذ كَذَبَ وشرّد وحصب بالحصا، وعلاه أبولهب بسلا^(٤) ناقة [وشاة]^(٥). فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جابيل ملك الجبال: أَنْ شَقَّ الجبال وانته إلى أمر محمد صلى الله عليه وآله.

فاتاه فقال له: إِنِّي أُمِرْتُ لك بالطاعة، فَإِنْ أُمِرْتُ أَنْ أَطْبِقَ عليهم الجبال فأهلكتم بها.

قال صلى الله عليه وآله: إِنَّمَا بَعَثْتُ رَحْمَةً، رَبِّ اهْدُ^(٦) أُمَّتِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

ويحك يا يهودي، إِنَّ نوحاً لَمَّا شَاهَدَ غَرَقَ قومه رَقَّ عليهم رَقَّةً القرابة^(٧) وأظهر عليهم شفقة، فقال «إِنَّ ابْنِي من أهلي».

فقال الله تبارك وتعالى اسمه: «إِنَّهُ لَيْسَ من أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ». أَرَادَ جَلَّ ذِكْرُهُ أَنْ يَسْلِيَهُ بِذَلِكَ. ومحمد صلى الله عليه وآله لَمَّا غَلِبَتْ عَلَيْهِ^(٨) من قومه المعاندة، شهر عليهم

١. أنوار التنزيل ٤٧٠/١. ٢. الاحتجاج ٣١٤/١.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: إذ أعذر.

٤. كذا في المصدر وفي النسخ: سبل. والسلي: غشاء رقيق يحيط بالجنين، ويخرج معه من بطن أمه.

٥. من المصدر.

٦. كذا في المصدر وفي النسخ: «رَبِّي عَلَى» بدل «رَبِّ اهْدُ».

٧. المصدر: القرية.

٨. كذا في المصدر وفي النسخ: «عَلَنْتُ» بدل «غَلِبَتْ عَلَيْهِ».

سيف النعمة ولم تدركه فيهم رقة القربة ولم ينظر إليهم بعين رحمة^(١). والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل. وفيه يقول عليه السلام مجيباً لبعض الزنادقة - وقد قال: وأجده قد شهر هفوات أنبيائه بتكذيبه نوحاً لما قال: «إن ابني من أهلي» بقوله: «إنه ليس من أهلك» - وأما هفوات الأنبياء عليهم السلام وما بينه الله في كتابه [ووقع الكناية من أسماء من اجترم أعظم مما اجترمه الأنبياء، ممن شهد الكتاب بظلمهم]^(٢)، فإن ذلك من أدل الدلائل على حكمة الله الباهرة وقدرته القاهرة^(٣) وعزته الظاهرة؛ لأنه علم أن براهين الأنبياء عليهم السلام تكبر في صدور أممهم^(٤) وأن منهم من يتخذ بعضهم إلهاً، كالذي كان من النصاري في ابن مريم، فذكرها دلالة على تخلفهم عن الكمال الذي تفرّد به ﷺ.

وفي مجمع البيان^(٥): وروى علي بن مهزيار، عن الحسن^(٦) بن علي الوشاء، عن الرضا عليه السلام قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إن الله تعالى قال لنوح عليه السلام: «إنه ليس من أهلك». لأنه كان مخالفاً له، وجعل من اتبعه من أهله.

وفي كتاب الغيبة^(٧) لشيخ الطائفة، بإسناده إلى إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمداً بن عثمان العمري رحمته الله أن يوصل لي كتاباً، قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ. فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الدار عليه السلام: «أما ما سألت عنه، أرشدك الله وثبتك الله^(٨) من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمنا، فاعلم أنه ليس بين الله ﷻ وبين أحد قرابة. ومن أنكرني فليس مني، وسبيله سبيل ابن نوح.

١. كذا في المصدر وفي ب: مقامه. وفي سائر النسخ: مقه.

٢. الاحتجاج ١/٣٦٥ و ٣٧٠.

٣. كذا في المصدر وفي النسخ: الطاهرة.

٤. أ، ب: الحسين.

٥. ليس في المصدر.

٦. المجمع ٣/١٦٧.

٧. الغيبة/١٧٦.

وفي عيون الأخبار^(١): حَدَّثَنَا أَبِي عليه السلام قَالَ: حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ، عَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: سَمِعْتَهُ يَقُولُ: قَالَ أَبِي عليه السلام: [قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام:] ^(٢) [إِنْ اللَّهُ تعالى قَالَ [لنوح] ^(٣): «يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ». لِأَنَّهُ كَانَ مُخَالَفًا لَهُ. وَجَعَلَ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ أَهْلِهِ. [قَالَ] ^(٤).

وسألني: كيف يقرؤون^(٥) هذه الآية في ابن نوح؟
فقلت: يقرأها^(٦) الناس على وجهين: إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ. وَإِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ.
فقال: كذبوا، هو ابنه. وَلَكِنَّ اللَّهَ تعالى نَفَاهُ عَنْهُ حِينَ خَالَفَهُ فِي دِينِهِ.
وفي باب^(٧) ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون، في الفرق بين العترة والأمة حديث طويل. يقول فيه الرضا عليه السلام: أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّهُ وَقَعَتِ الْوَرَاثَةُ وَالطَّهَارَةُ عَلَى الْمُصْطَفِيِّينَ الْمُهْتَدِينَ دُونَ سَائِرِهِمْ؟
قالوا: مِنْ أَيْنَ، يَا أَبَا الْحَسَنِ؟

فقال: مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ»^(٨). فَصَارَتْ وَرَاثَةُ النُّبُوَّةِ وَالْكِتَابِ لِلْمُهْتَدِينَ دُونَ الْفَاسِقِينَ. أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ نُوحًا حِينَ سَأَلَ رَبَّهُ تعالى: «فَقَالَ رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ». وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تعالى وَعَدَهُ أَنْ يَنْجِيَهُ وَأَهْلَهُ، فَقَالَ رَبِّهِ تعالى: «يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تُسْأَلُنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ».

وفي باب^(٩) قول الرضا عليه السلام لأخيه زيد بن موسى حين افتخر على من في مجلسه، بإسناده إلى الحسن بن موسى [بن علي] ^(١٠) الْوَشَّاءِ الْبَغْدَادِيِّ قَالَ: كُنْتُ بِخُرَاسَانَ مَعَ

١. العيون ٧٥/٢-٧٦، ح ٣.

٥. كذا في المصدر وفي النسخ: يفسرون. ٦. كذا في المصدر وفي النسخ: يفسرونها.

٧. العيون ٢٣٠/١. ٨. الحديد ٢٦.

٩. العيون ٢٣٢/٢، ح ١. ١٠. من المصدر.

عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في مجلسه وزيد بن موسى حاضر قد أقبل على جماعة في المجلس يفتخر عليهم، ويقول: نحن [ونحن] ^(١). وأبو الحسن عليه السلام مقبل على قوم يحدثهم. فسمع مقالة زيد، فالتفت إليه.

فقال: يا زيد، أغرّك [قول] ^(٢) ناقلي الكوفة: إنّ فاطمة أحصنت فرجها، فحرّم الله تعالى ذريتها على النار؟ فوالله، ما ذاك إلّا للحسن والحسين وولد بطنها خاصّة. فأما أن يكون موسى بن جعفر عليه السلام يطيع الله ويصوم نهاره ويقوم ليله وتعصيه أنت، ثمّ تجيئان يوم القيامة سواء، لأنّك أعزّ على الله ﷻ منه! إنّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان يقول: كان ^(٣) لمحسنتنا كفلان من الأجر، ولمسيئتنا ضعفان من العذاب.

قال الحسن الوشاء: ثمّ التفت إليّ فقال لي: يا حسن، كيف تقرؤون هذه الآية «قال يا نوح إنّك ليس من أهلك إنّك عمل غير صالح»؟
فقلت: من الناس من يقرأ: إنّك عمل غير صالح. ومنهم من يقرأ: إنّك عمل غير صالح.
فمن قرأ إنّك عمل غير صالح، فقد نفاه عن أبيه.

فقال عليه السلام: كلاً، لقد كان ابنه. ولكن لما عصى الله ﷻ نفاه عن أبيه، كذا من كان ممّالاً لم يطع الله ﷻ فليس ممّالاً. وأنّك إذا أطعت الله، فأنت ممّال من ^(٤) أهل البيت.

حدّثنا ^(٥) محمّد بن عليّ ماجيلويه رحمته الله ومحمّد بن موسى المتوكّل وأحمد بن زيادة بن جعفر الهمداني رحمته الله ^(٦) قالوا: حدّثنا عليّ بن إبراهيم قال: حدّثني ياسر، أنّه خرج زيد بن موسى أخو أبي الحسن عليه السلام بالمدينة وأحرق وقتل. وكان يسمّى: زيد النار. فبعث إليه المأمون، فأسر وحمل إلى المأمون.
فقال المأمون: اذهبوا به إلى أبي الحسن.

قال ياسر: فلمّا دخل إليه، قال له أبو الحسن الرضا عليه السلام: يا زيد، أغرّك قول سفلة أهل الكوفة: إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله تعالى ذريتها على النار؟ ذلك للحسن

١ و٢. من المصدر.

٣. ليس في المصدر.

٤. المصدر: عنهم.

٥. الميوس ٢٣٤/٢، ح. ٤.

والحسين عليه السلام خاصة. إن كنت ترى أنك تعصي الله تعالى وتدخل الجنة، وموسى بن جعفر أطاع الله ودخل الجنة، فأنت إذا أكرم على الله من موسى بن جعفر. والله، ما ينال أحد ما عند الله إلا بطاعته وزعمت أنك تناله بمعصيته، فبئس ما زعمت.

فقال له زيد: أنا أخوك وابن أبيك.

فقال له أبو الحسن: أنت أخي ما أطعت الله ﷻ. إن نوحاً عليه السلام قال: «إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين». فقال الله ﷻ: «إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح». فأخرجه الله ﷻ من أن يكون من أهله بمعصيته.

﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: ما لا تعلم أصواب هو أم ليس كذلك.

وإنما سمي نداه: سؤالاً، لتضمن ذكر الوعد بنجاة أهله استنجاهه في شأن ولده، أو استفسار المانع للإنجاز في حقه.

وإنما سماه: جهلاً، وزجر عنه بقوله:

﴿إِنِّي أَعْظُمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(١): لأن استثناء من سبق عليه القول من أهله قد دلّه على الحال وأغناه عن السؤال، لكن أشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الأمر عليه.

وقرأ^(٢) ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة. وكذا نافع وابن عامر، غير أنهما كسرا النون، على أن أصله: تسألني. بحذف نون الوقاية، لاجتماع النونات. وكسرت الشديدة للياء، ثم حذفت اكتفاء بالكسرة.

وعن نافع^(٣) إثباتها، برواية ورش^(٤) في الوصل.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ﴾: فيما يستقبل.

﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾: ما لا علم لي بصحته.

﴿وَلَا تُغْفِرْ لِي﴾: وإن لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال.

﴿وَتَرْحَمَنِي﴾: بالتوبة والتفضل علي.

١. أنوار التنزيل ٤٧٠/١. ٢. نفس المصدر والموضع.

٣. كذا في المصدر وفي النسخ: رويس.

﴿ أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(١٧): أعمالاً. قاله على سبيل الخضوع لله والتذلل له والاستكانة.

﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا ﴾: انزل من السفينة مسلماً من المكاره، محفوظاً من جهتنا. أو مسلماً عليك.

﴿ وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ ﴾: ومباركاً عليك. أو زيادات في نسلك حتى تصير آدمياً ثانياً.

وقرئ^(١): «اهبط» بالضم. «وبركة» على التوحيد: وهي الخير النامي.

﴿ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ﴾: وعلى أمم هم الذين معك. سموا: أمماً، لتحزبهم. أو

تشعب الأمم منهم. أو على أمم ناشئة ممن معك، والمراد بهم: المؤمنون، لقوله:

﴿ وَأُمَمٌ سَنُتَّبِعُهُمْ ﴾: أي ومن معك أمم سنمتبعهم في الدنيا.

﴿ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(١٨): في الآخرة. والمراد بهم: الكفار من ذرية من معه.

وقيل^(٢): هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب. والعذاب ما نزل بهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): حدثني أبي، عن صفوان، عن أبي بصير، عن أبي

عبدالله عليه السلام قال: لما أراد الله تعالى هلاك قوم نوح عليه السلام. وذكر حديثاً طويلاً، وفي آخره:

وأُنزل الله على نوح عليه السلام «يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك

وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم». فنزل نوح بالموصل من السفينة، وبنوا

مدينة الثمانين. وكانت لنوح ابنة ركبت معه السفينة، فتناسل الناس منها. وذلك قول

النبي عليه السلام: نوح أحد الأبوين.

وفي كتاب الخصال^(٤): عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما هبط نوح عليه السلام من السفينة، أتاه

إبليس عليه اللعنة فقال: ما في الأرض [رجل] ^(٥) أعظم منه عليّ منك، دعوت [الله] ^(٦)

على هؤلاء الفساق فأرحمني منهم. ألا أعلمك خصلتين: إيتاك والحسد، فهو الذي

عمل بي ما عمل. وإيتاك والحرص، فهو الذي عمل بآدم ما عمل.

وفي الكافي^(١): عنه، عن القاسم بن^(٢) الريان، عن أبان بن عثمان، عن موسى بن العلاء، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما حسر الماء عن عظام الموتى فرأى ذلك نوح عليه السلام جزع جزعاً شديداً واغتم لذلك. فأوحى الله ﷻ: هذا عملك بنفسك، أنت دعوت عليهم. فقال: يا رب، إني أستغفرك وأتوب إليك.

فأوحى الله ﷻ إليه: أن كل العنب الأسود، ليذهب غمك.

﴿تِلْكَ﴾: إشارة إلى قصة نوح. ومحلها الرفع بالابتداء، وخبرها:

﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾: أي بعضها.

﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾: خبر ثان. والضمير لها، أي موحاة إليك. أو حال من الأنباء. أو هو

الخبر «ومن أنباء» متعلق به. أو حال من «الهاء» في «نوحيتها».

﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾: خبر آخر، أي مجهولة عندك وعند

قومك من قبل إيحائنا إليك. أو حال من «الهاء» في «نوحيتها» أو «الكاف» في «إليك» أي جاهلاً أنت وقومك بها.

وفي ذكرهم تنبيه على أنه لم يتعلمها إذا لم يخالط^(٣) غيرهم، وأنهم مع كثرتهم لما لم يسمعوها فكيف بواحد منهم.

﴿فَاضْبِرْ﴾: على مشاق الرسالة وأذية القوم، كما صبر نوح عليه السلام.

﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾: في الدنيا بالظفر، وفي الآخرة بالفوز.

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤): عن الشرك والمعاصي.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٥)، بإسناده إلى عبد الحميد بن أبي الديلم، عن

أبي عبدالله عليه السلام قال: بقي نوح بعد النزول من السفينة خمسين سنة. ثم أتاه جبرئيل، فقال له: يا نوح، قد انقضت^(٥) نبوتك واستكملت أيامك، فانظر الاسم الأكبر وميراث

٢. ليس في المصدر.

١. الكافي ٣٥٠/٦، ح ٢.

٤. كمال الدين ١٣٤/١٣٥، صدرح ٣.

٣. أ، ب، ر: يتخالط.

٥. كذا في المصدر وفي النسخ: انقضت.

العلم وآثار علم النبوة التي معك، فادفعها إلى ابنك سام. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي روضة الكافي^(١): عِدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام: عاش نوح عليه السلام ألفي سنة وثلاثمائة سنة. منها ثمانمائة سنة وخمسون سنة قبل أن يبعث، وألف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم، وهو^(٢) خمسمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء. فمَصَّر الأمصار وأسكن ولده البلدان، ثم أُنْ ملك الموت جاءه وهو في الشمس. فقال: السلام عليك.

فردَّ عليه نوح عليه السلام فقال: ما جاء بك، يا ملك الموت؟

فقال: جئتك لأقبض روحك.

قال: دعني أدخل من الشمس إلى الظل.

فقال له: نعم.

فتحوَّل، ثم قال: يا ملك الموت، كلَّ ما مرَّ بي من الدنيا، مثل تحويلي من الشمس إلى الظل، فامض لما أمرت به. فقبض روحه.

وعنه^(٣) عليه السلام: عاش نوح بعد الطوفان خمسمائة عام. ثم أتاه جبرئيل عليه السلام. فقال: يا نوح، إنَّه قد انقضت نبوتك واستكملت أيامك. فانظر إلى الاسم الأكبر [وميراث العلم]^(٤) وآثار علم النبوة التي معك، فادفعها إلى ابنك سام. فإنِّي لا أترك الأرض إلا وفيها عالم تعرف به طاعتي، يعرف به هداي، وتكون النجاة فيما بين مقبض النبي ومبعث النبي الآخر. ولم أكن أترك الناس بغير حجة لي، وداع إليّ، وهاد إلى سبيلي، وعارف بأمري. فإنِّي قد قضيت أن أجعل لكل قوم هادياً أهدي به السعداء، ويكون حجة لي على الأشقياء.

٢. ليس في المصدر.

١. الكافي ٢٨٤/٨، ح ٤٢٩.

٤. من المصدر.

٣. الكافي ٢٨٥/٨، ح ٤٣٠.

قال: فدفع نوح عليه السلام الأسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة إلى سام. وأما حام ويافث، فلم يكن عندهما علم ينتفعان به.

قال: وبشرهم نوح بهود، وأمرهم باتباعه، وأمرهم أن يفتحوا الوصية في كل عام وينظروا فيها ويكون عيداً لهم.

﴿وَالْيَاقَانُ أَخَاهُمْ﴾: أي أحدهم.

﴿هُوداً﴾: عطف على قوله: «نوحاً إلى قومه».

«وهوداً» عطف بيان.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: وحده.

﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾: وقرئ ^(١) بالجر، حملاً على المجرور وحده.

﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾: ^(٢) على الله، باتخاذ الأوثان شركاء وجعلها شفعاء.

﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجَرْتُمُونِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾: خاطب كل رسول به

قومه، إزاحة للتهمة وتمحيضاً للنصيحة. فإنها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: ^(٣) أفلا تستعملون عقولكم، فتعرفوا المحق من المبطل والصواب

من الخطأ.

وفي عيون الأخبار ^(٢)، في باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون، في الفرق بين العترة والأمة حديث طويل. وفيه قالت العلماء له ^(٣): فأخبرنا، هل فسر الله تعالى

الاصطفاء في الكتاب؟

فقال الرضا عليه السلام: فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطناً وموضعاً. فأول ذلك - إلى قوله -: والآية السادسة قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ^(٤). وهذه خصوصية للنبي صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة، وخصوصيته للأكل دون غيره. وذلك أن الله تعالى حكى ذكر نوح عليه السلام في كتابه: «يا قوم لا أسألكم عليه

١. أنوار التنزيل ٤٧١/١.

٢. العيون ٢٣١/١ و ٢٣٣ - ٢٣٤.

٤. الشورى ٢٠.

٣. ليس في المصدر.

مالاً إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إِنْهُمْ ملاقو رَبِّهِمْ ولكنِّي أريكم قوماً تجهلون»^(١). وحكى ﷺ عن هود عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ». وقال ﷺ لَنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: «قُلْ يَا مُحَمَّدُ: «لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى». ولم يفرض الله تعالى مودتهم إلا وقد علم أَنَّهُمْ لَا يَرْتَدُّونَ عَنِ الدِّينِ أَبَداً، وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى الضَّلَالِ بَعْدَ الْإِيمَانِ»^(٢).

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾: اطلبوا مغفرة الله بالإيمان، ثُمَّ تَوَسَّلُوا إِلَيْهَا بالتوبة، وأيضاً التبري من الغير إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الْإِيمَانِ والرغبة فيما عنده.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً﴾: كثير الدَّر.

﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾: يضاعف قوتكم.

قيل^(٣): إِنَّمَا رَغِبَهُمْ بِكَثْرَةِ الْمَطَرِ وَزِيَادَةِ الْقُوَّةِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَصْحَابَ زُرُوعٍ وَعِمَارَاتٍ.

وقيل^(٤): حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسايتهم ثلاث^(٥) سنين. فوعدهم هود عليه السلام على الإيمان والتوبة بكثرة الأمطار، وتضاعف القوة بالتنازل.

﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا﴾: وَلَا تَعْرَضُوا عَمَّا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ.

﴿مُجْرِمِينَ﴾^(٦): مصرِّين على إجرامكم.

﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: بِحِجَّةٍ تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ دَعْوَاكَ. وَهُوَ كَذِبٌ وَجُحُودٌ،

لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا﴾: بتاركي عبادتهم.

﴿عَنْ قَوْلِكَ﴾: صادرين عن قولك. حال من الضمير في «تاركي».

﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٧): إقنأط له من الإجابة والتصديق.

٢. المصدر: «ضلال أبدأ» بدل «الضلال بعد الإيمان».

١. هود/٢٩.

٤. أنوار التنزيل ١/٤٧١.

٣. أنوار التنزيل ١/٤٧١.

٥. المصدر: ثلاثين سنة.

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾: ما نقول إلّا قولنا: اعتراك، أي أصابك. من عراه يعروه: إذا أصابه.

﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾: بجنون، لسببك إيتاهم وصدك عنها. ومن ذلك تهذي وتكلم بالخرافات.

والجملة مفعول القول، وإلّا لا عمل لها لأن الاستثناء مفرغ.

﴿قَالَ إِنِّي أَنشِئُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾ ﴿١٢﴾: أجاب به عن مقالتهن الحمقاء، بأن أشهد الله تعالى على براءته من آلهتهن وفراغه عن إضرارهم، تأكيداً لذلك وتثبيتاً له. وأمرهم بأن يشهدوا عليه استهانة بهم، وأن يجتمعوا على الكيد في إهلاكه من غير إِنْظَار، حتّى إذا اجتهدوا فيه، ورأوا أنّهم عجزوا عن آخرهم وهم الأقوياء الأشداء أن يضروه، لم يبق شبهة أنّ آلهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تتمكّن من إضراره.

وهذا من جملة معجزاته، فإنّ مواجهة الواحد الجسم الغفير من الجبابرة العتاة العطاش إلى إراقة دمه بهذا الكلام ليس إلّا لثقتة بالله، وتبّطهم عن إضراره ليس إلّا بعصمته إيّاه. ولذلك عبّاه بقوله:

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾: تقريراً له.

والمعنى: أنكم وإن بذلتم غاية وسعكم لم تضروني. فإنّي متوكّل على الله واثق بكلاءته، وهو مالكي ومالككم، لا يحيق بي ما لم يرده، ولا تقدرون على ما لم يقدره. ثمّ برهن عليه بقوله:

﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾: أي إلّا هو مالك لها قادر عليها، يصرفها على ما يريد بها. و«الأخذ بالناصي» تمثيل لذلك.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١٣﴾: أي إنّ الله على الحقّ والعدل، فلا يضيع عنده معصم ولا يفوته ظالم.

وفي تفسير العياشي^(١): عن أمير المؤمنين عليه السلام يعني: أنه على حق، يجزي بالإحسان إحساناً وبالسيء سيئاً، ويعفو عمن يشاء ويغفر للمؤمنين.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: فإن تولوا.

﴿فَقَدْ أبلغتكم ما أُرسلت به إليكم﴾: فقد أديت ما عليّ من الإبلاغ والزام الحجة، فلا تفريط منّي ولا عذر لكم، فقد أبلغتكم ما أُرسلت به إليكم.

﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾: استئناف بالوعيد لهم، بأن الله يهلكهم ويستخلف قوماً آخرين في ديارهم وأموالهم. أو عطف على الجواب بالفاء، ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع، وكأنه قيل: فإن تولوا يعذرني ويستخلف.

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾: بتوليكم.

﴿شَيْئاً﴾: من الضرر. ومن جزم «يستخلف» أسقط النون منه.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾^(٢): رقيب، فلا تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم. أو حافظ مستول عليه، فلا يمكن أن يضره شيء.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: عذابنا، أو أمرنا بالعذاب.

﴿نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾: قيل^(٣): كانوا أربعة آلاف.

﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾^(٤): تكرير لبيان ما نجاهم عنه^(٥).

قيل: هو السموم، كانت تدخل من أنوف الكفرة وتخرج من أدبارهم، فتقطع أعضاءهم.

أو المراد به: تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضاً. والتعريض بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم، فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾: أنت اسم الإشارة باعتبار القبيلة. أو لأن الإشارة إلى قبورهم وآثارهم.

٢. أنوار التنزيل ٤٧٢/١.

١. تفسير العياشي ١٥١/٢، ح ٤٢.

٣. تفسير البضاوي ٥٦٦/١.

﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: كفروا بها.

﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾: لأنهم عصوا رسولهم. ومن عصى رسولاً، فكأنما عصى الكل.

لأنهم أمروا بطاعة كل رسول.

﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (٥٨): يعني كبراءهم الطاغين. و«عنيد» من عنَدَ، عنداً،

وعنداً، وعنوداً: إذا طغى.

والمعنى: عصوا من دعاهم إلى الإيمان وما ينجيهم، وأطاعوا من دعاهم إلى الكفر

وما يرد بهم.

﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين،

تكبهم في العذاب.

﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾: جحدوه. أو كفروا نعمه. أو كفروا به، فحذف الجار.

﴿أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ﴾: دعاء عليهم بالهلاك. والمراد به: الدلالة على أنهم كانوا

مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم. وإنما كرر «ألا» وأعاد ذكرهم، تفضيلاً

لأمرهم وحثاً على الاعتبار بحالهم.

﴿قَوْمٌ هُودٍ﴾ (٥٩): عطف بيان «لعاد». وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية، عاد إرم.

والإيماء إلى استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): قال: إن عاداً كانت بلادهم في البادية من الشقيق^(٢)

إلى الأجر أربعة منازل. وكان لهم زرع ونخيل كثير، ولهم أعمار طويلة وأجسام

طويلة، فعبدوا الأصنام. وبعث الله إليهم هوداً يدعوهم إلى الإسلام وخلع الأنناد،

فأبوا ولم يؤمنوا بهود وأذوه، فكفت السماء عنهم سبع سنين حتى قحطوا. وكان هود

زرّاعاً. وكان يسقي الزرع، فجاء قوم إلى بابه يريدونه، فخرجت عليهم امرأة شمطاء

عوراء.

١. تفسير القمي ٣٢٩/١ - ٣٣٠.

٢. كذا في المصدر وفي النسخ: المشرق. والشقيق والأجر: منزلان بطريق مكة.

فقلت: من أنتم؟

فقالوا: نحن من بلاد كذا وكذا، أجدبت بلادنا، فجئنا إلى هود نسأله أن يدعو الله حتى نمطر^(١) وتخصب بلادنا.

فقلت: لو استجيب^(٢) لهود لدعا لنفسه، فقد احترق زرعه لقلة الماء.

قالوا: فأين هود؟

قلت: هو في موضع كذا وكذا.

فجاؤوا إليه، فقالوا: يا نبي الله، قد أجدبت بلادنا ولم نمطر^(٣)، فاسأل الله أن يخصب بلادنا ونمطر^(٤).

فهياً للصلاة، وصلى ودعا لهم.

فقال لهم: ارجعوا، فقد أمطرت^(٥) وأخصب بلادكم.

فقالوا: يا نبي الله، إننا رأينا عجباً.

قال: وما رأيتم؟

قالوا: رأينا في منزلك امرأة شمطاء عوراء، قال لنا: من أنتم، وما تريدون؟ فقلنا: جئنا إلى هود، ليدعو الله لنا فнемطر. فقلت: لو كان هود داعياً لدعا لنفسه، فإن زرعه قد احترق.

فقال هود: تلك^(٦) أهلي، وأنا أدعو الله لها بطول البقاء.

فقالوا: وكيف ذلك؟

قال: لأنه ما خلق الله مؤمناً إلا وله عدو يؤذيه، وهي عدوتي. فلأن يكون عدوي ممن أملكه خير من أن يكون عدوي ممن يملكني.

٢. كذا في المصدر وفي النسخ: استجيب.

٥. ب: مطرتم.

١. المصدر: تمطر.

٣ و٤. المصدر: تمطر.

٦. كذا في المصدر وفي النسخ: «هو ذاك» بدل «هود تلك».

فبقي هود في قومه يدعوهم إلى الله، وينهاهم عن عبادة الأصنام حتى تخصب^(١) بلادهم. وأنزل الله عليهم المطر، وهو قول ﷺ: «يا قوم استغفروا ربكم» الآيات. فلما لم يؤمنوا، أرسل الله عليهم الريح الصرصر [يعني: الباردة]^(٢). وهو قوله في سورة القمر^(٣): «كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر، إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر»^(٤). وحكى في سورة الحاقة، فقال: «وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً»^(٥).

قال: كان القمر منحوساً بزحل سبع ليال وثمانية أيام.

قال: فحدثني^(٦) أبي، عن ابن أبي عمير، عن عبدالله بن سنان، عن معروف بن خربوذ^(٧)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الريح العقيم تخرج من تحت الأرضين السبع. وما خرج منها شيء قط إلا على قوم عاد حين غضب الله عليهم. فأمر الخزان أن يخرجوا منها مثل سعة الخاتم. فعصت على الخزنة، فخرج منها مثل مقدار منخر القور تغيطاً منها على قوم عاد. فضجّ الخزنة إلى الله من ذلك.

فقالوا: يا ربنا، إنها قد عصت^(٨) علينا، ونحن نخاف أن يهلك من لم يعصك من خلقك وعمار بلادك.

فبعث الله جبرئيل فردّها بجناحه، وقال لها: اخرجي على ما أمرت به.

فخرجت^(٩) على ما أمرت به، فأهلك^(١٠) قوم عاد ومن كان بحضرتهم.

﴿وَالَّذِي ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ

١. كذا في المصدر وفي النسخ: اخسبت.

٢. من المصدر.

٣. المصدر: «اقتربت» بدل «القمر».

٤. القمر/١٨ - ١٩.

٥. الحاقة ٦٧ - ٦٨.

٦. تفسير القمي ١/ ٣٢٩ - ٣٣٠.

٧. كذا في المصدر وجامع الرواة ٢٤٦/٢ وفي النسخ: خربوز.

٨. المصدر: عنت.

٩. كذا في المصدر وفي النسخ: فأهلك.

١٠. المصدر: فرجعت وخرجت.

الْأَرْضِ: ﴿هُوَ كَوْنُكُمْ مِنْهَا لَا غَيْرَهُ. فَإِنَّهُ خَلَقَ آدَمَ وَمَوَادَّ النُّطْفِ الَّتِي خَلَقَ نَسْلَهُ مِنْهَا مِنَ التُّرَابِ.﴾

﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: عَمَّرَكُمْ واستبقاكم من العمر. أو أقدركم على عمارتها وأمركم بها.

وقيل ^(١): ﴿هُوَ مِنَ الْعُمَرَى، بِمَعْنَى: أَعْمَرَكُمْ فِيهَا دِيَارَكُمْ، وَبِيرْثِهَا مِنْكُمْ بَعْدَ انْصِرَامِ أَعْمَارِكُمْ. أَوْ جَعَلَكُمْ مَعْمَرِينَ دِيَارَكُمْ تَسْكُنُونَهَا مَدَّةَ عُمْرِكُمْ، ثُمَّ تَتْرَكُونَهَا لغيرِكُمْ.﴾
فعلى الأول «استعمر» بمعنى: أَعْمَرَ وعلى الثاني، بمعنى: جَعَلَكَ مَعْمَرًا. جاز في الاستفعال الوجهان.

﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾: قَرِيبُ الرَّحْمَةِ.

﴿مُجِيبٌ﴾ ^(١٦): لِدَاعِيهِ.

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾: لَمَّا نَرَى فِيكَ مِنْ مَخَايِلِ الرُّشْدِ وَالسَّدَادِ، أَنْ تَكُونَ لَنَا سَيِّدًا وَمُسْتَشَارًا فِي الْأُمُورِ، وَأَنْ تَوَافِقَنَا فِي الدِّينِ. فَلَمَّا سَمِعْنَا هَذَا الْقَوْلَ مِنْكَ، انْقَطَعَ رَجَاؤُنَا عَنْكَ.

﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾: عَلَى حِكَايَةِ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ.

﴿وَأَنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾: مِنَ التَّوْحِيدِ، وَالتَّبَرُّؤِ عَنِ الْأَوْثَانِ.

﴿مُرِيبٌ﴾ ^(١٧): مَوْقِعٌ فِي الرِّيْبَةِ. مِنْ أَرَابِهِ. أَوْ ذِي رِيْبَةٍ، عَلَى الْإِسْنَادِ الْمَجَازِيِّ. مِنْ أَرَابٍ فِي الْأَمْرِ.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾: بَيَانٌ وَبَصِيرَةٌ. وَحَرْفُ الشَّكِّ بِاعْتِبَارِ

الْمَخَاطِبِينَ.

﴿وَأَتَأْنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾: نَبْوَةٌ.

﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾: فَمَنْ يَمْنَعُنِي مِنْ عَذَابِهِ.

﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾: في تبليغ رسالته، والمنع عن الإشراك به.

﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾: إذن باستتباعكم إيتاي.

﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾^(١٧): غير أن تخسروني بإبطال ما منحني الله والتعرض لعذابه. أو فما

تزيدونني بما تقولون لي غير أن أنسبكم إلى الخسران.

﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾: انتصب «آية» على الحال، وعاملها معنى الإشارة.

و«لكم» خال منها تقدمت عليها، لتكثيرها.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ﴾: ترع نباتها وتشرب ماءها.

﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾^(١٨): عاجل. لا يتراخى عن مسكم لها

بالسوء إلا يسيراً، وهو ثلاثة أيام.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّنَا فِي دَارِكُمْ﴾: عيشوا في منازلكم، أو في داركم الدنيا.

وفي عيون الأخبار^(١٩)، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من خبر الشامي وما يسأل عنه

أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة حديث طويل. وفيه: ثم قام إليه آخر، فقال: يا

أمير المؤمنين، أخبرني عن يوم الأربعاء وتطيرنا منه وثقله منه^(٢٠)، وأي أربعاء هو؟

قال: آخر أربعاء في الشهر وهو المحاق، وفيه قتل قابيل أخاه، إلى أن قال عليه السلام: ويوم

الأربعاء عقروا الناقة.

﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾: الأربعاء والخميس والجمعة، ثم تهلكون.

﴿ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرٌ مَكْذُوبٍ﴾^(٢١): أي غير مكذوب فيه. فأتسع بإجرائه مجرى

المفعول به، كقوله:

ويوماً شهدناه سليماً وعامراً

أو غير مكذوب على المجاز، وكأن هذا الواعد قال له: أفني بك، فإن وفي به صدقه

والأكذبه.

أو وعد غير كذب، على أنه مصدر، كالمجلود والمعقول.

وفي مجمع البيان^(١): وروى جابر بن عبد الله الأنصاري، أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك قام فخطب الناس، وقال: يا أيها الناس، لا تسألوا نبيكم الآيات. فهؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم الناقة، فكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم وردها ويحلبون من لبنها، مثل الذي كانوا يشربون من مائها يوم غبها^(٢). فعتوا عن أمر ربهم «فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام» فذلك وعد من الله غير مكذوب. ثم جاءتهم الصيحة، فأهلك الله من كان في مشارق الأرض ومغاربها منهم، إلا رجلاً كان في حرم الله، فمنعه حرم الله من عذاب الله تعالى، يقال له: أبو رغال^(٣).

قيل: يا رسول الله، من أبو رغال؟

قال: أبو ثقيف.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ: أَيُّ وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ. وَهُوَ هَلَاكُهُم بِالصَّيْحَةِ، أَوْ ذَلَهُمْ وَفُضِيحَتُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَعَنْ نَافِعٍ^(٤) وَالْكَسَائِيِّ، هُنَا وَفِي الْمَعَارِجِ، فِي قَوْلِهِ: «مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ» بِالْفَتْحِ، عَلَى اكْتِسَابِ الْمُضَافِ الْبِنَاءَ مِنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْقَزِيرُ﴾^(٥): القادر على كل شيء والغالب عليه.

وفي أصول الكافي^(٦): محمد بن أبي عبد الله، رفعه إلى أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام. فسأله رجل، فقال: أخبرني عن الرب تبارك وتعالى له أسماء وصفات في كتابه، وأسماء وصفاته هي هو^(٧)؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: إن لهذا الكلام وجهين. إلى قوله: وكذلك سمينا ربنا قوياً،

١. المجمع ١٧٥٣.

٢. الغب: من أورد الإبل، أن ترو الماء يوماً وتدعوه يوماً ثم تعود.

٣. نور الثقلين ٣٧٤/٢، ح ١٥١: أبو زعال.

٤. أنوار التنزيل ٤٧٤/١.

٥. الكافي ١١٦١ و ١١٧ صدر وقطعة من ح ٧. ٦. كذا في المصدر وفي النسخ: هي.

لا بقوة البطش المعروف من المخلوق. ولو كانت قوته [قوة^(١)] البطش المعروف من المخلوق، لوقع التشبيه ولاحتتمل الزيادة. وما احتتمل الزيادة احتتمل^(٢) النقصان. وما كان ناقصاً [كان^(٣)] غير قديم. وما كان غير قديم كان عاجزاً.

﴿وَلَا تَخْذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾^(٤): ميتين.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾: كأن لم يقيموا فيها أحياء. وتام القصة قد سبق في سورة الأعراف.

﴿الْأَن لَّئِنْ تُمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾: ونونه أبوبكر هاهنا وفي النجم. والكسائي في جميع

القرآن. وابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو في قوله:

﴿الْأَبْعَدُ لِمُؤَدَّ﴾^(٥): ذهاباً إلى الحي، أو الأب الأكبر.

وفي روضة الكافي^(٦): علي بن محمد، عن علي بن العباس، عن الحسن بن

عبد الرحمن، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام حديث

طويل، يذكر فيه قصة صالح عليه السلام وقوله. وفيه قال: يا قوم، [إنكم]^(٧) تصبحون غداً

ووجوهكم مصفرة، واليوم الثاني ووجوهكم محمرة، واليوم الثالث ووجوهكم

مسودة.

فلما أن كان أول يوم، أصبحوا ووجوههم مصفرة. فمشى بعضهم إلى بعض،

وقالوا: قد جاءكم ما قال لكم صالح.

فقال العتاة منهم: لا نسمع قول صالح، ولا نقبل قوله وإن كان عظيماً.

فلما كان اليوم الثاني، أصبحت وجوههم محمرة. فمشى بعضهم إلى بعض،

فقالوا: يا قوم، قد جاءكم ما قال لكم صالح.

١. من المصدر.

٢. كذا في المصدر وفي النسخ: «احتمال» بدل «وما احتتمل الزيادة احتتمل».

٣. من المصدر.

٤. الكافي ١٨٨/٨ - ١٨٩، ذيل ج ٢١٤.

٥. من المصدر.

فقال العتاة منهم: لو أهلكنا^(١) جميعاً، ما سمعنا قول صالح ولا تركنا آلهتنا التي كان أبائنا يعبدونها. ولم يتوبوا، ولم يرجوا. فلما كان اليوم الثالث، أصبحوا ووجوههم مسودة. فمشى بعضهم إلى بعض، وقالوا: يا قوم، أتاكم ما قال لكم صالح. فقال العتاة منهم: قد أتانا ما قال لنا صالح.

فلما كان نصف الليل، أتاهم جبرئيل، فصرخ بهم صرخة خرقت تلك الصرخة أسمعهم وفلقت قلوبهم وصدعت أكبادهم. وقد كانوا في تلك الثلاثة أيام قد تحنطوا وتكفّنوا، وعلموا أنّ العذاب نازل بهم. فماتوا أجمعين في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم، فلم يبق لهم ناعقة ولا راغية^(٢) ولا شيء إلا أهلكه الله. فأصبحوا في ديارهم وكانوا في^(٣) مضاجعهم موتى أجمعين، ثم أرسل الله عليهم مع الصيحة النار من السماء، فأحرقهم أجمعين.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ﴾: يعني الملائكة.

قيل^(٤): كانوا تسعة.

وقيل^(٥): كانوا ثلاثة: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل.

وفي مجمع البيان^(٦): عن الصادق عليه السلام قيل: كانوا أربعة: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وكروبيل.

﴿يَا بَشَرُ﴾: قيل^(٧) بهلاك قوم لوط.

وفي مجمع البيان^(٨) وفي تفسير العياشي^(٩): عن الباقر عليه السلام: أنّ هذه البشارة كانت بإسماعيل، من هاجر.

٢. كذا في المصدر وفي النسخ: ناعية ولا داعية.

٤. أنوار التنزيل ١/٤٧٤.

٦. المجمع ٣/١٧٩.

٨. المجمع ٣/١٧٠.

١. كذا في المصدر وفي النسخ: «ان هلكنا».

٣. ليس في المصدر: كانوا في.

٥. أنوار التنزيل ١/٤٧٤.

٧. أنوار التنزيل ١/٤٧٤.

٩. تفسير العياشي ٢/١٥٢، ضمن ح ٤٤.

ويأتي من العلل .

وفي تفسير العياشي ^(١) : أنها بإسحاق .

﴿ قَالُوا سَلَامًا ﴾ : سَلَمْنَا عليك سلاماً . ويجوز نصبه بِـ «قالوا» على معنى : ذكروا

سلاماً .

﴿ قَالَ سَلَامٌ ﴾ : أي أمركم ، أو جوابي سلام ، أو عليكم سلام . رفعه إجابة بأحسن من

تحيتهم .

وقرأ ^(٢) حمزة والكسائي : «سلم» وكذلك في الذاريات . وهما لغتان كحرم ، أو

حرام .

وقيل ^(٣) : المراد به : الصلح .

﴿ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيزٍ ﴾ ^(٤) : فما أبطأ مجينه به ، أو فما أبطأ في المجيء به ، أو

فما تأخر عنه . والجارّ مقدر أو محذوف .

و«الحنيز» المشوي بالرفض ^(٥) .

وقيل ^(٦) : الذي يقطر ^(٧) ودكه . من حنذت الفرس : إذا عرقته بالجلال . لقوله : «بعجل

سمين» ^(٨) .

وفي تفسير العياشي ^(٩) : عن الباقر عليه السلام يعني : زكياً ^(١٠) مشوياً نضيجاً .

وعن الصادق عليه السلام ^(١١) يعني : مشوياً نضيجاً .

وعنه ^(١٢) عليه السلام أنه قال : كلوا . فقالوا : لا نأكل حتّى نخبرنا ما ثمنه .

١ . تفسير العياشي ١٥٢/٢ ، ح ٤٤ و ٤٥ . ٢ . أنوار التنزيل ٤٧٤/١ .

٣ . أنوار التنزيل ٤٧٤/١ .

٤ . الرضف - جمع رضة - : الحجر المحمي بالنار أو الشمس .

٥ . نفس المصدر والموضع . ٦ . كذا في المصدر وفي النسخ : يقطرك .

٧ . الذاريات : ٢٦ . ٨ . تفسير العياشي ١٥٢/٢ ، ضمن ح ٤٤ .

٩ . كذا في المصدر وفي النسخ : ذكياً . ١٠ . نفس المصدر والمجلد ١٥٤ ، ح ٤٨ .

١١ . نفس المصدر والمجلد ١٥٣ - ١٥٤ ، ح ٤٧ بتصرف في صدره .

فقال: إذا أكلتم، فقولوا: بسم الله. وإذا فرغتم، فقولوا: الحمد لله.
فالتفت جبرئيل إلى أصحابه، وكانوا أربعة رئيسهم جبرئيل، فقال: حقّ الله أن يتخذ
هذا خليلاً^(١).

﴿ فَلَمَّا رَأَى أَنِّي أَبَدِيهِمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ ﴾: لا يمدّون إليه أيديهم.

﴿ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾: أنكر ذلك منهم، وخاف أن يردوا به مكروهاً.

و«نكر» و«أنكر» و«استنكر» بمعنى.

والإيجاس: الإدراك.

وقيل^(٢): الإضمار.

﴿ قَالُوا ﴾: له لما أحسوا منه أثر الخوف.

﴿ لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾^(٣): إنا ملائكة مرسله إليهم بالعذاب. وإنما لم

نمدّ إليه أيدينا، لأننا لا نأكل.

﴿ وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ ﴾: وراء الستر تسمع محاورتهم، أو على رؤوسهم للخدمة. وهي

سارة ابنة لاجج. وهي ابنة خالته.

وفي تفسير العياشي^(٤): إنما عنى: سارة.

﴿ فَضَحِكَتْ ﴾: سروراً بزوال الخيفة. أو بهلاك أهل الفساد. أو بإصابة رأيها، فإنها

كانت تقول لإبراهيم: أضمم إليك لوطاً، فأني أعلم أنّ العذاب ينزل بهؤلاء القوم.

وقيل^(٥): «فضحكت» أي فحاضت.

قال [الشاعر]:^(٥)

وعهدي بسلمى ضاحكاً في لبابة ولم تعد حقاً ثديها أن تحلبا

ومنه: ضحكت السمرة: إذا سال صمغها.

٢. أنوار التنزيل ١/٤٧٤.

٤. أنوار التنزيل ١/٤٧٤.

١. كذا في المصدر وفي النسخ: خليله.

٣. تفسير العياشي ١٥٢/٢، ضمن ح ٤٤.

٥. من المصدر.

وقرئ^(١) بفتح الحاء.

وفي كتاب علل الشرائع^(٢)، وفي تفسير العياشي^(٣): عن الباقر، يعني: تعجبت^(٤) من قولهم.

وفي معاني الأخبار^(٥) وفي مجمع البيان^(٦)، وفي تفسير العياشي^(٧): عن الصادق عليه السلام: حاضت.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٨): ضحكت، أي حاضت. وقد كان ارتفع حيضها منذ دهر طويل.

﴿قَبَسْرُنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾^(٩) نصبه^(١٠) ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام، وتقديره: ووهبناها من وراء إسحاق يعقوب. وقيل^(١١): إنه معطوف على موضع «إسحاق» أو على لفظ «إسحاق». وفتحته للجذر، فإنه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف.

وقرأ^(١٢) الباقون بالرفع، على أنه مبتدأ خبره الظرف، أي ويعقوب مولود من بعده. وقيل^(١٣): «الوراء» ولد الولد. ولعله سمي به لأنه بعد الولد. وعلى هذا تكون إضافته إلى إسحاق ليس من حيث أن يعقوب وراءه، بل من حيث أنه وراء إبراهيم من جهته، وفيه نظر. والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة، كيحيى. ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد أن ولدا، فسميا^(١٤) به. وتوجيه البشارة إليها للدلالة على أن الولد المبشّر به يكون منها، ولأنها كانت عقيمة حريصة على الولد.

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَا﴾: يا عجباً. وأصله في الشرّ، فأطلق في كل أمر فظيع.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. العلل/٥٥٠، ذيل ح ٤.

٣. تفسير العياشي ١٥٢/٢، ذيل ح ٤٤.

٤. تفسير العياشي: فعجبت.

٥. معاني الأخبار/٢٢٤، ح ١.

٦. المجمع ١٨٠/٣.

٧. تفسير العياشي ١٥٢/٢، صدر ح ٤٥.

٨. تفسير القمي ١/٣٣٤.

٩-١٢. أنوار التنزيل ٤٧٤/١.

١٣. كذا في المصدر وفي أ، ب: فسمّيناه به، وفي سائر النسخ: فسمّياه به.

وقرئ^(١) بالياء، على الأصل.

﴿الِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾: ابنة تسعين.

﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾: زوجي. وأصله القائم بالأمر.

﴿شَيْخًا﴾: ابن مائة وعشرين.

ونصبه على الحال، والعامل فيها معنى الإشارة.

وقرئ^(٢) بالرفع، على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي هو شيخ. أو خبر بعد خبر. أو هو

الخبر، و«بعلي» بدل.

وفي كتاب علل الشرائع^(٣): عن أحدهما عليه السلام: وهي يومئذ ابنة تسعين سنة،

وإبراهيم يومئذ ابن عشرين ومائة سنة. وسيأتي الخبر بتمامه.

﴿إِنَّ هَذَا لَنَسِيٍّ عَجِيبٌ﴾ (٧): يعني الولد من هرمين^(٤). وهو استعجاب من حيث

العادة دون القدرة، ولذلك

﴿قَالُوا اتَّعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةً اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾: منكرين عليها. فإن

خوارق العادات، باعتبار أهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم

والكرامات، ليس ببدع ولا حقيق بأن يستغربه عاقل، فضلاً عما نشأت وشابت في

ملاحظة الآيات.

و«أهل البيت» نصب على المدح، أو النداء لقصد التخصيص، كقولهم: اللهم اغفر

لنا أيتها العصابة.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٥): أَنَّ الصَّادِقَ عليه السلام سَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ. فَقَالَ الرَّجُلُ: وَعَلَيْكُمْ

السلام ورحمة الله وبركاته ورضوانه.

١ و٢. أنوار التنزيل ٤٧٥/١.

٣. العلل/٥٥١، صدرح/٦.

٤. الهرم: الشيخ، يبلغ أقصى الكبر.

٥. لم نعر عليه في المعاني ولا في مظانه من البحار، ولكن رواه الحويزي في تفسير نور الثقلين ٣٨٦/٢.

ح ١٧٠.

فقال: لا تجاوزوا بنا قول الملائكة لأبينا إبراهيم: «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد».

وفي أصول الكافي^(١): أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن جميل، عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: مرّ أمير المؤمنين عليه السلام بقوم، فسلم عليهم. فقالوا: عليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه.

فقال لهم أمير المؤمنين: لا تجاوزوا بنا، مثل ما قالت الملائكة لأبينا إبراهيم، إنما قالوا: «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت».

وفي روضة الكافي^(٢): علي بن محمد، عن علي بن العباس، عن علي بن حماد، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يوقد من شجرة مباركة»^(٣) [فأصل الشجرة المباركة]^(٤) إبراهيم عليه السلام. وهو قول الله تعالى: «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير العياشي^(٥): عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن علي بن أبي طالب مرّ بقوم فسلم عليهم. فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه.

فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: لا تجاوزوا بنا^(٦) ما قالت الأنبياء لأبينا إبراهيم عليه السلام. إنما قالوا: «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد».

وروى الحسن بن محمد مثله، غير أنه قال: ما قالت الملائكة [لأبينا عليه السلام]^(٧).
﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ : فاعل ما يستوجب به الحمد.

٢. الكافي ٣٨١/٨، ضمن ح ٥٧٤.

١. الكافي ٦٤٦/٢، ح ١٣.

٣. كذا في المصدر وجامع الرواة ٥٧٧/١. وفي النسخ: بن.

٥. من المصدر.

٤. النور ٣٥.

٧. المصدر: «تجاوزنا» بدل «تجاوزوا بنا».

٦. تفسير العياشي ١٥٤/٢، ح ٥٠.

٩. من المصدر.

٨. نفس المصدر والموضع.

﴿مَجِيدٌ﴾^(٧٢): كثير الخير والإحسان.

وفي تفسير العياشي^(١): عن الصادق عليه السلام قال: أوحى الله إلى إبراهيم أنه سيولد لك فقال لسارة.

فقلت: «ألد وأنا عجوز؟»

فأوحى الله إليه أنها ستلد ويعذب أولادها أربعمئة سنة بردها الكلام علي.

قال: فلما طال على بني إسرائيل العذاب، ضجوا وبكوا إلى الله أربعين صباحاً.

فأوحى الله إلى موسى وهارون، نخلصهم من فرعون. فحط عنهم سبعين ومئة سنة.

قال: وقال أبو عبد الله عليه السلام: هكذا أنتم، لو فعلتم لفرج الله عنا. فأما إذا لم تكونوا، فإن

الامر ينتهي إلى منتهاه.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾: أي ما أوجس من الخيفة، واطمأن قلبه بعرفانهم.

﴿وَجَاءَهُ أَبَشْرَى﴾: بدل «الروع».

﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾^(٧٣): يجادل رسلنا في شأنهم، ومجادلته إياهم قوله: «إن فيها

لوطاً». وكان لوط ابن خالته.

وهو إما جواب لما جيء به مضارعاً على حكاية الحال. أو لأنه في سياق الجواب

بمعنى الماضي، كجواب «لو» أو دليل جوابه المحذوف، مثل اجترأ على خطابنا، أو

شرع في جدالنا. أو متعلق به، فقام مقامه، مثل أخذ، أو أقبل يجادلنا.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: غير عجول على الانتقام على من أساء إليه.

﴿أَوَّاهٌ﴾: كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس.

وفي تفسير العياشي^(٢): عنهما عليه السلام قال: دعاء.

﴿مُنِيبٌ﴾^(٧٤): راجع إلى الله. والمقصود من ذلك: بيان الحامل له على المجادلة،

وهو رقة قلبه وفرط ترحمه.

٢. تفسير العياشي ١٥٤/٢، ح ٥١.

١. تفسير العياشي ١٥٤/٢، ح ٤٩.

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ﴾: على إرادة القول، أي قالت الملائكة: يا إبراهيم.
 ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾: الجدل، وإن كانت الرحمة حملتك عليه فلا فائدة فيه.
 ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر إلا عن حكمة.
 ﴿وَأَنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾^(٣): غير مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك.
 ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: لآتهم مجيئهم، لأنهم جاؤوا في صورة غلمان، فظن أنهم أناس. فخاف عليهم أن يقصدهم قومه، فيعجز عن مدافعتهم.
 ﴿وَصَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا﴾: وضاق بمكانهم ذرعه. وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتياط فيه.

﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾^(٤): شديد. من عصبه: إذا شده.
 ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾: يسرعون إليه، كأَنهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من أضيافه.

﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾: ومن قبل ذلك الوقت.
 ﴿كَانُوا يَفْعَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: الفواحش. فتمرّنوا بها ولم يستحيوا منها، حتّى جاؤوا يهرعون لها مجاهرين.
 ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾: فدى بهن أضيافه، كراماً وحمية.
 والمعنى: هؤلاء بناتي، فتزوّجن. وكانوا يطلبونهنّ قبل فلا يجيبهن، لخبثهم وعدم كفاءتهم.

وفي الكافي^(١) وفي تفسير العياشي^(٢): عن الصادق عليه السلام: عرض عليهم التزويج. وفي تفسير العياشي^(٣): عن أحدهما عليه السلام: أنّه وضع يده على الباب ثمّ ناشدهم، فقال: «اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي [قالوا أو لم نهك عن العالمين]»^(٤). ثمّ عرض عليهم بناته بنكاح.

٢. تفسير العياشي ١٥٦/٢، ذيل ح ٥٤.

١. الكافي ٥٤٨/٥، ح ٧.

٤. من المصدر.

٣. نفس المصدر والموضع، ضمن ح ٥٤.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١) قال: عنى به: أزواجهم. وذلك أن النبي هو أبو أمته، فدعاهم إلى الحلال ولم يكن يدعوهم إلى الحرام.

وقيل^(٢): دعاهم إليه لإظهاراً لشدة امتعاضه من ذلك، كي يرقّوا له.

﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾: أنظف فعلاً، وأقلّ فحشاً.

قيل^(٣): يعني أدبارهنّ.

كقولك: الميتة أطيب من المغصوب، وأحلّ منه.

وقرئ^(٤): «أطهر» بالنصب، على أنّ «هنّ» خبر «بناتي» كقولك: هذا أخي هو.

لا فصل، فإنه لا يقع بين الحال وصاحبها.

وفي تهذيب الأحكام^(٥): أحمد بن محمد بن محمد^(٦) بن عيسى، عن موسى بن عبد الملك،

والحسين بن علي بن يقطين وموسى بن عبد الملك، عن رجل قال: سألت أبا الحسن

الرضا عليه السلام عن إتيان الرجل المرأة من خلفها.

قال: أحله^(٧) آية من كتاب الله، قول لوط: «هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم». وقد علم

أنهم لا يريدون الفرج.

وفي تفسير العياشي^(٨): الحسين بن علي بن يقطين قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن

إتيان الرجل المرأة من خلفها. وذكر مثله.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: بترك الفواحش. أو بإيثارهنّ عليهم.

﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾: ولا تفضحوني، من الخزي. أو ولا تخجلوني، من الخرازية،

بمعنى: الحياء.

﴿فِي صَبِيغِي﴾: في شأنهم. فإن إخزاء ضيف الرجل إخزاؤه.

١. تفسير القمي ٣٣٥/١.

٢. أنوار التنزيل ٤٧٦/١.

٣. تفسير الصافي ٤٦١/٢.

٤. أنوار التنزيل ٤٧٦/١.

٥. التهذيب ٤١٤/٧-٤١٥، ح ١٦٥٩.

٦. ليس في المصدر: ابن محمد.

٧. المصدر: أحلتها.

٨. تفسير العياشي ١٥٧/٢، ح ٥٦.

﴿الَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ زَشِيذٌ﴾^(٧٨): يهتدي إلى الحق، ويرعوي عن القبيح.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكِ مِنْ حَقٍّ﴾: حاجة.

﴿وَأَنْتَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾^(٧٩): وهو إتيان الذكران.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾: لو قويت بنفسي على دفعكم.

﴿أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾^(٨٠): أي قوي، أتمنع به عنكم. شبهه بركن الجبل في

شدته.

وقرئ^(١): «أو آوي» بالنصب، بإضمار «أن» كأنه قال: لو أن لي بكم قوّة أو إيواء.

وجواب «لو» محذوف، تقديره: لدفعتمكم.

وفي الجوامع^(٢): قال جبرئيل: إنّا ركنك الشديد، افتح الباب ودعنا وإياهم.

وفي مجمع البيان^(٣): عن الصادق عليه السلام: [فقال جبرئيل: ^(٤)] «لو يعلم أي قوّة له.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم^(٥) رحم الله أخيه لوطاً، كان يأوي إلى ركن شديد.

وفي الكافي^(٦): عن الباقر عليه السلام: رحم الله لوطاً، لو يدري من معه في الحجرة لعلم أنّه

منصور. حيث يقول: «لو أن لي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد». أي ركن أشدّ من

جبرئيل معه في الحجرة.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٧)، بإسناده إلى أبي بصير قال: قال أبو

عبدالله عليه السلام: ما كان قول لوط: [«لو أن لي بكم قوّة»^(٨) أو آوي إلى ركن شديد] إلا تمنياً

لقوّة القائم عليه السلام، ولا ذكر إلا شدة^(٩) أصحابه، لأنّ الرجل منهم يعطى قوّة أربعين رجلاً،

١. أنوار التنزيل ٤٧٦/١.

٢. الجوامع ٢٠٨.

٣. المجمع ١٨٤/٣.

٤. من المصدر.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. الكافي ٥٤٦/٥، ذيل ح ٥.

٧. كمال الدين ٦٧٣، ح ٢٧.

٨. ليس في ب.

٩. كذا في المصدر وفي النسخ: «والا ذكر الشدة» بدل «ولا ذكر إلا شدة».

وَأَنَّ قلبه لأشدَّ من [زبر] ^(١) الحديد. ولو مرّوا بجبال الحديد لقلعوه و ^(٢) لا يكفون سيوفهم حتّى يرضى الله ^(٣).

وفي كتاب علل الشرائع ^(٤)، بإسناده إلى الحسين ^(٥) بن مسعود قال: احتجّوا في مسجد الكوفة، فقالوا: ما بال أمير المؤمنين ^(٦) لم ينازع الثلاثة، كما نازع طلحة و [الزبير] ^(٧) وعائشة ومعاوية؟

فبلغ ذلك علياً ^(٨). فأمر أن ينادى: الصلاة جامعة. فلما اجتمعوا، صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: معاشر الناس، إنّه بلغني عنكم كذا وكذا. قالوا: صدق أمير المؤمنين ^(٩)، قد قلنا ذلك.

قال: إن لي بسنة الأنبياء أسوة. فقد قال الله في محكم كتابه: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» ^(١٠).

قالوا: ومن هم يا أمير المؤمنين؟ قال: أولهم إبراهيم.

إلى أن قال: ولي بابن خالته لوط أسوة إذ قال لقومه: «لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد». فإن قلت: [إن لوطاً كانت له بهم قوة، فقد كفرتم. وإن قلت: ^(١١) لم يكن له قوة، فالوصي أعذر.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(١٢): محمّد بن جعفر قال: حدّثنا محمّد بن أحمد، عن محمّد بن الحسين، عن موسى بن سعدان، عن عبد الله بن القاسم، عن صالح، عن أبي عبد الله ^(١٣) أنّه قال في قوله: «قوة». قال: «القوة» القائم ^(١٤). و«الركن الشديد» ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً.

١. من المصدر.

٢. كذا في المصدر وفي النسخ: «لقلعوه» بدل «الحديد لقلعوه» و.

٣. العلل ١٤٨-١٤٩، صدرح ٧.

٤. ليس في المصدر: الحسين.

٥. الأحزاب ٢١.

٦. من المصدر.

٧. من المصدر.

٨. تفسير القمي ١/٣٣٥-٣٣٦.

أخبرني الحسن بن علي بن مهزيار^(١)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بعث الله نبياً بعد لوط إلا في عز من قومه.

نقل^(٢): أنه أغلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب، فتسوروا^(٣) الجدار. فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب

«قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ»: إلى إضراكم بإضرارنا، فهزّن عليك ودعنا وإياهم. فخلّاهم أن يدخلوا. فضرب جبرئيل بجناحه وجوههم، فطمس أعينهم وأعماهم. فخرجوا يقولون: النجا النجا، فإن في بيت لوط سحرة.

«فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ»: بالقطع من الإسراء.

وقرأ^(٤) ابن كثير ونافع بالوصل، حيث وقع في القرآن، من السري.

بقطع من الليل: بطائفة.

وفي تفسير العياشي^(٥): عن الصادق عليه السلام: «بقطع من الليل مظلماً».

قال: هكذا قرأه أمير المؤمنين.

«وَلَا يَلْتَمِثْ مِنْكُمْ أَحَدٌ»: ولا يتخلف، أو لا ينظر إلى ورائه. والنهي في اللفظ

لـ «أحد» والمعنى للوط.

«إِلَّا أَمْرَاتُكَ»: قيل^(٦): استثناء من قوله: «فأسر بأهلك». ويدلّ عليه أنه قرئ: «فأسر

بأهلك بقطع من الليل إلا أمراتك». وهذا إنما يصحّ على تأويل الالتفات بالتخلف، فإنه إن فسر بالنظر إلى وراء في الذهاب، ناقض ذلك قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالرفع على البدل من «أحد». ولا يجوز حمل القراءتين على الروایتين^(٧) في أنه خلفها مع

١. تفسير العمري ٣٣٥/١. ٢. أنوار التنزيل ٤٧٦/١.

٣. كذا في المصدر وفي النسخ: فتسور. ٤. أنوار التنزيل ٤٧٦/١.

٥. تفسير العياشي ١٥٨/٢، ح ٥٨ بتصرف. ٦. أنوار التنزيل ٤٧٦/١.

٧. القائل: البيضاوي، وقوله: «ولا يجوز حمل القراءتين على الروایتين» ردّ على الكشف حيث قال: اختلاف القراءتين لاختلاف الروایتين. منه عفي عنه.

قومها أو أخرجها. فلَمَّا سمعت صوت العذاب التفتت، وقالت: يا قوماء. فأدركها حجر فقتلها؛ لأنَّ القواطع لا يصحَّ حملها على المعاني المتناقضة. والأولى جعل الاستثناء في القراءتين من قوله: «ولا يلتفت» مثله في قوله: «ما فعلوه إلَّا قليل». ولا يبعد أن يكون أكثر القراء على غير الأصح. ولا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات، بل عدم نفيها عنه استصلاحاً. ولذلك علَّله على طريقة الاستئناف بقوله:

﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾: ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعاً على قراءة الرفع.

﴿إِنْ مَوْعِدُهُمُ الصُّبْحُ﴾: كأنه علَّه الأمر بالإسراء.

﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾^(٨١): جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب.

وفي الجوامع^(١): روي أنه قال: متى موعد إهلاكهم؟

قالوا: الصبح.

فقال: أريد أسرع من ذلك. لضيق صدره بهم.

فقالوا: «أليس الصبح بقريب».

وفي كتاب علل الشرائع^(٢): عن الباقر عليه السلام: «فأسر بأهلك» يا لوط، إذا مضى لك من

يومك هذا سبعة أيام ولياليها. «يقطع من الليل» إذا مضى نصف الليل.

قال: فلَمَّا كان اليوم الثامن مع طلوع الفجر، قدَّم الله رسلاً إلى إبراهيم يبشرونه

بإسحاق ويعزونه بهلاك قوم لوط. وذلك قوله تعالى: «ولقد جاءت رسلنا إبراهيم

بالبشرى». وسيأتي تمام الحديث.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾: عذابنا، أو أمرنا به. ويؤيده الأصل، وجعل التعذيب مسبباً عنه

بقوله:

﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾: فإنَّه جواب «لَمَّا». وكان حقّه: جعلوا عليها، أي الملائكة

المأمورون به. فأسند إلى نفسه من حيث أنه المسبَّب، تعظيماً للأمر. فإنَّه روي أنَّ

١. الجوامع/٢٠٨.

٢. العلل/٥٤٩-٥٥٠ بإسقاط عبارة من وسط المنقول هنا.

جبرئيل عليه السلام أدخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها إلى السماء، ثم قلبها عليهم.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾: على المدن، أو على شذاذها.

﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾: من طين متحجّر، لقوله: «حجارة من طين». وأصله سنكيل،

فعرّب.

وقيل ^(١): إنّه من أسجله: إذا أرسله، أو أدر عطيته. والمعنى: من مثل الشيء

المرسل. أو من مثل العطية في الإدرار. أو من السجل، أي ممّا كتب الله أن يعذبهم به.

وقيل ^(٢): أصله من سجين، أي من جهنّم. فأبدلت لاماً بنونه ^(٣).

وفي كتاب علل الشرائع ^(٤): أبي عليه السلام قال: حدّثنا سعد بن عبدالله، عن أحمد بن

محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان، عن أبي بصير [وغيره] ^(٥)

عن أحدهما عليه السلام قال: إنّ الملائكة لما جاءت في هلاك قوم لوط «قالوا إنّنا مهلكو أهل

هذه القرية» ^(٦).

قالت سارة: - عجبت من قلّتهم وكثرة أهل القرية، فقالت: - ومن يطيق قوم لوط؟

«فبشّروها - إلى قوله - عجوز عقيم». وهي يومئذ ابنة تسعين سنة، وإبراهيم ابن

عشرين ومائة سنة.

فجادل إبراهيم عنهم، وقال: «إنّ فيها لوطاً».

قال جبرئيل: «نحن أعلم بمن فيها».

فزاده إبراهيم. فقال جبرئيل: «يا إبراهيم أعرض عن هذا». [إنّه جاء أمر ربك وأنّهم

أتيهم عذاب غير مردود».

قال: وأنّ جبرئيل لما أتى لوطاً في هلاك قومه فدخلوا عليه «وجاءه قومه يهرعون

إليه»، قام فوضع يده على الباب، ثم ناشدهم. فقال: «اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي».

٣. المصدر: فأبدلت نونه لاماً.

١ و٢. أنوار التنزيل ١/٤٧٧.

٥. من المصدر.

٤. العلل/٥٥١-٥٥٢، ح٦.

٦. العنكبوت/٣١.

قالوا: أو لم ننهك عن العالمين؟

ثم عرض عليهم بناته نكاحاً.

قالوا: «ما لنا في بناتك من حقٍّ وإنك لتعلم ما نريد».

قال: فما منكم رجل رشيد؟

قال: فأبوا.

فقال: «لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد»^(١).

فقال: وجبرئيل ينظر إليهم، فقال: لو يعلم أي قوة له. ثم دعاه فأتاه، ففتحوا الباب

ودخلوا. فأشار إليهم جبرئيل بيده، فرجعوا عمياناً يلتمسون الجدار بأيديهم، يعاهدون الله: لئن أصبحنا لا نستبقي أحداً من آل لوط.

قال: فلما قال جبرئيل: «إنا رسل ربك».

قال له لوط: يا جبرئيل، عجل.

قال: نعم.

قال: يا جبرئيل، عجل.

قال: [٢] «إن مواعدهم الصبح أليس الصبح بقريب».

ثم قال جبرئيل: يا لوط، اخرج منها أنت وولدك حتى تبلغ موضع كذا.

قال: يا جبرئيل، إن حمري ضعاف.

قال: ارتحل، فاخرج منها.

قال: فارتحل. حتى إذا كان السحر، نزل إليها [جبرئيل] [٣] فأدخل جناحه تحتها

حتى إذا استعلت، قلبها عليهم ورمى جدران المدينة بحجارة من سجيل. وسمعت

امرأة لوط الهزة^(٤)، فهلكت منها.

١. من المصدر. وفي النسخ: «الآيات» بدل ما بين المعقوفتين.

٤. المصدر: الهدية.

٢ و٣. من المصدر.

﴿مَنْضُودٌ﴾^(٥٢): نضد معداً لعذابهم. أو نضد في الإرسال بتتابع بعضه بعضاً، كقطار الأمطار. أو نضد بعضه على بعض، وألصق به.

﴿مُسَوَّمَةٌ﴾: معلّمة للعذاب.

وقيل^(١): معلّمة ببياض وحمرة، أو بسيماء تتميز به عن حجارة الأرض. أو باسم من يرمى بها.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢) أي منقوطة.

وفي عيون الأخبار^(٣)، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من خبر الشامي وما سأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة حديث طويل. وفيه: ثم قام إليه آخر، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن يوم الأربعاء وتطيرنا منه وثقله، أي أربعاء هو؟ قال: آخر أربعاء في الشهر. وهو المحاق، وفيه قتل قابيل هابيل أخاه.

إلى أن قال عليه السلام: ويوم الأربعاء جعل الله ﷻ قرية^(٤) قوم لوط عليها سافلها. ويوم الأربعاء أمطرت عليهم حجارة من سجيل.

في تفسير علي بن إبراهيم^(٥): حدّثني أبي، عن سليمان الديلمي، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسوّمة».

قال: ما من عبد يخرج من الدنيا يستحلّ عمل قوم لوط إلّا رمى الله كبده من تلك الحجارة، تكون منيته فيها، ولكن الخلق لا يرونه.

﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾: في خزائنه.

﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ﴾^(٥٣): فإنهم بظلمهم حقيق بأن تمطر عليهم. وفيه وعيد لكل ظالم.

وقيل^(٦): الضمير للقرى، أي هي قريبة من ظالمي مكّة يمرّون بها في أسفارهم إلى الشام. وتذكير «البعيد» على تأويل الحجر، أو المكان.

٢. تفسير القمي ٣٣٦/١.

١. أنوار التنزيل ٤٧٧/١.

٤. كذا في المصدر وفي النسخ: قوم.

٣. العيون ٢٤٧/١، مقاطع من الحديث.

٦. أنوار التنزيل ٤٧٧/١.

٥. تفسير القمي ٣٣٧ - ٣٣٦.

وفي الكافي^(١) علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عثمان بن سعيد، عن محمد بن سليمان، عن ميمون البان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقرأ عنده آيات من هود^(٢). فلما بلغ «وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود، مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببيعد».

قال: من مات مصرّاً على اللواط، لم يمت حتّى يرميه الله بحجر من تلك الأحجار فيكون ميتته^(٣) ولا يراه أحد.

وفيه^(٤): عنه عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله: لَمَّا عمل قوم لوط ما عملوا، بكت الأرض إلى ربّها حتّى بلغ دموعها [إلى السماء. وبكت السماء حتّى بلغ دموعها] ^(٥) العرش. فأوحى الله صلى الله عليه وآله إلى السماء أن احصهم، وأوحى إلى الأرض أن اخسفي بهم.

عدة من أصحابنا^(٦)، عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن سعيد قال: أخبرني زكريّا بن محمد، عن أبيه، عن عمرو، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان قوم لوط من أفضل قوم خلقهم الله، فطلبهم إبليس الطلب الشديد. وكان من فضلهم وخيرتهم أنّهم إذا خرجوا إلى العمل، خرجوا بأجمعهم وتبقى النساء خلفهم. فلم يزل إبليس يعتادهم^(٧)، فكانوا إذا رجعوا خرّب إبليس ما كانوا^(٨) يعملون.

فقال بعضهم لبعض: تعالوا نرصد هذا الذي يخرّب متاعنا.

فرصدوه، فإذا هو غلام أحسن ما يكون من الغلمان.

فقالوا له: أنت الذي تخرّب متاعنا مرّة بعد مرّة؟! فاجتمع رأيهم على أن يقتلوه،

فبيّته عند رجل. فلما كان الليل، صاح. فقال له: ما لك؟

١. الكافي ٥٤٨/٥، ح ٩. ٢. كذا في المصدر وفي النسخ: هذه.

٣. المصدر: تلك الحجارة، تكون فيه ميتة.

٤. بل في تفسير العياشي ١٥٩/٢، ح ٦٠: عن السكوني، عن أبي جعفر، عن أبيه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله. ورواه عنه نور الثقلين ٢٨٩/٢، ح ١٨٤. والبرهان ٢٣١/٢، ح ٣١.

٥. من المصدر. ٦. الكافي ٥٤٤/٥-٥٤٦، ح ٥.

٧. يعتادهم، أي يجيئهم ويأتيهم. ٨. ليس في المصدر.

فقال: كان أبي يتوَمَّني على بطنه.

فقال له: تعال، فتم على بطني.

قال: فلم يزل يدلك الرجل حتَّى علَّمه أن يفعل بنفسه. فأولاً علَّمه إبليس، والثانية علَّمه هو. ثمَّ انسلَّ، وفترَ منهم وأصبحوا. فجعل الرجل يخبر بما فعل بالغلام ويعجبهم منه، وهم لا يعرفونه. فوضعوا أيديهم فيه، حتَّى اكتفى الرجال بالرجال بعضهم ببعض. ثمَّ جعلوا يرصدون مارة الطريق، فيفعلون بهم حتَّى تنكب مدينتهم الناس. ثمَّ تركوا نساءهم وأقبلوا على الغلمان. فلمَّا رأى أنَّه قد أحكم أمره في الرجال، جاء إلى النساء فصَيَّر نفسه امرأة.

فقال: إنَّ رجالكَن يفعل بعضهم ببعض.

قلن: نعم، قد رأينا ذلك.

وكُلَّ ذلك يعظّم لوط ويوصيهم^(١)، وإبليس يغويهم حتَّى استغنى النساء بالنساء. فلمَّا اكملت عليهم الحجة، بعث الله جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في زَيِّ غلمان، عليهم أقبية، فمرّوا بلوط وهو يحرث.

قال: أين تريدون، ما رأيت أجمل منكم قطَّ؟ قالوا: إنَّا أرسلنا سيّدنا إلى ربِّ هذه المدينة.

قال: أولم يبلغ سيّدكم ما يفعل أهل هذه المدينة؟ يا بني، إنَّهم والله يأخذون الرجال فيفعلون بهم حتَّى يخرج الدم.

فقالوا: أمرنا سيّدنا أن نمرّ في وسطها.

قال: فلي إليكم حاجة.

قالوا: وما هي؟

قال: تصبرون ها هنا إلى اختلاط الظلام.

١. أ، ب: ويرهيم.

قال : فجلسوا .

قال : فبعث ابنته ، فقال : جيئي لهم بخبز ، جيئي لهم بماء في القرعة ^(١) ، وجيئي لهم عبا يتغطون بها من البرد .

فلما أن ذهبت الابنة ، أقبل المطر والوادي .

فقال لوط : الساعة يذهب بالصبيان الوادي ، قوموا حتى نمضي .

وجعل لوط يمشي في أصل الحائط ، وجعل جبرئيل وميكائيل وإسرافيل يمشون وسط الطريق .

فقال : يا بني ، امشوا هاهنا .

فقالوا : أمرنا سيدنا أن نمر في وسطها .

وكان لوط يستغنى الظلام . ومزّ إبليس ، فأخذ من حجر امرأة صبيّاً ، فطرحه في البشر ، فتصايح أهل المدينة كلّهم على باب لوط .

فلما أن نظروا إلى الغلمان في منزل لوط ، قالوا : يا لوط ، قد دخلت في عملنا ؟

فقال : هؤلاء ضيفي ، فلا تفضحون في ضيفي . قالوا : هم ثلاثة ، خذ واحداً وأعطنا اثنين .

قال : فأدخلهم الحجرة ، وقال لوط ^(٢) : لو أنّ لي أهل بيت يمنعونني منكم .

[قال : ^(٣)] وتدافعوا على الباب وكسروا باب لوط ، وطرحوا لوطاً .

فقال له جبرئيل : «إنا رسل ربك لن يصلوا إليك» . فأخذ كلّاً من بطحاء ^(٤) ، فضرب

بها وجوههم وقال : شأهت الوجوه . فعمي أهل المدينة كلّهم .

وقال لهم لوط : يا رسل ربّي ، فما أمركم ربّي فيهم ؟

قالوا : أمرنا أن نأخذهم بالسحر .

١ . القرعة - واحدة القرع - وهو حمل اليقطين يجعل وعاء .

٢ . ليس في المصدر .

٣ . من المصدر .

٤ . البطحاء : مسيل واسع فيه دقاق الحمى .

قال : فلي إليكم حاجة .

قالوا : وما حاجتك ؟

قال : تأخذونهم الساعة ، فإنّي أخاف أن يبدو لرّبي فيهم .

[فقالوا : يا لوط ^(١) فقال «إنّ موعدهم الصبح الّيس الصبح بقريب» لمن يريد أن

يأخذ . فخذ أنت بناتك وامض ودع امرأتك .

فقال أبو جعفر عليه السلام : رحم الله لوطاً ، لو يدري من معه في الحجرة لعلم أنّه منصور

حيث يقول : «لو أنّ لي بكم قوّة أو أويّ إلى ركن شديد» . أيّ ركن أشدّ من جبرئيل معه

في الحجرة . فقال الله ﷻ لمحمد ﷺ : «وما هي من الظالمين ببعيد» من ظالمي أمتك إنّ

عملوا ما عمل قوم لوط .

قال : وقال رسول الله ﷺ : من ألحّ في وطء الرجال ، لم يمت حتّى يدعوا الرجال إلى

نفسه .

عليّ بن إبراهيم ^(٢) [عن أبيه] ^(٣) عن ابن فضال ، عن داود بن فرقد ، عن أبي يزيد

الحّمّار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ الله ﷻ بعث أربعة أملاك في إهلاك قوم لوط :

جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وكروبل . فمروا بإبراهيم عليه السلام وهم معتمّون . فسلمّوا

عليه ، فلم يعرفهم ورأى هيئة حسنة . فقال لا يخدم هؤلاء أحد ^(٤) إلّا أنا بنفسي . وكان

صاحب ضيافة . فشوى لهم عجلأً سميناً حتّى أنضجه ، ثمّ قرّبه إليهم . فلمّا وضع بين

أيديهم «رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة» . فلمّا رأى ذلك

جبرئيل ، حسر العمامة عن وجهه فعرفه إبراهيم .

فقال : أنت هو ؟

قال : نعم .

٢ . الكافي ٥٤٦/٥ ، ٥٤٨ ، ح ٦ .

٤ . ليس في المصدر .

١ . من المصدر .

٣ . من المصدر .

ومرّت سارة امرأته، فبشّرها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب. فقالت ما قال الله ﷻ. وأجابوها بما في الكتاب العزيز.

فقال لهم إبراهيم: لما ذا جئتم؟

قالوا: في إهلاك قوم لوط.

فقال لهم: إن كان فيها مائة من المؤمنين أتهلكونهم؟

فقال جبرئيل: لا.

قال: فإن كان فيها خمسون؟

قال: لا.

قال: فإن كان فيها ثلاثون؟

قال: لا.

[قال: فإن كان فيها عشرون؟

قال: لا] ^(١).

قال: فإن كان فيها عشرة؟

قال: لا.

قال: فإن كان فيها خمسة؟

قال: لا.

قال: فإن كان فيها واحد؟

قال: لا.

«قال إن فيها لوطاً، قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجّيه وأهله إلا امرأته كانت من

الغابرين» ^(٢).

قال الراوي^(١): لا أعلم هذا القول إلا وهو يستبقيهم، وهو قول الله: «يجادلنا في قوم لوط».

فأتوا لوطاً، وهو في زراعة قرب القرية، فسلموا عليه وهم معتمون.
فلما رأى هيئة حسنة عليهم ثياب بيض وعمائم بيض، فقال لهم: المنزل.
فقالوا: نعم.
فتقدمهم ومشوا خلفه. فتندم على عرضه المنزل عليهم، فقال: أي شيء صنعت،
أتي بهم قومي وأنا أعرفهم؟
فالتفت إليهم، فقال: إنكم لتأتون شراراً من خلق الله.
قال: [فقال]^(٢) جبرئيل: لا تعجل عليهم حتى يشهد عليهم ثلاث مرّات.
فقال جبرئيل: هذه واحدة.
ثم مشى ساعة، ثم التفت إليهم، فقال: إنكم لتأتون شراراً من خلق الله.
قال جبرئيل: هذه ثنتان.
ثم مشى. فلما بلغ باب المدينة التفت إليهم، فقال: إنكم لتأتون شراراً من خلق الله.
قال جبرئيل: هذه الثالثة.
ثم دخل ودخلوا معه حتى دخل منزله. فلما رأتهم امرأته، رأت هيئة حسنة.
فصعدت فوق السطح، فصفت، فلم يسمعوا. فدخنت فلما رأوا الدخان، أقبلوا [إلى
الباب]^(٣) يهرعون حتى جاؤوا إلى الباب. فنزلت إليهم، فقالت: عنده قوم ما رأيت
قوماً قط أحسن منهم هيئة. فجاؤوا إلى الباب ليدخلوا. فلما رآهم لوط، قام إليهم.
فقال لهم: يا قوم «اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد».
وقال: «هؤلاء بناتي هن أطهر لكم» فدعاهم إلى الحلال.
فقالوا: «لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد».

١. المصدر: الحسن بن علي. وفي هامشة: يعني ابن فضال الراوي للخبر.

٢ و ٣. من المصدر.

فقال لهم: «لو أن لي بكم قوّة أو أوي إلى ركن شديد».

فقال جبرئيل: لو يعلم أيّ قوّة له.

قال: فكاثروه، حتّى دخلوا البيت.

فصاح به جبرئيل، وقال: يا لوط، دعهم يدخلوا^(١).

فلمّا دخلوا، أهوى جبرئيل بأصبعه نحوهم، فذهبت أعينهم. وهو قوله: «فطمسنا

أعينهم».

ثمّ ناداه جبرئيل، فقال له: «إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من

الليل».

وقال له جبرئيل: إنا بعثنا في إهلاكهم.

فقال: يا جبرئيل، عجل.

فقال: «إنّ موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب».

فأمره بمحمل^(٢) هو ومن معه إلّا امرأته. ثمّ اقتلعها - يعني: المدينة - جبرئيل

بجناحه^(٣) من سبعة أرضين. ثمّ رفعها حتّى سمع أهل السماء الدنيا نباح الكلاب

وصراخ الديوك. ثمّ قلبها، وأمطر عليها وعلى من حول المدينة حجارة من سجيل.

محمّد بن يحيى^(٤)، عن أحمد بن محمد بن يحيى^(٥)، عن طلحة بن زيد، عن أبي

عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من أمكن من نفسه طائعا يلعب به، ألقي الله عليه

شهوة النساء.

علي بن إبراهيم^(٦)، عن أبيه، عن علي بن معبد، عن عبيدالله^(٧) الدهقان، عن

درست بن أبي منصور، عن عطية أخي أبي العرام قال: ذكرت لأبي عبدالله عليه السلام المنكوح

من الرجال.

١. كذا في المصدر وفي النسخ: يدخلون. ٢. المصدر: في حمل.

٣. المصدر: بجناحيه. ٤. الكافي ٥/٥٤٩، ح ٢.

٥. المصدر: عن أحمد بن محمد، عن محمد بن يحيى.

٦. الكافي ٥/٥٤٩، ح ٢. ٧. المصدر: عبدالله.

فقال: ليس يبلى الله بهذا البلاء أحداً وله فيه حاجة. إن في أدبارهم أرحاماً منكوسة، وحياة أدبارهم كحياة المرأة. قد شرك فيهم ابن لإبليس يقال له: زوال. فمن شرك فيه من الرجال، كان منكوحاً. ومن شارك^(١) من النساء، كانت من الموارد. والعامل^(٢) على هذا من الرجال إذا بلغ أربعين سنة، لم يتركه. وهو بقية سدوم. أما إنني لست أعني بهم: بقيتهم أنه ولد لهم، ولكنهم^(٣) من طينتهم.

قال: قلت: سدوم التي قلبت؟

قال: هي أربع مدائن: سدوم وصريم ولدماء وعميراء.

قال: أتاهن^(٤) جبرئيل عليه السلام وهن مقلوبات^(٥) إلى تخوم الأرض السابعة، فوضع جناحه تحت السفلى منهن ورفعهن جميعاً حتى سمع أهل السماء الدنيا نباح كلابهم^(٦)، ثم قلبها.

محمد^(٧)، عن أحمد بن محمد عن^(٨) علي بن الحكم، عن عبدالرحمن العزمي^(٩)، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين: إن الله عباداً لهم في أصلاهم أرحام كأرحام النساء.

قال: فسئل: فما بالهم لا يحملون؟

فقال: إنها منكوسة. ولهم في أدبارهم غدة كغدة [الجمل أو]^(١٠) البعير. فإذا هاجت، هاجوا. وإذا سكنت، سكنوا.

١. المصدر: شرك فيه. ٢. كذا في المصدر وب. وفي سائر النسخ: العامل.

٣. كذا في المصدر وفي النسخ: أنهم ولدوهم ولكن.

٤. كذا في المصدر وفي النسخ: ولدنا عميراً أتاهن.

٥. أ، ب، ر: مقلوبات. والمصدر: مقلوعات.

٦. نبج الكلب، بالنون والباء الموحدة: صوته. منه عفي عنه.

٧. الكافي ٥/٥٤٩، ح ٣. ٨. كذا في المصدر وفي النسخ: بن.

٩. كذا في المصدر، وجامع الرواة ٤٥٣/١. وفي النسخ: العزمي.

١٠. من المصدر.

عَدَّة من أصحابنا^(١)، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد ومحمد بن يحيى، عن موسى بن^(٢) الحسن، عن عمر بن علي بن عمر بن يزيد [عن محمد بن عمر، عن أخيه، الحسين، عن أبيه عمر بن يزيد]^(٣) قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام وعنده رجل، فقال له: جعلت فداك، إنِّي أحب الصبيان.

فقال له أبو عبدالله عليه السلام: فتصنع ما ذا؟

قال: أحملهم على ظهري.

فوضع أبو عبدالله عليه السلام يده على جبهته وولَّى وجهه عنه. فبكى الرجل، فنظر إليه أبو عبدالله عليه السلام كأنه رحمه.

فقال: إذا أتيت بلدك، فاشتر جزوراً سميناً، واعقله عقلاً شديداً. وخذ السيف، واضرب السنام ضربة تقشّر عنه الجلد، واجلس عليه بحرارته.

قال عمر: قال الرجل: فأتيت بلدي واشترت جزوراً، فعقلته عقلاً شديداً. وأخذت السيف، فضربت السنام ضربة وقشّرت عنه الجلد، وجلست عليه بحرارته. فسقط منّي على ظهر البعير شبه الوزغ، [أو] أصغر من الوزغ، وسكن ما بي.

محمد بن يحيى^(٤)، عن موسى بن الحسن، عن الهيثم النهدي^(٥) رفعه قال: شكى رجل إلى أبي عبدالله عليه السلام الأبنة. فمسح أبو عبدالله عليه السلام على ظهره، فسقطت منه دودة حمراء، فبرئ.

الحسين بن محمد^(٦)، عن محمد بن عمران، عن عبدالله بن جبلة^(٧)، عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: هؤلاء المختثون مبتلون بهذا البلاء، فيكون

١. الكافي ٥/٥٠٥، ح ٦.

٢. كذا في المصدر وفي النسخ: عن.

٣. الكافي ٥/٥٠٥، ح ٧.

٤. من المصدر.

٥. كذا في المصدر وجامع الرواة ٣١٨/٢. وفي النسخ: «بن الهندي» بدل «النهدي».

٦. الكافي ٥/٥٥١، ح ١٠.

٧. كذا في المصدر، وجامع الرواة ٤٧٦/١. وفي النسخ: أبي عبدالله بن جبلة.

المؤمن مبتلى، والناس يزعمون أنه لا يبتلى به أحد الله فيه حاجة.

فقال: نعم، قد يكون مبتلى به، فلا تكلموهم فإنهم يجدون لكلامكم راحة.

قلت: جعلت فداك، فإنهم ليسوا يصبرون.

قال: هم يصبرون، ولكن يطلبون بذلك اللذة.

وفي كتاب علل الشرائع^(١): حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمهم الله ^(٢) قال: حدثنا عبدالله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من البخل.

فقال: نعم، يا أبا^(٣) محمد، في كل صباح ومساء. ونحن نتعوذ بالله من البخل لقول الله: «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»^(٤). وسأخبرك عن عاقبة البخل، إن قوم لوط كانوا أهل قرية أشحاء على الطعام، فأعقبهم البخل داء لا دواء له^(٥) في فروجهم.

فقلت: وما أعقبهم؟

فقال: إن قرية قوم لوط كانت على طريق السيارة إلى الشام ومصر، فكانت السيارة تنزل بهم فيضيفونهم. فلما كثر ذلك عليهم، ضاقوا بذلك ذرعاً بخلاً ولؤماً. فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضيف، فضحوه من غير شهوة بهم إلى ذلك [وإنما كانوا يفعلون ذلك]^(٦) بالضيف، حتى ينكل الناس عنهم. فشاع أمرهم في القرية إلى ذلك، حتى صاروا يطلبونه من الرجال في البلاد ويعطونهم عليه الجعل. ثم ما من داء أدأى من البخل، ولا أضر عاقبة، ولا أفحش عند الله ﷻ.

١. العلل ٥٤٨/٥٥٠، ح ٤.

٢. المصدر: موسى بن عمران المتوكل رحمهم الله.

٣. من المصدر.

٤. الحشر ٩/، والتغابن ١٦.

٥. كذا في المصدر وفي النسخ: «والادالة» بدل «داء لا دواء له».

٦. من المصدر.

قال أبوبصير: فقلت له: جعلت فداك، فهل كان أهل قرية لوط كلهم هكذا يعملون؟ فقال: نعم، إلا أهل بيت منهم من المسلمين. أما تسمع لقوله تعالى: «فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين».

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: إن لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة يدعوهم إلى الله تعالى ويحذّرهم عذابه. وكانوا قوماً لا ينتظفون من الغائط، ولا يتطهّرون من الجنابة. وكان لوط ابن خالة إبراهيم، وكانت امرأة إبراهيم سارة أخت لوط. وكان لوط وإبراهيم نبيين مرسلين منذرين. وكان لوط رجلاً سخياً كريماً، يقري الضيف إذا نزل به ويحذّرهم قومه.

قال: فلما رأى قوم لوط ذلك منه، قالوا له: إننا ننهك عن العالمين، لا تقرّ ضعيفاً ينزل بك، إن فعلت فضحنا ضيفك الذي ينزل بك وأخزيناك. فكان لوط إذا نزل به الضيف، يكتم أمره مخافة أن يفضح قومه. وذلك أنه لم يكن للوط عشيرة.

قال: ولم يزل لوط وإبراهيم يتوقّعان نزول العذاب على قومهم ^(١). فكانت لإبراهيم وللوط منزلة من الله تعالى شريفة. وإن الله تعالى كان إذا أراد عذاب قوم لوط، أدركته مودة إبراهيم وخلته ومحبة لوط، فيراقبهم فيؤخر عذابهم.

قال أبو جعفر عليه السلام: فلما اشتدّ أسف الله تعالى ^(٢) على قوم لوط وقدر عذابهم، وقضى أن يعوّض إبراهيم من عذاب قوم لوط بغلام عليم فيسلّي به مصابه بهلاك قوم لوط، فبعث الله رسلاً إلى إبراهيم يبشّرونه بإسماعيل. فدخلوا عليه ليلاً، ففزع منهم وخاف أن يكونوا سراقاً. فلما رآه ^(٣) الرسل فزعاً مذعوراً «قالوا سلاماً قال سلام إننا منكم وجلون، قالوا لا توجل إننا» رسل ربك «نبشرك بغلام عليم».

قال أبو جعفر عليه السلام: والغلام العليم، هو إسماعيل بن هاجر. فقال إبراهيم للرسل:

١. كذا في المصدر وفي النسخ: قوم لوط.

٢. كذا في المصدر. وفي أ: أشدّ الله، وفي سائر النسخ: «اشتدّ الله» بدل «أسف الله».

٣. كذا في المصدر وفي النسخ: رأيه.

«أبشّرتُموني على أن مَسْنِي الكبر فبِم تبشّرون، قالوا بشّرناك بالحقّ فلا تكن من القانطين». فقال إبراهيم عليه السلام: «فما خطبكم» بعد البشارة. «قالوا إنّنا أرسلنا إلى قوم مجرمين». قوم لوط أنّهم كانوا قومًا فاسقين، لننذرهم عذاب ربّ العالمين.

قال أبو جعفر عليه السلام: فقال إبراهيم للرسل: «إنّ فيها لوطًا، قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجيّنه وأهله» أجمعين «إلا امرأته قدّرنا أنّها لمن الغابرين»^(١).

قال: «فلما جاء آل لوط المرسلون، قال إنّكم قوم منكرون، قالوا بل جنناك بما كانوا فيه» قومك من عذاب الله «يمترون، وآتيناك بالحقّ» لتنذر قومك العذاب «وإنّا لصادقون، فأسرّ بأهلك» يا لوط إذا مضى لك من يومك هذا سبعة أيّام ولياليها «بقطع من الليل» إذا مضى نصف الليل «ولا يلتفت منكم أحد» إلا امرأتك، إنّّه مصيبها ما أصابهم «وامضوا» في تلك الليلة «حيث تؤمرون» [قال أبو جعفر عليه السلام: فقضوا ذلك الأمر إلى لوط أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين]^(٢).

قال أبو جعفر عليه السلام: فلما كان اليوم الثامن مع طلوع الفجر، قدّم الله ﷻ رسلاً إلى إبراهيم يشّرونه بإسحاق ويعزّونه بهلاك قوم لوط. وذلك قوله: «ولقد جاءت رسلنا» الآيات^(٣).

قال أبو جعفر عليه السلام: فلما جاءت إبراهيم البشارة بإسحاق وذهب عنه الروح، أقبل^(٤) يناجي ربّه في قوم لوط ويسأله كفّ^(٥) البلاء عنهم.

فقال الله ﷻ: «يا إبراهيم أعرض عن هذا إنّّه قد جاء أمر ربّك وإنّهم آتيهم» [عذابي]^(٦) بعد طلوع الفجر من ربّك «عذاب»^(٧) محتوم «غير مردود».

١. الحجر/٦٠.

٢. من المصدر.

٣. ذكر في المصدر نصّ الآيات إلى «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنّّه حميد مجيد» بدل «الآيات».

٤. كذا في المصدر. وفي ب: «قيل». وفي سائر النسخ: «قبل».

٥. من المصدر.

٦. المصدر: كشف.

٧. المصدر: «الشمس من يوم» بدل «الفجر من ربّك عذاب».

وبهذا الإسناد^(١): عن الحسن بن محبوب، عن مالك بن عطية، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام: أن رسول الله ﷺ سأل جبرئيل عليه السلام: كيف كان مهلك^(٢) قوم لوط؟

فقال: إن قوم لوط كانوا أهل قرية لا ينتظفون من الغائط ولا يتطهرون من الجنابة، بخلاء أشحاء على الطعام. وأن لوطاً لبث فيهم ثلاثين سنة. وإنما كان نازلاً عليهم، ولم يكن منهم ولا عشيرة له فيهم^(٣) ولا قوم. وأنه دعاهم إلى الله ﷻ وإلى الإيمان به وأتباعه، ونهاهم عن الفواحش، وحثهم على طاعة الله، فلم يجيبوه ولم يطيعوه. وأن الله ﷻ لما أراد عذابهم، بعث إليهم رسلاً منذرِينَ عذراً ونذراً. فلما عتوا عن أمره، بعث إليهم ملائكة ليخرجوا من كان في قريتهم من المؤمنين، فما وجدوا فيها غير بيت من المسلمين. فأخرجوهم^(٤) منها، وقالوا: يا لوط «فأسر^(٥) بأهلك» من هذه القرية الليلة «بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد» و«امضوا حيث تؤمرون».

فلما انتصف الليل، سار لوط بيناته. وتولت امرأته مدبرة، فانقطعت إلى قومها تسعى بلوط وتخبرهم أن لوطاً قد سار بيناته. وأني نوديت من تلقاء العرش لما طلع الفجر: يا جبرئيل، حق القول من الله تحتّم^(٦) عذاب قوم لوط. [فأهبط إلى قرية قوم لوط]^(٧) وما حوت، فاقبلها من تحت سبع أرضين، ثم أخرج بها إلى السماء، فأوقفها^(٨) حتى يأتيك أمر الجبار في قلبها، ودع منها آية بيّنة من منزل لوط عبرة للسيارة.

فهبطت على أهل القرية الظالمين، فضربت بجناحي الأيمن على ما حوى عليه شرقها^(٩)، وضربت بجناحي الأيسر على ما حوى عليه غربها^(١٠). فاقتلعتها - يا محمد -

١. العلل ٥٥٠-٥٥١، ح ٥.

٢. كذا في المصدر وفي النسخ: يهلك.

٣. ليس في المصدر، أ، ب.

٤. المصدر: فأخرجهم.

٥. المصدر: «لوط أسره بدل «الوط فأسره».

٦. المصدر: بحتم.

٧. من المصدر.

٨. كذا في المصدر وفي النسخ: فأرفعها.

٩. المصدر: شرقها.

١٠. المصدر: غربها.

من تحت سبع أرضين إلا منزل لوط آية للسيارة. ثم عرجت بها في خوافي جناحي، حتى أوقعتها^(١) حيث يسمع أهل السماء زقاء ديوكها ونباح كلابها.

فلما طلعت الشمس، نوديت من تلقاء العرش: يا جبرئيل، اقلب القرية على القوم. فقلبتها عليهم، حتى صار أسفلها أعلاها. وأمطر الله عليها «حجارة من سجيل» مسومة عند ربك وما هي [يا محمد] ^(٢) من الظالمين من أمتك «ببعيد».

قال: فقال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل، وأين كانت قريتهم من البلاد؟ فقال جبرئيل: كان موضع قريتهم في موضع بحيرة طبرية اليوم، وهي في نواحي الشام.

قال: فقال رسول الله: أرايتك حين قلبتها عليهم في أي موضع من الأرضين وقعت القرية وأهلها؟

فقال: يا محمد، وقعت فيما بين بحر الشام إلى مصر، فصارت تلوأ في البحر. وبإسناده^(٣) إلى الحسن بن محبوب، عن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قيل له: كيف كان يعلم قوم لوط أنه قد جاء لوطاً رجل؟

قال: كانت امرأته تخرج فتصفر. فإذا سمعوا التصفير جاؤوا، فلذلك كره التصفير. «وَالْيَ مَذِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً»: أراد أولاد مدين بن إبراهيم، أو أهل مدين. وهو بلد بناء، فسَمِّي باسمه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): ثم ذكر ﷺ هلاك أهل مدين، فقال: «وَالْيَ مَذِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً» قال يا قوم - إلى قوله - مفسدين».

قال: بعث الله شعيباً إلى مدين، وهي قرية على طريق الشام، فلم يؤمنوا به. «قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَتَّقُوا الْمَكِيَالَ وَالْمِيزَانَ»: أمرهم

١. ب: رفعها. أ: أوقعتها.

٢. من المصدر.

٣. العلل/٥٦٤.

٤. تفسير القمي/١/٣٣٧.

بالتوحيد أولاً، فإنه ملاك الأمر، ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخّل بحكمة التعاوض.

﴿إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾: بسعة تغنيكم عن البخس، أو بنعمة حقها أن تتفضلوا على الناس شكراً عليها لأن تنقصوا حقوقهم. أو بسعة، فلا تزيلوها بما أنتم عليه. وهو في الجملة علة النهي.

وقال ^(١) عليه وقوله ^(٢): «إني أراكم بخير». قال: كان سعرهم رخيصاً.

﴿وَأَنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ ^(٣): لا يشذ منه أحد منكم.

وقيل ^(٣): عذاب مهلك، من قوله: «وأحيط بشمره». والمراد: عذاب يوم القيامة، أو عذاب الاستئصال.

وتوصيف اليوم بالإحاطة - وهي صفة العذاب - لاشتماله عليه.

﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾: صرّح بالأمر بالإيفاء بعد النهي عن ضده، مبالغة وتنبهاً على أنه لا يكفيهم الكف عن تعمدهم التطفيف، بل يلزمهم السعي في الإيفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها.

﴿بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل والسوية.

وفي أصول الكافي ^(٤): علي بن إبراهيم، عن أبيه وعدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد جميعاً، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان، عن رجل، عن أبي جعفر عليه قال: قال رسول الله ﷺ: خمس إن أدركتموهن فتعوذوا بالله منهن.

إلى أن قال: ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان.

علي بن إبراهيم ^(٥)، [عن أبيه] ^(٦) وعدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد جميعاً،

١. تفسير العياشي ١٥٩/٢، ح ٦١ عن أبي عبد الله عليه.

٢. المصدر: «في قول الله» بدل «وقوله».

٣. أنوار التنزيل ٤٧٧/١.

٤. الكافي ٣٧٣/٢، ضمن ح ١.

٥. الكافي ٣٧٤/٢، ضمن ح ٢.

٦. من المصدر.

عن ابن محبوب، عن مالك بن عطية، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله: فإذا طُفِفَ المكيال والميزان، أخذ [هم] ^(١) الله بالسنين والنقص. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾: تعميم بعد تخصيص. فإنه أعم من أن يكون في المقدار أو في غيره. وكذا قوله:

﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ^(٢): فإن العتو يعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد.

وقيل ^(٣): المراد بالبخس: المكس، كأخذ العشور في المعاملات. و«العتو» السرقة وقطع الطريق والغارة. وفائدة الحال إخراج ما يقصد به الإصلاح، كما فعله الخضر عليه السلام.

وقيل ^(٣): معناه «ولا تعثوا في الأرض مفسدين»: أمر دينكم ومصالح آخرتكم. وفي الكافي ^(٤): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد [عن محمد] ^(٥) بن خالد البرقي، عن سعد بن سعد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سأله عن قوم يصغرون القفيزان يبيعون بها.

قال: أولئك الذين يبخسون الناس أشياءهم.

﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ﴾: ما أبقاء لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم.

﴿خَيْرَ لَكُمْ﴾: مما تجمعون بالتطفيف.

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: بشرط أن تأمنوا. فإن خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة، وذلك مشروط بالإيمان. أو إن كنتم مصدقين لي في قولي لكم.

وقيل ^(٦): «البقية» الطاعة، كقوله: «والبقيات الصالحات».

١. من المصدر.
٢. أنوار التنزيل ١/٤٧٧.
٣. أنوار التنزيل ١/٤٧٧.
٤. الكافي ٥/١٨٤، ح ٣.
٥. أنوار التنزيل ١/٤٧٨.
٦. من المصدر.

وقرئ^(١): «تَقِيَّةُ اللَّهِ» بالتاء. وهي تقواه التي تكف عن المعاصي.
 ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (٣٨): أحفظكم عن القبائح. أو أحفظ عليكم أعمالكم،
 فأجازيكم عليها، وإنّما أنا ناصح مبلّغ وقد أعذرت حين أنذرت. أو لست بحافظ
 عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم.

وفي أصول الكافي^(٢): محمد بن يحيى، عن حفص^(٣) بن محمد قال: حدّثني
 إسحاق بن إبراهيم الدينوري، عن عمر بن زاهر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله رجل
 عن القائم، يسلم عليه بإمرة المؤمنين؟
 قال: لا، ذاك اسم سمى الله به أمير المؤمنين عليه السلام. لم يسلم به أحداً قبله، ولا
 يتسمّى^(٤) به بعده إلا كافر.

قلت: جعلت فداك، كيف يسلم عليه^(٥)؟ قال:

يقولون: السلام عليك [يا] بقيّة الله. ثم قرأ: «بقيّة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين».
 الحسين بن محمد^(٦)، عن معلّى بن محمد، عن علي بن أسباط، عن صالح بن
 حمزة، عن أبيه، عن أبي بكر الحضرمي قال: لما حمل أبو جعفر عليه السلام إلى الشام إلى
 هشام بن عبد الملك وصار بيباه، قال لأصحابه ومن كان بحضرته من بني أميّة: إذا
 رأيتموني [قد وبّخت محمد بن عليّ ثم رأيتموني]^(٧) قد سكّ، فليقبل عليه كلّ رجل
 منكم فليؤتيه. ثم أمر أن يؤذن له. فلما دخل عليه أبو جعفر قال عليه السلام: السلام
 عليكم. فعثمهم جميعاً بالسلام، ثم جلس.

فازداد هشام عليه حقاً بتركه السلام عليه بالخلافة، وجلوسه بغير إذن. فأقبل يؤتيه،
 ويقول فيما يقول له: يا محمد بن عليّ، لا يزال الرجل منكم قد شقّ عصي

١. أنوار التنزيل ٤٧٨/١.

٢. الكافي ٤١١/١-٤١٢، ح ٢.

٣. المصدر: جعفر بن محمد.

٤. كذا في المصدر وفي النسخ: لم يتسم.

٥. كذا في المصدر وفي النسخ: «نسلم» بدل «يسلم عليه».

٦. من المصدر.

٧. الكافي ٤٧١/١-٤٧٢، ح ٥.

المسلمين ودعا إلى نفسه، وزعم أنه الإمام سفهاً وقلة علم. ووبّخه بما أراد أن يوبّخه. فلما سكت، أقبل عليه القوم رجل بعد رجل يوبّخه حتى انقضى آخرهم.

فلما سكت القوم، نهض عليه قائماً. ثم قال: أيها الناس، أين تذهبون، وأين يراد بكم؟ بنا هدى الله أولكم، وبنا يختم آخركم. فإن يكن لكم ملك معجل، فإن لنا ملكاً مؤجلاً. وليس بعد ملكنا ملك، لأننا أهل العاقبة. يقول الله ﷻ: «والعاقبة للمتقين»^(١).

فأمر به إلى الحبس. فلما صار إلى الحبس، تكلم فلم يبق في الحبس رجل إلا ترشّفه وحنّ إليه^(٢). فجاء صاحب الحبس إلى هشام فقال له: يا أمير المؤمنين، إنني خائف عليك من أهل الشام أن يحولوا بينك وبين مجلسك هذا. ثم أخبره بخبره.

فأمر به فحمل على البريد هو وأصحابه، ليردّوا إلى المدينة. وأمر أن لا يخرج لهم الأسواق، وحال بينهم وبين الطعام والشراب. فساروا^(٣) ثلاثاً لا يجدون طعاماً ولا شرباً، حتى انتهوا إلى مدين فأغلق باب المدينة دونهم، فشكا أصحابه الجوع والعطش.

قال: فصعد جبلاً يشرف عليهم، فقال بأعلى صوته: يا أهل المدينة الظالم أهلها، أنا بقیة الله. يقول الله: «بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ».

قال: وكان فيهم شيخ كبير فأتاهم، فقال لهم: يا قوم، هذه والله دعوة شعيب النبي عليه السلام. والله، لئن لم تخرجوا إلى هذا الرجل بالأسواق، لتؤخذن من فوقكم ومن تحت أرجلكم. فصدّقوني في هذه المرة وأطيعوني، وكذبوني فيما تستأنفون^(٤) فإنني ناصح لكم.

[قال: ^(٥) فبادروا فأخرجوا إلى محمد بن علي وأصحابه بالأسواق. فبلغ هشام بن عبد الملك خبر الشيخ، فبعث إليه فحملة فلم يدر ما صنع به.

١. الأعراف ١٢٥.

٢. في هامش الكافي: ترشّفه، أي: مضه. وهو كناية عن المبالغة في أخذ العلم عنه. وحنّ إليه: اشتاق.

٣. كذا في المصدر وفي النسخ: فساروا.

٤. كذا في المصدر وفي النسخ: تشاؤون.

٥. من المصدر.

وفي عيون الأخبار^(١)، في باب ذكر مولد الرضا عليه السلام: حَدَّثَنَا تَمِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ تَمِيمٍ الْقُرَشِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مِثْمٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ أُمِّي تَقُولُ: سَمِعْتُ نَجْمَةَ أُمِّ الرُّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ تَقُولُ: لَمَّا حَمَلْتُ بِابْنِي عَلِيٍّ؛ لَمْ أَشْعُرْ بِثَقَلِ الْحَمْلِ. وَكُنْتُ أَسْمَعُ فِي مَنَامِي تَسْبِيحًا وَتَهْلِيلًا وَتَمْجِيدًا مِنْ بَطْنِي، فَيَفْزَعُنِي ذَلِكَ وَيَهْوِلُنِي. فَإِذَا انْتَبَهْتُ لَمْ أَسْمَعْ شَيْئًا. فَلَمَّا وَضَعْتَهُ، وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ وَاضِعًا بِيَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ رَافِعًا رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ يَحْرُكُ شَفْتَيْهِ، كَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ. فَدَخَلَ إِلَيَّ^(٢) أَبُوهُ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَقَالَ لِي: هَنِيئًا لَكَ يَا نَجْمَةُ، كَرَامَةِ رَبِّكَ.

فَنَاولَتْهُ إِيَّاهُ فِي خُرْقَةٍ بَيَضاء. فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْأَيْمَنِ، وَأَقَامَ فِي الْأَيْسَرِ. وَدَعَا بِمَاءِ الْفَرَاتِ، فَحَنَّكَ بِهِ ثُمَّ رَدَّهُ إِلَيَّ.

وَقَالَ: خُذِيهِ، فَإِنَّهُ بَقِيَّةُ اللَّهِ ﷻ فِي أَرْضِهِ.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٣): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْوَرَّاقُ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ سَعْدِ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: خَرَجَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عَاتِقِهِ غَلَامٌ، كَأَنَّ وَجْهَهُ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، مِنْ أَبْنَاءِ ثَلَاثِ سِنِينَ.

فَقَالَ: يَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ، لَوْلَا كَرَامَتُكَ عَلَى اللَّهِ ﷻ وَعَلَى حُجَّجِهِ مَا عَرَضْتُ عَلَيْكَ ابْنِي هَذَا. إِنَّهُ سَمِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

إِلَى أَنْ قَالَ: فَنَطَّقَ الْغَلَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ فَصِيحٍ.

فَقَالَ: أَنَا بَقِيَّةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَالْمَنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِ. فَلَا تَطْلُبُ أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ.

وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ أَخَذْتُ مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ.

وبإسناده^(٤) إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ مُسْلِمِ الثَّقَفِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١. العيون/٢٠١، ح ٢.

٢. كذا في المصدر وفي النسخ: عليه.

٣. كمال الدين/٣٨٤، ضمن ح ١ بتصرف في صدر المتنول هنا.

٤. كمال الدين/٣٣١، ضمن ح ١٦.

حديث طويل، يذكر فيه القائم عليه السلام: فإذا خرج، أسند ظهره إلى الكعبة، واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً. فأول ما ينطق به هذه الآية: «بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين».

ثم يقول: أنا بقية الله [في أرضه] ^(١) وحجته وخليفته عليكم. فلا يسلم عليه مسلم إلا قال: السلام عليك يا بقية الله في أرضه.

وفي كتاب الاحتجاج ^(٢) للطبرسي رحمته الله عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل. يقول فيه عليه السلام وقد ذكر الحجج: هو بقية الله - يعني: المهدي عليه السلام - الذي يأتي بعد انقضاء هذه النظرة، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾: من الأصنام. أجابوا به بعد أمرهم بالتوحيد، على الاستهزاء به والتهكم بصلاته، والإشعار بأن مثله لا يدعو إليه داع عقلي، وإنما دعاك إليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه. وكان كثير الصلاة، ولذلك جمعوا وخصّوا الصلاة بالذكر.

وقرأ ^(٣) حمزة والكسائي وحفص على الأفراد. والمعنى: أصلاتك تأمرك بتكليف أن نترك. فحذف المضاف، لأن الرجل يؤمر بفعل غيره.

﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾: عطف على «ما» أي وأن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا.

وقرئ ^(٤) بالتاء، فيهما، على أن العطف على «أن نترك». وهو جواب النهي عن التطفيف، والأمر بالإيفاء.

وقيل ^(٥): كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير، فأرادوا به ذلك.

﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ ^(٦) قيل ^(٧): تهكموا به، وقصدوا وصفه بضد ذلك. أو علّلوا إنكار ما سمعوا منه واستعباده بأنه موسوم بالحلم والرشد المانع من المبادرة إلى أمثال ذلك.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): قالوا: إِنَّكَ لَأَنْتَ السَّفِيهِ الْجَاهِلُ. فحكى^(٢) الله ﷻ قولهم [فقال^(٣)]: «إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ».

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾: إشارة إلى ما آتاه الله من العلم والنبوة. ﴿وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: إشارة إلى ما آتاه الله من المال الحلال. وجواب الشرط محذوف، تقديره: فهل يسع لي مع هذا الإنعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخون في وحيه، وأخالفه في أمره ونهيه. وهو اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء.

والضمير في «منه» الله، أي من عنده وبإعانتة، بلا كد مني في تحصيله. ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾: أي وما أريد أن آتي ما أنهيكم عنه من شهواتكم، لاستبدّ به دونكم.

يقال: خالفت زيداً إلى كذا: إذا قصدته، وهو مؤلّ عنه. وخالفته عنه: إذا كان الأمر بالعكس، أي قصده وأنت مؤلّ عنه.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾: ما أريد إلا أن أصلحكم بأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر، ما دمت أستطيع الإصلاح. فلو وجدت الصلاح فيما أنتم عليه، لما نهيتكم عنه.

ولهذه الأجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن، وهو التنبيه على أنّ العاقل يجب أن يراعي في كلّ ما يليه ويذره إحدى حقوق ثلاثة أهمّها وأعلىها حقّ الله، وثانيها حقّ النفس، وثالثها حقّ الناس. وكلّ ذلك يقتضي أن آمركم بما أمرتكم به، وأنهاكم عما نهيتكم عنه. و«ما» مصدرية واقعة موقع الظرف.

وقيل^(٤): خبرية بدل من الإصلاح إلى المقدار الذي استطعته، أو إصلاح ما استطعته، فحذف المضاف.

١. تفسير القميّ ١/٣٣٧.

٢. المصدر: فكّني.

٣. من المصدر.

٤. أنوار التنزيل ١/٤٧٨.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾: وما توفيقِي لإصابة الحقِّ والصواب، إلَّا بهدأيته ومعونته.
 ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: فإنَّه القادر المتمكِّن من كلِّ شيء، وما عداه عاجز في حدِّ ذاته.
 وفيه إشارة إلى محض التوحيد الَّذي هو أقصى مراتب العلم بالمبدأ.
 وفي نهج البلاغة^(١): من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً، قال فيه عليه السلام بعد أن ذكر عثمان وقتله: وما كنت لأعتذر من إنِّي كنت أنقم^(٢) عليه أحدائاً. فإن كان الذنب إليه^(٣) إرشادي وهدايتي له، فربَّ ملوم لا ذنب له.

وقد يستفيد الظنَّة المتنصح^(٤)

وما أردت إلَّا الإصلاح ما استطعت. «وما توفيقِي إلَّا بالله عليه توكلت [وإليه أنيب]»^(٥).

﴿وَاللَّهِ أُنِيبُ﴾^(٦): إشارة إلى معرفة المعاد. وهو أيضاً يفيد الحصر بتقديم الصلة على «أنيب».

وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لإصابة الحقِّ فيما يأتي ويذرّه من الله، والاستعانة في مجامع أمره، والإقبال عليه بشراشره، وحسم أطماع الكفَّار، وإظهار الفراغ عنهم، وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع إلى الله للجزاء.

وفي كتاب التوحيد^(٧) بإسناده إلى عبدالله بن الفضل الهاشمي، عن أبي عبدالله عليه السلام حديث طويل. وفيه: فقلت: قوله ﷺ: «وما توفيقِي إلَّا بالله» وقوله ﷺ: «إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الَّذي ينصركم من بعده».

فقال: إذا فعل العبد ما أمره الله ﷻ به من الطاعة، كان فعله وفقاً لأمر الله ﷻ وسمي العبد به موقفاً. وإذا أراد العبد أن يدخل في شيء من معاصي الله، فحال الله تبارك

١. نهج البلاغة/٣٨٨، ضمن كتاب ٢٨.

٢. أ، ب: «الذنب» بدل «الذنب إليه».

٣. من المصدر.

٤. آل عمران/١٦٠.

٥. أ، ب: أمم.

٦. كذا في المصدر وفي النسخ: المظنة المستنصح.

٧. التوحيد/٢٤٢، ذيل ح ١.

وتعالى بينه وبين تلك المعصية، فتركها، كان تركه لها بتوفيق الله تعالى ذكره. ومتى خلّى بينه وبين المعصية، فلم يخلّ بينه وبينها^(١) حتّى يرتكبها، فقد خذله ولم ينصره ولم يوفقه.

﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: لا يكسبنكم

﴿شِقَاقِي﴾: خلافي ومعاداتي.

﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾: من الغرق.

﴿أَوْ قَوْمِ هُودٍ﴾: من الريح^(٢).

﴿أَوْ قَوْمِ صَالِحٍ﴾: من الرجفة.

و«أن» بصلتها ثاني مفعولي «جرم» فإنّه يعدّى إلى واحد وإلى اثنين، ككسب.

وعن ابن كثير^(٣): «يجرمكم» بالضمّ. وهو منقول من المتعدّي إلى مفعول واحد.

والأول أفصح. فإنّ «أجرم» أقلّ دوراناً على السنة الفصحاء.

وقرئ^(٤): «مثل» - بالفتح - لإضافته إلى المبني، كقوله:

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أو قال

﴿وَمَا قَوْمٌ لَوْ طِ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾^(٥) زماناً ومكاناً. فإن لم تعتبروا ممّن قبلهم، فاعتبروا

بهم. أو: ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي، فلا يبعد عنكم ما أصابهم.

وأفراد البعيد؛ لأنّ المراد: وما إهلاكهم أو وما هم بشيء بعيد. ولا يبعد أن يسوي في

أمثاله بين المذكر والمؤنث لأنها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾: عما أنتم عليه.

وفي أصول الكافي^(٥): عليّ بن إبراهيم، عن [أبيه، و]^(٦) عذّة من أصحابنا، عن

١. كذا في المصدر وفي النسخ: لم يخلّ بينها بينه وبينها.

٢. أ، ب: الهلاك. ٣. أنوار التنزيل ٤٧٩/١.

٤. نفس المصدر والموضع. ٥. الكافي ٤٢٤/٢، ذيل ح ١.

٦. من المصدر.

سهل بن زياد، ومحمد بن نعمان الأحول، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام عن رسول الله ﷺ: حديث طويل، يقول فيه لأصحابه:

ولولا أنكم تذبون فتستغفرون الله، لخلق الله خلقاً حتى يذبوا ثم يستغفروا الله فيغفر^(١) لهم. إن المؤمن مفتن تواب. أما تسمع^(٢) قول الله ﷻ: «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيَحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» وقال^(٤): «استغفروا ربكم ثم توبوا إليه».

وفي كتاب الخصال^(٥): عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: أربع خصال من كن فيه، كان في نور الله الأعظم إلى أن قال: ومن إذا أصاب خطيئة، قال: استغفر الله، وأتوب إليه.

﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾: عظيم الرحمة للتائبين

﴿وَدُودٌ﴾^(٦): فاعل بهم من اللطف والإحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده.

وهو وعد على التوبة، بعد الوعيد على الإصرار.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَ﴾: ما نفهم

﴿كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾: كوجوب التوحيد وحرمة الخس. وما ذكرت دليلاً عليهما.

وذلك لقصور عقولهم، وعدم تفكيرهم.

وقيل^(٧): قالوا ذلك استهانةً بكلامه. أو لأنهم لم يلقوا إليه أذهانهم لشدة نفرتهم عنه.

﴿وَأَنَا لَكَ لَرَّاكٌ فِينَا ضَعِيفٌ﴾: لا قوة لك فتمتنع منا، إن أردنا بك سوءً، أو مهيناً لا عزة

لك.

وقيل^(٧): أعمى، بلغة حمير.

وقيل^(٨): وهو مع عدم مناسبتة يردّه التقييد بالظرف.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٩): وقد كان ضعف بصره.

١. المصدر: فيغفر [الله] لهم.
٢. البقرة/٢٢٢.
٣. الخصال/٢٢٢/١، ح ٤٩.
٤. المصدر: سمعت.
٥. هود/٣.
٦. أنوار التنزيل ٤٧٩/١.
٧. تفسير القمي ٣٣٧/١.
٨. أنوار التنزيل ٤٧٩/١.
٩. المصدر: سمعت.

ومنع بعض الناس^(١) المعتزلة استنباء الأعمى، قياساً على القضاء والشهادة. والفرق بين.

﴿وَلَوْ لَا رَهْطُكَ﴾: قومك وعزتهم عندنا، لكونهم على مِلتنا، لا لخوف من شوكتهم. فإنَّ الرهط من الثلاثة إلى العشرة.

وقيل^(٢): إلى السبعة.

﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾: لقتلناك برمي الحجارة، أو بأصعب وجه.

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾^(٣): فتمنعنا عزتك عن الرجم.

قيل^(٤): وهذا ديدن السفیه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسبِّ والتهديد.

وفي إيلاء الضمير حرف النفي، تنبيه على أنَّ الكلام فيه، لا في ثبوت العزة، وأنَّ المانع لهم من إيذائه عزة قومه. ولذلك

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخِذْتُمُوهُ وَرَاءَ كُمِ ظَهْرِيًّا﴾: وجعلتموه

كالمنسي المنبوذ وراء الظهر بإشراككم به، وإلحانة برسوله، فلا تبقون عليَّ الله وتبقون عليَّ لرهطي.

وهو يحتمل الإنكار والتوبيخ والردِّ والتكذيب. و«ظهري» منسوب إلى الظهر، والكسر من تغييرات النسب.

﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾^(٥): فلا يخفى عليه شيء منها، فيجازي عليها.

﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾:

سبق مثله في سورة الأنعام^(٦). والفاء في «فسوف تعلمون» ثمة^(٧) للتصريح بأنَّ الإصرار والتمكُّن فيما هم عليه سبب لذلك. وحذفها هاهنا؛ لأنَّه جواب سائل قال: فماذا يكون بعد ذلك؟ فهو أبلغ في التهويل.

١. ليس في أنوار التنزيل ٤٧٩/١.

٢. أنوار التنزيل ٤٧٩/١.

٣. أنوار التنزيل ٤٧٩/١.

٤. الأنعام ١٣٥.

٥. أي: هناك.

﴿وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾: عطف على «من يأتيه» لا لأنه قسيم^(١) له - كقولهم: ستعلم الكاذب والصادق - بل لأنهم لما أوعده وكذبوه، قال: سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم.

وقيل^(٢): كان قياسه: «ومن هو صادق» لينصرف الأول إليهم، والثاني إليه، لكنهم لما كانوا يدعونه كاذباً، قال: «ومن هو كاذب» على زعمهم.

﴿وَارْتَقِبُوا﴾: وانتظروا ما أقول لكم.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾^(٣): فعيل بمعنى الرقيب، كالصريم. أو: المراقب، كالعشير. أو: المرتقب، كالرفيع.

وفي تفسير العياشي^(٤): محمد بن الفضيل، عن الرضا عليه السلام قال: سألته عن انتظار الفرج، [فقال: أو ليس تعلم أن انتظار الفرج]^(٥) من الفرج؟ ثم قال: إن الله تبارك وتعالى يقول: «وارتقبوا إني معكم رقيب».

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٦)، بإسناده إلى أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر قال: قال الرضا: ما أحسن الصبر وانتظار الفرج! أما سمعت قول الله تعالى: «وارتقبوا إني معكم رقيب» [وقوله]^(٧): «فانتظروا إني معكم من المنتظرين»^(٨). فعليكم بالصبر! فإنه إنما يجيء الفرج على اليأس^(٩). فقد كان الذين من قبلكم أصبر منكم.

وفي مجمع البيان^(١٠): وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: شعيب عليه السلام خطيب الأنبياء.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾: إنما ذكره بالواو - كما في قصه عاد - إذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له، بخلاف قصتي صالح ولوط،

١. أ، ب: قسم.

٣. تفسير العياشي ١٥٩/٢، ح ٦٢.

٥. كمال الدين ٦٤٥/٢، ح ٥.

٧. الأعراف ٧١.

٩. المجمع ١٨٨/٣.

٢. أنوار التنزيل ٤٨٠/١.

٤. من المصدر.

٦. ليس في المصدر.

٨. كذا في المصدر وفي النسخ: اليأس.

فإنه ذكر بعد الوعد. وذلك قوله: «وعد غير مكذوب»^(١). وقوله: «إن موعدهم الصبح»^(٢). فلذلك جاء بفاء السبيطة.

﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾: قيل^(٣): صاح بهم جبرئيل، فهلكوا.

وفي عيون الأخبار^(٤)، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام [من خبر الشامي وما سأل عن أمير المؤمنين عليه السلام]^(٥) في جامع الكوفة حديث طويل. وفيه: ثم قام إليه [رجل]^(٦) آخر فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن يوم الأربعاء وتطيرنا منه وثقله، أي أربعاء هو. قال: آخر أربعاء في الشهر^(٧). وهو المحاق. وفيه قتل قابيل أخاه. إلى أن قال عليه السلام: يوم الأربعاء أخذتهم الصيحة.

وفي الجوامع^(٨): روي أن جبرئيل عليه السلام صاح بهم صيحة، فزهق روح كل واحد منهم حيث هو.

﴿فَاصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ﴾^(٩): ميتين.

وأصل الجئوم: اللزوم في المكان.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾: كأن لم يقيموا فيها أحياء.

﴿الْأَبْعَدُ لِمَدَيْنَ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ﴾^(١٠): قيل^(١١): شبههم بهم، لأن عذابهم كان أيضاً

بالصيحة، غير أن صيحتهم كانت من تحتهم، وصيحة مدین كانت من فوقهم.

وقرئ^(١٢): «بعدت» - بالضم - على الأصل. فإن الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد

بما يكون بسبب الهلاك، والبعد مصدر لهما، والبعد مصدر المكسور.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾: بالتوراة، أو المعجزات.

١. هود/٦٥.

٢. هود/٨١.

٣. أنوار التنزيل ٤٨٠/١.

٤. العيون ٢٤٧/١، ح ١.

٥. ليس في أ، ب، ر.

٦. من المصدر.

٧. المصدر: الشهور.

٨. الجوامع/٢١٠.

٩. أنوار التنزيل ٤٨٠/١.

١٠. أنوار التنزيل ٤٨٠/١.

﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٦): قيل (١): هو المعجزات القاهرة أو العصا واليد (٢) وإفرادها لأنها أبهرها.

ويجوز أن يراد بهما واحد. أي ولقد أرسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطاناً له على نبوته، واضحاً في نفسه، أو موضحاً إياها. فإن «أبان» جاء لازماً ومتعدياً. والفرق بينهما أن الآية تعم الامارة والدليل القاطع، والسلطان يخص بالقاطع، والمبين يخص بما فيه جلاء.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾: فاتبعوا أمره بالكفر بموسى. أو: فما اتبعوا موسى الهادي إلى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة، واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان، الداعي إلى ما لا يخفى فساده على من له أدنى مسكة من العقل، لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم.

﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ (٣٧): مرشد، أو ذي رشد، وإنما هو غي محض وضلال صريح.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: إلى النار، كما كان يقدمهم في الدنيا إلى الضلال. يقال: قدم، بمعنى: تقدم.

﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾: ذكره بلفظ الماضي، مبالغة في تحقيقه. ونزل النار لهم منزلة الماء، فسمي إتيانها مورداً. ثم قال:

﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ (٣٨): أي بشس المورد الذي وردوه (٣)، فإنه يراد لتبريد الأكباد وتسكين العطش، والنار بالضد.

والآية كالدليل على قومه: «وما أمر فرعون برشيد». فإن من هذا عاقبته، لم يكن في أمره رشد. أو تفسير له على أن المراد بالرشيد: ما يكون مأمون العاقبة وحميدها.

﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: أي يلعنون في الدنيا والآخرة.

٢. ب: زيادة «واليد».

١. أنوار التنزيل ٤٨٠/١.

٣. كذا في أنوار التنزيل ٤٨٠/١. وفي النسخ: يوردونه.

﴿يَنْسُ الرُّفْدَ الْمَرْفُودُ﴾^(٣): ينس العون المعان، أو العطاء المعطى.

وأصل الرfd: ما يضاف إلى غيره ليعمده. والمخصوص بالذم محذوف. أي رfدهم، وهو اللعنة في الدارين.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): «في هذه لعنة» يعني: الهلاك والغرق. «ويوم القيامة [ينس الرfd المرفود] أي^(٢) يرفدهم الله بالعذاب.

﴿ذَلِكَ﴾: أي ذلك النبا

﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى﴾: المهلكة.

﴿نَقَصَهُ عَلَيْكَ﴾: مقصوص عليك.

﴿مِنْهَا قَائِمٌ﴾: من تلك القرى باق، كالزروع القائم

﴿وَحَصِيدٌ﴾^(٣): [ومنها]^(٢) عافي الأثر، كالزروع المحصود.

والجملة مستأنفة.

وقيل^(٤): حال من الهاء في «نقصه» وليس بصحيح إذ لا واو ولا ضمير.

وفي تفسير العياشي^(٥) عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قرأ: «فمنها قائماً

وحصيذاً» - بالنصب - ثم قال: يا أبا محمد، لا يكون حصيذاً^(٦) إلا بالحديد.

وفي رواية أخرى^(٧): «فمنها قائماً وحصيذاً» بالنصب ثم قال: يا أبا محمد، لا

يكون^(٨) الحصيد إلا بالحديد.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾: بإهلاكنا إياهم.

﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: بأن عرّضوها بارتكاب ما يوجبه.

١. تفسير القمي ٣٣٧/١.

٢. من المصدر.

٣. ليس في ب.

٤. أنوار التنزيل ٤٨١/١.

٥. تفسير العياشي ١٥٩/٢، ح ٦٣.

٦. كذا في المصدر وفي النسخ: الحصيد.

٧. تفسير العياشي ١٥٩/٢، ح ٦٤.

٨. المصدر: «فمنها قائم وحصيداً يكون» بدل «فمنها قائماً... لا يكون».

﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ﴾: فما نفعتهم، ولا قدرت أن تدفع عنهم
 ﴿أَلَيْسَ لَهُمُ الَّذِي يُدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: حين جاءهم عذابه
 ونقمته.

﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيرٍ﴾^(١): إهلاك، أو تخسير.^(١)
 ﴿وَكَذَلِكَ﴾: ومثل ذلك الأخذ
 ﴿أَخَذُ رَبُّكَ﴾: وقرئ^(٢): «أخذ ربك»^(٣) بالفعل. وعلى هذا يكون محل الكاف
 النصب على المصدر.

﴿إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾: أي أهلها.
 وقرئ^(٤): «إذ» لأن المعنى على المضى.
 ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾: حال من «القرى». وهي في الحقيقة لأهلها، لكنها لما أقيمت
 مقامه، أجريت عليها. وفائدتها الإشعار بأنهم أخذوا بظلمهم، وإنذار كل ظالم ظلم
 نفسه أو غيره من وخامة العاقبة.

﴿إِنَّا أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾^(٥): وجيع غير مرجو الخلاص عنه.
 وهو مبالغة في التهديد والتحذير.

وفي مجمع البيان^(٥): «وكذلك أخذ ربك - إلى قوله - أليم شديد». وفي الصحيحين
 عن النبي ﷺ أنه قال: [إِنَّ اللَّهَ^(٦)] يمهّل الظالم^(٧) حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ^(٨).
 ﴿إِنَّا فِي ذَلِكَ﴾: أي فيما نزل بالأمم الهالكة. أو: فيما قصّه^(٩) الله من قصصهم
 ﴿لَايَةً﴾: لعلهم.

٢. أنوار التنزيل ٤٨١/١.

١. أ، ب، ر: تحير.

٤. نفس المصدر والموضع.

٣. ليس في ب.

٦. ليس في أ، ب.

٥. المجمع ١٩١٣.

٨. كذا في المصدر وفي النسخ: لم يمهله.

٧. كذا في المصدر وفي النسخ: الظالمين.

٩. أ، ب: قصهم.

﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾: يعتبر به عظمته، لعلمه بأن ما حاق بهم أنموذج مما أعد الله للمجرمين في الآخرة. أو: ينزجر به عن موجباته، لعلمه بأنها من إله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء. فإن من أنكر الآخرة وأحال فناء هذا العالم، لم يقل^(١) بالفاعل المختار، وجعل تلك الوقائع لأسباب فلكية اتفقت في تلك الأيام، لا لذنوب المهلكين بها.

﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى يوم القيامة. وعذاب الآخرة دل عليه.

﴿يَوْمَ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ﴾: أي يجمع له الناس. والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم، وأنه من شأنه لا محالة، وأن الناس لا ينفكون عنه. فهو أبلغ من قوله^(٢): «يوم يجمعكم ليوم الجمع». ومعنى الجمع له: الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة. ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾^(٣): قيل^(٤): أي مشهود فيه أهل السماوات والأرضين. فأتسع فيه بإجراء الظرف مجرى المفعول به، كقوله:

في^(٥) محفل من نواصي الناس مشهود

أي كثير شاهده.

ولو جعل اليوم مشهوداً^(٦) في نفسه، لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه. فإن سائر الأيام كذلك.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٧): يشهد عليه الأنبياء والرسل.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٨): حَدَّثَنَا أَبِي ﷺ، قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى، وَمُحَمَّدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ رَجَالِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ

١. ب: لم يقبل.

٣. أنوار التنزيل ٤٨١/١.

٥. ب: زيادة فيه.

٧. المعاني ٢٩٨، ح ١.

٢. التباين ٩.

٤. ب: من.

٦. تفسير القمي ٣٣٨/١.

الله ﷻ: «ذلك يوم - إلى قوله - يوم مشهود» قال: المشهود يوم عرفة. والمجموع له الناس يوم القيامة.

وبإسناده^(١) إلى محمد بن هاشم، عمن روى عن أبي جعفر عليه السلام قال: سأله الأبرش الكلبي عن قول الله ﷻ: «وشاهد ومشهود». فقال أبو جعفر عليه السلام: ما قيل لك؟ فقال: قالوا: الشاهد يوم الجمعة. والمشهود يوم عرفة.

فقال أبو جعفر عليه السلام: ليس كما قيل لك. الشاهد يوم عرفة. والمشهود يوم القيامة. أما تقرأ القرآن؟! قال الله ﷻ: «ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود».

وفي روضة الكافي^(٢) في كلام لعلني بن الحسين عليه السلام في الوعظ والزهد في الدنيا، وفيه: واعلم - يا ابن آدم - أن من وراء هذا أعظم وأفزع^(٣) وأوجع للقلوب يوم القيامة. وفي تفسير العياشي^(٤): عن أحدهما عليه السلام في هذه الآية: فذلك يوم القيامة، وهو اليوم الموعود.

ويمكن الجمع بين الأخبار الدالّة بعضها على أن اليوم^(٥) المشهود يوم^(٦) عرفة، وبعضها على أنه يوم القيامة، بأن كلا اليومين مشهود. واليوم المجموع له الناس مخصوص بيوم القيامة.

﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ﴾: أي اليوم

﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّودٍ﴾^(٧): إلّا لانتهاؤ مدّة معدودة متناهية. على حذف المضاف، أو على إرادة مدّة التأجيل. كلّها بالأجل لا منتهاه، فإنّه غير معدود.

﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾: أي الجزاء المدلول عليه بالفحوى. أو: اليوم - كقوله^(٨) -: «أو تأتيهم

١. المعاني/٢٩٩، ح. ٥.

٢. الكافي/٧٣/٨، ضمن ح. ٢٩.

٣. تفسير العياشي/١٥٩/٢، ح. ٦٥.

٤. ليس في ب، أ، ر.

٥. البروج/٣.

٦. ب: أفزع.

٧. أ، ب، ر: يوم.

٨. يوسف/١٠٧.

الساعة» على أنَّ «يوم» بمعنى حين. أو: الله تعالى، كقوله^(١): «هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله» ونحوه. وإتيان الله: إتيان أمره أو شيء منسوب إليه.

وقرأ^(٢) ابن عامر وعاصم وحمزة: «يأت» بحذف الياء، اجتزاءً عنها بالكسرة.

﴿لَا تَكَلِّمْ نَفْسَ﴾: لا تتكلم نفس بما ينفع وينجي، من جواب أو شفاعة.

وهو الناصب للظرف. ويحتمل نصبه بإضمار اذكر، أو بالانتهاء المحذوف.

﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾: إلا بإذن الله، كقوله^(٣): «لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن».

وهذا في موقف، وقوله^(٤): «هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون» في

موقف آخر.

وقيل^(٥): أو المأذون فيه هي الجوابات الحقّة، والممنوع عنه هي الأعذار الباطلة.

والأوّل هو المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب التوحيد^(٦).

﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ﴾: وجبت له النار، بمقتضى الوعيد.

﴿وَسَعِيدٌ﴾^(٧): وجبت له الجنّة، بمقتضى الوعد.

والضمير لأهل الموقف وإن لم يذكر؛ لأنّه معلوم مدلول عليه بقوله: «لا تكلم

نفس». أو للناس.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَبِالنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾^(٨): الزفير: إخراج النفس.

والشهيق: ردّه، واستعمالهما في أوّل النهيق وآخره. والمراد بهما الدلالة على شدّة

كربهم وغمهم، وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه، وانحصر فيه روحه. أو

تشبيه صراخهم بأصوات الحمير.

وقرئ^(٩): «شقوا» بالضمّ.

١. البقرة/٢١٠.

٢. أنوار التنزيل ٤٨١/١.

٣. النبأ/٣٨.

٤. المرسلات ٣٥-٣٦.

٥. أنوار التنزيل ٤٨٢/١.

٦. التوحيد/٢٦٠.

٧. أنوار التنزيل ٤٨٢/١.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾: قيل^(١): ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامها فإن النصوص دالة على تأييد دوامهم وانقطاع دوامها بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون عنه، على سبيل التمثيل. ولو كان للارتباط، لم يلزم أيضاً من زوال السماوات والأرض زوال عذابهم، ولا من دوامه دوامهما، إلا من قبيل المفهوم، لأن دوامهما كالملزوم لدوامه. وقد عرفت أن المفهوم لا يقاوم المنطوق.

وقيل^(٢): المراد سماوات الآخرة وأرضها. ويدل عليه^(٣) قوله تعالى: «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات»، وأن أهل الآخرة لا بد لهم من مظّل ومقلّ.

واعترض عليه بأنه تشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده ودوامه. ومن عرفه، فإنما^(٤) يعرفه بما يدل عليه دوام الثواب والعقاب. فلا يجدي له التشبيه.

والتحقيق أن هذا في نار الدنيا في البرزخ، قبل يوم القيامة. وسيأتي من الأخبار ما يدل عليه. وحينئذ لا إشكال في الارتباط.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾: قيل^(٥): استثناء من الخلود في النار؛ لأن بعضهم - وهم فساق الموحدين - يخرجون منها. وذلك كاف في صحة الاستثناء. لأن زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض. وهم المراد بالاستثناء الثاني. فإنهم مفارقون عن الجنة أيام عذابهم. فإن التأييد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء، كما ينتقض باعتبار الانتهاء. وهؤلاء - وإن شقوا بعصيانهم - فقد سعدوا بإيمانهم. قال^(٦): ولا يقال: فعلى هذا لم يكن قوله: «فمنهم شقي وسعيد» تقسيماً صحيحاً؛ لأن من شرطه أن يكون صفة كل قسم منتفية عن قسمه، لأن ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي، أو مانع من الجمع. وهاهنا المراد أن أهل الموقف لا يخرجون عن القسمين، وأن حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة، وذلك لا يمنع اجتماع الأمرين في شخص باعتبارين. أو

١ و٢. أنوار التنزيل ١/٤٨٢.

٣. إبراهيم/٤٨.

٤. ب: فإنه.

٥. أنوار التنزيل ١/٤٨٢.

٦. ليس في المصدر.

لأنَّ أهل النار ينقلون منها إلى الزمهرير وغيره من العذاب أحياناً. وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من الجنة، كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه. أو من أصل الحكم. والمستثنى زمان توقّفهم في الموقف للحساب؛ لأنَّ ظاهره يقتضي أن يكونوا في النار حين يأتي اليوم، أو مدّة لبثهم في الدنيا والبرزخ، إن كان الحكم مطلقاً غير مقيّد باليوم. وعلى هذا التأويل يحتمل أن يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت.

وقيل ^(١): هو من قوله: «لهم فيها زفير وشهيق».

وقيل ^(٢): «إلا» هاهنا بمعنى سوى، كقولك: عليّ ألف إلا الألفان القديمان، والمعنى: سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السماوات والأرض. انتهى، وعلى ما ذكرنا لا إشكال في الاستثناء.

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَلَّ لِمَا يُرِيدُ﴾ ^(٣٧): من غير اعتراض.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ ^(٣٨): غير مقطوع.

وقرأ ^(٣) حمزة والكسائي وحفص: «سعدوا» على البناء للمفعول، من: سعه الله، بمعنى: أسعده. و«عطاء» نصب على المصدر المؤكّد. أي أعطى عطاءً. أو حال من «الجنة».

في تفسير عليّ بن إبراهيم ^(٤) في هذه الآية: «يوم يأت» والتي بعدها: هذا في نار الدنيا قبل يوم القيامة.

قال: وأمّا قوله: «وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا» يعني: في جنات الدنيا التي تنقل إليها أرواح المؤمنين. «ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ» يعني: غير مقطوع من نعيم الآخرة في الجنة يكون متصلاً به.

قال: وهو ردّ على من أنكر عذاب القبر والثواب والعقاب في الدنيا في البرزخ، قبل يوم القيامة.

ويؤيد هذا التفسير قوله ^(١) تعالى: «النار يعرضون عليها غدوً وعشيً».

قال الصادق ^(٢) عليه السلام: إن هذا في نار البرزخ قبل القيامة، إذ لا غدو ولا عشي في القيامة.

ثم قال عليه السلام: ألم تسمع قول الله ^(٣) ﷻ: «أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب»؟!

وفي الكافي ^(٤): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن

النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن بريد ^(٥) بن معاوية، عن محمد بن مسلم، عن

أبي جعفر عليه السلام في خطبة يوم الجمعة الخطبة الأولى: الحمد لله، نحمده ^(٦) ونستعينه،

ونستغفره نستهديه، إلى أن قال عليه السلام:

وقد أخبركم الله عن منازل من آمن وعمل صالحاً، وعن منازل من كفر وعمل في

غير سبيله، وقال: «ذلك يوم مجموع» الآيات. نسأل الله الذي جمعنا لهذا الجمع، أن

يبارك لنا في يومنا هذا، وأن يرحمنا جميعاً، إنّه على كلّ شيء قدير.

وفي كتاب التوحيد ^(٧) بإسناده إلى عبد الله بن سلام مولى رسول الله ﷺ أنّه قال:

سألت: رسول الله ﷺ فقلت: أخبرني أيّ عذاب الله ﷻ خلقاً بلا حجة؟ فقال: معاذ الله!

قلت: فأولاد المشركين في الجنة أم في النار؟ فقال: الله تبارك وتعالى أولى بهم. إنّه

إذا كان يوم القيامة وجمع الله ﷻ الخلائق لفصل القضاء ^(٨)، يأتي بأولاد المشركين.

فيقول لهم: عبيدي وإمائي! من ربكم؟ وما دينكم؟ وما أعمالكم؟ فيقولون: اللهم

ربنا، أنت خلقتنا، ولم نخلق ^(٩) شيئاً. وأنت أمتنا، ولم نمث ^(١٠) شيئاً. ولم تجعل لنا

١. غافر/٤٦.

٢. تفسير القميّ ٢٥٨/٢ بتصرف في الألفاظ، و تفسير الصافي ٤٧٣/٢.

٣. غافر/٤٦. ٤. الكافي ٤٢٢٣، صدر ح. ٦.

٥. ب: يزيد. ٦. ليس في ب.

٧. التوحيد ٣٩٠-٣٩٢، ح ١. ٨. كذا في المصدر. وفي ب: الخطاب.

٩. كذا في المصدر وفي النسخ: لم تخلق. ١٠. كذا في المصدر وفي النسخ: لم تمت.

السنة [ننطق بها] ^(١) ولا أسمعاً [نسمع بها] ^(٢)، ولا كتاباً نقرؤه، ولا رسولاً نقتبعه. ولا علم لنا إلا ما علمتنا.

قال: فيقول لهم ﷺ: عبيدي وإمامي، إن أمرتكم بأمر تفعلونه ^(٣)؟ فيقولون: السمع والطاعة لك يا ربنا!

قال: فيأمر الله ﷻ ناراً يقال لها «الفلق» أشد شيء في جهنم عذاباً. فتخرج من مكانها سوداء مظلمة بالسلاسل والأغلال. فيأمر [ها] ^(٤) الله ﷻ أن تنفخ في وجوه الخلائق نفخة. [فتنفخ] ^(٥). فمن شدة نفختها تنقطع السماء، وتنطمس النجوم، وتجمع البحار، وتزول الجبال، وتظلم الأبصار، وتضع الحوامل حملها، وتشيب الولدان من هولها يوم القيامة.

ثم يأمر الله تبارك وتعالى أطفال المشركين أن يلقوا أنفسهم في تلك النار. فمن سبق له في علم الله ﷻ أن يكون سعيداً، ألقي نفسه فيها، فكانت عليه برداً وسلاماً، كما كانت على إبراهيم. ومن سبق له في علم الله ﷻ أن يكون شقيّاً، امتنع، فلم يلق نفسه في النار. فيأمر الله تبارك وتعالى النار فتلتقطه ^(٦) لتركه أمر الله وامتناعه من الدخول فيها، فيكون تبعاً لأبائه في جهنم. وذلك قول الله ﷻ: «فمنهم شقيّ وسعيد» إلى قوله: «غير مجذوذ». وحدثنا الشريف ^(٧) أبو علي محمد بن أحمد [بن محمد] ^(٨) بن عبد الله بن الحسن [بن الحسين بن علي بن الحسين] ^(٩) بن علي بن أبي طالب، قال: حدثنا [علي بن] ^(١٠) محمد بن قتيبة النيشابوري، عن الفضل بن شاذان، عن محمد بن أبي عمير، قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن معنى قول رسول الله ﷺ: الشقي من شقي في بطن أمه [والسعيد من سعد في بطن أمه] ^(١١).

فقال: الشقي من علم الله ﷻ - وهو في بطن أمه - أنه يعمل عمل ^(١٢) الأَشقياء.

٣. المصدر: أتفعلوه.

١ و ٢. من المصدر.

٦. ب: فتلقطه.

٤ و ٥. من المصدر.

٨- ١١. من المصدر.

٧. التوحيد ٣٥٦، صدرح ٣.

١٢. المصدر: سيعمل أعمال.

والسعيد من علم الله - وهو في بطن أمه - أنه سيعمل عمل^(١) السعداء.

وفي أصول الكافي^(٢): محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان بن يحيى، عن منصور بن حازم، عن أبي عبد الله عليه السلام: إن الله خلق السعادة والشقاوة قبل أن يخلق خلقه. فمن خلقه الله سعيداً، لم يبغضه أبداً [وإن عمل شراً، أبغض عمله ولم يبغضه]^(٣). [وإن كان شقيئاً، لم يحبه أبداً، وإن عمل صالحاً، أحب عمله وأبغضه لما يصير إليه. فإذا أحب الله شيئاً، لم يبغضه]^(٤) أبداً^(٥). وإذا أبغض شيئاً، لم يحبه أبداً. علي بن محمد^(٦)، رفعه عن شعيب العرقوفي، عن أبي بصير قال: كنت بين يدي أبي عبد الله عليه السلام، وقد سأله سائل فقال: جعلت فداك يا ابن رسول الله، من أين لحق الشقاء أهل المعصية حتى حكم الله لهم في علمه بالعذاب على عملهم؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: أيها السائل، حكم الله ﷻ أن لا يقوم له أحد من خلقه [بحقه]^(٧). فلما حكم بذلك، وهب لأهل محبته القوة على معرفته، ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهلهم. وهب لأهل المعصية القوة على معصيتهم، لسبق علمه فيهم ومنعهم إطاعة القبول منه. فوافقوا^(٨) ما سبق لهم في علمه، ولم يقدروا أن يأتوا حالاً تنجيهم من عذابه؛ لأن علمه أولى بحقيقة التصديق. وهو معنى شاء ما شاء، وهو سرّه.

عده من أصحابنا^(٩)، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى بن عمران الحلبي، عن معلّى بن عثمان^(١٠)، عن علي بن حنظلة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يسلك بالسعيد في طريق الأشقياء، حتى يقول الناس: ما أشبهه بهم،

٢. الكافي ١٥٢/١ - ١٥٣، ح ١.

٤. من المصدر.

٦. نفس المصدر/ ١٥٣، ح ٢.

٨. بعض نسخ المصدر: فوافقوا.

١٠. كذا في المصدر وفي النسخ: أبي.

١. المصدر: أعمال.

٣. ليس في ب، ر.

٥. ليس في ب، ر.

٧. من المصدر.

٩. نفس المصدر/ ١٥٤، ح ٣.

بل هو منهم! ثم تتداركه السعادة. وقد يسلك بالشقي طريق السعداء، حتى يقول الناس: ما أشبهه بهم، بل هو منهم! ثم يتداركه الشقاء. إن من كتبه الله سعيداً - وإن لم يبق من الدنيا إلا فواق ناقة - ختم له بالسعادة.

وفي كتاب التوحيد^(١)، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إن الله تعالى ينقل العبد من الشقاء إلى السعادة، ولا ينقله من السعادة إلى الشقاء.

وفي كتاب علل الشرائع^(٢)، بإسناده إلى محمد بن عبد الله بن زرارة، عن علي بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: تحول النطفة في الرحم أربعين يوماً. فمن أراد أن يدعو الله ﷻ ففي تلك^(٣) الأربعين قبل أن تخلق. ثم يبعث الله ﷻ ملك الأرجام فيأخذها، فيصعد^(٤) بها إلى الله ﷻ فيقف منه حيث شاء^(٥) الله. فيقول: يا إلهي، أذكر أم انسى؟ فيوحي الله ﷻ ما يشاء، ويكتب الملك. [ثم يقول: يا إلهي^(٦) أشقي أم سعيد؟ فيوحي الله ﷻ (من ذلك)^(٧) ما يشاء، ويكتب الملك]^(٨).

وفي كتاب معاني الأخبار^(٩): حدثنا محمد بن القاسم المفسر الجرجاني قال: حدثنا أحمد بن الحسن الحسيني، عن الحسن بن علي الناصر [ي]^(١٠)، عن أبيه، عن محمد بن علي، عن أبيه الرضا، عن أبيه^(١١) موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين عليه السلام قال: قيل لأmir المؤمنين عليه السلام: صف لنا الموت.

فقال: على الخبر سقطتم. هو أحد أمور ثلاثة يرد عليه: إما بشارة بنعيم الأبد [وإما

١. التوحيد/٣٥٨، ذيل ح ٦.

٢. العلل/٩٥، ضمن ح ٤.

٣. كذا في المصدر وفي النسخ: ذلك.

٤. كذا في المصدر وفي النسخ: في صعداها في أخذ.

٥. كذا في المصدر وفي النسخ: فيقف ما شاء.

٦. كذا في المصدر وفي النسخ: فيقول يا رب.

٧. ليس في ب.

٨. من المصدر.

٩. المعاني/٢٨٨، ح ٢.

١٠. ليس في ب.

١١. ليس في ب.

بشارة بعذاب الأبد^(١) وإما تخويف^(٢) وتهويل وأمر^(٣) مبهم لا يدري من أي الفريقين هو. فأما ولينا المطيع لأمرنا، فهو المبشّر بنعيم الأبد. وأما عدونا المخالف علينا، فهو المبشّر بعذاب الأبد.

وأما المبهم أمره الذي لا يدري ما حاله، فهو المؤمن المسرف على نفسه، لا يدري ما يؤول إليه حاله، يأتيه الخبر^(٤) مبهماً محزناً^(٥). ثم لن يسويه^(٦) الله ﷻ بأعدائنا، لكن يخرجهم من النار بشفاعتنا.

فاعملوا وأطيعوا، ولا تنكّلوا، ولا تتكلّوا، ولا تستصغروا^(٧) عقوبة الله ﷻ، فإن من المسرفين من لا تلحقه^(٨) شفاعتنا إلا بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة.

وفي كتاب الخصال^(٩): عن جعفر بن محمد، عن أبيه، [عن آبائه]^(١٠) عن عليّ عليه السلام أنه قال: حقيقة السعادة أن يختم الرجل عمله بالسعادة. وحقيقة الشقاوة أن يختم المرء عمله بالشقاوة.

عن جعفر بن محمد^(١١)، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من علامات الشقاء جمود العينين^(١٢)، وقسوة القلب، وشدة الحرص في طلب الرزق، والإصرار على الذنب.

وبالاسناد^(١٣) عن عليّ عليه السلام عن النبي ﷺ أنه قال: يا عليّ، أربع خصال من الشقاء: جمود العين، وقساوة القلب، وبعد الأمل، وحبّ البقاء.

وفي تفسير العياشي^(١٤): عن مسعدة بن صدقة قال: قصّ أبو عبد الله عليه السلام قصص أهل

١. من المصدر.

٢. من المصدر مع المعقوفتين.

٣. أ، ب: الخير.

٤. كذا في المصدر وفي النسخ: يستويه.

٥. كذا في المصدر وفي النسخ: لا تصغروا.

٦. الخصال ٥/١، ح ١٤.

٧. كذا في المصدر وفي النسخ: لا تصغروا.

٨. الخصال ٥/١، ح ٩٦.

٩. نفس المصدر والموضع، ح ٩٧.

١٠. الخصال ٥/١، ح ٩٦.

١١. نفس المصدر والموضع، ح ٩٧.

١٢. الخصال ٥/١، ح ٩٦.

١٣. نفس المصدر والموضع، ح ٩٧.

١٤. تفسير العياشي ١٥٩/٢ - ١٦٠، ح ٦٦.

الميثاق من أهل الجنة وأهل النار، فقال في صفات أهل الجنة: فمنهم من لقي الله شهيداً لرسله. ثم مرَّ^(١) في صفتهم حتى بلغ من قوله:

ثم جاء الاستثناء من الله في الفريقين جميعاً، فقال الجاهل بعلم التفسير: «إن هذا الاستثناء من الله، إنما هو لمن دخل الجنة والنار. وذلك أن الفريقين جميعاً يخرجان منهما فيبيان، وليس فيهما أحد». وكذبوا، إنما^(٢) عنى بالاستثناء أن^(٣) ولد آدم كلهم وولد الجناء معهم على الأرض، والسموات تظلمهم، فهو ينقل المؤمنين حتى يخرجهم إلى ولاية الشياطين، وهي النار. فذلك الذي عنى الله في أهل الجنة والنار: «ما دامت السموات والأرض». يقول: في الدنيا.

والله تبارك وتعالى ليس مخرج^(٤) أهل الجنة منها [أبداً]^(٥). ولا كل أهل النار منها [أبداً]^(٦). كيف يكون ذلك، وقد قال الله تعالى في كتابه^(٧): «ما كثرين فيه أبداً» ليس فيهما استثناء.

وكذلك قال أبو جعفر عليه السلام: من دخل ولاية آل محمد، دخل الجنة. ومن دخل في ولاية عدوهم، دخل النار. وهذا الذي عنى^(٨) الله من الاستثناء في الخروج من الجنة والنار والدخول.

عن زرارة^(٩) قال: سألت أبا جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: «وأما الذين سعدوا ففي الجنة» إلى آخر الآيتين. قال: هاتان الآيتان في غير أهل الخلود من أهل الشقاوة والسعادة. إن شاء الله يجعلهم خارجين^(١٠). ولا تزعم يا زرارة أنني أزعم ذلك. عن حمزان^(١١) قال: سألت أبا جعفر عليه السلام قلت^(١٢): جعلت فداك، قول الله تعالى:

١. بعض نسخ المصدر: من.

٢. المصدر: لكن.

٣. ليس في ب.

٤. كذا في المصدر وفي النسخ: يخرج.

٥. من المصدر.

٦. من المصدر.

٧. الكهف/٣.

٨. كذا في المصدر وفي النسخ: على.

٩. تفسير العياشي ١٦٠/٢، ح ٦٧.

١٠. كذا في المصدر وفي النسخ: يجعلهما حين.

١١. تفسير العياشي ١٦٠/٢، ح ٦٨.

١٢. ليس في المصدر.

«خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك» لأهل النار. أفرأيت قوله لأهل الجنة: «خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك»؟ قال: نعم. إن شاء جعل لهم دنياً، فردّهم وما شاء^(١).

وسئل^(٢) عن قول الله ﷻ: «خالدين فيها ما دامت السوات والأرض إلا ما شاء ربك» فقال: هذه في الذين يخرجون من النار.

عن أبي بصير^(٣)، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «فمنهم شقي وسعيد» قال: في ذكر أهل النار استثنى^(٤). وليس في ذكر أهل الجنة استثناء^(٥). «أما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء» إلى قوله: «عطاءً غير مجذوذ»^(٦). وفي رواية حمّاد^(٧)، عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام: «عطاءً غير مجذوذ» [بالذال]^(٨).

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾: في شك بعد ما أنزل عليك القصص في سوء عاقبة عبدة الأوثان وغيرهم.

﴿مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾: من عبادة هؤلاء المشركين في أنها ضلال مَوْدٌ إلى مثل ما حلّ بمن قبلهم ممّن قصص عليك سوء عاقبة^(٩) عبادتهم. أو: من حال ما يعبدونه، فإنّه لا يضر ولا ينفع.

﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾: استئناف، معناه تعليل النهي عن المرية؛ أي هم وآباؤهم سواء في الشرك. أي ما يعبدون عبادة إلا كعبادتهم. أو: ما يعبدون شيئاً إلا مثل ما عبده من الأوثان، وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك، فسيلحقهم مثله؛ لأنّ

١. ب: ما شاء.

٢. المصدر: سأله.

٣. تفسير العياشي ١٦٠/٢، ح ٦٩.

٤. كذا في المصدر وفي النسخ: الثناء.

٥. المصدر: استثنى.

٦. في البحار: «غير مجذوذ» بالذال المهملة، وهو الصحيح بحسب السياق.

٧. تفسير العياشي ١٦١/٢، ح ٧٠.

٨. من المصدر.

٩. ب: عاقبتهم.

التمائل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات .

ومعنى « كما يعبد » : كما كان يعبد . فحذف لدلالة « من قبل » عليه .

﴿ وَأَنَا لَمُؤَفَّوهُمْ نَصِيَّهُمْ ﴾ : حظهم من العذاب كأبائهم ، أو من الرزق . فيكون عذراً لتأخر العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه .

﴿ غَيْرَ مُتَّقِصٍ ﴾ (١٦) : حال من النصيب لتقييد التوفية . فَإِنَّكَ تقول : وفيته حقه . ويريد به وفاء بعضه ، ولو مجازاً .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ ﴾ : فآمن به قوم ، وكفر به قوم ، كما اختلف هؤلاء في القرآن .

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴾ : يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة .

﴿ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ : بإنزال ما يستحقه المبطل ، ليطمئن به عن المحق .

وفي روضة الكافي : (١) علي بن محمد ، عن علي بن العباس ، عن الحسين بن عبد الرحمن ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله ﷻ : « ولقد آتينا - إلى قوله - : فيه » قال : اختلفوا كما اختلفت هذه الأمة في الكتاب ، وسيختلفون في الكتاب الذي مع القائم الذي يأتيهم به ، حتى ينكره ناس كثير ، فيقدّمهم فيضرب أعناقهم . وأما قوله : « ولولا كلمة سبقت (٢) - إلى - لقضى بينهم » قال : لولا ما تقدّم فيهم من الله عزّ ذكره ما أبقي القائم منهم أحداً (٣) .

﴿ وَرَأَيْنَهُمْ ﴾ : وإن كفّار قومك .

﴿ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ﴾ : من القرآن .

﴿ مُرِيبٌ ﴾ (١٧) : موقع للريبة .

﴿ وَإِنْ كُنَّا لَعَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (١٨) : كمال الاختلاف ، المؤمنين منهم والكافرين .

والتنوين بدل المضاف إليه .

١ . الكافي ٢٨٧/٨ ، ضمن ح ٤٣٢ .

٢ . المصدر : الفصل .

٤ . ب : كلّ من المختلفين .

٣ . المصدر : واحداً .

وقرأ^(١) ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف مع الإعمال، اعتباراً للأصل.
 ﴿لَمَّا يُؤْفَيْهِمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾: في تفسير علي بن إبراهيم^(٢) قال: في القيامة.
 واللام الأولى موطنه للقسم، والثانية للتأكيد، أو بالعكس. و«ما» مزيدة بينهما للفصل.

وقرأ^(٣) ابن عامر وحزمة: «لَمَّا» بالتشديد على أَنْ أصله: «لمن ما» فقلبت النون ميماً [للإدغام. فاجتمعت ثلاث ميمات]^(٤) فحذفت أولاهن. والمعنى: لمن الذين يؤفّينهم ربك جزاء أعمالهم.

وقرئ^(٥): «لَمَّا» بالتنوين، أي جميعاً، كقوله^(٦): «أَكْلًا لَمَّا». و«إِنْ كُلَّ لَمَّا» على أَنْ «إِنْ» نافية و«لَمَّا» بمعنى إلّا. وقد قرئ به^(٧).

﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٨): فلا يفوته شيء منه، وإن خفي.
 ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾: لَمَّا بَيَّنَّ أمر المختلفين في التوحيد والنبوة، وأطنب في شرح الوعد والوعيد، أمر رسوله ﷺ بالاستقامة مثل ما أمر بها. وهي شاملة للاستقامة في العقائد - كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصوناً من الطرفين - والأعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما أنزل، والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وإفراط مفعول للحقوق ونحوها، وهو غاية العسر.

وقد مرّ ما روي عنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ: شَيَّبَنِي سُرَةُ هُودٍ.
 ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾: أي تاب من الكفر والشرك، وآمن معك.
 وهو عطف على المستكنّ في «استقم» وإن لم يؤكّد بمنفصل، لقيام الفاصل مقامه.
 ﴿وَلَا تَطْفُوا﴾: ولا تخرجوا عمّا حدّ لكم.

٢. تفسير القمي ٣٣٨/١.

٤. ليس في أ، ب.

٦. الفجر/١٩.

١. أنوار التنزيل ٤٨٣/١.

٣. أنوار التنزيل ٤٨٣/١.

٥. أنوار التنزيل ٤٨٣/١.

٧. أي: «إِنْ كُلَّ إِلَّا».

﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١): فهو مجازيكم عليه. وهو في معنى التعليل للأمر والنهي.

وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان.

وفي الجوامع^(١)، عن الصادق عليه السلام: «[فاستقم]^(٢) كما أمرت» أي كما^(٣) افتقر إلى الله بصحة العزم.

وعن ابن عباس^(٤): ما نزلت آية كانت أشق على رسول الله ﷺ من هذه الآية. ولهذا قال: شيبنتني هود والواقعة وأخواتها.

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: ولا تميلو إليهم أدنى ميل، فإن الركون هو الميل اليسير.

﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾: بركونكم إليهم.

وإذا كان الركون إلى من وجد منه ما يسمى ظلماً كذلك، فما ظنك بالركون إلى الظالمين - أي الموسومين بالظلم - ثم بالميل إليهم كل الميل، ثم بالظلم على نفسه والانهماك فيه؟!

ولعل الآية أبلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه.

وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها للتثبت على الاستقامة التي هي العدل. فإن الزوال عنها بالميل إلى أحد طرفي إفراط وتفریط، فإنه ظلم على نفسه أو غيره، بل ظلم في نفسه.

وقرئ^(٥): «فتمسكم» بكسر التاء، على لغة تميم. و«تركنا» على البناء للمفعول، من أركنه.

١. الجوامع/٢١١.

٢. من المصدر.

٣. ليس في المصدر.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. أنوار التنزيل ٤٨٤/١.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا» قال: ركون مودة ونصيحة وطاعة.

وفي مجمع البيان^(٢): وروي عنهم عليه السلام مثله.

وفي الكافي^(٣): عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: «ولا تركنوا» إلى قوله: «النار» قال: هو الرجل يأتي السلطان فيحب بقاءه إلى أن يدخل يده في كيسه فيعطيه.

وفي روضة الكافي^(٤) كلام لعلي بن الحسين عليه السلام في الوعظ والزهد في الدنيا: ولا تركنوا إلى الدنيا، فإن الله تعالى قال لمحمد صلى الله عليه وآله: «ولا تركنوا» إلى قوله: «النار».

وفي كتاب الخصال^(٥): وعن الحسين بن علي عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى [إلى أمير المؤمنين^(٦) علي بن أبي طالب عليه السلام وكان فيما^(٧) أوصى به - إلى أن قال: - لا تركز إلى ظالم، وإن كان حميماً قريباً.

وفي تفسير العياشي^(٨): عن أبي عبد الله عليه السلام: «ولا تركنوا» الآية، قال: أما إنه لم يجعلها خلوداً، ولكن تمسكهم. فلا تركنوا إليهم.

وفي الآية دلالة على وجوب العصمة في الإمام وأولي الأمر؛ لأن الإمام واجب الإطاعة بقوله: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم». ووجوب الإطاعة يستلزم الركون، وغير المعصوم من يصدر عنه الذنب أحياناً، فيصدق عليه أنه من الذين ظلموا، والركون إليه منهى عنه.

﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾: من أنصار يمنعون العذاب عنكم.

١. تفسير القمي ٣٣٨/١.

٢. المجمع ٢٠٠/٣.

٣. الكافي ١٠٨/٥ - ١٠٩، ح ١٢.

٤. المصدر: إلى.

٥. الكافي ٧٥/٨، ضمن ح ٢٩.

٦. الخصال ٥٤٣/٢، ضمن ح ١٩.

٧. من المصدر.

٨. كذا في المصدر وفي النسخ: «فيما كان» بدل «وكان فيما».

٩. تفسير العياشي ١٦١/٢، ح ٧٢.

١٠. النساء ٥٩.

﴿ثُمَّ لَا تَنْصُرُونَ﴾ (١٧): ثُمَّ لَا يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ، إِذْ سَبَقَ فِي حُكْمِهِ أَنْ يَعْذِبَكُمْ بِهِ وَلَا يَبْقَى عَلَيْكُمْ.

و«ثُمَّ» لَا اسْتِبْعَادَ نَصْرِهِ إِيَّاهُمْ، وَقَدْ أَوْعَدَهُم بِالْعَذَابِ عَلَيْهِ وَأَوْجِبَهُ لَهُمْ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْزِلًا مَنْزِلَةَ الْغَاءِ لِمَعْنَى الْاسْتِبْعَادِ. فَإِنَّهُ لَمَّا بَيَّنَّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْذِبُهُمْ، وَأَنْ غَيْرَهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى نَصْرِهِمْ، أَنْتَجَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَنْصُرُونَ أَصْلًا.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾: غَدُوةٌ وَعَشِيَّةٌ.

وإنتصابه على الظرف؛ لَأَنَّهُ مضاف إليه.

﴿وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾: وساعات منه قريبة من النهار. فَإِنَّهُ مِنْ أَزْلَفِهِ: إِذَا قَرَّبَهُ. وَهُوَ جَمْعُ زَلْفَةٍ.

وفي تهذيب الأحكام^(١): أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ زُرَّارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام حَدِيثٌ طَوِيلٌ، وَفِيهِ: وَقَالَ فِي ذَلِكَ: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ». وَطَرَفَاهُ^(٢) الْمَغْرِبُ وَالْغَدَاةُ، «وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ» هِيَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ.

وفي تفسير العياشي^(٣): عَنْ الصَّادِقِ عليه السلام مِثْلُهُ^(٤).

وقيل^(٥): صَلَاةُ الْعَشِيِّ وَالْعَصْرِ.

وقيل^(٦): الظُّهْرُ. وَصَلَاةُ الزُّلْفِ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ.

وقرئ^(٧): «زُلْفًا» بضمَّتين وضمَّة وسكون، كبسر وبسر في بسرة. و«زُلْفَى» بِمَعْنَى زَلْفَةٍ، كقربى وقربة.

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾: يَكْفُرْنَهَا.

١. التهذيب ٢/٢٤١، ح ٢٣.

٢. كذا في المصدر وفي النسخ: «طرفاء» بدل «وطرفاء».

٣. تفسير العياشي ٢/١٦١، ح ٧٣.

٤. ليس في أ، ب.

٥-٨. أنوار التنزيل ١/٤٨٤.

وفي الحديث النبوي المشهور^(١): «أَنَّ الصَّلَاةَ إِلَى الصَّلَاةِ كَفَّارَةٌ مَا بَيْنَهُمَا مَا اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ».

وفي الكافي^(٢): مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عَيْسَى، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمْرِو الْيَمَانِيِّ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تعالى: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ» قَالَ: صَلَاةُ الْمُؤْمِنِ بِاللَّيْلِ تَذْهَبُ بِمَا عَمِلَ مِنْ ذَنْبٍ بِالنَّهَارِ. وفي أصول الكافي^(٣): مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَيْسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ فَضِيلِ^(٤) بْنِ عَثْمَانَ الْمُرَادِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «أَرْبَعٌ مِنْ كَرٍّ فِيهِ لَمْ يَهْلِكْ عَلَى اللَّهِ بَعْدَهُنَّ إِلَّا هَالِكٌ: يَهْمُ الْعَبْدِ بِالْحَسَنَةِ فَيَعْمَلُهَا. فَإِنْ هُوَ لَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ حَسَنَةً^(٥). وَإِنْ هُوَ عَمَلُهَا، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرًا. وَيَهْمُ بِالسَّيِّئَةِ أَنْ يَعْمَلَهَا. فَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ. وَإِنْ هُوَ عَمَلُهَا، أَجَلَ سَبْعَ سَاعَاتٍ، وَقَالَ صَاحِبُ الْحَسَنَاتِ لَصَاحِبِ السَّيِّئَاتِ - وَهُوَ صَاحِبُ الشَّمَالِ -: لَا تَعْجَلْ. عَسَى أَنْ يَتَّبِعَهَا^(٦) بِحَسَنَةٍ تَمْحُوهَا. فَإِنَّ اللَّهَ تعالى يَقُولُ: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ». أَوْ الْاسْتِغْفَارَ. فَإِنْ هُوَ قَالَ: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» لَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ. وَإِنْ مَضَتْ سَبْعَ سَاعَاتٍ، وَلَمْ يَتَّبِعَهَا^(٧) بِحَسَنَةٍ وَاسْتَغْفَرَ، قَالَ صَاحِبُ الْحَسَنَاتِ لَصَاحِبِ السَّيِّئَاتِ: اكْتُبْ عَلَى الشَّقِيِّ الْمَحْرُومِ.

وفي مجمع البيان^(٨): وَرَوَى أَصْحَابُنَا عَنْ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْكَرْخِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَضَرَّ عَاقِبَةً وَلَا أَسْرَعَ نَدَامَةً مِنَ الْخَطِيئَةِ. وَأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَشَدَّ طَلِبًا وَلَا أَسْرَعَ دَرْكًا لِلْخَطِيئَةِ مِنَ الْحَسَنَةِ. أَمَا إِنَّهَا تَدْرِكُ الذَّنْبَ

١. أنوار التنزيل ٤٨٤/١.

٢. الكافي ٢٦٦٣، ح ١٠.

٣. الكافي ٤٢٩/٢ - ٤٣٠، ح ٤.

٤. المصدر، ب: فضل.

٥. المصدر: زيادة «بحسن نيته».

٦. أ، ر: يبقها.

٧. أ، ر لم يبقها.

٨. المجمع ٢٠١/٣.

العظيم القديم المنسي عند صاحبه، فتحتته^(١) وتسقطه وتذهب به بعد إثباته^(٢). وذلك قوله سبحانه: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ».

وروي^(٣) عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أحدهما عليه السلام يقول: إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السلام قال: سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ: «أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ» وَقَرَأُ الْآيَةَ كُلَّهَا وَقَالَ:

يَا عَلِي، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ^(٤) بَشِيرًا وَنَذِيرًا، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَقُومُ إِلَى وَضُوئِهِ، فَتَسَاقُطُ عَنْ جَوَارِحِهِ الذُّنُوبُ. فَإِذَا اسْتَقْبَلَ اللَّهُ بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، لَمْ يَنْفُتِلْ وَعَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ شَيْءٌ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. فَإِنْ أَصَابَ شَيْئًا بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ، كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ - حَتَّى عَدَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، ثُمَّ قَالَ -:

[يَا عَلِي] ^(٥) إِنَّمَا مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ لِأُمْتِي، كَنُهِرٍ جَارٍ عَلَى بَابِ أَحَدِهِمْ. فَمَا يَظُنُّ أَحَدَكُمْ لَوْ ^(٦) كَانَ فِي جَسَدِهِ دَرَنٌ، ثُمَّ اغْتَسَلَ فِي ذَلِكَ النَّهْرِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، أَكَانَ يَبْقَى فِي جَسَدِهِ دَرَنٌ؟! فَكَذَلِكَ - وَاللَّهِ - الصَّلَوَاتُ الْخَمْسَ لِأُمْتِي.

وفي أمالي شيخ الطائفة^(٧) بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل. وفيه يقول عليه السلام: وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَكْفُرُ بِكُلِّ حَسَنَةٍ سَيِّئَةٍ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ».

وفي كتاب ثواب الأعمال^(٨) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لَا يَغْرُكُ النَّاسُ مِنْ نَفْسِكَ. فَإِنْ أَمَرَ بِصَلِّ إِلَيْكَ مِنْ ^(٩) دُونِهِمْ. وَلَا تَقْطَعْ النَّهَارَ بِكَذَا وَكَذَا. فَإِنْ مَعَكَ مَنْ يَحْفَظُ عَلَيْكَ. وَلَمْ أَرِ شَيْئًا قَطُّ أَشَدَّ طَلَبًا وَلَا أَسْرَعَ دَرَكًا مِنَ الْحَسَنَةِ الْمُحَدَّثَةِ ^(١٠) لِلذَّنْبِ الْقَدِيمِ ^(١١)

١. المصدر: عامله فتجذب به.

٢. ب: اسقاطه.

٣. نفس المصدر والموضع. وفيه: ورووا.

٤. المصدر: في الحق.

٥. من المصدر.

٦. كذا في المصدر وفي النسخ: أحدهم اذا.

٧. أمالي الطوسي ٢٥/١.

٨. ثواب الأعمال/١٦٢، ح ١.

٩. المصدر: [من].

١٠. ليس في المصدر.

١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: العظيم.

ولا تصغر شيئاً من الخير [فإنك تراه غداً حيث يسرك. ولا تصغر شيئاً من الشر] ^(١) فإنك تراه غداً حيث يسوءك. إن الله ﻋﻠﯿﻚ يقول: «إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين».

وفي تفسير العياشي ^(٢): عن إبراهيم الكرخي قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام. فدخل [عليه] ^(٣) مولى له فقال: يا فلان، متى جئت؟ فسكت. فقال أبو عبدالله عليه السلام:

جئت من هاهنا ومن ^(٤) هاهنا. انظر بما تقع ^(٥) به يومك. فإن معك ملكاً موثقاً يحفظ عليك ما تعمل. فلا تحتقر سيئة، وإن كانت صغيرة، فإنها ستسوءك ^(٦) يوماً. ولا تحتقر ^(٧) حسنة، فإنه ليس شيء أشد طلباً ولا أسرع دركاً من الحسنة. إنها لتدرك الذنب العظيم القديم، فتذهب به. قال الله في كتابه: «إن الحسنات يذهبن السيئات». قال ^(٨): صلاة الليل تذهب بذنوب النهار. وقال: تذهب ما ^(٩) جرحتم.

عن إبراهيم بن عمر ^(١٠)، رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: «أقم الصلاة طرفي النهار» إلى «السيئات». فقال: صلاة المؤمن ^(١١) بالليل تذهب ^(١٢) بما عمل من ذنب النهار. عن سماعة بن مهران ^(١٣) قال: سألت ^(١٤) أبا عبدالله عليه السلام رجل من أهل الجبال عن رجل أصاب مالاً من أعمال السلطان، فهو يتصدق به، ويصل قرابته، ويحج [ليغفر] ^(١٥) له ما اكتسب، وهو يقول: «إن الحسنات يذهبن السيئات». فقال أبو عبدالله عليه السلام: [إن الخطيئة

١. من المصدر وفي النسخ: «ولا تحتقر سيئة» بدل ما بين المعقوفتين.

٢. تفسير العياشي ١٦٢/٢، ح ٧٥.

٣. من المصدر.

٤. ليس في ب.

٥. المصدر: تقطع.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: تسوءك.

٧. ب: ولا تحتقر.

٨. المصدر: زيادة «قال».

٩. المصدر: يذهب بما.

١٠. تفسير العياشي ١٦٢/٢، ح ٧٦.

١١. المصدر: الليل.

١٢. المصدر: يذهب.

١٣. نفس المصدر والموضع، ح ٧٧.

١٤. كذا في المصدر. وفي ب: سمعت. وفي سائر النسخ: سألت.

١٥. من المصدر.

لا تكفر الخطيئة، ولكن الحسنه تكفر الخطيئة. ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: [١] «إن كان خلط الحلال حراماً»^(٢)، فاختلط جميعاً، فلم يعرف الحلال من الحرام، فلا بأس.
وعنه^(٣) في رواية المفضل بن سويد أنه قال: انظر ما أصبت^(٤)، فعد به على إخوانك. فإن الله تعالى يقول: «إن الحسنات يذهبن السيئات».
قال المفضل: كنت خليفة أخي على الديوان. قال: وقد قلت: جعلت فداك، قد ترى مكاني من هؤلاء القوم. فما ترى لي؟ قال: لو لم تكن كنت^(٥).
عن المفضل بن يزيد^(٦) الكاتب^(٧) قال: دخل عليّ أبو عبدالله عليه السلام^(٨) وقد أمرت أن أخرج لبني هاشم جوائز. فلم أعلم إلا وهو على رأسي وأنا مستخل^(٩) فوثبت إليه. فسألني عما أمر لهم. فناولته الكتاب. فقال: ما أرى^(١٠) لإسماعيل هاهنا شيئاً؟ فقلت: هذا الذي خرج إلينا. ثم قلت له: جعلت فداك، قد ترى مكاني من هؤلاء القوم. فقال لي: انظر ما أصبت، فعد به على إخوانك^(١١) فإن الله يقول: «إن الحسنات يذهبن السيئات».

[وقرأ^(١٢) ابن خراش^(١٣) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن الحسنات يذهبن السيئات»^(١٤)]
قال: صلاة الليل يكفر ما عمل من ذنوب النهار.
«ذَلِكَ»: قيل^(١٥): إشارة إلى قوله: «فاستقم» وما بعده.

١. من المصدر.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: مع الحرام حلالاً.

٣. تفسير العياشي ١٦٣/٢، ح ٧٨.

٤. المصدر: زيادة «به».

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: لم يكن كنت.

٦. كذا في المصدر وجامع الرواة ٢٦١/٢. وفي النسخ: يزيد.

٧. تفسير العياشي ١٦٤/٢، ح ٧٩.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام.

٩. المصدر: مستجل.

١٠. ب: لا أدري.

١١. بعض نسخ المصدر: أصحابك.

١٢. تفسير العياشي ١٦٤/٢ صدر ح ٨١.

١٣. كذا في نور الثقلين ٤٠٣/٢، ح ٢٤٥. وفي المصدر: ابن خراش.

١٤. أنوار التنزيل ٤٨٤/١.

١٥. من المصدر.

وقيل ^(١): إلى القرآن.

﴿ذِكْرُنِي لِلذَّاكِرِينَ﴾ ^(١٧): عظة للمتّعظين.

﴿وَاصْبِرْ﴾: على الطاعات وعن المعاصي.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(١٨): عدل عن المضمّر، لأنّه كالبرهان على

المقصود، ودليل على أنّ الصلاة والصبر إحسان وإيماء بأنّه لا يعتدّ بهما دون إخلاص.

﴿فَلَوْ لَا كَانَ﴾: فهلّا كان.

﴿مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾: المراد: أولو بقية

من الرأى والعقل. أو: أولو فضل. وإنّما سمّي «بقية» لأنّ الرجل يستبقي أفضل ما

يخرجه. ومنه يقال: فلان من ^(٢) بقية القوم، أي من خيارهم. وقولهم: في الزوايا خبايا،

وفي الرجال بقايا.

ويجوز أن يكون مصدراً كالنقيّة. أي ذوو إبقاء على أنفسهم وصيانة لها من العذاب.

ويؤيده أنّه قرئ ^(٣): «بقية» وهي المرة مصدر بقاء بيقه: إذا راقبه.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ آتَيْنَا مِنْهُمْ﴾: لكن قليلاً ممّن أنجيناهم، لأنّهم كانوا كذلك.

ولا يصحّ اتّصاله إلّا إذا جعل استثناء من النفي اللازم للتخصيص. والمعنى: ليس

من القرون من قبلهم أولو بقية ينهون عن الفساد إلّا قليلاً، إلى آخره.

﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾: ما أنعموا فيه من الشهوات، واهتمّوا بتحصيل

أسبابها، وأعرضوا عمّا وراء ذلك.

﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ ^(١٩): كافرين.

كأنّه أراد أن يبيّن ما كان السبب لاستئصال الأمم السالفة. وهو فسق الظلم فيهم،

واتباعهم للهوى، وترك النهي عن المنكرات، مع الكفر.

وقوله: «وَاتَّبَعَ» عطف على مضمّر دلّ عليه الكلام، إذ المعنى: فلم ينهوا عن

الفساد، وأتبع الذين ظلموا. «وكانوا مجرمين» عطف على «أتبع» أو اعتراض. وقرئ^(١): «أتبع» أي وأتبعوا جزاء ما أترفوا. فيكون الواو للحال. ويجوز أن يفسر به المشهورة. ويعضده تقدم الإنجاء.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُظْلِكَ الْقَرْنَى بِظُلْمٍ﴾: قيل^(٢): بشرك.

﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾^(٣): فيما بينهم، لا يضمون إلى شركهم فساداً، ولا تباعياً. وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه. ومن ذلك قيل: الملك يبقى مع الكفر، ولا يبقى مع الظلم.

وفي مجمع البيان^(٤): عن النبي ﷺ [أَنَّهُ قَالَ]^(٥): «وأهلها مصلحون» ينصف بعضهم من بعض^(٥).

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: مسلمين كلهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): أي على مذهب واحد.

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾^(٧): بعضهم على الحق، وبعضهم على الباطل، لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقاً.

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾: إلا أناساً^(٨) هداهم الله من فضله، فاتفقوا على ما هو أصول دين الحق والعمدة فيه.

﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾: قيل^(٩): إن كان الضمير للناس، فالإشارة إلى الاختلاف، واللام للعاقبة. أو إليه وإلى الرحمة. وإن كان لـ «من» فإلى الرحمة.

وفي كتاب علل الشرائع^(١٠): حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، قال:

٢. أنوار التنزيل ٤٨٥/١.

١. أنوار التنزيل ٤٨٥/١.

٤. من المصدر.

٣. المجمع ٢٠٢/٣.

٥. المصدر: «بعضها بعضهم» بدل «بعضهم من بعض».

٧. أ، ب، ر، ما.

٦. تفسير القمي ٣٣٨/١.

٩. الملل ١٢٠/١، ح ٢.

٨. أنوار التنزيل ٤٨٥/١.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الصَّفَّارُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانٍ قَالَ: سَأَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ» إِلَى قَوْلِهِ: «وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ» فَقَالَ: كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً. فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ لِيَتَّخِذَ عَلَيْهِمُ الْحِجَّةَ.

وفي روضة الكافي^(١): عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانٍ قَالَ: سَأَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً [وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ]». فَقَالَ: كَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً ^(٢) فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ لِيَتَّخِذَ عَلَيْهِمُ الْحِجَّةَ.

وفي أصول الكافي^(٣): عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عَثْمَانَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَدَّاءِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنِ الْإِسْطِطَاعَةِ وَقَوْلِ النَّاسِ، فَقَالَ ^(٤): «وَلَا يَزَالُونَ» إِلَى قَوْلِهِ: «وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ» ^(٥) يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، النَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي إِصَابَةِ الْقَوْلِ، وَكُلُّهُمْ هَالِكٌ.

قال: قلت: قوله: «إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ». قال: هم شيعةنا. ولرحمته خلقهم. وهو قوله: «وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ». يقول: لطاعة الإمام، الرحمة التي يقول ^(٦): «وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ». يقول: علم الإمام، ووسع علمه الَّذِي هُوَ مِنْ عِلْمِهِ كُلُّ شَيْءٍ [هم شيعةنا] ^(٧). وفي كتاب التوحيد^(٨)، بِإِسْنَادِهِ إِلَى عَلِيِّ بْنِ سَالِمٍ ^(٩)، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ» إِلَى قَوْلِهِ: «وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ» قَالَ: خَلَقَهُمْ لِيَفْعَلُوا مَا يَسْتَوْجِبُوا بِهِ رَحْمَةَ اللَّهِ، فَيَرْحَمَهُمْ.

١. الكافي ٣٧٩/٨، ح ٥٧٣.

٢. من المصدر.

٣. الكافي ٤٢٩/١، صدر ح ٨٣.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: بها.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: زيادة «قال».

٦. الأعراف ١٥٦/.

٧. من المصدر.

٨. التوحيد ٤٠٣، ح ١٠.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: إبراهيم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال [في قوله]^(٢): «لا يزالون مختلفين» في الدين «إلا من رحم ربك [ولذلك خلقهم]^(٣)» يعني: آل محمد وأتباعهم. يقول الله: «ولذلك خلقهم» يعني: أهل رحمة^(٤) لا يختلفون في الدين.

وفي كتاب الاحتجاج^(٥) للطبرسي رحمته الله: عن علي عليه السلام قال: لما خطب أبو بكر قام [إليه]^(٦) أبي بن كعب، فقال: يا معشر المهاجرين الذين -إلى قوله -: يا معشر الأنصار - إلى قوله -:

ثم أخبرنا باختلافكم [فقال]^(٧): «ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم» أي للرحمة، وهم آل محمد. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. وفي تفسير العياشي^(٨): عن عبدالله بن غالب، عن أبيه، عن رجل قال: سألت علي بن الحسين عليه السلام عن قول الله: «ولا يزالون مختلفين». [قال: عنى بذلك من خالفنا من هذه الأمة. وكلهم يخالف بعضهم بعضاً في دينهم. وأما قوله: «إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم». قال^(٩): «فأولئك أولياؤنا من المؤمنين. ولذلك خلقهم من الطينة الطيبة^(١٠)». أما تسمع لقول إبراهيم^(١١): «رب اجعل هذا البلد آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله». قال: إيانا عنى وأولياؤه [شيعته]^(١٢) وشيعته وصيه. قال^(١٣): «ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار». قال: عنى بذلك [والله]^(١٤) من جحد

١. تفسير القمي ٣٣٨/١.

٢. من المصدر.

٣. ليس في المصدر.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: رحمته.

٥. الاحتجاج ١١٣/١ - ١١٤ بتلخيص يسير.

٦. من المصدر.

٧. من المصدر.

٨. تفسير العياشي ١٦٤/٢، ح ٨٢.

٩. من المصدر.

١٠. ليس في المصدر.

١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: طيباً.

١٢. البقرة ١٢٦.

١٣. من المصدر.

١٤. البقرة ١٢٦.

١٥. من المصدر مع المعقوفتين.

وصيته، ولم يتبعه من أمته. وكذلك والله حال هذه الأمة.

عن سعيد بن المسيّب^(١)، عن عليّ بن الحسين عليه السلام في قوله: «ولا يزالون مختلفين إلّا من رحم ربك ولذلك خلقهم»: فأولئك هم أولياؤنا من المؤمنين. ولذلك خلقهم من الطينة الطيبة^(٢)، إلى آخر ما سبق.

يعقوب بن سعيد^(٣)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلّا ليعبدون». قال: خلقهم للعبادة. قال: قلت: وقوله: «ولا يزالون» إلى قوله: «ولذلك خلقهم». فقال: نزلت هذه بعد تلك.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾: وعيده، أو قوله للملائكة.

﴿لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾: أي من عصاتها

﴿أَجْمَعِينَ﴾^(٤): أي منهما أجمعين، لا من أحدهما.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٥): وهم الذين سبق له الشقاء، فحقّ عليهم القول أنّهم للنار خلقوا. وهم الذين حقّت عليهم كلمة ربك أنّهم لا يؤمنون.

﴿وَكُلًّا﴾: وكلّ نبأ.

﴿نَقَضَ عَلَيْكَ مِنَ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾: نخبرك به.

﴿مَا نُبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾: بيان لكلّ، أو بدل منه. وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص، وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه، وثبات على أداء الرسالة واحتمال أذى الكفار. أو مفعول، و«كلّا» منصوب على المصدر. بمعنى: كلّ نوع من أنواع الاقتصاص نقض عليك ما نثبت به فؤادك من أنباء الرسل.

﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾: السورة أو الإنباء المقتصة عليك.

﴿الْحَقُّ﴾: ما هو حقّ.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: طيباً.

٤. الذاريات/٥٦.

١. تفسير العياشي ١٦٤/٢ - ١٦٥، ح ٨٤.

٣. تفسير العياشي ١٦٤/٢، ح ٨٣.

٥. تفسير القمي ٣٣٨/١.

﴿وَمَوْعِظَةً وَذِكْرَىٰ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣٢): إشارة إلى سائر فوائده العامة.

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: على حالكم.

﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾^(٣٣): على حالنا.

﴿وَانْتَظِرُوا﴾: بنا الدوائر.

﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾^(٣٤): أن ينزل بكم نحو ما نزل على أمثالكم.

﴿وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خاصة، لا يخفى عليه خافية ممّا فيهما.

وفي مجمع البيان^(١): وقد وجدت بعض المشايخ ممّن يتّسم بالعدوان^(٢) والتشنيع - قد ظلم الشيعة الإمامية في هذا الموضع من تفسيره، فقال: هذا يدلّ على أنّ الله سبحانه يختصّ بعلم الغيب، خلافاً لما يقوله الرافضة أنّ الأئمة عليهم السلام يعلمون الغيب! ولا شكّ أنّه عنى بذلك من يقول بإمامة الأئمة الاثني عشر، ويدّين بأنّهم أفضل الأنام بعد رسول الله ﷺ. فإنّ هذا دأبه^(٣) وديدنه^(٤) فيهم^(٥). يشنع في مواضع كثيرة من كتابه عليهم، وينسب القبايح والفضائح إليهم، ولانعلم أنّ أحداً منهم استجاز الوصف بعلم الغيب لأحد من الخلق. وإنّما يستحقّ الوصف بذلك من يعلم جميع المعلومات لا بعلم مستفاد. وهذه صفة القديم سبحانه العالم لذاته لا يشركه فيها^(٦) أحد من المخلوقين. ومن اعتقد أنّ غير الله سبحانه يشركه في هذه الصفة، فهو خارج عن ملّة الإسلام.

فأمّا ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام ورواه عنه الخاصّ والعام، من الإخبار بالغائبات في خطب الملاحم وغيرها، مثل قوله - يومئذ إلى صاحب الزنج^(٧) -: «كأني به - يا

١. المجمع ٢٠٥/٣.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: بالعدل.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: رأيه.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: دينه.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: فيهم.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: لا يشرك فيه.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: الذبيح. وصاحب الزنج هو رجل ظهر في فرات البصرة سنة ٢٥٥هـ، وزعم

أنه عليّ بن محمّد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب.

أحنف - وقد سار بالجيش الذي ليس له غبار ولا لجب، ولا قعقة لجم^(١)، ولا صهيل خيل. يثيرون الأرض بأقدامهم، كأنها أقدام النعام». وقوله يشير إلى مروان بن الحكم: «أما إن له إمرة كلعقة^(٢) الكلب أنفه. وهو أبو الأكبش الأربعة^(٣)». وستلقى الأمة منه ومن ولده موتاً أحمر». وما نقل من هذا الفن عن أئمة الهدى من أولاده عليه السلام مثل ما قاله أبو عبد الله عليه السلام: لعبد الله بن الحسن - وقد اجتمع^(٤) هو وجماعة من العلوية والعباسية ليبياعوا ابنه محمداً -: «والله ما هي إليك، ولا إلى^(٥) ابنك، ولكنها لهم - وأشار إلى العباسية - وأن ابنك لمقتولان» ثم قام^(٦) وتوكل على يد عبدالعزيز بن عمران الزهري فقال له: «أرأيت صاحب الرداء الأصفر؟» يعني أبا جعفر المنصور. قال: نعم. فقال: «إننا والله^(٧) نجده يقتله» فكان كما قال^(٨). ومثل قول الرضا: «بورك قبر^(٩) بطوس، وقبران ببغداد». فقيل له: قد^(١٠) عرفنا واحداً، فما^(١١) الآخر؟ قال: «ستعرفونه». ثم قال: «قبري وقبر هارون هكذا» - وضم أصبعيه^(١٢) - وقوله في القصة المشهورة لأبي حبيب

⇒ قال ابن أبي الحديد: وأكثر الناس يقدحون في نسبه، وخصوصاً الطالبيين. وجمهور النسابين اتفقوا على أنه من عبد القيس - إلى أن قال - وذكر المسعودي في كتاب المسمى بمرج الذهب أن أفعال علي بن محمد صاحب الزنج تدل على أنه لم يكن طالبياً. انتهى.

والزنج اللذين إشار إليهم كانوا عبيداً لدهاقين البصرة وبناتها، ولم يكونوا ذوي زوجات وأولاد، بل كانوا على هيئة الشطار عزاباً، فلا نادبة لهم.

١. اللجب: الصوت. والقعقة: تحريك الشيء اليابس مع صوت. واللجم: جمع اللجام.
٢. الإمرة: الولاية. ولعن الشيء لعقة: لحسه، أي أكله بلسانه. وأراد عليه السلام بهذا القول قصر مدة ملكه، وكذلك كانت مدة خلافة مروان فإنه ولي تسعة أشهر.
٣. الأكبش الأربعة بنو عبد الملك: الوليد وسليمان ويزيد وهشام.
٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: أجمع.
٥. ليس في ب.
٦. المصدر: نهض.
٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: قال والله إننا.
٨. أ، ب: كان.
٩. ب: قبري.
١٠. ليس في ب.
١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: فمن.
١٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: أصبعه.

النباجي^(١) - وقد ناوله قبضة من التمر -: «لو زادك رسول الله ﷺ لزدناك». وقوله في حديث علي بن أحمد الوشاء - حين قدم مرو^(٢) من الكوفة -: «معك حلة في السفط^(٣) الفلاني، دفعتها إليك ابنتك وقالت^(٤): اشتر لي بثمانها فيروزاً». والحديث مشهور. إلى غير ذلك مما روي عنهم عليهم السلام، فإن جميع ذلك متلقى عن الرسول ﷺ مما أطلعه الله تعالى عليه. فلا معنى لنسبة^(٥) من روى عنهم عليهم السلام هذه الأخبار المشهورة إلى أنه يعتقد كونهم عالمين للغيب. وهل هذا إلا سبب قبيح وتظليل^(٦)، بل تكفير؟! ولا يرتضيه من هو بالمذهب خبير. والله يحكم [بينه و^(٨) بينهم]، وإليه المصير.

وأقول: بعض ذلك متلقى عن الرسول ﷺ وبعضه بتحديث الملك. وكلاهما إلقاء من الله تعالى للغيب إليهم. ولا ينافي ذلك اختصاص الغيب بالله تعالى. إذ معناه:

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: الناجي. ونباج - كتاب -: قرية بالبادية. كما قاله الفيروز آبادي.
- وقصة أبي حبيب، على ما ذكره الصدوق عليه السلام في كتاب عيون الأخبار، في باب دلالات الرضا عليه السلام أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وقد وافي البناج، ونزل بها في المسجد الذي ينزله الحاج في كل سنة، وكأني مضيت إليه، وسلمت عليه، ووقفت بين يديه، ووجدت عنده طبقاً من خوص - وهو ورق النخل - نخل المدينة، فيه تمر صيحاتي.
- فكأنه قبض قبضة من ذلك التمر، فناولني منه. فعددت، فكان ثمان عشرة تمر. فتأولت أنني أعيش بعدد كل تمر سنة.
- فلما كان بعد عشرين يوماً، كنت في أرض تعمر بين يدي للزراعة، حتى جاءني من أخبرني بقدم أبي الحسن الرضا عليه السلام من المدينة، ونزوله ذلك المسجد. ورأيت الناس يسعون إليه. فمضيت نحوه فإذا هو جالس في الموضع الذي كنت رأيت فيه النبي ﷺ وتحت حصير مثل ما كان تحته، وبين يديه طبق خوص فيه تمر صيحاتي. فسلمت عليه. فرد السلام عليّ، واستدانني، فناولني قبضة من ذلك التمر. فعددت فإذا عدده مثل ذلك التمر الذي ناولني منه رسول الله ﷺ. فقلت له: زدني منه يا ابن رسول الله، فقال: لو زادك رسول الله ﷺ لزدناك!
٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: مروان.
٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: السقط. والسفط: الوعاء الذي يعبأ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء.
٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: وقالت لي.
٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: لنسبته.
٦. المصدر: زيادة «لهم».
٧. ليس في المصدر.
٨. من المصدر.

لا يعلمه غيره إلا بالقائه تعالى بأحد الطريقتين المذكورين .

﴿وَالَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ : فيرجع لا محالة أمرك وأمرهم إليه .

﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ : فإنه كافيك .

وفي تقديم الأمر بالعادة على التوكل ، تنبيه على أنه إنما ينفع العابد .

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٣٢) : أنت وهم ، فيجازي كلّ ما يستحقّه .

وقرأ^(١) نافع وحفص وابن عامر^(٢) بالياء هنا ، وفي آخر النمل .

سورة يوسف

سورة يوسف

مكية.

وقال المعدل^(١)، عن ابن عباس: غير أربع آيات نزلن بالمدينة، ثلاث من أولها، والرابعة: «لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين»^(٢). وهي مائة واحد عشر آية بالإجماع.

بسم الله الرحمن الرحيم

في كتاب ثواب الأعمال^(٣)، بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قرأ سورة يوسف في كل يوم، أو في كل ليلة، بعثه الله يوم القيامة وجماله مثل جمال يوسف. ولا يصيبه فزع يوم القيامة. وكان من خيار عباد الله الصالحين. وقال: إنها كانت في التوراة مكتوبة.

وفي الكافي^(٤): عِدَّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن علي بن أسباط، عن عمه يعقوب بن سالم، رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تعلموا نساءكم سورة يوسف، ولا تقرؤوهن إياها؛ فإن فيها الفتن. وعلموهن سورة النور؛ فإن فيها المواعظ.

وفي مجمع البيان^(٥): أبي بن كعب، عن النبي ﷺ أنه^(٦) قال: علموا أرقاءكم سورة يوسف، فإنه أيما مسلم قرأها^(٧)، وعلمها أهله وما ملك يمينه، هو الله تعالى عليه

١. ثواب الأعمال/١٣٣، ح ١.

٢. الكافي ٥١٦/٥، ح ٢.

٣. ليس في المصدر.

٤. مجمع البيان ٢٠٦٣.

٥. يوسف/٧.

٦. المجمع ٢٠٦٣.

٧. المصدر: تلاها.

سكرات الموت، وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلماً^(١).

وروى إسماعيل بن أبي زياد^(٢)، عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه، عن آبائه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لا تنزلوا نساءكم الغرف. ولا تعلموهن الكتابة. ولا تعلموهن سورة يوسف. وعلموهن الغزل^(٣) وسورة النور.

وفي كتاب الخصال^(٤)، عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول: ليس على النساء أذان - إلى أن قال: - ويكره لهنّ تعلّم سورة يوسف.

وفي تفسير العياشي^(٥)، عن مسعدة بن صدقة قال: قال جعفر بن محمد عليه السلام: قال والذي عليه السلام: والله، إنّي لأصانع بعض ولدي، وأجلسه على فخذي، وأكثر له المحبة^(٦)، وأكثر له الشكر، وإنّ الحقّ لغيره^(٧) من ولدي، ولكن محافظة^(٨) عليه منه، ومن غيره، [لثلاً]^(٩) يصنعوا به ما فعل بيوسف إخوته.

وما أنزل الله سورة يوسف إلا أمثالاً، لكي لا يحسد بعضنا بعضاً، كما حسد يوسف إخوته^(١٠)، وبغوا عليه. فجعلها حجة [وحجة]^(١١) على من تولّانا، ودان بحبنا^(١٢)، وجحد أعداءنا، أعني^(١٣) من نصب لنا الحرب والعداوة.

«الر، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ»^(١٤): «تلك» إشارة إلى آيات السورة. وهي المراد بـ«الكتاب». أي تلك الآيات، آيات السورة الظاهر أمرها في الإعجاز. أو الواضحة

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: «الدرجة» بدل «القوة أن لا يحسد مسلماً».

٢. المجمع ٢٠٦٣. ٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: المنزل.

٤. الخصال ٥٨٥/٢ - ٥٨٦، صدر وقطعة من ح ١٢.

٥. تفسير العياشي ١٦٦/٢، ح ٢. ٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: أنكر له المخ.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: إسحاق كغيره. ٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: مخافة.

٩. من المصدر. ١٠. المصدر: بيوسف وإخوته.

١١. ليس في المصدر. ١٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: محبنا.

١٣. المصدر: على.

معانيها والمبيّنة لمن تدبرها أنّها من عند الله، أو لليهود ما سألوها. إذ نقل أنّ علماءهم قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمداً لم انتقل آل^(١) يعقوب من الشام إلى مصر، وعن قصة يوسف. فنزلت.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾: أي الكتاب.

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾: سمّي البعض قرآناً؛ لأنه في الأصل اسم الجنس يقع على الكل والبعض، وصار علماً للكلّ بالغلبة.

ونصبه على الحال، وهو في نفسه إمّا توطئة للحال التي هي «عربيّاً»، أو حال لأنّه مصدر بمعنى مفعول. و«عربيّاً» صفة له. أو حال من الضمير فيه. أو حال بعد حال.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢): علّة لإنزاله بهذه الصفة. أي أنزلناه مجموعاً، أو مقروءاً بلغتكم، كي تفهموه، وتحيطوا بمعانيه، وتستعلموا فيه عقولكم، فتعلموا أنّ اقتصاصه كذلك - ممّن لم يتعلّم القصص - معجز لا يتصوّر إلّا بإيحاء.

وفي كتاب الخصال^(٣)، عن أبي عبدالله عليه السلام: تعلّموا العربية. فإنّها كلام الله الذي تكلم به خلقه.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾: أحسن الاقتصاص؛ لأنه اقتصّ على أبدع الأساليب. أو: أحسن ما يقصّ؛ لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر.

القصّ^(٤): فعل بمعنى مفعول، كالنقص والسلب. واشتقاقه من قصّ أثره: إذا تبعه. وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٥) خطبة له عليه السلام. وفيها: وأحسن القصص هذا القرآن. وفي روضة الكافي^(٦) خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام، وفيها: ثم إن أحسن القصص وأبلغ الموعظة وأنفع التذكّر، كتاب الله عزّ ذكره.

وفي الكافي^(٧) خطبة مسندة إلى أبي جعفر عليه السلام. وفيها: وإنّ كتاب الله أصدق الحديث، وأحسن القصص.

٢. الخصال ٢٥٨/١، ح ١٣٤.

١. ليس في أ. ب.

٤. تفسير القميّ ٢٩١/١.

٣. يوجد في أ. ب.

٦. الكافي ٤٢٣/٣، ح ٦.

٥. الكافي ١٧٥/٨، ضمن ح ١٩٤.

﴿بِمَا أَوْحَيْنَا﴾: بإيحاءنا

﴿إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾: يعني السورة.

ويجوز أن يجعل «هذا» مفعول «نقص» على أن «أحسن» نصب على المصدر.

﴿وَأَنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾^(٣): عن هذه القصة، لم تخطر ببالك، ولم تفرح

سمعتك قط. وهو تعليل لكونه موحى.

«وإن» هي المخففة من الثقيلة. واللام هي الفارقة.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾: بدل من «أحسن القصص» إن جعل مفعولاً بدل الاشتمال. أو

منصوب بإضمار اذكر.

و«يوسف» عبري. ولو كان عربياً لصرف.

وقرئ^(١) بفتح السين وكسرهما، على التلعب به، لا على أنه مضارع بني للمفعول، أو

الفاعل من «أسف». لأن المشهورة شهدت بعجمته.

﴿لَأَيُّهِ﴾: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢)، عن الباقر عليه السلام: وكان يعقوب إسرائيل الله - أي

خالص الله - ابن إسحاق نبي الله ابن إبراهيم خليل الله.

وفي الحديث النبوي^(٣): الكريم ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، يوسف بن

يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم:

﴿يَا أَبَتِ﴾: أصله: يا أبي. فعوض^(٤) عن الياء تاء التأنيث، لتناسبهما في الزيادة.

ولذلك قلبها^(٥) هاء في الوقف ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب. وكسرهما لأنها عوض

حرف تناسبها. وفتحها^(٦) ابن عامر في كل القرآن، لأنها حركة أصلها. أو لأنه كان «يا

أبتا» فحذف الألف وبقي الفتحة. وإنما جاز «يا أبتا» ولم يجز «يا أبتى» لأنه جمع بين

العوض والمعوض.

٢. تفسير القمي ٣٤٠/١.

٤. أ، ب، ر: «تعوض» بدل «فعوض».

١. أنوار التنزيل ٤٨٧١.

٣. أنوار التنزيل ٤٨٧١.

٥ و٦. نفس المصدر والموضع.

وقرى^(١) بالضم، إجراء لها مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء، من غير اعتبار التعويض. وإنما لم تسكن كأصلها، لأنها حرف صحيح منزل منزلة الاسم، فيجب تحريكها ككاف الخطاب.

«إني رأيت»: من الرؤيا، لا من الرؤية، لقوله: «لا تقصص رؤياك على إخوتك» وقوله «هذا تأويل رؤياي».

«أحد عشر كوكباً والشمس والقمر»: في كتاب الخصال^(٢)، عن جابر بن عبد الله الأنصاري في قوله تعالى حكاية عن يوسف: «إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين» فقال في تسمية النجوم: وهو الطارق، وحبان^(٣)، والذical، و^(٤) ذوالكتفين^(٥)، وقابس، ووثاب، وعمودان^(٦)، وفيلق، ومصيح، والصدوح^(٧)، وذو القروع^(٨)، والضياء، والنور، يعني: الشمس والقمر. وكل هذه الكواكب محيطة بالسماء.

وعن جابر بن عبد الله^(٩) قال: أتى النبي ﷺ رجل من اليهود يقال له بشان^(١٠) اليهودي. فقال: يا محمد، أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف أنها ساجدة له، فما^(١١) أسماؤها؟ فلم يجبه نبي الله ﷺ يومئذ في شيء.

قال: فنزل^(١٢) جبرئيل عليه السلام فأخبر النبي ﷺ بأسماؤها. قال: فبعث رسول الله ﷺ إلى بشان^(١٣). فلما أن جاءه، قال النبي ﷺ: هل أنت تسلم^(١٤) إن أخبرتك بأسماؤها؟ قال: نعم.

١. أنوار التنزيل ٤٨٦/١. ٢. الخصال ٤٥٤/٢، ح ١.

٣. المصدر: جربان. وفي نور الثقلين ٤٠٩/٢، ح ١١: حوبان.

٤. ليس في أ، ب، ر. ٥. المصدر: «ذو الكنفان وذو القرع» بدل «ذو الكتفين».

٦. نور الثقلين ٤٠٩/٢، ح ١١. ٧. المصدر: الضروح. ونور الثقلين: الصدع.

٨. ليس في المصدر: ذو القروع. ٩. الخصال ٤٥٤/٢ - ٤٥٥، ح ٢.

١٠. المصدر: بستان. ١١. المصدر: «ما» بدل «له فما».

١٢. المصدر: «ونزل» بدل «قال فنزل». ١٣. المصدر: بستان.

١٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: مسلم.

فقال له النبي ﷺ: حوبان^(١)، والطارق، والذيال، وذو الكتفين^(٢)، وقابس، ووثاب، وعمودان^(٣)، والفيلق، والمصيح^(٤)، والصدوح، وذو القروع^(٥)، والضياء، والنور. رآها في أفق السماء ساجدة له. فلما قصّها يوسف عليه السلام على يعقوب عليه السلام قال يعقوب: هذا أمر مشئت^(٦) يجمعه الله ﷻ من^(٧) بعد.

فقال بستان^(٨): والله إن هذه لأسماءها. ثم أسلم^(٩).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١٠): في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: تأويل هذه الرؤيا أنه سيملك مصر، ويدخل عليه أبواه وإخوته. أما الشمس، فأُم يوسف راحيل. والقمر يعقوب. وأما الأحد عشر كوكباً، فإخوته. فلما دخلوا عليه، سجدوا شكرًا لله وحده، حين نظروا إليه. وكان ذلك السجود لله تعالى.

وفي رواية^(١١) أن التي سجدت له مع أبيه خالته لا أمه.

﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(١٢): استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها، فلا تكرير. وإنما أجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم.

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ﴾: تصغير ابن، للشفقة، أو لصغر السن، لأنه كان ابن تسع سنين^(١٣).

﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾: فيحتالوا لإهلاكك حيلة.

فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه أن الله يصطفيه لرسالته، ويفوقه على إخوته، فخاف عليه حسدهم وبغيهم.

قيل^(١٤): الرؤيا كالرؤية، غير أنها مختصة بما يكون في النوم. ففرق بينهما بحرف

١. المصدر: جربان. وفي نور الثقلين ٤٠٩/٢، ح ١٢: حوبان.

٢. المصدر: ذو الكفنان. ٣. نور الثقلين: عموران.

٤. نور الثقلين: الصبيح. ٥. المصدر: الضروح وذو القرع.

٦. المصدر: المتشئت. ٧. ليس في المصدر.

٨. المصدر: بستان. ٩. ليس في المصدر: ثم أسلم.

١٠. تفسير القمي ٣٣٩/١. ١١. تفسير العياشي ١٩٧/٢، ح ٨٣.

١٢. أنوار التنزيل ٤٨٧/١: اثنتي عشرة سنة. ١٣. أنوار التنزيل ٤٨٧/١.

التأنيث، كالقربة والقربي. وهي: انطباع الصورة المنحدرة من أفق المتخيلة إلى الحس المشترك. والصادقة منها يكون باتصال النفس بالملكوت، لما بينهما من التناسب، عند فراغها من تدبير البدن أدنى فراغ، فتتصور بما فيها ممّا يليق بها من المعاني الحاصلة هناك. ثم إن المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه، فترسلها إلى الحس المشترك، فتصير مشاهدة. ثم إن كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى، بحيث لا يكون التفاوت إلا بالكيفية والجزئية، استغنت الرؤيا عن التعبير، وألا احتاجت إليه.

وإنما عُدِّي كاد باللام - وهو متعد بنفسه - لتضمينه معنى فعل يُعَدِّي به، تأكيداً. ولذلك أكد بالمصدر، وعلّله بقوله:

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(١): ظاهر العداوة، لما فعل بآدم وحواء. فلا يألو جهداً في تسويلهم وإثارة الحسد فيهم، حتّى يحملهم على الكيد.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): حدّثني أبي، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر^(٣): «أنّه كان من خبر يوسف أنّه [٧] كان له أحد عشر أخاً. وكان له من أمّه أخ واحد يسمّى «بنيامين». وكان يعقوب إسرائيل الله - أي خالص الله - ابن إسحاق نبي الله ابن إبراهيم خليل الله. فرأى يوسف هذه الرؤيا وله تسع سنين. فقصّها على أبيه. فقال يعقوب: «يا بني لا تقصص» الآية.

واعلم أنّ^(٤) ما دلّ عليه هذا الحديث من كون يوسف وبنيامين من أمّ واحدة، هو المشهور. رواه العياشي وغيره^(٥)، إلا أنّ العياشي^(٦) روى رواية أخرى بأنّه ابن خالته. وفي بعض ما يرويه إطلاق «ابن يامين» [عليه باللام. وفي بعضه أنّ «ياميل»]^(٧) اسم خالة يوسف، وأنها هي التي سارت مع أبيه إلى مصر. وربما يوجد في بعض الأخبار

١. تفسير القمي ١/٣٣٩-٣٤٠.

٣. ليس في أ، ر.

٤. تفسير العياشي ١٨٤/٢، ضمن ح ٤٥، وتفسير القمي ١/٣٣٩-٣٤٠، وأما الصدوق ٢٠٦/٢، ضمن ح ٧.

٥. تفسير العياشي ١٩٧/٢، ذيل ح ٨٤.

٦. ليس في أ، ب، ر.

«ابن يامين» منفصلاً. وصاحب القاموس ضبطه «بنيامين». قال: ولا تقل «ابن يامين». وفي روضة الكافي^(١): بعض أصحابنا، عن علي بن العباس، عن الحسن بن عبد الرحمن، عن أبي الحسن عليه السلام قال: إِنَّ الْأَحْلَامَ لَمْ تَكُنْ فِيهَا مَضَى فِي أَوَّلِ الْخَلْقِ، وَإِنَّمَا حَدَّثَتْ.

فقلت: وما العلة في ذلك؟ فقال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذَكَرَهُ بَعَثَ رَسُولاً إِلَى أَهْلِ زَمَانِهِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ. فَقَالُوا: إِنْ فَعَلْنَا ذَلِكَ، فَمَا لَنَا؟ فَوَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِأَكْثَرْنَا مَالاً وَلَا بِأَعَزَّنَا عَشِيرَةً! فَقَالَ: إِنْ أَطَعْتُمُونِي، أَدْخَلَكُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ. وَإِنْ عَصَيْتُمُونِي، أَدْخَلَكُمُ اللَّهُ النَّارَ. فَقَالُوا: وَمَا الْجَنَّةُ وَالنَّارُ؟ فَوَصَفَ لَهُمْ ذَلِكَ. فَقَالُوا: مَتَى نَصِيرُ إِلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ: إِذَا مَا^(٢) مَتَمَّ. فَقَالُوا: لَقَدْ رَأَيْنَا أَمْوَاتِنَا صَارُوا عِظَاماً وَرَفَاتاً!؟ فَازْدَادُوا لَهُ تَكْذِيباً، وَبِهِ اسْتِخْفَافاً.

فأحدث الله ﷻ فيهم الأحلام. فأتوه، فأخبروه بما رأوا، وما أنكروا [من]^(٣) ذلك. فقال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ ذَكَرَهُ [أَرَادَ أَنْ]^(٤) يَحْتِجَّ عَلَيْكُمْ بِهَذَا. هَكَذَا تَكُونُ أَرْوَاحُكُمْ. إِذَا مَتَمَّ وَإِنْ بَلَيْتْ أَبْدَانُكُمْ تَصِيرُ الْأَرْوَاحُ عَلَى عِقَابٍ، حَتَّى تَبْعَثَ الْأَبْدَانُ.

علي بن إبراهيم^(٥)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ وَرُؤْيَاهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عَلَى سَبْعِينَ جِزْءً مِنْ أَجْزَاءِ النَّبُوَّةِ.

﴿وَكَذَلِكَ﴾: أي وكما اجتبييناك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وكمال نفس.

﴿يَجْتَبِيكَ رُبُّكَ﴾: للنبوّة والملك. أو لأمر عظام.

والاجتباء، من جبيت الشيء: إذا حصّلت له نفسك.

﴿وَيُعَلِّمُكَ﴾: كلام مبتدأ خارج عن التشبيه، كأنه قيل: وهو يعلمك.

٢. ليس في أ، ب.

٤. من المصدر.

١. الكافي ٩٠/٨، ح ٥٧.

٣. من المصدر.

٥. الكافي ٩٠/٨، ح ٥٨.

﴿ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾: من التعبير للرؤيا؛ لأنها أحاديث الملك إن كانت صادقة، وأحاديث النفس والشيطان إن كانت كاذبة. أو: من تأويل غوامض كتاب الله تعالى وسنن الأنبياء وكلمات الحكماء. وهو اسم جمع للحديث، كأباطيل اسم جمع للباطل. ﴿ وَتُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾: بالنبوة، أو بإيصال نعمة الدنيا بنعمة الآخرة.

﴿ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ ﴾: يريد به سائر بنيهِ، بأن يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة، بأن يجعلهم أنبياء وملوكاً، ثم ينقلهم إلى نعيم الآخرة والدرجات العلى. قيل^(١): ولعله استدلّ على نبوتهم بضوء الكواكب. وسيأتي في الخبر أن سائر أبنائه لم يكونوا أنبياء، ولا بررة أتقياء، ولم يفارقوا الدنيا إلا سعداء. ثم تابوا، وتذكروا ما صنعوا. فالمراد نسله.

﴿ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ ﴾: بالرسالة.

وقيل^(٢): على إبراهيم، بالخلة والإنجاء من النار. وعلى إسحاق، بإنقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم.

﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾: من قبلك. أو من قبل هذا الوقت.

﴿ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ﴾: عطف بيان لـ «أبويك».

﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ ﴾: بمن يستحقّ الاجتناء.

﴿ حَكِيمٌ ﴾^(٣): بفعل الأشياء على ما ينبغي.

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ﴾: أي في قصصهم.

﴿ آيَاتٌ ﴾: دلائل قدرة الله وحكمته. أو: علامات نبوتك.

﴿ لِلنَّاسِ أَلْيَنَ ﴾^(٤): لمن سأل عن قصتهم.

وأسماء الإخوة لم يوجد بتمامها في خبر معصومي.

وقيل^(٥): هم: يهوذا، وروبييل، وشمعون، ولاوي، وزبالون^(٦)، ويشخر، ودينه،

من بنت خالته، تزوجها يعقوب أولاً. فلما توفيت، تزوج أختها راحيل. فولدت له بنيامين [ويوسف] ^(١).

وقيل ^(٢): جمع بينهما، ولم يكن الجمع محرماً حينئذ.

وأربعة آخرون: دان، ونفتالي، وجاد، وأشر، من سريتين زلفة وبلهة.

وفي الجوامع ^(٣): روي أن اليهود قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمداً لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر، وعن قصة يوسف. قال: فأخبرهم بالقصة من غير سماع ولا قراءة كتاب.

﴿إِذْ قَالُوا لْيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾: بنيامين. وتخصيصه بالإضافة، لاختصاصه بالأخوة من الطرفين.

﴿أَحَبُّ إِلَيَّ أَيْبَتَا مَنَّا﴾: وحده، لأن أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما ^(٤) فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف أخويه. فإن الفرق في المحلى واجب جائز في المضاف. ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: والحال أنا جماعة أقوياء، أحق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما.

والعصبة والعصابة: العشرة فصاعداً.

﴿إِنْ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ^(٥): لتفضيله المفضل. أو لترك التعديل في المحبة.

نقل ^(٥) أنه كان أحب إليه، لما يرى فيه من المخائل. وكان إخوته يحسدونه. فلما رأى الرؤيا، ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه. فتبالغ حسدهم حتى حملهم ^(٦) على التعرض له.

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ﴾: من جملة المحكي بعد قوله: «اذ قالوا».

﴿أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضاً﴾: منكورة بعيدة من العمران. وهو معنى تنكيرها وإبهامها. ولذلك نصب كالظروف المبهمة.

٢. أنوار التنزيل ٤٨٨/١.

١. ليس في أ، ب، ر. ويوسف.

٤. ليس في أ، ب، ر.

٣. الجوامع ٢١٣.

٦. ليس في أ، ب، ر.

٥. أنوار التنزيل ٤٨٨/١.

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ﴾: محبته^(١).

جواب الأمر. والمعنى: يَصْفُ لكم وجهه، فيقبل بكلّيته عليكم، ولا يلتفت عنكم إلى غيركم، ولا ينازعكم في محبته أحد.

﴿وَتَكُونُوا﴾: جزم بالعطف على «يخل». أو نصب بإضمار «أن».

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: بعد يوسف والفراغ من أمره، أو قتله، أو طرحه.

﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾^(٢): تائبين إلى الله تعالى عمّا جنيتهم. أو: صالحين مع أبيكم، يصلح ما بينكم وبينه، بعذر تمهدونه^(٣). أو صالحين في أمر دنياكم. فإنّه ينتظم لكم بعده بخلوّ وجه أبيكم.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾: قيل^(٤). هو يهوذا، وكان أحسنهم فيه رأياً.

وقيل^(٥): روبيل.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٦): هو لاوي. [عن الهادي عليه السلام]^(٧).

﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾: فإنّ القتل عظيم.

﴿وَالْقَوَى فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾: في قعره. سمّي بها لغيوبته عن عين^(٨) الناظر.

وقرأ^(٩) نافع^(١٠): «في غيابات» في الموضعين على الجمع، كأنّه لتلك الجبّ غيابات.

وقرئ^(١١): «غيبة» و«غيابات» بالتشديد.

﴿يَلْتَقِطُهُ﴾: يأخذه.

﴿بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾: بعض الذين يسIRON في الأرض.

﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾^(١٢): بمشورتي. أو إن كنتم على أن تفعلوا ما يفرق بينه وبين أبيه.

١. ر: محبة.

٢. أ، ب، ر: تمهدون له.

٣. أنوار التنزيل ٤٨٨/١.

٥. تفسير القمي ٣٤٠/١.

٦. ليس في أ، ب.

٧. من المصدر.

٨. ليس في أ، ب، ر.

٩. أنوار التنزيل ٤٨٨/١.

١٠. نفس المصدر والموضع.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾: لِمَ تخافنا عليه؟

﴿وَأَنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾^(١): ونحن نشفق عليه، ونريد له الخير.

أرادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه، لما تنسَم من حسدهم. والمشهور: «تأمننا» بالإدغام بالإشمام^(٢).

وعن نافع^(٣) بترك الإشمام. ومن الشواذ ترك الإدغام، لأنهما من كلمتين، و«تيمنا» بكسر التاء.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾: إلى الصحراء.

﴿يَرْتَعْ﴾: يتسع في أكل الفواكه ونحوها. من الربعة، وهي: الخصب.

﴿وَنَلْعَبُ﴾: بالاستباق والانتضال.

وقرأ^(٤) ابن كثير: «نرتع» بكسر العين، على أنه من: ارتعى يرتعي.

ونافع^(٥) بالكسر والياء فيه، وفي «يلعب».

وقرأ^(٦) الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون، على إسناد الفعل إلى يوسف.

وقرئ^(٧): «يرتع» من: أرتع ماشيته. و«يرتع» بكسر العين «ويلعب» بالرفع على

الابتداء.

﴿وَأَنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٨): من أن يناله مكروه.

﴿قَالَ إِنِّي لَخِزْنُيَ أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾: لشدة مفارقتي عليّ وقلة صبري عنه.

﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّنْبُ﴾: لأن الأرض كانت مذابة.

١. الإشمام - عند جمهور النحاة والقراء -: صَبَغُ الصوت اللغويّ بمسحة من صوت آخر، مثل نطق كثير من قيس وبني أسد لأمثال: «قيل وبيع» بإمالة تنحو واو المدّ. ومثل إشمام الصاد صوت الزاء في قراءة الكسائيّ بصفة خاصّة.

والإشمام أيضاً - لدى القراء وحدهم -: الإشارة بالشفقتين إلى الضمة المحذوفة من آخر الكلمة الموقوف عليها بالسكون، من غير تصويت بهذه الضمة.

٤-٦. أنوار التنزيل ١/٤٨٩.

٢ و٣. أنوار التنزيل ١/٤٨٨.

وقيل ^(١): رأى في المنام أن الذئب قد شدَّ على يوسف، فكان يحذره عليه.
وقد همَّزها ^(٢) على الأصل ابن كثير ونافع [في رواية قالون] ^(٣). وفي رواية الترمذي ^(٤) وأبو عمرو وقفاً. [وقالون] ^(٥) وعاصم وابن عامر وحمزة درجاً [ووقفاً] ^(٦).

واشتقاقه من: تذاءبت الريح: إذا هبت من كل جهة.
﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ ^(٧): لاشتغالكم بالرتع واللعب، أو لقلَّة اهتمامكم بحفظه.
﴿قَالُوا لَإِنْ أَكَلَهُ الذَّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: اللام توطئة للقسم، وجوابه:
﴿إِنَّا إِذَا لَخَّاسِرُونَ﴾ ^(٨): ضعفاء مغبونون. أو مستحقون لأن يدعى عليهم بالخسار ^(٩).

والواو في «ونحن» للحال.
وفي تفسير العياشي ^(١٠): عن أبي خديجة ^(١١)، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنما ابتلي يعقوب بيوسف أنه ^(١٢) ذبح كبشاً سميناً، ورجل من أصحابه [يدعى بقوم] ^(١٣) محتاج لم يجد ما يفطر عليه. فأغفله، ولم يطعمه. فابتلي بيوسف. وكان بعد ذلك كل صباح مناديه ينادي: من لم يكن صائماً، فليشهد غداء يعقوب. فإذا كان المساء، نادى: من كان صائماً، فليشهد عشاء يعقوب.

وفي كتاب علل الشرائع ^(١٤)، بإسناده إلى عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن بني يعقوب لما سألوا أباهم يعقوب أن يأذن ليوسف في الخروج معهم، قال لهم: إنني أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون». قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: قرَّب يعقوب لهم

٣. من المصدر.

١ و٢. أنوار التنزيل ٤٨٩/١.

٥. ليس في المصدر.

٤. المصدر: اليزيدي.

٧. أ، ب: بالجار.

٦. ليس في المصدر.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: أبي حذيفة.

٨. تفسير العياشي ١٦٧/٢، ح ٤.

١١. من المصدر.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: إذ.

١٢. الملل ٦٠٠/٢، ح ٥٦.

العلّة. فاعتلّوا^(١) بها في يوسف.

وفي مجمع البيان^(٢): وروي عن النبي ﷺ أنّه قال: لا تلقنوا الكذب، فتكذبوا^(٣).

إنّ بني يعقوب لم يعلموا أنّ الذئب يأكل الإنسان، حتّى لقنهم أبوهم!

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾: وعزموا على إلقائه فيها.

وقيل^(٤): البشر بشر^(٥)، أو بشر بأرض الأردن، أو بين مصر ومدين، أو

على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب.

وجواب «لَمَّا» محذوف، مثل: فعلوا به ما فعلوا من الأذى.

فقد نقل^(٦) أنّهم لمّا برزوا به إلى الصحراء، أخذوا يؤذونه ويضربونه، حتّى كادوا

يقتلونه. فجعل يصيح ويستغيث. فقال يهوذا: أما عاهدتموني أن لا تقتلوه؟! فأتوا به

إلى البشر، فدلّوه فيها. فتعلّق بشفيرها. فربطوا يديه، ونزعوا قميصه ليلطّخوه بالدم

ويحتالوا به على أبيهم. وقال: يا إخوتاه، ردّوا عليّ قميصي، أتواري به. فقالوا: ادع

الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك. فلمّا بلغ نصفها، ألقوه. وكان

فيها ماء، فسقط فيه. ثمّ أوى إلى صخرة كانت فيها، فقام عليها يبكي. فجاءه جبرئيل

بالوحي.

وفي علل الشرائع^(٧): محمّد بن موسى بن المتوكّل عليه السلام، قال: حدّثنا عبدالله بن

جعفر الحميريّ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن^(٨) بن محبوب، عن مالك

بن عطية، عن الثماليّ قال: صليت مع عليّ بن الحسين عليهما السلام الفجر بالمدينة يوم

الجمعة. فلمّا فرغ من صلاته وسبحته، نهض إلى منزله وأنا معه. فدعا مولاه له تسمّى

١. أ، ب: فاحتلّوا.

٢. المجمع ٢١٦/٣.

٣. المصدر: فيكذبوا.

٤. أنوار التنزيل ٤٨٩/١.

٥. أ، ب، ر: من.

٦. نفس المصدر والموضع.

٧. الملل ٤٥/١ - ٤٧ باختلاف يسير.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: الحسين.

سكينة. فقال لها: لا يعبر على باب اليوم^(١) سائل، إلا أطمعتموه. فإن اليوم يوم الجمعة. قلت له: ليس كل من يسأل مستحقاً^(٢). فقال: يا ثابت، أخاف أن يكون بعض من يسألنا محقاً، فلا نطعمه ونردّه، فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله. أطمعهم، أطمعهم.

إن يعقوب كان يذبح كل يوم كبشاً فيصدق منه، ويأكل هو وعياله منه. وإن سائلاً مؤمناً صَوَّماً محقاً، له عند الله منزلة، وكان مجتازاً غريباً، اعتر^(٣) على باب يعقوب عشية جمعة عند^(٤) أو أن إفطاره. فهتف على بابه [وقال^(٥)]: أطمعوا السائل المجتاز الغريب الجائع من فضل طعامكم. يهتف بذلك على بابه مراراً، وهم يسمعون. وقد جهلوا حقّه، ولم يصدّقوا قوله.

فلما يش أن يطعموه وغشيه الليل، استرجع واستعبر^(٦) وبكى^(٧) وشكى جوعه إلى الله ﷻ وبات^(٨) طاوياً^(٩) وأصبح صائماً جائعاً حامداً لله. وبات يعقوب وآل يعقوب شباعاً بطاناً.

[فلما جاء الليلة الثانية، جاء ووقف يهتف على بابه: أطمعوا السائل المجتاز الغريب الجائع من فضل طعامكم. يهتف بذلك على بابه مراراً، وهم يسمعون. وقد جهلوا حقّه، ولم يصدّقوا قوله. فلما يش من أن يطعموه، وغشيه الليل، استرجع واستعبر وبكى، وشكى جوعه إلى الله ﷻ وبات طوياً. وأصبح صائماً حامداً جائعاً صابراً. وأصبح آل يعقوب شباعاً بطاناً^(١٠) وأصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم.

قال: فأوحى الله ﷻ إلى يعقوب في صبيحة تلك الليلة: لقد أذلت يا يعقوب عبدي

١. ليس في المصدر.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: محقاً.

٣. الاعتراض: إتيان الفقير للمعروف من غير أن يسأل.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: غير.

٥. ليس في المصدر.

٦. استعبر: بكى حتى جرى دمه.

٧. ليس في المصدر.

٨. يوجد في أ، ر.

٩. الطاوي: الجائع.

١٠. ليس في المصدر.

ذلة استجرت^(١) بها غضبي، واستوجبت بها أدبي ونزول عقوبتي وبلوائي^(٢) عليك وعلى ولدك. يا يعقوب، إِنَّ أَحَبَّ أُنْيَائِي إِلَيَّ وَأَكْرَمَهُمْ عَلَيَّ، مِنْ رَحِمِ مَسَاكِينِ عِبَادِي، وَقَرَّبَهُمْ إِلَيْهِ، وَأَطْعَمَهُمْ، وَكَانَ لَهُمْ^(٣) مَأْوَى وَمُلْجَأٌ.

يا يعقوب، أما رحمت ذميال^(٤) عبيد المجتهد في عبادتي، القانع باليسير من ظاهر الدنيا عشاء أمس لما اعتز^(٥) ببابك أوان إفطاره، وهتف بكم: «أطعموا السائل الغريب المجتاز القانع» فلم تطعموه شيئاً، فاسترجع واستعبر، وشكى ما به إلي. وبات^(٦) طاوياً حامداً لي صابراً^(٧). فأصبح صائماً، وأنت يا يعقوب وولدك شباعاً، وأصبحتم وعندكم فضلة من طعامكم!

أو ما علمت يا يعقوب، أتني بالعقوبة والبلوى إلى أوليائي أسرع مني بها إلى أعدائي؟! وذلك حسن النظر مني لأوليائي، واستدراج مني لأعدائي. أما وعزتي، لأنزلن بك بلاني، ولأجعلنك وولدك غرضاً لمصائبي، ولأؤذبنك بعقوبتي. فاستعدوا للبلاني. وارضوا بقضائي. واصبروا للمصائب.

فقلت لعلي بن الحسين عليه السلام: جعلت فداك، متى رأى يوسف الرؤيا؟ فقال: في تلك الليلة التي بات فيها يعقوب شبعاناً^(٨)، وبات فيها ذميال طاوياً جائعاً.

فلما رأى يوسف الرؤيا، وأصبح فقضها على أبيه يعقوب، فاغتم يعقوب لما سمع من يوسف الرؤيا^(٩)، مع ما أوحى الله ﷻ إليه أن استعد^(١٠) للبلاء. فقال يعقوب ليوسف: لا تقصص^(١١) رؤياك هذه على إخوتك فإنني أخاف أن يكيدوا لك كيداً. فلم يكتف يوسف رؤياه، وقضها على إخوته.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: استحدثت.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: بلاني.

٣. يوجد في ب.

٤. الظاهر أن ذميال اسم ذلك الرجل.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: أعتري.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: وبات.

٧. ليس في المصدر.

٨. المصدر: شباعاً.

٩. ليس في المصدر.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: استعدوا.

١١. ر: زيادة «لا تقصص».

قال علي بن الحسين عليه السلام: وكانت أول بلوى نزلت بيعقوب وآل يعقوب الحسد ليوسف، لما سمعوا منه الرؤيا.

قال: فاشتدت رقة يعقوب على يوسف، وخاف أن يكون ما أوحى الله ﷻ إليه من الاستعداد للبلاء، إنما ^(١) هو في يوسف خاصة، فاشتدت رفته عليه من بين ولده.

فلما رأى إخوة يوسف ما يصنع يعقوب بيوسف، وتكرمه ^(٢) إياه، وإيثاره إياه عليهم، اشتد ذلك عليهم، وبدأ البلاء فيهم. فتأمروا ^(٣) فيما بينهم وقالوا: إن يوسف وأخاه «أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين» أي تتوبون. فعند ذلك قالوا: «يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا غداً يرتع ويلعب» الآية. فقال يعقوب: «إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب».

فانتزع حذراً عليه من أن تكون البلوى من الله على يعقوب في يوسف خاصة، لموقعه من قلبه وحبّه له.

قال: فغلبت قدرة الله وقضاؤه ونافذ أمره في يعقوب ويوسف وإخوته، فلم يقدر يعقوب على دفع البلاء عن نفسه، ولا عن يوسف ولده. فدفعه إليهم، وهو لذلك كاره ^(٤) متوقع للبلوى من الله في يوسف.

فلما خرجوا من منزلهم، لحقهم أبوهم ^(٥) مسرعاً. فانتزع من أيديهم، فضمه إليه، واعتنقه وبكى، ودفعه إليهم. فانطلقوا به مسرعين مخافة أن يأخذه منهم ولا يدفعه إليهم.

فلما مضوا ^(٦) به، أتوا به غيضة أشجار فقالوا: نذبحه ونلقيه تحت هذه الشجرة،

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: من مكرمه.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: كان.

٦. المصدر: امنعوا.

١. ليس في المصدر.

٣. أي فتشاوروا.

٥. ليس في المصدر.

فأكله الذئب الليلة. فقال كبيرهم يهوذا^(١): لا تقتلوا يوسف ولكن «ألقوه في غيابة الجبّ يلتقطه بعض السيّارة إن كنتم فاعلين».

فانطلقوا به إلى الجبّ وألقوه فيه، وهم يظنون أنّه يغرق فيه. فلمّا صار في قعر الجبّ، ناداهم: يا ولد رومين، اقرؤوا يعقوب منّي السلام. فلمّا سمعوا كلامه، قال بعضهم لبعض: لا تزالوا من هاهنا، حتّى تعلموا أنّه قد مات. فلم يزالوا بحضرته، حتّى أسوا^(٢) ورجعوا، وسيأتي تمام الخبر.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٣): فأذنه^(٤) من رأس الجبّ، وقالوا: انزع قميصك. فبكى وقال: يا إختوتي، لا تجرّ دوني. فسأل واحد منهم عليه السكّين وقال: لئن لم تنزعه لأقتلنك، فنزعه. فدلّوه في البئر^(٥) وتنحّوا عنه.

فقال يوسف في الجبّ: يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ارحم ضعفي وقلة حيلتي وصغري.

ثمّ قال عليّ بن إبراهيم - ونسب ابن طاووس قوله هذا إلى الصادق عليه السلام -:

ورجع إخوته فقالوا: نعمد إلى قميصه، فنلطّخه بالدم ونقول لأبينا: إنّ الذئب أكله.

فقال لهم أخوهم^(٦) لاوي: يا قوم، ألسنا بني يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله^(٧) ابن إبراهيم خليل الله؟! أفنظنون أنّ الله يكتّم هذا الخبر عن أنبيائه؟!

[فقالوا: وما الحيلة؟ قال: نقوم ونغتسل ونصلّي جماعة، ونتضرّع إلى الله تعالى أن

يكتّم ذلك الخبر عن نبيّه^(٨)] فإنّه جواد كريم. فقاموا واغتسلوا. وكانوا في سنّة إبراهيم

وإسحاق ويعقوب أنّهم لا يصلّون جماعة حتّى يبلغوا أحد عشر [رجلاً]^(٩) فيكون

١. ليس في المصدر.

٢. المصدر: امسوا.

٣. تفسير القمّي ١/٣٤٠-٣٤٢ باختلاف يسير.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: فأتوه.

٥. كذا في ب. وفي النسخ والمصدر: اليم.

٦. ليس في المصدر.

٧. المصدر: نبي الله.

٨. ليس في المصدر.

٩. من المصدر.

واحد منهم إماماً، وعشرة يصلّون خلفه.

قالوا: وكيف نصنع، وليس لنا إمام؟ فقال لاوي: نجعل الله إمامنا. فصلّوا وتضرّعوا^(١) وبكوا. وقالوا: يا ربّ، اكتم علينا هذا.

وفي أصول الكافي^(٢): عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن الحسن بن عمّار الدهان، عن مسمع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا طرح إخوة يوسف [يوسف]^(٣) في الجبّ، أتاه جبرئيل عليه السلام فدخل عليه فقال: يا غلام، ما تصنع هاهنا؟! فقال: إنّ إخوتي ألقوني في الجبّ. قال: أفتحبّ أن تخرج منه؟ قال: ذاك إلى الله تعالى، إن شاء أخرجني.

قال: فقال له: إنّ الله يقول لك: ادعني بهذا الدعاء حتّى أخرجك من الجبّ. فقال له: وما الدعاء؟ قال: قل: «اللهمّ إنّي أسألك بأنّ لك الحمد، لا إله إلا أنت المَنَّان بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام، أن تصلّي على محمّد وآل محمّد، وأن تجعل لي ممّا أنا فيه فرجاً ومخرجاً».

قال: ثمّ كان من قصّته ما ذكر الله في كتابه.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٤) نحوه سنداً وممتناً. وزاد بعد قوله: «ومخرجاً»: «وارزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب». فدعا ربّه، فجعل له من الجبّ فرجاً، ومن كيد المرأة مخرجاً. وآتاه ملك مصر، من حيث لا يحتسب.

وفي أمالي شيخ الطائفة^(٥)، بإسناده إلى أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ما كان دعاء يوسف عليه السلام في الجبّ؟ فإنّا قد اختلفنا فيه.

فقال: إنّ يوسف عليه السلام لمّا صار في الجبّ، وأيس من الحياة، قال: «اللهمّ إن كانت الخطايا والذنوب قد أخلقت وجهي عندك، فلن ترفع لي إليك صوتاً، ولن تستجيب

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: جزعوا.

٢. الكافي ٥٥٦/٢، ح ٤.

٣. من المصدر.

٤. تفسير القميّ ٣٥٤/١.

٥. أمالي الطوسي ٣٢٩/ح ٤ قريب منه.

لي دعوة، فإنّي أسألك بحق الشيخ يعقوب، فارحم ضعفه، واجمع بيني وبينه. فقد علمت رفته عليّ، وشوقي إليه».

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾: أوحى إليه في صغره، كما أوحى إلى يحيى وعيسى عليهما السلام.

﴿لَتَنْبِتْنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾: لتحدثنهم بما فعلوا بك.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٥): أنك يوسف^(١) لعلّو شأنك، وتُبعده عن أوهامهم، وطول

العهد المغير للحليّ والهيئات.

وذلك إشارة إلى ما قال لهم بمصر، حين دخلوا عليه ممتازين، فعرفهم وهم له منكرون. بشره بما يؤول إليه أمره، إيناساً له، وتطيباً لقلبه.

وقيل^(٢): «وهم لا يشعرون» متصل بـ «أوحينا». أي: أنساه بالوحي، وهم لا يشعرون ذلك.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٣): وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «لَتَنْبِتْنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا» وهم لا يشعرون» يقول: لا يشعرون أنك أنت يوسف. أتاه جبرئيل، فأخبره بذلك.

وفي علل الشرائع^(٤)، وفي تفسير العياشي^(٥) عن السجاد عليه السلام أنه سئل: ابن كم كان يوسف يوم ألقوه في الحب؟ قال: كان ابن تسع^(٦) سنين.

وفي تفسير العياشي^(٧): عن زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام قوله: «لَتَنْبِتْنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا» وهم لا يشعرون» قال: كان ابن سبع سنين.

﴿وَجَاؤُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءً﴾: آخر النهار.

وقرئ^(٨): «عشيّاً» وهو تصغير عشي. و«عُشي» بالضم والقصر، جمع أعشى. أي عشوا من البكاء.

٢. أنوار التنزيل ٤٨٩/١.

١. ب: ليوسف.

٤. العلل ٤٨/١، ح ١.

٣. تفسير القمي ٣٤٠/١.

٦. ب، العياشي: سبع.

٥. تفسير العياشي ١٧٢/٢، ح ١٦.

٨. أنوار التنزيل ٤٨٩/١.

٧. نفس المصدر والمجلد ١٧٠، ح ٧.

﴿يَكُونُ﴾^(١٦): متباكين .

نقل أنه لما سمع بكاءهم، فزع وقال: ما لكم يا بني؟ وأين يوسف؟

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ﴾: نتسابق في العدو أو الرمي .

وقد يشترك الافتعال والتفاعل، كالانتضال والتناضل .

﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾: بمصدق لنا .

﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾^(١٧): لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف .

﴿وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾: أي ذي كذب، بمعنى: مكذوب فيه . ويجوز أن

يكون وصفاً بالمصدر للمبالغة .

وقرى^(١٨) بالنصب، على الحال من الواو . أي جاؤوا كاذبين . و«كذب» بالدال غير

المعجمة، أي كدر أو طري . وقيل: أصله البياض الخارج على أظفار الأحداث، فشبه

به الدم اللاصق على القميص .

و«على قميصه» في موضع النصب، على الظرف، أي فوق قميصه . أو على الحال

من الدم، إن جَوَزَ تقديمها على المجرور .

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١٩): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في

قوله: «وجاؤوا على قميصه بدم كذب» قال: إنهم ذبحوا جدياً على قميصه .

وفي تفسير العياشي^(٢٠): عن أبي جميل^(٢١)، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما

أوتي بقميص يوسف يعقوب، فقال: اللهم لقد كان ذنباً رقيقاً حين لم يشقَّ القميص!

قال: وكان به نضح من دم .

وفيه^(٢٢): قال: ما كان أشدَّ غضب ذلك الذنب على يوسف، وأشفقه^(٢٣) على قميصه،

حيث أكل يوسف ولم يمزق قميصه!

١. أنوار التنزيل ٤٩٠/١ .

٢. تفسير القمي ٣٤١/١ .

٣. تفسير العياشي ١٧١/٢، ح ٩ .

٤. المصدر: أبي جميلة .

٥. لم نعر على هذه الرواية في تفسير العياشي، ولكن رواه القمي في تفسيره ٣٤٢/١ .

٦. كذا في المصدر . وفي النسخ: الشفقة .

وفي مجمع البيان^(١): وروي أنه ألقى ثوبه على وجهه وقال: يا يوسف، لقد أكلتك ذنب رحيم! أكل لحملك ولم يشق قميصك!

وفي كتاب الخصال^(٢)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في قميص يوسف ثلاث آيات في قوله: «جاؤوا على قميصه بدم كذب»، وقوله^(٣): «إن كان قميصه قد من قبل»، وقوله^(٤) تعالى: «اذهبوا بقميصي هذا».

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾: أي سهلت لكم، وهونت في أعينكم أمراً عظيماً. من السؤل، وهو الاسترخاء.

﴿فَصَبَّرْ جَمِيلٌ﴾: أي فأمرني صبر جميل. أو فصبر جميل أجمل.

وفي الحديث النبوي^(٥): الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه إلى الخلق. ورواه ابن عقدة عن الصادق عليه السلام والعياشي عن الباقر عليه السلام.

﴿وَاللَّهُ الْمُتَعَتِّلُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾^(٦): على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف.

في كتاب علل الشرائع^(٧) وفي تفسير العياشي^(٨) عن السجاد عليه السلام أنه لما سمع مقاتلتهم استرجع واستعبر، وذكر ما أوحى الله إليه من الاستعداد للبلاء. [فصبر]^(٩) وأذن عن للبلاء^(١٠). [يعني بسبب غفلته عن إطعامه الجار الجائع]^(١١) فقال لهم: «بل سؤل لكم أنفسكم أمراً». وما كان الله ليطعم لحم يوسف الذنب من قبل أن أراي^(١٢) تأويل رؤياه الصادقة.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: رفقة.

١. المجمع ٢١٨/٣.

٢. الخصال ١١٨/١، ح ١٠٤.

٣. يوسف ٢٦.

٤. يوسف ٩٣.

٥. تفسير الصافي ٨٢٤/٤.

٦. العلل ٤٧/١.

٧. تفسير العياشي ١٦٩/٢، ح ٥.

٨. من المصدرين.

٩. كذا في العلل. وفي النسخ والعياشي: للبلوى. ١٠. ليس في المصدرين.

١١. كذا في العلل. وفي العياشي: أرى. وفي النسخ: أدى.

قيل^(١): يسيرون من مدين إلى مصر. فنزلوا قريباً من الجبّ. وكان ذلك بعد ثلاث أيام من إلقائه فيه.

﴿فَازْسَلُوا وَارِدْهُمْ﴾: الذي يرد الماء ويستقي لهم.

قيل^(٢): وكان مالك بن ذعر الخزاعي.

﴿فَأَذَلَّى دَلْوُهُ﴾: فأرسلها في الجبّ ليملاها، فتدلّى^(٣) بها يوسف. فلما رآه

﴿قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ﴾: نادى البشرى بشارة لنفسه، أو لقومه، كأنه قال: تعالي، فهذا أوانك.

وقيل^(٤): هو اسم صاحب له، ناداه ليعينه على إخراجه.

وقرأ^(٥) غير الكوفيّين: «يا بشراي» بالإضافة. وأمال فتحة الراء حمزة والكسائي.

وقرأ^(٦) ورش بين اللفظين.

وقرئ^(٧): «يا بشرى» بالإدغام، وهو لغة. و«بشراي» بالسكون على قصد الوقف.

﴿وَأَسْرَوْهُ﴾: قيل^(٨): أي الوارد وأصحابه من سائر الرفقة.

وقيل^(٩): أخفوا أمره وقالوا لهم: دفعه أهل الماء إلينا لنبيعه لهم بمصر.

والظاهر أنّ الضمير لإخوة يوسف. وذلك أنّ يهوذا كان يأتيه كلّ يوم بالطعام. فأتاه يومئذ، فلم يجده فيها. فأخبر إخوته. فأتوا الرفقة، وقالوا: هذا غلامنا أبق^(١٠) منّا، فاشتروه. وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه.

﴿بِضَاعَةٍ﴾: نصب على الحال. أي أخفوه متاعاً للتجارة. واشتقاقه من البضع، فإنّه ما يبيع من المال للتجارة.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾^(١١): لم يخف عليه أسرارهم، أو صنيع إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ﴾: وباعوه. وفي مرجع الضمير الوجهان. أو: اشتروه من إخوته.

٣. أ، ب، ر: فتدلى.

١٠. أبق: هرب.

١. أنوار التنزيل ٤٩٠/١.

٤-٩. أنوار التنزيل ٤٩٠/١.

﴿بَخْسٍ﴾: مبخوس، لزيهه أو نقصانه.

﴿دَرَاهِمَ﴾: بدل من الثمن.

﴿مَعْدُودَةً﴾: قليلة.

فإنهم كانوا يزنون ما بلغ الأوقية، ويعدون ما دونها. وكان عشرين درهماً.

وفي عيون الأخبار^(١)، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في خبر الشامي، وما سأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة، حديث طويل. وفيه: وسأله^(٢) عن أول من وضع سكة الدنانير والدرهم؟ فقال: نمرود بن كنعان.

وفي كتاب علل الشرائع^(٣)، بإسناده إلى محمد بن يعقوب، عن علي بن محمد، بإسناده رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لبعض أصحابه وقد سأله عن مسائل: وإنما سمي الدرهم درهماً؛ لأنه دارهم من جمعه ولم ينفقه في طاعة الله، أورثه النار.

﴿وَكَانُوا فِيهِ﴾: في يوسف.

﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾^(٤): من الراغبين عنه.

والضمير في «وكانوا» إن كان للإخوة فظاهر، وإن كان للرفقة - وكانوا بائعين - فزهدهم فيه لأنهم التقطوه، والملتقط للشيء متهاون به، خائف عن حال انتزاعه، مستعجل في بيعه. وإن كانوا مبتاعين، فلأنهم اعتقدوا أنه أبق.

و«فيه» متعلق بـ «الزاهدين» إن جعل اللام للتعريف. وإن جعل بمعنى «الذي» فهو متعلق بمحذوف بيّنه «الزاهدين». لأن متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): أخبرنا أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر^(٥)، عن الرضا عليه السلام في قول الله تعالى: «وشروه بثمان بخرس دراهم معدودة» قال: كانت عشرين درهماً. والبخرس النقص. وهي قيمة

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: سئل.

٤. تفسير القمي ٣/١٤١.

١. العيون ١/١٩٢، ح ١.

٣. العلل ٣/١، ح ١.

٥. المصدر: «عن أبي بصير» بدل «بن أبي نصر».

كلب الصيد إذا قتل كان قيمته عشرين درهماً.

وفي مجمع البيان^(١): وكانت الدراهم عشرين درهماً. وهو المروي عن علي بن الحسين عليه السلام. قال: وكانوا عشرة اقتسموها درهمين درهمين.

وفي كتاب الخصال^(٢)، عن أبي عبد الله عليه السلام في سؤال بعض اليهود علياً عليه السلام عن الواحد إلى المائة: فما العشرون؟ قال: بيع يوسف بعشرين درهماً.

وفي تفسير العياشي^(٣): عن الحسن، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «وشروه بثمن بخس دراهم معدودة» قال: كانت عشرين درهماً.

عن ابن حصين^(٤) عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: «وشروه» إلى قوله: «معدودة» قال: كانت الدراهم ثمانية عشر درهماً.

وبهذا الإسناد^(٥) عن الرضا عليه السلام قال: كانت الدراهم عشرين درهماً. وهي قيمة كلب الصيد إذا قتل. والبخس النقص.

ويمكن الجمع بين الأخبار بأن الثمن الذي باعوه به، هو العشرون، واستحطوا درهمين منه بعد العقد على عشرين.

وفي كتاب علل الشرائع^(٦) وفي الحديث السابق عن علي بن الحسين عليه السلام: إنهم لما أصبحوا قالوا: انطلقوا بنا حتى ننظر ما حال يوسف، أمات أم هو حي. فلما انتهوا إلى الجب وجدوا بحضرة الجب سيارة، وقد أرسلوا واردهم وأدلى دلوه. فلما جذب دلوه، فإذا هو بغلام متعلق بدلوه، فقال لأصحابه: يا بشرى، هذا غلام!

فلما أخرجوه، أقبل إليهم إخوة يوسف، فقالوا: هذا عبدنا سقط [منّا]^(٧) أمس في هذا الجب، وجئنا اليوم لنخرجه. فانتزعوه من أيديهم. وتنحوا به ناحية فقالوا: إنا أن

١. المجمع ٢٢٠/٣.

٢. الخصال ٥٩٧/٢، ح ١.

٣. تفسير العياشي ١٧٢/٢، ح ١١.

٤. تفسير العياشي ١٧٢/٢، ح ١٤.

٥. نفس المصدر والموضع، ح ١٥.

٦. العلل ٤٨/١، ح ١.

٧. من المصدر.

تَقَرَّ لَنَا أَنَّكَ عَبْدُنَا، فَنَبِيعُكَ [على] ^(١) بعض هذه السيارة، أو نقتلك! فقال لهم يوسف: لا تقتلوني، واصنعوا ما شئتم.

فأقبلوا به إلى السيارة، فقالوا: أمنكم من يشتري منا هذا العبد؟ فاشتراه رجل منهم بعشرين درهماً. وكان إخوته فيه من الزاهدين.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٢): فحملوا يوسف إلى مصر، وباعوه من عزيز مصر. وفي علل الشرائع ^(٣) عن علي بن الحسين عليه السلام أنه سئل: كم كان بين منزل يعقوب يومئذ وبين مصر؟ فقال: مسيرة اثني عشر يوماً.

وفي الكافي ^(٤) وكمال الدين ^(٥) عن الصادق عليه السلام في حديث يذكر فيه يوسف عليه السلام: وكان بينه وبين والده ثمانية عشر يوماً. قال: ولقد سار يعقوب وولده عند البشارة مسيرة ^(٦) تسعة أيام من بدوهم ^(٧) إلى مصر.

ولعل الاختلاف في الخبرين باعتبار اختلاف سير السيارة، فإن بعضهم كان يسير اثني عشر يوماً كالراكبين الفرس، وبعضهم ثمانية عشر كالسائرين على الإبل.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ﴾: قيل ^(٨): هو العزيز الذي كان على خزائن مصر. وكان اسمه «قطفير» أو «إطفير». وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي. وقد آمن بيوسف، ومات في حياته.

وقيل ^(٩) كان فرعون موسى عاش أربعمئة سنة بدليل قوله ^(١٠): «ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات». والمشهور أنه من أولاد فرعون يوسف، والآية من قبيل خطاب الأولاد بأحوال الآباء.

١. من المصدر.

٢. تفسير القمي ٣٤٢/١.

٣. العلل ٤٨/١، ح ١.

٤. الكافي ٣٣٦/١، ح ٤.

٥. كمال الدين ١٤٤/١، ح ١١.

٦. كمال الدين: في.

٧. ليس في كمال الدين: من بدوهم.

٨. أنوار التنزيل ٤٩١/١، وفي ب: «يعني» بدل «قيل».

٩. نفس المصدر والموضع.

١٠. غافر/٣٤.

نقل^(١) أَنَّهُ اشْتَرَاهُ الْعَزِيزُ، وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ عَشْرَةَ سَنَةً. وَلَبِثَ فِي مَنْزِلِهِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً. وَاسْتَوَزَرَهُ الرِّيَّانُ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً. أَعْطَاهُ اللَّهُ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً. وَتَوَفَّى وَهُوَ ابْنُ مِائَةٍ وَعَشْرِينَ.

واختلف فيما اشتراه به من جعل شرائه غير الأول. فقليل^(٢): عشرون ديناراً وزوجاً نعل وثوبان أبيضان. وقيل^(٣): ملؤه فضة. وقيل^(٤): ذهباً.

﴿ مِنْ مِّصْرَ لَا مَرْأَتَهُ ﴾: وكان اسمها^(٥) زليخا كما يأتي في الخبر.

﴿ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ ﴾: اجعلي مقامه عندنا كريماً، أي حسناً. والمعنى: أحسنني تعهده.

﴿ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا ﴾: في ضياعنا وأموالنا، ونستظهر به في مصالحنا.

﴿ أَوْ تَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾: نتبناه - وكان عقيماً - لما تفرس فيه من الرشد.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): ولم يكن له ولد. فأكرموه وربّوه. فلما بلغ أشده، هوته امرأة العزيز. وكانت لا تنظر يوسف امرأة إلا هوته، ولا رجل إلا أحبه. وكان وجهه مثل القمر ليلة البدر.

﴿ وَكَذَلِكَ مَكَنَّا يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾: كما مكنا محبته في قلب العزيز، أو كما مكناه في منزله، أو كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز، مكنا له فيها.

﴿ وَلَنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾: عطف على مضمر، تقديره: ليتصرف فيها بالعدل. ولنعلمه، أي كان القصد في إنجائه وتمكنه إلى أن يقيم العدل، ويدبر أمور الناس، ويعلم معاني كتب الله وأحكامه، فينفذها. أو: تعبير المنامات المنبئة عن الحوادث الكائنة، ليستعد لها، ويشغل بتدبيرها قبل أن تحل.

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾: لا يردّه شيء، ولا ينازعه فيما يشاء. أو: على أمر يوسف. أراد به إخوة يوسف شيئاً، وأراد الله غيره. فلم يكن إلا ما أَرَادَهُ.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١): أَنَّ الامر كله بيده. أو: لطائف صنعه، وخفايا لطفه.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: منتهى اشتداده في جسمه وقوته. وهو سنّ الوقوف ما بين الثلاثين والأربعين.

وقيل^(٢): سنّ الشباب. ومبدؤه بلوغ الحلم.

﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾: حكمة. وهو العلم المؤيد بالعمل. أو: حكماً بين الناس.

﴿وَعِلْمًا﴾: يعني على تأويل الأحاديث.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣): تنبيه على أنه تعالى إنما آتاه ذلك جزاءً على إحسانه في عمله، واتقائه^(٤) في عفوان أمره.

﴿وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾: طلبت وتمحلت أن يواقعها. من راد يرود: إذا جاء وذهب لطلب شيء. ومنه: الرائد.

﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾: قيل^(٥): كانت سبعة. والتشديد للتكثير، أو للمبالغة في الإيثاق.

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾: أي أقبل وبادر. تهيأت لك. والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كأمين، واللام للتبيين كالتي في: سقيا لك.

وقرأ^(٦) ابن كثير بالضم، تشبيهاً له بحيث. ونافع وأبو عامر بالفتح وكسر الهاء كحيط، وهو لغة فيه.

وقرأ^(٧) هشام كذلك إلا أنه يهمز. وقد روي عنه ضمّ التاء.

وقرئ^(٨): «هيت» كجير و«هت» كجنت، من هاء يهيء: إذا تهيأ. وعلى هذا فاللام من صلته.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: احصاه.

٤. أنوار التنزيل ١/٤٩٢.

٦. أنوار التنزيل ١/٤٩٢.

١. أنوار التنزيل ١/٤٩١.

٣. أنوار التنزيل ١/٤٩١.

٥. أنوار التنزيل ١/٤٩٢.

وفي مجمع البيان^(١): وروي عن علي عليه السلام: «هنت لك» بالهمزة وضم التاء.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾: أعوذ بالله معاذاً.

﴿إِنَّهُ﴾: أي الشأن

﴿رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾: سيدي «قطفير» أحسن تعهدي، إذ قال لك: «أكرمي مثواه».

فما جزأوه أن أخونه في أهله.

وقيل^(٢): الضمير لله، أي إنه خالقي، وأحسن منزلتي، بأن عطف على قلبه، فلا

أعصيه.

﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣): المجازون الحسن بالسيئ.

وقيل: الزناة. فإن الزنا ظلم على الزاني والمزني بأهله.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾: قيل^(٤): قصدت مخالطته، وقصد مخالطتها. والهم

بالشيء: قصده والعزم عليه. ومنه: الهمام، وهو الذي إذا هم بشيء أمضاه.

وقيل^(٥): المراد بهمه، ميل الطبع ومنازعة الشهوة، لا القصد الاختياري. وذلك مما

لا يدخل تحت التكليف. بل الحقيق بالمدح والأجر الجزيل من الله، من يكف عن

الفعل عند قيام هذا الهم، أو مشاركة الهم، كقولك: قتلته لو لم أخف الله.

﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾: قيل^(٦): أي في قبح الزنا وسوء مغيبته، لخالطها لشبق

الغلمة وكثرة المبالغة. والجواب محذوف، يدل عليه المذكور سابقاً عند من لم يجوز

تقديم الجزاء عليها. ومن جوزه، فلا حاجة إليه.

وقيل^(٧): رأى جبرئيل.

وقيل^(٨): تمثّل له يعقوب عاضاً على أنامله.

وقيل^(٩): قطفير.

وقيل^(١٠): نودي: يا يوسف، أنت مكتوب في الأنبياء، وتعمل عمل السفهاء؟!

وفي كتاب الاحتجاج^(١) للطبرسي عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام مجيباً لبعض الزنادقة - وقد قال: وأجده وقد شهر هفوات الأنبياء. يقول في يوسف: «ولقد هَمَّتْ به وهمٌ بها لولا أن رأى برهان ربه» -: وأما هفوات الأنبياء عليهم السلام وما بينه الله في كتابه [ووقوع الكناية عن أسماء من اجترم أعظم ممّا اجترمته الأنبياء، ممّن شهد الكتاب بظلمهم] ^(٢) فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَدَلِّ الدَّلَائِلِ عَلَى حِكْمَةِ اللَّهِ الْبَاهِرَةِ، وَقُدْرَتِهِ الْقَاهِرَةِ، وَعِزَّتِهِ الظَّاهِرَةِ. لَأَنَّهُ عِلْمٌ أَنَّ بَرَاهِينَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تَكْبَرُ فِي صُدُورِ أُمَمِهِمْ، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَتَّخِذُ بَعْضَهُمْ إِلَهًا، كَالَّذِي كَانَ مِنَ النَّصَارَى فِي ابْنِ مَرْيَمَ. فَذَكَرَهَا دَلَالَةً عَلَى تَخَلُّفِهِمْ ^(٣) عَنِ الْكَمَالِ الَّذِي انْفَرَدَ ^(٤) بِهِ ﷻ.

وفي مجمع البيان^(٥)، عن الصادق عليه السلام: «البرهان» النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش، والحكمة الصارفة عن القبائح ^(٦).

﴿كَذَلِكَ﴾: أي مثل ذلك التثبيت ثبته. أو الأمر مثل ذلك.

﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾: خيانة السيد.

﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾: الزنا.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٧) بإسناده إلى خلف بن حمّاد، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله ﷻ: «كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء» يعني: أن يدخل في الزنا.

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ^(٨): الذين أخلصهم الله لطاعته.

وقرأ^(٩) ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كلّ القرآن، أي الذين أخلصوا دينهم لله.

١. الاحتجاج ٣٤٩، ٣٤٥/١.

٢. من المصدر.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: تخليهم.

٤. المصدر: تفرّد.

٥. المجمع ٢٢٥/٣.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: القبيح.

٧. المعاني ١٧٢، ح ١.

٨. أنوار التنزيل ٤٩٢/١.

وفي عيون الأخبار^(١)، في باب مجلس الرضا عليه السلام عند المأمون، مع أهل الملل والمقالات، وما أجاب به علي بن الجهم في عصمة الأنبياء صلوات الله عليهم، حديث طويل. وفيه يقول عليه السلام: وأما قوله في يوسف عليه السلام: «ولقد هَمَّتْ به وهم بها» فإنها هَمَّتْ بالمعصية، وهم يوسف بقتلها إن أجبرته، لعظم ما تدخله. فصرف الله عنه قتلها والفاحشة. وهو قوله: «كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء» يعني: القتل والزنا.

وفي مجلس آخر^(٢) للرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء، بإسناده إلى علي بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام. فقال له المأمون: يا ابن رسول الله، أليس من قولك أن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى. قال: فما معنى قول الله ﷻ، إلى أن قال: فأخبرني عن قول الله تعالى: «ولقد هَمَّتْ به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه».

فقال الرضا عليه السلام: «لقد هَمَّتْ به» ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها كما هَمَّتْ به. لكنه كان معصوماً، والمعصوم لا يهَمُّ بذنب ولا يأتيه. ولقد حَدَّثَنِي أَبِي، عن الصادق عليه السلام أنه قال: هَمَّتْ بأن تفعل، وهم بأن لا يفعل. فقال المأمون: لله دَرَكٌ يا أبا الحسن.

وفي باب آخر^(٣)، فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة، قال: وبهذا الإسناد عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال في قول الله ﷻ: «لولا أن رأى برهان ربه» قال: قامت امرأة العزيز إلى الصنم، فألقت عليه ثوباً. فقال لها يوسف: ما هذا؟ فقالت: أستحيي من الصنم أن يرانا. فقال لها يوسف: أستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر [ولا يفقه]^(٤)، ولا يأكل ولا يشرب، ولا أستحي أنا ممن خلق الإنسان وعلمه؟! فذلك قوله تعالى: «لولا أن رأى برهان ربه».

٢. العيون ١/١٥٥-١٦٠، ح ١.

١. العيون ١/١٥٤، ح ١.

٤. من المصدر.

٣. العيون ٢/٤٤، ح ١٦٢.

وفي أمالي الصدوق^(١)، بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لعلقمة: إن رضا الناس لا يملك، وألستهم لا تضبط. وكيف تسلمون ممّا لم تسلم منه أنبياء الله ورسله وحجج الله عليه السلام؟! ألم ينسبوا يوسف عليه السلام إلى أنّه همّ بالزّنا؟! والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير العيّاشي^(٢): عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما همّت به وهمّها، قالت: كما أنت. قال: ولم؟ قالت: أعطيت وجه الصنم لا يرانا. فذكر الله عند ذلك، وقد علم أنّ الله يراه. ففرّ منها^(٣).

وأما ما رواه عن محمد بن قيس^(٤)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ يوسف لمّا حلّ سراويله، رأى مثال يعقوب [قائماً]^(٥) عاضاً على إصبعه، وهو يقول له: يا يوسف! قال: فهرب. ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: لكّني والله ما رأيت عورة أبي قطّ. ولا رأى أبي عورة جدّي قطّ. ولا رأى جدّي عورة أبيه قطّ. قال: وهو عاضّ على إصبعه، فوثب فخرج الماء من إبهام رجله. فموافق لمذهب العامة، ومحمول على التقيّة.

يدلّ عليه^(٦) ما رواه عن بعض أصحابنا^(٧)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أي شيء يقول الناس في قول الله تعالى: «لولا أن رأى برهان ربه»؟ قلت: يقولون: رأى يعقوب عاضاً على إصبعه. فقال: لا، ليس كما يقولون.

فقلت: فأيّ شيء رأى؟ قال: لما همّت به وهمّ بها، قامت إلى صنم معها في البيت، فألقت عليه ثوباً. فقال لها يوسف: ما صنعت؟ قالت^(٨): طرحت عليه ثوباً، أستحيي أن يرانا. قال: فقال يوسف: فأنت تستحين من صنمك وهو لا يسمع ولا يبصر، ولا أستحيي أنا من ربي؟!

٢. تفسير العيّاشي ١٧٣/٢، ح ١٧.

٤. نفس المصدر والموضع، ح ١٨.

٦. في النسخ: على.

٨. المصدر: قال.

١. أمالي الصدوق ٩١، ح ٣.

٣. المصدر: ففرّ منها هارباً.

٥. من المصدر.

٧. تفسير العيّاشي ١٧٤/٢، ح ١٩.

إسحاق بن يسار^(١)، عن أبي عبد الله عليه السلام: إن الله بعث إلى يوسف - وهو في السجن -: يا ابن يعقوب، ما أسكنك مع الخطّائين؟ قال: جرمي^(٢). فاعترف^(٣) بمجلسه منها مجلس الرجل من أهله.

واعلم أن العامة - خذلهم الله - نسبوا إلى يوسف عليه السلام في هذا المقام أموراً، [ورواها بها رواياتاً مختلفة لا يليق للمؤمن نقلها، فكيف باعتقادها!] ^(٤).

ولنعم ما قيل ^(٥): إن الذين لهم تعلّق بهذه الواقعة هم: يوسف عليه السلام والمرأة، وزوجها، والنسوة، والشهود، ورب العالمين، وإبليس. وكلّهم قالوا ببراءة يوسف عن الذنب. فلم يبق لمسلم توقّف في هذا الباب:

أما يوسف؛ فلقوله^(٦): «هي راودتني عن نفسي». وقوله^(٧): «رب السجن أحب إليّ ممّا يدعونني إليه».

وأما المرأة؛ فلقولها^(٨): «ولقد راودته عن نفسه فاستعصم». وقالت^(٩): «الآن حصحص الحقّ أنا راودته عن نفسه».

وأما زوجها؛ فلقوله^(١٠): «إنّه من كيدكّن إن كيدكّن عظيم».

وأما النسوة؛ فلقولهنّ^(١١): «امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبّاً إنّنا لנראה في ضلال مبين». وقولهنّ^(١٢): «حاش الله ما علمنا عليه من سوء».

١. تفسير العيّاشي ١٩٨/٢، ح ٨٧. كذا فيه. وفي النسخ: إسحاق بن بشار.

٢. المصدر: زيادة «قال: فاعترف بجرمه فاخرج».

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: فأعرف.

٤. كذا في تفسير الصافي ١٤/٣، وهامش نور الثقلين ٤٢٠/٢، نقلاً عنه. وفي النسخ: «نشير إلى أكثرها سابقاً»

٥. تفسير الصافي ١٤/٣. بدل ما بين المعقوفتين.

٦. يوسف/٢٦. ٧. يوسف/٣٣.

٨. يوسف/٣٢. ٩. يوسف/٥١.

١٠. يوسف/٢٨. ١١. يوسف/٣٠.

١٢. يوسف/٥١.

وأما الشهود؛ فقوله ^(١) تعالى: «شهد شاهد من أهلها» الآية.

وأما شهادة الله بذلك؛ فقوله عز من قائل: «كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين».

وأما إقرار إبليس بذلك ^(٢) إبليس بذلك ^(٣) فقوله ^(٤): «لأغوينهم إلاً عبادك منهم المخلصين». فقد أقر إبليس بأنه لم يغوه.

وعند هذا، نقول لهؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام الفضيحة: إن كانوا من أتباع دين الله، فليقبلوا شهادة الله بطهارته. وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده، فليقبلوا إقرار إبليس بطهارته.

﴿وَأَسْبَقَ النَّبَأَ﴾: أي تسابقاً إلى الباب.

وحذف الجار، أو ضمن الفعل معنى الابتدار. وذلك أن يوسف عليه السلام فرّ عنها ليخرج. وأسرعت وراءه، لتمنعه الخروج.

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾: اجتذبت من ورائه، فقد قميصه.

والقد: الشق طولاً. والقط: الشق عرضاً.

﴿وَالْفَتَا سَيِّدَهَا﴾: وصادفا زوجها

﴿لَدَى النَّبَأِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءَ إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ^(٥):

بادرت إلى هذا القول، إيهاماً بأنها فرّت منه، تبرئة لساحتها عند زوجها، وتغييره على يوسف وإغراء به انتقاماً منه.

و«ما» نافية. أو استفهامية، بمعنى: أي شيء جزاؤه إلا السجن؟!

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي﴾: طالبتني بالمؤاتاة.

وإنما قال ذلك دفعاً لما عرضته له من السجن أو العذاب الأليم، ولو لم تكذب لما قاله.

١. يوسف/٢٦.

٢. ليس في أ، ب.

٣. ليس في أ، ب، ر.

٤. الحجر/٣٩-٤٠؛ وص/٨٢-٨٣.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾: قيل ^(١): ابن عمها.

وقيل ^(٢): ابن خالها صبيّاً في المهد.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم ^(٣): حدّثني أبي، عن بعض رجاله، رفعه قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ألهم الله ﷻ يوسف أن قال للملك: سل هذا الصبيّ في المهد، فإنّه سيّشهد أنّها راودتني عن نفسي. فقال العزيز للصبيّ. فأنطق الله الصبيّ في المهد ليوسف، فقال:

﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ^(٤): لأنّه يدلّ على أنّها قدّت قميصه من قدّامه بالدفع عن نفسها، أو أنّه أسرع خلفها، فتعثر بذيله، فأنقذ جيبه.

﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ^(٥): لأنّه يدلّ على أنّها تبعته، فاجتذبت ثوبه فقدّته.

والشرطيّة محكمة على إرادة القول، أو على أنّ فعل الشهادة من القول ونحوه. ونظيره قولك: إن أحسنت إليّ، فقد أحسنت إليك. فإنّ معناه: إن تمنن عليّ بإحسانك، أمتن عليك بإحساني السابق.

وقرئ ^(٦): «من قبل» و«من دبر» بالضمّ لأنّهما قطعاً عن الإضافة، كقبّل وبُعِد بالفتح، كأنّهما جعلاً علمين للجهتين، فمنعاً من الصرف، وبسكون العين.

وفي كتاب الخصال ^(٧)، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان في قميص يوسف ثلاث آيات في قوله تعالى: «وجاؤوا على قميصه بدم كذب» وقوله تعالى: «إن كان قميصه قد من قبل» الآية. وقوله تعالى: «اذهبا بقميصي هذا» الآية.

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدٌّ مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ﴾: إنّ قولك: «ما جزء من أراد بأهلك سوء». أو إن السوء. أو إنّ هذا الأمر

﴿مِّنْ كَيْدِكُنَّ﴾: من حيلتكن.

والخطاب لها ولأمثالها، أو لسانر النساء.

﴿إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ﴾ (٣٨): فإن كيد النساء أطف وأعلق بالقلب، وأشد تأثيراً في

النفس. ولأنهن يواجهن به الرجال، والشيطان يوسوس به مسارقة.

﴿يُوسِفُ﴾: حذف منه حرف النداء، لقربه ومفاطنته للحديث.

﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾: اكتمه ولا تذكره.

﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾: يا زليخا.

﴿إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ (٣٩): من القوم المذنبين. من خطي: إذا أذنب.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾: هو اسم لجمع امرأة. وتأنيته بهذا الاعتبار غير حقيقي. ولذلك جرد

فعله. وضمّ النون لغة فيها.

﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾: ظرف لـ «قال». أي أشعن الحكاية في مصر. أو صفة نسوة.

قيل (١): وكنّ خمساً: زوجة الحاجب، والساقى، والخباز، والسجّان، وصاحب

الدواب.

﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾: تطلب واقعة غلامها إياها.

والعزيز بلسان العرب: الملك. وأصل فتا: فتى، لقولهم: فتيان. والفتوة شاذة.

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾: قد شقّ شغاف قلبها وهو حجابها حتى وصل إلى فؤادها حباً.

ونصبه على التمييز، لصرف الفعل عنه.

وقرى (٢): «شغفها». من شغف البعير: إذا هنأه بالقطران، فأحرقه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم (٣): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) في

قوله: «قد شغفها حباً» يقول: قد حجبها حبّه عن الناس، فلا تعقل غيره. والحجاب هو

الشغاف، والشغاف هو حجاب للقلب.

وفي مجمع البيان (٤) والجوامع (٥)، نسب القراءة بالعين المهملة إلى أهل البيت (عليهم السلام).

﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٥): في ضلال عن الرشد، وبعد عن الصواب.
وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): وشاع الخبر بمصر، وجعلت^(٢) النساء يتحدثن
بحديثها، ويعذلنها^(٣) ويذكرنها.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾: [باغتيابهن].
وإنما سمّاهن مكرًا لأنهن أخفينه، كما يخفي الماكر مكره. أو قلن ذلك لتريهن
يوسف. أو لأنّها استكتمتهن سرّها، فأفشين عليها^(٤).

﴿أَرْسَلْتُ إِلَيْهِنَّ﴾: تدعوهن.
قيل^(٥): دعت أربعين امرأة فيهنّ الخمس.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): فبعثت إلى كلّ امرأة رئيسة، فجمعن في منزلها.
وهيأت لهنّ مجلساً، ودفعت إلى كلّ امرأة أترجة^(٧) وسكّيناً، فقالت اقطن. ثمّ قالت
ليوسف: اخرج عليهنّ. وكان في بيت، فخرج يوسف عليهنّ، فلما أن^(٨) نظرن إليه،
أقبلن يقطعن أيديهنّ، وقلن كما حكى الله ﷻ.

﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا﴾: قيل^(٩): ما يتكنن عليه من الوسائد.
وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١٠): «متكاً» أي أترجة.

كأنّه قرأه بإسكان التاء وحذف الهمزة. أو طعاماً ومجلس طعام، كما يأتي عن
السجّاد رضي الله عنه. فإنهم كانوا يتكثرون للطعام والشراب تترفاً. فنهى عنه لذلك.

﴿وَأَتَتْ﴾: أعطت.

﴿كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً﴾: حتّى يتكنن والسكاكين بأيديهنّ. فإذا خرج عليهنّ

١. تفسير القمي ٣٤٣/١.

٢. ليس في أ، ب.

٣. تفسير القمي ٣٤٣/١.

٤. الأترج: شجر يملو، ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكبار، وهو ذهبي اللون، ذكي

٥. الراححة، حامض الماء.

٦. ليس في المصدر.

٧. المصدر: يعثرنها.

٨. أنوار التنزيل ٤٩٣/١.

٩. تفسير القمي ٣٤٣/١.

١٠. أنوار التنزيل ٤٩٣/١.

يبهتن ويشغلن عن أنفسهن، فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها، فيبكتن بالحجة. أو يهاب يوسف من مكرها، إذا خرج على أربعين امرأة في أيديهن الخناجر.

﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ﴾: عظمته، وهبن حسنه الفائق.

وقيل ^(١): كان يرى ^(٢) تلاًو ووجهه على الجدران.

وقيل ^(٣): «أكبرن» بمعنى: حضن. من أكبرت المرأة: إذا حاضت. والهاء ضمير للمصدر، أو ليوسف، على حذف اللام. أي حضن له من شدة الشبق.

وفي مجمع البيان ^(٤)، عن النبي ﷺ: رأيت في السماء الثانية رجلاً صورته صورة القمر ليلة البدر. فقلت لجبرئيل: من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف. يعني حين أسري به.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٥)، عن الصادق عليه السلام ما يقرب منه.

﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة.

﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾: تنزيهاً له من صفات العجز، وتعجباً من قدرته على خلق مثله.

وأصله: حاشا. كما قرأ أبو عمرو ^(٦) في الدرج. فحذفت ألفه الأخيرة تخفيفاً. وهو

حرف يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء. فوضع موضع التنزيه. واللام للبيان كما في قولك: سقيا لك.

وقرئ ^(٧): «حاش الله» بغير لام، بمعنى: براءة الله. و«حاشاً لله» بالتنوين على تنزيله

منزلة المصدر.

وقيل ^(٨): «حاشا» فاعل من الحشا الذي هو الناحية. وفاعله ضمير يوسف. أي صار

في ناحية لله ممّا يتوهم فيه.

٢. ليس في أ، ب.

٤. المجمع ٢٣١/٣.

١. أنوار التنزيل ٤٩٤/١.

٣. نفس المصدر والموضع.

٥. تفسير القمي ٨/٢ إلا أن فيه: «في السماء الثالثة».

٦-٨. أنوار التنزيل ٤٩٤/١.

﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ۖ لَأنَّ هَذَا الجمال غير معهود للبشر. وهي على لغة أهل الحجاز في أعمال «ما» عمل «ليس» لمشاركتها في نفي الحال.

وقرئ^(١): «بشر» بالرفع، على لغة تميم. و«بشرى» أي بعبد مشترى لثيم.
﴿ إن هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾^(٢): فإن الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة، من خواص الملائكة. أو لأن جماله فوق جمال البشر، لا يفوقه فيه إلا الملك.
وفي تفسير العياشي^(٣): عن محمد بن مروان، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن يوسف خطب امرأة جميلة كانت في زمانه. فردت، وقالت: عبد الملك إياي تطلب؟! قال: فطلبها إلى أبيها. فقال له أبوها: إن الأمر أمرها.

قال: فطلبها إلى ربه وبكى. فأوحى الله إليه: إني قد زوجتكها. ثم أرسل إليها أني أريد أن أزورك. فأرسلت إليه أن تعال^(٤). فلما دخل عليها، أضاء البيت لنوره. فقالت: «ما هذا إلا ملك كريم». فاستسقى. فقامت إلى الطاس لتسقيه. فجعل يتناول [الطاس]^(٥) من يدها، فتناوله فاهها. فجعل يقول لها: انتظري، ولا تعجلي. قال: فتزوجها.

﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِّي فِيهِ ۖ أَيُّهُوَ ذلك العبد الكنعاني الذي لمتني في الافتنان به قبل أن تتصورنه حقَّ تصوّره. فلو تصوّرتنه بما عاينتَن، لعذرتني. أو فهذا هو الذي لمتني فيه. فوضع «ذلك» موضع «هذا» رفعا لمنزلة المشار إليه.

﴿ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ فَأَمْرَتْ لَهْنَ حين عرفت أَنَّهُنَّ يعذرنها كي يعاونها على إلانة عريكته.

﴿ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمُرُهُ ۖ أَيُّ ما أمر به. فحذف الجار. أو أمرى إياه، بمعنى^(٥) موجب أمرى. فيكون الضمير ليوسف.

٢. تفسير العياشي ١٧٥/٢، ح ٢٠.

١. أنوار التنزيل ٤٩٤/١.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: تعالى.

٤. من المصدر.

٥. ليس في ب.

﴿لَيْسَ جَنَّةً وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (٣): الأذلاء.

وهو من: صغر - بالكسر - يصغر، صغراً وصغاراً. والتصغير من: صغر - بالضم - صغراً.

وقرئ^(١): «ليكونن». وهو يخالف خط المصحف؛ لأن النون كتبت فيه بالألف كـ «لنفسعاً» على حكم الوقف. وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين.

﴿قَالَ رَبِّ السُّجُنْ﴾: وقرأ^(٢) يعقوب بالفتح، على المصدر.

﴿أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾: أي أثر عندي من موافقتها زناً، نظراً إلى العاقبة.

وإسناد الدعوة إليهن جميعاً؛ لأنهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها، أو دعونه إلى أنفسهن.

وقيل^(٣): إنما ابتلي بالسجن لقوله هذا. وإنما كان الأولى به أن يسأل الله العافية.

ولذلك رد رسول الله ﷺ على من كان يسأل الصبر على البلاء.

وفي كتاب علل الشرائع^(٤)، بإسناده إلى ابن مسعود قال: احتجوا في مسجد الكوفة فقالوا: ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم ينازع الثلاثة، كما نازع طلحة والزبير وعائشة ومعاوية؟! فبلغ علياً عليه السلام فأمر أن ينادى بالصلاة جامعة. فلما اجتمعوا صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: يا معشر الناس، أنه قد بلغني عنكم كذا وكذا.

قالوا: صدق أمير المؤمنين عليه السلام قد قلنا ذلك!

قال: فإن لي بسنة الأنبياء أسوة فيما فعلت. قال الله تعالى في محكم كتابه^(٥): «لقد

كان لكم في رسول الله أسوة حسنة». قالوا: ومن هم يا أمير المؤمنين؟

قال: أولهم إبراهيم عليه السلام - إلى أن قال: - ولي يوسف أسوة إذ قال: «رب السجن أحب

إلي مما يدعونني إليه». فإن قلت: إن يوسف دعا ربه وسأله السجن ليسخط^(٦) ربه، فقد

كفرتم. وإن قلت: أنه أراد بذلك لئلا يسخط ربه عليه، فاختر السجن، فالوصي أعذر.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ هَلَالٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرضا عليه السلام: قَالَ السَّجَّانُ لِيُوسُفَ: إِنِّي لِأُحِبَّكَ. فَقَالَ يُونُسُ عليه السلام: مَا أَصَابَنِي إِلَّا مِنَ الْحَبِّ. إِنْ كَانَتْ خَالَتِي^(٢) أُحِبَّتَنِي، فَسَرَقْتَنِي. وَإِنْ كَانَ أَبِي أُحِبَّنِي، فَحَسَدُونِي إِخْوَتِي. وَإِنْ كَانَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ أُحِبَّتَنِي، فَحَبَسْتَنِي.

قال: وشكى [يوسف] ^(٣) في السجن إلى الله، فقال: يَا رَبِّ، بِمَا^(٤) اسْتَحَقَّقْتُ السجن؟ فأوحى الله إليه: أَنْتَ اخْتَرْتَهُ حِينَ قُلْتَ: «رَبِّ السَّجْنِ أُحِبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ». هَلَّا قُلْتَ: الْعَافِيَةُ أُحِبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ؟!

وفيه^(٥): فَمَا أَمَسَى يُونُسُ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ، حَتَّى بَعَثَ إِلَيْهِ كُلَّ امْرَأَةٍ رَأَتْهُ تَدْعُوهُ إِلَى نَفْسِهَا. فَضَجَرَ يُونُسُ عليه السلام [فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ] ^(٦) فَقَالَ: «رَبِّ السَّجْنِ أُحِبُّ» الْآيَةَ. ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي﴾: وَإِنْ لَمْ تَصْرِفْ عَنِّي.

﴿كَيِّدَهُنَّ﴾: فِي تَحْبِيبِ ذَلِكَ إِلَيَّ وَتَحْسِينِهِ عِنْدِي، بِالتَّثْبِيتِ عَلَى الْعَصْمَةِ.

﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾: أَمَلٌ إِلَى إِجَابَتِهِنَّ، أَوْ إِلَى أَنْفُسِهِنَّ بِطَبْعِي وَمَقْتَضَى شَهْوَتِي.

وَالصَّبُوةُ: الْمِيلُ إِلَى الْهَوَى. وَمِنْهُ: الصَّبَا؛ لِأَنَّ النُّفُوسَ تَسْتَطِيبُهَا، وَتَمِيلُ إِلَيْهَا.

وَقُرئ ^(٧): «أَصْبُ». مِنَ الصَّبَابَةِ، وَهِيَ: الشُّوقُ.

﴿وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ^(٨): مِنَ السُّفَهَاءِ بَارْتِكَابِ مَا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْحَكِيمَ

لَا يَفْعَلُ الْقَبِيحَ. أَوْ مِنَ الَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ بِمَا يَعْلَمُونَ، فَإِنَّهُمْ وَالْجُهَالِ سَوَاءٌ.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾: فَأَجَابَهُ اللَّهُ دَعَاءَهُ الَّذِي تَضَمَّنَهُ قَوْلُهُ: «وَالَا تَصْرِفْ».

﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾: فَثَبَّتَهُ بِالْعَصْمَةِ، حَتَّى وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى مَشَقَّةِ السَّجْنِ،

وَأَثَرَهَا عَلَى اللَّذَّةِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِلْعَصِيَانِ^(٩).

١. تفسير القمي ١/٣٥٤.

٢. بعض نسخ المصدر: عَمَّتِي.

٣. من المصدر.

٤. المصدر: بِمَاذَا.

٥. تفسير القمي ١/٣٤٣.

٦. ليس في المصدر.

٧. أنوار التنزيل ١/٤٩٥.

٨. ب: لِلْمَعْصِيَةِ.

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: لدعاء الملتجئين إليه .

﴿الْعَلِيمُ﴾ (٣٦): بأحوالهم وما يصلحهم .

وفي علل الشرائع^(١)، عن السَّجَّاد عليه السلام: وكان يوسف من أجمل أهل زمانه . فلما راهق يوسف ، راودته امرأة الملك عن نفسه ، فقال لها: معاذ الله أنا من أهل بيت لا يزنون . فغلقت الأبواب عليها وعليه ، [وقالت : لا تخف . وألقت نفسها عليه]^(٢) . فأفلت منها هارباً إلى الباب ، ففتحه ، فلاحقته ، فجذبت قميصه من خلفه ، فأخرجته منه . فأفلت يوسف منها في ثيابه . «وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم» .

قال : فهمَ الملك بيوسف ليعذِّبه . فقال له يوسف : وإله يعقوب ، ما أردت بأهلك سوءاً ، بل هي راودتني عن نفسي . فاسأل هذا الصبي أين راود صاحبه عن نفسه ؟ قال : وكان عندها من أهلها صبي^(٣) زائر لها . فأنطق الله الصبي لفصل القضاء ، فقال : أيها الملك انظر إلى قميص يوسف ، فإن كان مقدوداً من قدامه ، فهو الذي راودها . وإن كان مقدوداً من خلفه ، فهي التي راودته . فلما سمع الملك كلام الصبي وما اقتضَ ، أفرعه ذلك فزعاً شديداً . فجيء بالقميص ، فنظر إليه . فلما رآه مقدوداً من خلفه ، قال لها : «إنَّه من كيدك إن كيدك عظيم» . وقال : «يوسف أعرض عن هذا» ولا يسمعه أحد منك واكتمه .

[قال :^(٤) فلم يكتمه يوسف وأذاعه في المدينة ، حتَّى قلن نسوة منهن : «امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه» . فبلغها ذلك ، فأرسلت إليهن ، وهيات لهن طعماً ومجلساً . ثم أتتهن بآترج ، وآتت كل واحدة منهن سكّيناً . ثم قالت ليوسف : «اخرج عليهن فلما رأيته أكبرنه وقطعن أيديهن» وقلن ما قلن . فقالت لهن : هذا الذي لمتنني

٢ . من المصدر .

١ . العلل ٤٨/١ - ٤٩ .

٣ . كذا في المصدر . وفي النسخ : «صبي من أهلها» بدل «من أهلها صبي» .

٤ . من المصدر .

فيه . يعني في حبّه . وخرجت ^(١) النسوة من عندها .

فأرسلت كلّ واحدة منهنّ إلى يوسف سرّاً من صاحبته ^(٢) تسأله الزيارة . فأبى عليهنّ وقال : «والّا تصرف عني كيدهنّ أصب إليهنّ وأكن من الجاهلين» . فصرف الله عنه كيدهنّ .

﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ : ثمّ ظهر للعزیز وأهله ، من بعد ما رأوا الشواهد الدالّة على براءة يوسف ، كشهادة الصبي ، وقدّ القميص ، وقطع النساء أيديهنّ ، واستعصامه عنهنّ .

وفاعل «بدأ» مضمّر يفسّره .

﴿لَيَسْجُتُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ^(٣) : وذلك أنّها خدعت زوجها ، وحملته على سجنه زماناً ، حتّى تبصر ما يكون منه ، أو يحسب الناس أنّه المجرم . فلبث في السجن سبع سنين . وقرئ ^(٤) بالتاء ، على أنّ بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم ، أو العزيز ومن يليه . و«عنى» بلغة هذيل .

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم ^(٥) : وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام : والآيات شهادة الصبي ، والقميص المخرق من دبر ، واستباقهما الباب حتّى سمع ^(٦) مجاذبتها إيّاه على الباب . فلما عصاها ، لم تزل ملحّة ^(٧) بزوجها ، حتّى حبسه .

وفي عيون الأخبار ^(٨) ، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من خبر الشاميّ وما سأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة ، حديث طويل . وفيه : فقال : يا أمير المؤمنين ، أخبرني عن يوم الأربعاء والتطير ^(٩) منه وثقله ، وأيّ أربعا هو ؟

فقال عليه السلام : آخر أربعا في الشهر ، وهو المحاق . وفيه قتل قابيل هابيل أخاه - إلى أن

١ . كما هو الصحيح . وفي النسخ : خرجن . ٢ . كذا في المصدر . وفي النسخ : صوابها .

٣ . أنوار التنزيل ٤٩٥/١ . ٤ . تفسير القمي ٣٤٤/١ .

٥ . كذا في المصدر . وفي النسخ : رأى . ٦ . كذا في المصدر . وفي النسخ : مولعة .

٧ . المصدر : وتطيرنا . ٨ . العيون ١٩٣/١ - ١٩٤ ، ح ١ .

قال :- ويوم الأربعاء أدخل يوسف عليه السلام في ^(١) السجن .

وفي كتاب الخصال ^(٢)، عن محمد بن سهل البحراني يرفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال :
البكّاءون خمسة - إلى أن قال :- وأما يوسف ، فبكى على يعقوب حتّى تأذّى به أهل
السجن فقالوا له : إمّا أن تبكي الليل وتسكت النهار ، وإمّا أن تبكي النهار وتسكت
الليل . فصالحهم على واحد منهما .

وفي تفسير العياشي ^(٣) : عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما بكى أحد
بكاء ثلاثة - إلى قوله :- وأما يوسف ، فإنّه كان يبكي على أبيه يعقوب وهو في السجن ،
فتأذّى به أهل السجن فصالحهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً .

وفي أصول الكافي ^(٤) : عليّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن حماد بن عثمان ، عن
سيف بن عميرة قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : جاء جبرئيل عليه السلام إلى يوسف وهو
في السجن ، فقال : يا يوسف ، قل في دبر كلّ صلاة : «اللهم اجعل لي فرجاً ومخرجاً
وارزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب» .

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ : أي أدخل مع يوسف عبدان آخران من عبيد الملك .

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم ^(٥) : عبدان للملك ، أحدهما خبّاز ^(٦) ، والآخر صاحب
الشراب .

﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ : يعني صاحب الشراب :

﴿إِنِّي أَرَانِي﴾ : أي أرى في المنام ، وهي حكاية حالٍ ماضية .

﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ : أي عنباً . سمّاه بما يؤول إليه .

﴿وَقَالَ الْآخَرُ﴾ : أي الخبّاز ^(٧) .

٢ . الخصال ٢٧٢/١ ، ح ١٥ .

٤ . الكافي ٥٤٩/٢ ، ح ٧ .

٦ . الكافي ٥٤٩/٢ ، ح ٧ .

١ . ليس في المصدر .

٣ . تفسير العياشي ١٧٧/٢ - ١٧٨ ، ح ٢٨ .

٥ . تفسير القمي ٣٤٤/١ .

٧ . كذا في المصدر . وفي النسخ : خبازه .

﴿إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾: تنهش منه.

وفي تفسير العياشي^(١): عن طربال، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما أمر الملك بحبس يوسف في السجن، ألهمه الله علم تأويل الرؤيا، فكان يعبر لأهل السجن رؤياهم. وإن فتبين أذخلا معه في^(٢) السجن يوم حبسه. فلما باتا، أصبحا فقالا له: إنا رأينا رؤيا، فعبرها لنا. فقال: وما رأيتما؟ فقال أحدهما: «إني أراي أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه». وقال الآخر: «إني»^(٣) رأيت [أن]^(٤) أسقي الملك خمراً. ففسر^(٥) لهما رؤياهما على ما في الكتاب. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

ابن أبي يعفور^(٦)، عن أبي عبدالله عليه السلام: «قال الآخر إني أراي أحمل فوق رأسي خبزاً». قال: أحمل فوق رأسي جفنة^(٧) فيها خبز تأكل الطير منها.

﴿بَيْنَمَا يَتَأَوَّلُهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٨): إلى أهل السجن، فأحسن إلينا بتأويل ما رأينا إن كنت تعرفه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٩): قال أبو عبدالله عليه السلام في قوله: «إنا نراك من المحسنين» قال: كان يقوم على المريض، ويلتمس للمحتاج، ويوسع على المحبوس. وفي أصول الكافي^(١٠): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: «إنا نراك من المحسنين» قال: كان يوسع المحبس، ويستقرض للمحتاج، ويعين الضعيف.

وفي مجمع البيان^(١١) وقيل: «من المحسنين» أي ممن يحسن تأويل الرؤيا. قال: وهذا دليل على أن أمر الرؤيا صحيح، وأنها لم تنزل في الأمم السابقة، وفي

١. تفسير العياشي ١٧٦/٢، ح ٢٣.

٣ و ٤. من المصدر.

٦. تفسير العياشي ١٧٧/٢، ح ٢٥.

٨. تفسير القمي ٣٤٤/١.

١٠. المجمع ٢٣٣/٣.

٢. ليس في المصدر.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: فعبر.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: جعبة.

٩. الكافي ٦٣٧/٢، ح ٣.

الحديث أَنَّ الرُّؤْيَا جزءٌ من سِتَّةٍ وأربعين جزءاً من النبوة. وتأويله أَنَّ الأنبياء يخبرون بما سيكون، والرُّؤْيَا تدلُّ على ما سيكون. فيكون معنى الآية: إِنَّا نَعْلَمُكَ وَنَظْنُكَ مِمَّنْ يَعْرِفُ [تعبير] ^(١)الرُّؤْيَا. ومن ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَحْسَنُهُ. ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمْ طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا تَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾: أي بتأويل ما قصصتما عليّ. أو بتأويل الطعام وكيفيته. فإنه يشبه تفسير المشكل.

كأنه أراد أن يدعوهما إلى التوحيد، ويرشدهما الطريق القويم، قبل أن يسعف ما سألًا منه كما هو طريقة الأنبياء والأوصياء في الهداية والإرشاد. فقدّم ما يكون معجزة له من الإخبار بالغيب، ليدلّهما على صدقه في الدعوة والتعبير. ﴿ذَلِكُمَا﴾: أي ذلك التأويل.

﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾: بالإلهام والوحي، وليس من قبيل التكهّن والتنجيم. ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ ^(٢): تعليل لما قبله، أي علّمني ذلك لأنّي تركت مِلَّةَ أولئك.

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾: أو كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة وإظهار أنّه من بيت النبوة، ليقوّي رغبتهما في الاستماع إليه، والوثوق عليه. ولذلك جَوّز للخالمل ^(٣)أن يصف نفسه، حتّى يعرف فيقتبس منه.

وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيدهم كفرهم بالآخرة.

وفي أمالي شيخ الطائفة ^(٤)عليه السلام بإسناده إلى الحسن بن علي عليه السلام حديث طويل، وفيه يقول عليه السلام: من لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد النبي صلى الله عليه وآله. ثم تلا هذه، فقال يوسف: «وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ» إلى قوله: «يعقوب».

﴿مَا كَانَ لَنَا﴾: ما صحّ لنا معشر الأنبياء.

﴿أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: أي شيء كان.

﴿ ذَلِكْ ۖ : أَيِ التَّوْحِيدِ .

﴿ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا ۖ : بِالْوَحْيِ .

﴿ وَعَلَى النَّاسِ ۖ : وَعَلَى سَائِرِ النَّاسِ ، بِنِعْمَتِنَا لِإِرْشَادِهِمْ وَتَثْبِيتِهِمْ عَلَيْهِ .

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ ۖ : الْمَبْعُوثُ ^(١) إِلَيْهِمْ .

﴿ لَا يَشْكُرُونَ ۖ ﴾ (٢٨) : هَذَا الْفَضْلُ ، فَيَعْرِضُونَ عَنْهُ وَلَا يَتَنَبَّهُونَ . أَوْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا

وَعَلَيْهِمْ بِنَصَبِ الدَّلَائِلِ وَإِنْزَالِ الْآيَاتِ ، وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا ، وَلَا يَسْتَدَلُّونَ بِهَا فَيَلْغُونَهَا ، كَمَنْ يَكْفُرُ النِّعْمَةَ وَلَا يَشْكُرُهَا .

﴿ يَا صَاحِبِي السَّجْنِ ۖ : أَيِ يَا سَاكِنِيهِ . أَوْ يَا صَاحِبِي فِيهِ . فَأُضَافُهُمَا إِلَيْهِ عَلَى الْإِتْسَاعِ ،

كَقَوْلِهِ :

يَا سَارِقَ اللَّيْلَةِ أَهْلَ الدَّارِ

﴿ ءَأَرْيَاكَ مُفَرَّقُونَ خَيْرٌ ۖ : أَيِ شَيْءٍ مُتَعَدِّدَةٍ مُتَسَاوِيَةِ الْأَقْدَامِ .

﴿ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ ۖ : الْمَتَوَحَّدُ فِي الْأَلُوْهِيَّةِ .

﴿ الْقَهَّارُ ۖ ﴾ (٢٩) : الْغَالِبُ الَّذِي لَا يَعَادِلُهُ وَلَا يَقَاوِمُهُ غَيْرُهُ .

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ ۖ : خُطَابُ لِهَمَا وَلَمَنْ عَلَى دِينِهِمَا مِنْ أَهْلِ مِصْرَ .

﴿ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۖ : إِلَّا أَشْيَاءَ بِاعْتِبَارِ أَسْمَاءِ

أُطْلِقْتُمْ عَلَيْهَا ، مِنْ غَيْرِ حِجَّةٍ تَدُلُّ عَلَى تَحَقُّقِ مَسْمِيَّاتِهَا فِيهَا . فَكَأَنَّكُمْ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا الْأَسْمَاءَ الْمَجْرُودَةَ . وَالْمَعْنَى : أَنْكُمْ سَمَّيْتُمْ مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَى اسْتِحْقَاقِهَا الْأَلُوْهِيَّةَ عَقْلَ وَلَا نَقْلَ آلِهَةٍ ، ثُمَّ أَخَذْتُمْ تَعْبُدُونَهَا بِاعْتِبَارِ مَا تُطْلِقُونَ عَلَيْهَا .

﴿ إِنَّ الْحُكْمَ ۖ : فِي أَمْرِ الْعِبَادَةِ .

﴿ إِلَّا لِلَّهِ ۖ : لِأَنَّهُ الْمُسْتَحَقُّ لَهَا بِالذَّاتِ ؛ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ الْوَاجِبُ لذَاتِهِ الْمَوْجِدُ لِلْكَلِّ

وَالْمَالِكُ لِأَمْرِهِ .

﴿أَمَرَ﴾: على لسان نبيّه.

﴿الَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾: الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الْحُجُج.

﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾: الْحَقُّ، وَأَنْتُمْ لَا تَمَيِّزُونَ الْمَعْجُوزَ مِنَ الْقَوِيمِ.

وهذا من التدرج في الدعوة والزام الحجة. يبين لهم أولاً رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة، على طريق الخطابة. ثم برهن على أن ما يسمونها آلهة ويعبدونها، لا تستحق الإلهية. فإن استحقاق العبادة إما بالذات، وإما بالغير، وكلا القسمين منتف عنهما. ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره، ولا يرتضي العلم دونه.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١): فيخبطون في جهالانهم.

﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾: يعني صاحب الشراب.

﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾: كما كان يسقيه قبل، ويعود إلى ما كان عليه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): قال له يوسف: تخرج [من السجن]^(٢) وتصير على شراب الملك، وترتفع منزلتك عنده.

وفي مجمع البيان^(٣): «أما أحدكما فيسقي ربّه خمرًا» الآية. فروي أنّه قال: أمّا العناقيد الثلاثة^(٤)، فإنّها ثلاثة أيام تبقى في السجن. ثم يخرجك الملك اليوم الرابع، وتعود إلى ما كنت عليه.

﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾: يريد الخباز.

﴿فَيُضَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾: في تفسير علي بن إبراهيم^(٥): ولم يكن رأى ذلك

١. تفسير القمي ٣٤٤/١.

٢. ليس في المصدر.

٣. المجمع ٢٣٤/٣.

٤. ذكر الطبرسي^(١) قبل ذلك أنّ المعنى: قال أحدهما - وهو الساقى -: رأيت أصل حيلة عليها ثلاثة عناقيد من غنّب فجنيتهما وعصرتهما في كأس الملك، وسقيته إياها. ثم قال بعد كلام طويل ما نقله المؤلف^(٢) من قوله: «فروي أنّه قال: أمّا العناقيد».

٥. تفسير القمي ٣٤٤/١.

وكذب. فقال له يوسف: أنت يقتلك الملك، ويصلبك، وتأكّل الطير من دماغك.

فجحد الرجل فقال: إني لم أر ذلك. فقال يوسف:

﴿قُصِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾^(١١): أي قطع الأمر الذي تستفتيان فيه، وهو ما

يؤول إليه أمركما. ولذلك وحده، فإنهما وإن استفتيا في الأمرين، لكنهما أرادا استبانة غاية ما نزل بهما.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾: اذكر حالي عند الملك، كي

يخلصني.

﴿فَأَنسَأَ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾: قيل^(١٢): فأنسى صاحب الشراب أن يذكره لربه. فأضاف

إليه المصدر لملاسته له. أو أنسى يوسف ذكر الله، حتى استعان بغيره. ويؤيده

قوله ﷺ: رحم الله أخي يوسف، لو لم يقل: «اذكرني عند ربك» لما لبث في السجن

سبعاً بعد الخمس.

﴿فَلَبَّثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾^(١٣): البضع ما بين الثلاث إلى التسع. من البضع،

وهو: القطع.

وفي تفسير العياشي^(١٤)، عن الصادق ﷺ قال: سبع سنين.

وفيه^(١٥): وفي رواية علي بن إبراهيم، عن أبي عبد الله ﷺ قال: لمّا أمر الملك بحبس

يوسف - إلى قوله -: ثم «قال للذي ظنّ أنّه ناجٍ منهما اذكرني عند ربك». قال: ولم يفزع

يوسف في حاله إلى الله فيدعوه. فلذلك قال الله: «فأنساه» إلى قوله: «سنين». قال:

فأوحى الله إلى يوسف في ساعته^(١٦) تلك:

يا يوسف، من أراك الرؤيا التي رأيتها^(١٧)؟! فقال: أنت يا ربّي.

قال: فمن حبّبك إلى أبيك؟! قال: أنت يا ربّي.

١. أنوار التنزيل ١/٤٩٧.

٢. تفسير العياشي ١٧٨/٢، ح ٣٠.

٣. نفس المصدر ١٧٦/٢، ح ٢٣؛ إلّا أنّ الرواية عن طربال، عن أبي عبد الله ﷺ.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: ساعة. ٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: أريتها.

قال: فمن وجّه السيّارة إليك؟! قال: أنت يا ربّي.

قال: فمن علّمك الدعاء الَّذي دعوت^(١) به حتّى جعل لك من الجبّ فرجاً؟! قال: أنت يا ربّي.

قال: فمن جعل لك من كيد المرأة مخرجاً؟! قال: أنت يا ربّي.

قال: فمن أنطق لسان الصبيّ بعذرِكَ؟! قال: أنت يا ربّي.

قال: فمن صرف كيد امرأة العزيز والنسوة؟! قال: أنت يا ربّي.

قال: فمن ألهمك تأويل الرؤيا؟! قال: أنت يا ربّي^(٢).

قال: فكيف^(٣) استغثت بغيري، ولم تستغث بي؟! ولم^(٤) تسألني أن أخرجك من السجن، واستغثت وأملت عبداً من عبادي، ليذكرك إلى مخلوق من خلقي في قبضتي ولم تغزع إليّ، البث في السجن بذنبك بضع سنين بإرسالك عبداً إلى عبد.

عن يعقوب بن شعيب^(٥)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله ليوسف: ألسْتَ [الذي]^(٦) حبّبتك إلى أبيك، وفَضَّلْتَكَ على الناس بالحسن؟! أو لست الَّذي بعثت^(٧) إليك السيّارة وأنقذتكَ وأخرجتكَ من الجبّ؟! أو لست الَّذي صرفت عنك كيد النسوة؟! فما حملك على^(٨) أن ترفع رغبتك عني^(٩)، أو تدعو مخلوقاً دوني؟! فالبث لما قلت في السجن بضع سنين.

عن عبد الله بن عبد الرحمن^(١٠)، عمّن ذكره عنه قال: لما قال للفتى: «اذكرني عند ربّك» أتاه جبرئيل، فضربه برجله حتّى كشط له عن الأرض السابعة. قال له: يا يوسف، انظر ماذا ترى؟ فقال: أرى حجراً صغيراً. ففلق الحجر فقال: ماذا ترى؟ قال:

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: دعوته.

٢. يوجد في أ، ب.

٣. تفسير العيّاشي ١٧٧/٢، ح ٢٦.

٤. المصدر: سقت.

٥. ليس في أ، ب.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: يا ربنا.

٧. ليس في المصدر.

٨. من المصدر.

٩. ليس في أ، ب.

١٠. تفسير العيّاشي ١٧٧/٢، ح ٢٧.

أرى دودة صغيرة. قال: فمن رازقها؟ قال: ربِّي.

قال: فَإِنَّ رَبَّكَ يقول: لم أنس^(١) هذه الدودة في ذلك الحجر في قعر الأرض السابعة، أظننت أنني أنساك حتَّى تقول للفتى: «اذكرني عند ربِّك»؟! لتلبثن في السجن بمقالتك هذه بضع سنين.

قال: فبكى يوسف عند ذلك، حتَّى بكى لبكائه الحيطان. قال^(٢): فتأذى به أهل السجن. فصالحهم على أن يبكي يوماً، ويسكت يوماً. فكان في اليوم الذي يسكت أسوأ حالاً.

وفي مجمع البيان^(٣): وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: عجبت من أخى يوسف، كيف استغاث بالمخلوق دون الخالق!

وروي^(٤) أنه قال: لولا كلمته، ما لبث في السجن طول ما لبث.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): أخبرنا الحسن بن علي، عن أبيه، عن اسماعيل بن عمر، عن شعيب العقرقوفي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن يوسف أتاه جبرئيل عليه السلام فقال له: يا يوسف، إن رب العالمين يقرئك السلام ويقول لك: من جعلك [أحسن خلقه]؟! قال: فصاح ووضع خده على الأرض، ثم قال: أنت يا رب.

ثم قال له: ويقول لك: من حببك [٦] إلى أبيك دون إخوتك؟! قال: فصاح ووضع خده على الأرض، وقال: أنت يا رب.

قال: ويقول لك من أخرجك من الجب بعد أن طرحت فيها وأيقنت بالهلكة؟! قال: فصاح ووضع خده على الأرض، ثم قال: أنت يا رب.

قال: فَإِنَّ رَبَّكَ قد جعل لك عقوبة في استغاثتك بغيره، فالبث^(٧) في السجن بضع سنين.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: لم أنسى.

٢. ليس في أ، ب.

٣ و٤. المجمع ٢٣٥/٣.

٥. تفسير القمي ٣٤٤/١ - ٣٤٥.

٧. المصدر: فلبثت.

٦. ليس في أ، ب.

قال: فلما انقضت المدة، وأذن الله له في دعاء الفرج، وضع^(١) خذّه على الأرض. ثم قال: «اللهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك، فأني أتوجه إليك بوجه آبائي الصالحين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب». ففرج الله عنه.

قلت: جعلت فداك، أندعو نحن بهذا الدعاء؟ فقال: ادع بمثله: «اللهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك، فأني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة محمد ﷺ وعلي فاطمة والحسن والحسين والأئمة^(٢)».

وفيه^(٣): قال: ولما أمر الملك بحبس يوسف في السجن، ألهمه الله تأويل الرؤيا، [فكان]^(٤) يعبر لأهل السجن. فلما سألاه الفتان الرؤيا، وعبر لهما «وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك» ولم يفرغ في تلك الحالة إلى الله، فأوحى الله إليه: من أراك الرؤيا التي رأيتها؟! فقال يوسف: أنت يا رب.

قال: فمن حببك إلى أبيك؟! قال: أنت يا رب.

قال: فمن وجه إليك السيارة التي رأيتها؟! فقال: أنت يا رب.

قال: فمن علمك الدعاء الذي دعوت به حتى جعلت لك من الحب فرجاً؟! قال: أنت يا رب.

قال: فمن أنطق لسان الصبي بعذرِكَ؟! قال: أنت يا رب.

قال: فمن ألهمك تأويل الرؤيا؟! قال: أنت يا رب.

قال: فكيف استعنت بغيري، ولم تستعن بي؟! وأملت عبداً من عبيدي ليذكرك إلى مخلوق من خلقي وفي قبضتي، ولم تفرغ إلي! البت^(٥) في^(٦) السجن بضع سنين. فقال يوسف: أسألك بحق آبائي [وأجدادي]^(٧) عليك، إلا فرجت عني. فأوحى الله إليه: يا يوسف، وأي حق لأبائك وأجدادك علي؟!

٢. تفسير القمي ١/٣٥٣-٣٥٤.

٤. المصدر: وليبت.

٦. من المصدر.

١. المصدر: فوضع.

٣. من المصدر.

٥. ليس في المصدر.

إن كان أبوك آدم؛ خلقته بيدي، ونفخت فيه من روحي. وأسكنته جنتي، وأمرته أن لا يقرب شجرة منها. فعصاني. فسألني، فثبت عليه.
وإن كان أبوك نوح؛ انتجته من بين خلقي، وجعلته رسولاً إليهم. فلما عصوا، دعاني. فاستجبت له، وغرقتهم^(١). وأنجيتهم ومن معه في الفلك.
وإن كان أبوك إبراهيم؛ اتخذته خليلاً. وأنجيتهم من النار، وجعلتها عليه^(٢) برداً وسلاماً.

وإن كان أبوك يعقوب؛ وهبت له اثني عشر ولداً. فغيبت عنه واحداً. فما زال يبكى حتى ذهب بصره. وقعد إلى الطريق يشكوني إلى خلقي. فأني حق لأبائك [وأجدادك]^(٣) علي؟!

قال: فقال له^(٤) جبرئيل: قل يا يوسف: «أسألك بملك العظيم وإحسانك القديم». فقالها، فرأى الملك الرؤيا، وكان فرجه فيها.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾: في مجمع البيان^(٥): هو الوليد بن ريان، والعزيز وزيره فيما رواه الأكثرون.

﴿أَنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾: وسبع بقرات مهازيل. فابتلع المهازيل السمان.
﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُتَبَلَاتٍ خُضِرٍ﴾: قد انعقد حبها.

وفي مجمع البيان^(٦): [عن] جعفر بن محمد عليه السلام أنه قرأ: «وسبع سنابل».

وفي تفسير العياشي^(٧)، عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقرأ: «سبع سنابل خضر^(٨)».

﴿وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ﴾: وسبع أخرى يابسات قد أدركت. فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها.

١. المصدر: أغرقتهم.

٢. ليس في المصدر.

٣. من المصدر.

٤. ليس في المصدر.

٥. نفس المصدر والمجلد ٢٣٧.

٦. المجمع ٢٣٧/٣.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: خضرة.

٨. تفسير العياشي ١٧٩/٢، ح ٣٣.

وإنما استغنى عن بيان حالها، بما قصص من حال البقرات.

وأجرى السمان على المميز دون المميز، لأن التمييز بها. ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر^(١) التمييز بها، مجرداً عن الموصوف، فإنه لبيان الجنس. وقياسه: «عجف» لأنه جمع عجفاء، لكنه حملت على «سمان» لأنه نقيضه.

﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾: عبّروها.

﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾^(٢): إن كنتم عالمين بعبرة الرؤيا. فهي الانتقال من الصور الخيالية إلى المعاني النفسانية التي هي مثالها. من العبور، وهو: المجاوزة. وعبرت الرؤيا عبارة أثبت من عبّرتها تعبيراً.

واللام للبيان. أو لتقوية العامل. فإن الفعل لما تأخر عن مفعوله ضعف، فقوي باللام كاسم الفاعل. أو لتضمن «تعبرون» معنى فعل يعدى باللام. كأنه قيل: إن كنتم تتدبون^(٣) لعبرة الرؤيا.

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾: أي هذه أضغاث أحلام. وهي تخاليلها وأباطيلها، وما يكون منها من وسوسة وحديث نفس. جمع ضغت، وأصله: ما جمع من أخلاط النبات وحزَم، فاستعير للرؤيا الكاذبة.

وإنما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم: فلان يركب الخيل، أو لتضمنه أشياء مختلفة^(٤).

وفي روضة الكافي^(٥): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سعد بن أبي خلف، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: الرؤيا على ثلاثة وجوه: بشارة من الله للمؤمن، وتحذير من الشيطان، وأضغاث أحلام.

وفي أمالي الصدوق^(٦)، بإسناده إلى النوفلي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل^(٧)

١. ر: لتقدر. ٢. أ، ب: تدبون.

٣. كذا في أ، ب، ر. وفي سائر النسخ: مختلفة. ٤. الكافي ٩٠/٨، ح ٦١.

٥. أمالي الصدوق ١٢٤-١٢٥ ح ١٥. ٦. المصدر: المؤمن.

يرى الرؤيا، فتكون كما رآها^(١)، وربما رأى الرؤيا، فلا تكون شيئاً!

فقال: إنَّ المؤمن إذا نام، خرجت من روحه حركة ممدودة صاعدة إلى السماء. فكَلَّ ما رآه المؤمن^(٢) في ملكوت السماوات، في موضع التقدير والتدبير، فهو الحق. وكلَّ ما رآه في الأرض، فهو أضغاث أحلام. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة. وبإسناده^(٣) إلى عليٍّ عليه السلام قال: سألت رسول الله ﷺ عن الرجل ينام فيرى الرؤيا، فربما كانت حقاً، وربما كانت باطلاً. فقال رسول الله ﷺ: [يا عليٍّ] ^(٤) «إِنَّهُ مَا مِنْ عَبْدٍ يَنَامُ، إِلَّا عَرَجَ بِرُوحِهِ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَمَا رَأَى عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَهُوَ حَقٌّ. ثُمَّ إِذَا أَمَرَ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ بِرَدِّ رُوحِهِ إِلَى جَسَدِهِ، فَصَارَتِ الرُّوحُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَمَا رَأَتْهُ فَهُوَ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ.

وفي تفسير العياشي^(٥)، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: رأت فاطمة في النوم كأنَّ الحسن والحسين ذُبِحَا، أو قُتِلَا. فأحزنها ذلك، فأخبرت رسول الله ﷺ فقال: يا رؤيا، فتمثَّلت بين يديه. قال: أَرَأَيْتِ فاطمة هذا البلاء؟ قالت: لا. قال: يا أضغاث، أَرَأَيْتِ^(٦) فاطمة هذا البلاء؟ قالت: نعم، يا رسول الله. قال: فما أَرَدْتَ بذلك؟ قالت^(٧): أَرَدْتُ أَنْ أَحْزِنَهَا. فقال لفاطمة^(٨): اسمعي، ليس هذا بشيء.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ ^(٩) يريدون بالأحلام المنامات الباطلة خاصة. أي ليس لها تأويل عندنا، وإنما التأويل للمنامات الصادقة، اعتذار لجهلهم بتأويله. ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾: من صاحبي السجن، وهو صاحب الشراب. ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: وتذكر بعد جماعة من الزمان مجتمعة، أي مدة طويلة.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: يراها.
٢. المصدر: روح المؤمن.
٣. أمالي الصدوق/١٢٥، ح ١٧.
٤. من المصدر.
٥. تفسير العياشي ١٧٨/٢ - ١٧٩، ح ٣١.
٦. المصدر: أنت أَرَأَيْتِ.
٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: قال.
٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: فاطمة.

وقرى^(١): «إمة» بكسر الهمزة، وهي: النعمة، أي بعد ما أنعم الله عليه بالنجاة. و«أمة» أي نسيان. يقال: أمة يأمه أمها: إذا نسي.

والجملة اعتراض ومقول القول:

﴿أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾^(٥٠): أي إلى من عنده علمه. أو إلى السجن.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾: أي فأرسل إلى يوسف، فجاء وقال: يا يوسف. وإنما وصفه بالصدّيق - وهو المبالغ^(١) في الصدق - لأنه جرّب أحواله، وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه.

﴿أَفْتِنَا فِي سِنْعِ بَقَرَاتِ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سِنْعٌ عِجَافٌ وَسِنْعِ سُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾: أي في تأويل رؤيا ذلك.

﴿لَعَلِّي أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ﴾: أعود إلى الملك ومن عنده، أو إلى أهل البلد. إذ قيل^(٢): إن السجن لم يكن فيه.

﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٥١): تأويلها. أو فضلك ومكانك.

وإنما لم يثبت الكلام فيهما، لأنه لم يكن جازماً بالرجوع، فربّما اخترم دونه، ولا يعلمهم.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سِنْعٍ سَنِينَ دَأْبًا﴾: أي على عادتك المستمرة. وانتصابه على الحال بمعنى: دائبين. أو المصدر، بإضمار فعله. أي: تدأبون دأباً. وتكون الجملة حالاً.

وقرأ^(٤) حفص: «دأباً» بفتح الهمزة. وكلاهما مصدر دأب في العمل.

وقيل^(٥): «تزرعون» أمر أخرجه في صورة الخبر مبالغة، لقوله:

﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾: كي لا يأكله السوس. وهو على هذا نصيحة

خارجة عن العبارة.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾^(٥٢): في تلك السنين.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: المبالغة.

١. أنوار التنزيل ٤٩٧/١.

٣-٥. أنوار التنزيل ٤٩٨/١.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾: أي يأكل أهلهن ما أذخرتم لأجلهن. فأسند إليهن على المجاز، تطبيقاً بين المعبر والمعبر به.

وفي مجمع البيان ^(١)، عن الصادق عليه السلام أنه قرأ: «ما قَرَّبْتُمْ لَهُنَّ».

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٢)، عنه عليه السلام: «إِنَّمَا أَنْزَلَ: «ما قَرَّبْتُمْ لَهُنَّ».

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَخَصُّونَ﴾ ^(٣): تحرزون ^(٤) لبذور الزراعة.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾: يمطرون، من الغيث. أو يغاثون من القحط، من الغوث.

﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ^(٥): ما يُعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار.

وقيل ^(٦): يحلبون الضروع.

وقرأ ^(٧) حمزة والكسائي بالتاء، على تغليب المستفتي.

وقرئ ^(٨) على بناء المفعول، من عصره: إذا أنجاه. ويحتمل أن يكون المبني للفاعل منه. أي يغيثهم الله، ويغيث بعضهم بعضاً. أو من: أعصرت السحابة عليهم. فعدي بنزع الخافض، أو بتضمينه معنى المطر.

وهذه بشارة بشرهم بها، بعد أن أول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة، والعجاف اليابسات بسنين مجدبة، وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة.

قيل ^(٩): ولعله علم ذلك بالوحي. أو بأن انتهاء الجذب بالخصب. أو بأن السنة الإلهية على أن يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم.

وفي مجمع البيان ^(١٠): وقرأ جعفر بن محمد عليه السلام: «يُعصرون» بياء مضمومة وصاد مفتوحة.

١. المجمع ٢٣٦٣.

٢. المصدر: قرأتهم.

٣. تفسير القمي ٣٤٥/١.

٤. كذا في أنوار التنزيل ٤٩٨/١. وفي النسخ: تحصنون وتحرزون.

٥. المجمع ٢٣٦٣.

٨-٥. أنوار التنزيل ٤٩٨/١.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): قال أبو عبدالله عليه السلام: قرأ رجل على أمير المؤمنين عليه السلام: «ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون» [يعني: على البناء للفاعل]^(٢). فقال: ويحك! وأي شيء يعصرون؟ يعصرون الخمر؟! قال الرجل: يا أمير المؤمنين، كيف أقرأها؟ قال: إنما أنزلت: «عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون» يمتطرون بعد المجاعة^(٣). والدليل على ذلك قوله^(٤): «وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً».

وفي تفسير العياشي^(٥): عن محمد بن علي الصيرفي، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام: «عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون» [بالبناء للمفعول]^(٦): يمتطرون. ثم قال: أما سمعت قوله: «وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً»؟! ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾: بعد ما جاءه الرسول. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾: ليخرجه.

﴿قَالَ ازْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾: في تفسير العياشي^(٧): يعني العزيز. ﴿فَاسْأَلَهُ مَا بَالُ النُّسوةِ اللَّاتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾: إنما تأتي في الخروج، وقدّم سؤال النسوة وفحص حالهن، ليظهر براءة ساحته، ويعلم أنه سجن ظلماً، فلا يقدر الحاسد أن يتوسل به إلى تقييح أمره. وإنما لم يتعرض لسيدته [مع ما صنعت به]^(٨) كراماً ومراعاة للأدب.

وفي مجمع البيان^(٩): وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره! والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان. ولو كنت مكانه، ما أخبرتهم^(١٠)، حتى أشرط أن يخرجوني.

١. تفسير القمي ٣٤٦/١ باختلاف يسير.
٢. ليس في المصدر.
٣. المصدر: سنين المجاعة.
٤. النبأ/١٤.
٥. تفسير العياشي ١٨٠/٢، ح ٣٥.
٦. ليس في المصدر.
٧. تفسير العياشي ١٨٠/٢، ح ٣٧.
٨. ليس في أ، ب، ر.
٩. المجمع ٢٤٠/٣.
١٠. أ، ب: أخبرته.

وفي تفسير العياشي^(١): عن أبان عن محمد بن مسلم، عنهما عليهما السلام قالوا: إن رسول الله ﷺ قال:

لو كنت بمنزلة يوسف حين أرسل إليه الملك يسأله عن رؤياه^(٢)، ما حدثته حتى أشرط عليه أن يخرجني من السجن. وتعبت^(٣) لصبره عن شأن امرأة الملك حتى أظهر الله عذره.

وفي مجمع البيان^(٤)، عن النبي ﷺ متصلاً بما سبق - يعني قوله: يخرجوني -: ولقد عجب من يوسف وصبره وكرمه! والله يغفر له حين أتاه الرسول فقال: ارجع إلى ربك. ولو كنت مكانه، ولبت في السجن ما لبث، لأسرعت الإجابة، وبادرتهم الباب، وما ابتغيت العذر، إن كان لحليماً ذا أناة.

وروي^(٥) أن يوسف لما خرج من السجن، دعا [لأهله]^(٦) وقال: «اللهم اعطف عليهم بقلوب الأخيار، ولا تغم^(٧) عليهم الأخبار». فلذلك يكون أصحاب السجن أعرف الناس بالأخبار في كل بلدة. وكتب على باب السجن: هذا قبور الأحياء، وبيت الأحزان^(٨)، وتجربة^(٩) الأصدقاء، وشماته الأعداء. وقرئ: «النسوة» بضم النون.

﴿إِنَّ رَبِّي يَبْتَدِئُهُنَّ عَلِيمٌ﴾^(١٠): حين قلن لي: أطع مولاتك. وفيه تعظيم كيدهن، والاستشهاد بعلم الله تعالى عليه، وعلى أنه بريء مما قذف به، والوعيد لهن على كيدهن.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾: قال الملك لهن: ما شأنكن. والخطب: أمر يحق أن يخاطب فيه صاحبه.

-
١. تفسير العياشي ١٧٩/٢، ح ٣٢.
 ٢. ب: الرؤيا.
 ٣. المصدر: عجب.
 ٤. المجمع ٢٤٠/٣.
 ٥. المجمع ٢٤٢/٣.
 ٦. من المصدر.
 ٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: لا تغم.
 ٨. كذا في المصدر. وفي ب: الاشجان. وفي سائر النسخ: الإحسان.
 ٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: تخزنة.
 ١٠. أنوار التنزيل ٤٩٨/١.

﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾: تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله.

﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾: من ذنب.

﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾: ثبت واستقر. من حصحص البعير: إذا

ألقى مباركه ليناخ. أو ظهر. من حصّ شعره: إذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه.

وقرئ^(١) على البناء للمفعول.

﴿أَنَا رَاوِدُتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢): في قوله: «هي راودتني عن نفسي».

ولما زيد على شهادة الخصم بأن صاحبه على الحق، وهو على الباطل.

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾: قال يوسف لما عاد إليه الرسول، وأخبر بكلامهن. أي ذلك التثبت

ليعلم العزيز:

﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾: بظهر الغيب.

وهو حال من الفاعل أو المفعول. أي لم أخنه وأنا غائب عنه، أو هو غائب عني. أو

ظرف. أي بمكان الغيب وراء الأستار والأبواب المغلقة.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِنِينَ﴾^(٣): أي لا ينفذه. أي لا يهدي الخائنين بكيدهم.

فأوقع الفعل على الكيد مبالغة.

وفيه تعريض بامرأة العزيز في خيانتها زوجها، وتوكيد لأمانته. ولذلك عقبه بقوله:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾: أي لا أنزهها، تنبيهاً على أنه لم يرد بذلك تزكية نفسه، والعجب

بحاله، بل إظهار ما أنعم الله عليه من العصمة والتوفيق.

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾: من حيث أنها بالطبع مائلة إلى الشهوات، أمرة بها.

﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾: إلا وقت رحمة ربي. أو إلا ما رحمه الله من النفوس، فعصمه

عن ذلك.

وقيل^(٤): الاستثناء منقطع. أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة.

وقيل ^(١): الآية حكاية قول امرأة العزيز، والمستثنى نفس يوسف وأضرابه. أي ذلك الذي قلته، ليعلم يوسف أنني لم أكذب عليه في حال الغيب، وصدقت فيما سئلت عنه. وما أبرئ مع ذلك من الخيانة، فإني خنته حين قدفته وسجنته. تريد الاعتذار عما كان فيها.

وهذا التفسير هو المستفاد من كلام علي بن إبراهيم ^(٢)، حيث قال في قوله: «لم أخنه بالغيب» أي لا أكذب عليه الآن، كما كذبت عليه من قبل.

وقرأ ^(٣) قالون والبري: «بالسؤ» على قلب الهمزة وواو، ثم الإدغام.

﴿إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ^(٤): يغفر ميل النفس، ويرحم من يشاء بالعصمة.

أو: يغفر المستغفر لذنبه، المعترف على نفسه، ويرحم من استرحمه ما استغفره مما ارتكبه.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِهِ أَمْ لَا لِيَقْضِيَ عَنْهُ أَمَرَ السُّجْنِ أَمْ لَا﴾: أ جعله خالصاً لنفسي.

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾: أي فلما أتوا به، فكلمه وشاهد منه الرشد والذكاء، واستدل بكلامه على عقله، وبعفته على أمانته.

﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾: ذو مكانة ومنزلة.

﴿أَمِينٌ﴾ ^(٥): مؤتمن على كل شيء. نقل ^(٦) أنه لما خرج من السجن، اغتسل وتنظف، ولبس ثياباً جدداً. فلما دخل على الملك قال: «اللهم إني أسألك من خيره، وأعوذ بك بعزتك وقدرتك» ^(٧) من شره. ثم سلم عليه، ودعاه بالعبرية. فقال: ما هذا اللسان؟ فقال: لسان آبائي. وكان الملك يعرف سبعين لساناً. فكلمه بها، فأجابه بجميعها. فتعجب منه، فقال: إني أحب أن أسمع رؤياي منك. فحكها، ونعت له البقرات والسنابل وأماكنها على ما رآها، فأجلسه على السرير، وفوض إليه أمره.

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾: ولني أمرها. والأرض أرض مصر.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): يعني على الكناريح^(٢) والأنابير^(٣).

﴿إِنِّي حَفِيفٌ﴾: لها مَمَّن لا يستحقها.

﴿عَلِيمٌ﴾^(٤): بوجوه التصرف فيها.

وقيل^(٥): لعله^(٦) لما رأى أنه يستعمله في أمره لا محالة، أثر ما نعم فوائده وتجل عوائده.

وفي عيون الأخبار^(٧): حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني^(٨) قال: حدثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الريان بن الصلت الهروي قال: دخلت على علي بن موسى الرضا^(٩) فقلت له: يا ابن رسول الله، إن الناس يقولون إنك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا!

فقال^(١٠): قد علم الله كراهتي لذلك. فلما خيّر بين قبول ذلك وبين القتل، اخترت^(١١) القبول على القتل.

ويحهم! أما علموا أن يوسف^(١٢) كان نبياً ورسولاً، فلما دفعته الضرورة إلى تولي خزائن العزيز، قال: «اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم». ودفعني الضرورة إلى قبول ذلك، على إكراه وإجبار بعد الإشراف على الهلاك. على أنني ما دخلت في هذا الأمر إلا دخول خارج منه. فإلى الله المشتكى، وهو المستعان.

حدثنا المظفر^(١٣) بن جعفر بن المظفر العلوي السمرقندي^(١٤)، قال: حدثنا جعفر بن محمد بن مسعود العياشي، عن أبيه، قال: حدثنا محمد بن نصير، عن الحسن بن

١. تفسير القمي ٣٤٦/١.

٢. المصدر: الكناديج. وهو جمع الكندوج شبه مخزن من تراب أو خشب، توضع فيه الحنطة وغيرها.

والكناريح - جمع الكرنج كقرطق - الحانوت أو متاع حانوت يقال.

٣. الأنابير - جمع أنبار - بيت التاجر الذي يجمع فيه المتاع والغلال.

٤. أنوار التنزيل ٥٠٠/١. ٥. أ، ب: لعل.

٦. العيون ١٣٨/٢، ح ٢. ٧. م، ب: أخذت.

٨. العيون ١٣٨/١٣٧/٢، ح ١.

موسى قال: روى أصحابنا عن الرضا عليه السلام أنه قال له رجل: أصلحك الله، كيف صرت إلى ما صرت إليه من المأمون؟ وكأنه أنكر ذلك عليه.

فقال أبو الحسن الرضا عليه السلام: يا هذا، أيهما أفضل: النبي أو الوصي؟ فقال: لا، بل النبي.

قال: فأيهما أفضل، مسلم أو مشرك؟ قال: لا، بل مسلم.

قال: فإنّ العزيز - عزيز مصر - كان مشركاً، وكان يوسف عليه السلام نبياً. وإنّ المأمون مسلم، وأنا وصي. ويوسف سأل العزيز أن يولّيه حين قال: «اجعلني» إلى قوله: «حفيظ». وأنا أجبرت^(١) على ذلك.

وقال عليه السلام في قوله: «اجعلني على خزان الأرض إنّي حفيظ عليم» قال: حافظ لما في يدي، عالم^(٢) بكلّ لسان.

وفي الخرائج والجرائح^(٣): روي عن محمد بن زيد الرزامي^(٤) قال: كنت في خدمة الرضا عليه السلام لما جعله المأمون وليّ عهده. فأثاه رجل [من الخوارج]^(٥) في كمّه مدية^(٦) مسمومة، وقد قال لأصحابه: والله، لأتبنّ هذا الذي يزعم أنّه ابن رسول الله - وقد دخل لهذا الطاغية فيما^(٧) دخل - فأسأله عن حجّته. فإنّ كان له حجّة، وإلا أرحت الناس منه. فأثاه، واستأذن عليه عليه السلام فأذن له. فقال له أبو الحسن عليه السلام: أجيبك عن مسألتك على شريطة تنفي^(٨) لي بها. فقال: وما هذه الشريطة؟ قال: إن أجبتك بجواب يقنعك وترضاه، تكسر أتي^(٩) في كمّك وترمي بها^(١٠).

فبقي الخارجيّ متحيراً، وأخرج المدية وكسرها. ثمّ قال له: أخبرني عن دعواك مع

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: جبرت. ٢. ليس في أ، ب.

٣. الخرائج ٧٦٧/٢، ح ٨٦.

٤. كذا في المصدر وجامع الرواة ١١٥/٢. وفي النسخ: الرازي.

٥. يوجد في المصدر وب. ٦. المدية بالتثنية: السكين العظمية العريضة.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: ما. ٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: توفي.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: الذي. ١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: به.

هذا^(١) الطاغية فيما دخلت له - وهم عندك كفّار، وأنت ابن رسول الله - ما حملك على هذا؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: أرايت^(٢) هؤلاء أكفر عندك أم عزيز مصر وأهل مملكته؟! ليس هؤلاء على حال يزعمون أنّهم موحدون، وأولئك لم يوحدوا الله ولم يعرفوه؟! وأنّ يوسف بن يعقوب نبيّ ابن نبيّ، وقال لعزيز^(٣) مصر - وهو كافر^(٤): - «اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم». وكان يجالس الفراعنة^(٥). وأنا رجل من ولد رسول الله ﷺ أجبرني على هذا الأمر، وأكرهني عليه. فما الذي أنكرت ونقمت عليّ؟!

فقال: لا عتب عليك. أشهد أنّك ابن نبيّ الله، وأنّك صادق.

وفي كتاب علل الشرائع^(٦)، بإسناده إلى الفضل بن أبي قرّة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول يوسف عليه السلام: «اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم» قال: حفيظ بما تحت يدي، عليم بكلّ لسان.

وفي تفسير العيّاشي^(٧): وقال سليمان: قال سفيان: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يجوز^(٨) أن يزكّي الرجل نفسه؟ قال: نعم، إذا اضطرّ إليه. أما سمعت قول يوسف: «اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم»؟! وقول العبد الصالح^(٩): «وأنا لكم ناصح أمين». وفي الكافي^(١٠): عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن عبد الله عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام لأقوام يظهر الزهد ويدعون الناس أن يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من التقشّف: وأخبروني أين أنتم عن

١. المصدر: دخولك لهذا.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: أرايتك.

٣. المصدر: «يسأل العزيز» بدل «قال لعزيز».

٤. المصدر: زيادة «فقال».

٥. المصدر: كان يجلس مجالس الفراعنة.

٦. العلل ١٢٥/١، ح ٤.

٧. تفسير العيّاشي ١٨١/٢، ح ٤٠.

٨. المصدر: [أما] يجوز.

٩. الاعراف ٦٨.

١٠. الكافي ٧٠/٥، ح ١.

سليمان بن داود عليه السلام ؟ ثم يوسف النبي عليه السلام حيث قال لملك مصر: «اجعلني» إلى قوله: «عليهم» ؟ فكان من أمره الذي كان [أن] ^(١) اختار مملكة الملك وما حولها إلى اليمن، وكانوا يمتارون الطعام من عنده لمجاعة أصابتهم. وكان يقول الحق ويعمل به، فلم نجد أحداً عاب ذلك عليه.

عدة من أصحابنا ^(٢)، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عبدالرحمن بن حماد، عن يونس بن يعقوب، عن سعد، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما صارت الأشياء ليوسف بن يعقوب عليه السلام جعل الطعام في بيوت، وأمر بعض وكلائه، وكان يقول: بيع كذا وكذا، والسعر قائم. فلما علم أنه يزيد في ذلك اليوم، كره أن يجري الغلاء على لسانه. فقال له: اذهب وبع. ولم يسم ^(٣) له سعراً.

فذهب الوكيل غير بعيد. ثم رجع إليه، فقال له: اذهب فبع. وكره أن يجري الغلاء على لسانه. فذهب الوكيل، فجاء أول من اكتال. فلما بلغ دون ما كان بالأمس بمكيال، قال المشتري: حسبك، إنما أردت بكذا وكذا. فعلم الوكيل أنه قد غلا بمكيال. ثم جاء آخر، فقال له: كل لي. فكال. فلما بلغ دون الذي كال ^(٤) للأول بمكيال، قال له المشتري: حسبك، إنما أردت بكذا وكذا. فعلم الوكيل أنه قد غلا بمكيال. حتى صار إلى واحد واحد.

وفي تفسير العياشي ^(٥): عن حفص بن غياث، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان سبق ^(٦) يوسف الغلاء الذي أصاب الناس، ولم يثمن ^(٧) الغلاء لأحد قط. قال: فأتاه التجار، فقالوا: بعنا. قال: اشترؤا. فقالوا نأخذ كذا وبكذا. فقال: خذوا. وأمر فكالوهم فحملوا ومضوا حتى دخلوا المدينة، فلقبهم ^(٨) قوم تجار فقالوا لهم: كيف أخذتم؟ فقالوا: كذا وبكذا. وأضعفوا الثمن.

١. من المصدر.

٢. الكافي ١٦٣/٥، ح ٥.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: كان.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: لم يسمي.

٦. بعض نسخ المصدر: سنين.

٥. تفسير العياشي ١٧٩/٢ - ١٨٠، ح ٣٤.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: فللقاهم.

٧. المصدر: لم يمز (يتمن خ ل).

قال: وقدموا أولئك على يوسف، فقالوا: بعنا. فقال: اشترؤا، كيف تأخذون؟ قالوا: بعنا كما بيعت كذا بكذا. فقال: ما هو كما تقولون، ولكن خذوا. فأخذوا، ثم مضوا حتى دخلوا المدينة. فلقىهم آخرون، فقالوا: كيف أخذتم؟ فقالوا: كذا بكذا. وأضعفوا الثمن. قال: فعظم الناس ذلك الغلاء، وقالوا: اذهبوا بنا حتى نشتري.

قال: فذهبوا إلى يوسف، فقالوا: بعنا. فقال: اشترؤا. فقالوا^(١): بعنا كما بيعت. فقال: وكيف بيعت؟ قالوا: كذا بكذا. فقال: ما هو كذلك، ولكن خذوا.

قال: فأخذوا ورجعوا إلى المدينة، وأخبروا الناس. فقالوا فيما بينهم: تعالوا^(٢) حتى نكذب في الرخص، كما كذبنا في الغلاء.

قال: فذهبوا إلى يوسف، فقالوا له: بعنا. فقال: اشترؤا. فقالوا: بعنا كما بيعت. قال: وكيف بيعت؟ قالوا: كذا بكذا - بالخط من السعر الأول^(٣) - . فقال: ما هو هكذا، ولكن خذوا. فأخذوا، وذهبوا إلى المدينة. فلقىهم الناس فسألوهم: بكم اشتريتم؟ فقالوا: كذا بكذا - بنصف الخط الأول - فقال الآخرون: اذهبوا بنا حتى نشتري.

فذهبوا إلى يوسف، فقالوا: بعنا. فقال: اشترؤا. فقالوا: بعنا كما بيعت. فقال: وكيف بيعت؟ فقالوا: بكذا وكذا - بالخط من النصف - فقال: ما هو كما تقولون، ولكن خذوا. فلم يزالوا يتكاذبون حتى رجع السعر إلى الأمر الأول، كما أراد الله.

وفي مجمع البيان^(٤): وفي كتاب النبوة، بإسناد عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن بنت إلياس قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: وأقبل يوسف على جمع الطعام. فجمع في السبع السنين المخضبة، فكبسه في الخزان. فلما مضت تلك السنون، وأقبلت السنون^(٥) المجذبة، أقبل يوسف على بيع الطعام.

فباعهم في السنة الأولى بالدرهم والدنانير. حتى لم يبق بمصر وما حولها دينار ولا

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: تعالوا فيما بينهم.

٤. المجمع ٢٤٤/٣.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: فقال.

٣. ليس في المصدر.

٥. ليس في المصدر.

درهم، إلّا صار في ملكيّة^(١) يوسف.

وباعهم في السنة الثانية بالحليّ والجواهر. حتّى لم يبق^(٢) بمصر وما حولها حليّ ولا جوهر، إلّا صار في ملكيّة^(٣) يوسف^(٤).

وباعهم في السنة الثالثة بالدوابّ والمواشي. حتّى لم يبق بمصر وما حولها دابة ولا^(٥) ماشية، إلّا صارت^(٦) في ملكيّة يوسف^(٧).

وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء. حتّى لم يبق بمصر [وما حولها]^(٨) عبد ولا أمة، إلّا صار في ملكيّة^(٩) يوسف^(١٠).

وباعهم في السنة الخامسة بالدور والعقار. حتّى لم يبق بمصر وما حولها دار ولا عقار، إلّا صار في ملكيّة يوسف^(١١).

وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والأنهار. حتّى لم يبق بمصر [وما حولها]^(١٢) نهر ولا مزرعة، إلّا صار في ملكيّة يوسف^(١٣).

وباعهم في السنة السابعة برقابهم. حتّى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حرّ، إلّا صار عبد يوسف.

فملك أحرارهم، وعبيدهم، وأموالهم^(١٤). وقال الناس: ما رأينا ولا سمعنا بملك أعطاه الله من الملك ما أعطى هذا الملك حكماً وعلماً^(١٥) وتديباً!

ثمّ قال يوسف للملك: أيّها الملك، ماترى فيما خوّلي ربّي من ملك مصر وأهلها؟

-
- | | |
|--|--|
| ١. المصدر: مملكته. | ٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: لم يبق. |
| ٣. المصدر: مملكته. | ٤. ليس في المصدر. |
| ٥. ليس في أ، ر. | ٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: صار. |
| ٧. المصدر: «مملكته» بدل «ملكيّة يوسف». | ٨. ليس في المصدر. |
| ٩. المصدر: مملكته. | ١٠. ليس في المصدر. |
| ١١. المصدر: «مملكته» بدل «ملكيّة يوسف». | ١٢. من المصدر. |
| ١٣. المصدر: «مملكته» بدل «ملكيّة يوسف». | ١٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: امراءهم. |
| ١٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: حكيماً وعلماً. | |

أشر علينا برأيك. فإني لم أصلحهم لأفسدهم. ولم أنجهم من البلاء لأكون بلاء^(١) عليهم. ولكن الله نجّاهم^(٢) على يدي. قال له الملك: الرأي رأيك. قال يوسف: إني أشهد الله وأشهدك - أيها الملك - أنني قد أعتقت أهل مصر كلهم. ورددت إليهم أموالهم وعبيدهم. ورددت عليك - أيها الملك - خاتمك وسريرك وتاجك على أن لا تسير إلا بسيرتي ولا تحكم إلا بحكمي. قال له الملك: إن ذلك لشرفي^(٣) وفخري أن لا أسير إلا بسيرتك، ولا أحكم إلا بحكمك. ولولاك ما قويت عليه، ولا اهتديت له. ولقد جعلت سلطاني^(٤) عزيزاً لا^(٥) يرام. وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنتك رسوله. فأقم على ما وليت. فإنك لدينا مكين أمين.

﴿وَكَذَلِكَ﴾: مثل ذلك التمكين الظاهر.

﴿مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر.

في تفسير العياشي^(٦): [عن الثمالي^(٧)]، عن أبي جعفر عليه السلام: ملك يوسف مصر وبرايرها، ولم يجاوزها إلى غيرها.

﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ﴾: ينزل من بلادها حيث يهوي.

وقرأ^(٨) ابن كثير: «نشأ» بالنون.

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾: في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٩): بل نوفي أجورهم، عاجلاً وآجلاً.

﴿وَلَا نُجْزِ الْأَخِرَةَ خَيْرَ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾^(١٠): الشرك والفواحش، لعظمه

ودوامه.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: ليكون وبالأ. ٢. المصدر: انجاهم.

٣. المصدر: لزييتي. ٤. المصدر: سلطاناً.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: ما. ٦. تفسير العياشي ١٨١/٢، ح ٤١.

٧. أنوار التنزيل ٥٠٠/١. ٨. من المصدر.

وفي أصول الكافي^(١): عَدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن علي بن النعمان، عن عبد الله بن سنان^(٢)، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إِنَّ الْحَرَ حَرَ عَلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِ. إِنْ نَابَتْهُ^(٣) نَائِبَةٌ، صَبَرَ لَهَا. وَإِنْ تَدَاكَتْ عَلَيْهِ الْمَصَائِبُ، لَمْ تَكْسِرْهُ^(٤) وَإِنْ أَسْرَ وَقَهَرَ، اسْتَبْدَلَ بِالْعَسْرِ يَسْرًا^(٥).

كما كان يوسف الصديق الأمين، لم يضرر حَزَنَتُهُ أَنْ اسْتَعْبَدَ^(٦)، وَقَهَرَ، وَأَسْرَ، وَلَمْ تَضُرَّهُ ظُلْمَةُ الْجَبِّ وَوَحْشَتُهُ وَمَا نَالَهُ أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ الْجَبَّارَ الْعَاتِي لَهُ عَبْدًا، بَعْدَ أَنْ^(٧) كَانَ مَالِكًا. فَأَرْسَلَهُ، وَرَحِمَ بِهِ أُمَّةٌ^(٨). وَكَذَلِكَ الصَّبْرُ يَعْقِبُ خَيْرًا. فَاصْبِرُوا، وَوَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الصَّبْرِ، تَوَجَّرُوا.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾: للميرة.

وذلك لَأَنَّهُ أَصَابَ كَنْعَانَ مَا أَصَابَ سَائِرَ الْبِلَادِ مِنَ الْجَدْبِ. فَأَرْسَلَ يَعْقُوبُ بَنِيهِ - غَيْرَ بَنِيَامِينَ - إِلَيْهِ.

﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾^(٩): أَي عَرَفَهُمْ يَوْسُفَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ، لَطَوَّلَ الْعَهْدَ وَمَفَارِقَتَهُمْ إِيَّاهُ فِي سَنِّ الْحَدَاثَةِ، وَنَسْيَانَهُمْ إِيَّاهُ، وَتَوَهَّمَهُمْ أَنَّهُ هَلَكَ، وَبَعْدَ حَالِهِ الَّتِي رَأَوْهُ عَلَيْهَا مِنْ حَالِهِ حِينَ فَارَقُوهُ، وَقَلَّةِ تَأَمُّلِهِمْ فِي حَالِهِ مِنَ التَّهَيُّبِ وَالِاسْتِعْظَامِ. وَفِي تَفْسِيرِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ^(١٠): أَمَرَ يَوْسُفَ أَنْ يُبْنِيَ لَهُ كِنَادِيَجَ^(١١) مِنْ صَخَرٍ، وَطَيَّنَهَا بِالْكَلْسِ^(١٢). ثُمَّ أَمَرَ بِزُرُوعِ^(١٣) مِصْرَ فَحَصَدَتْ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ إِنْسَانٍ حَصَّةً، وَتَرَكَ الْبَاقِي^(١٤) فِي سِنْبَلِهِ، لَمْ يَدَسْهُ. فَوَضَعَهَا فِي الْكِنَادِيَجِ^(١٥). فَفَعَلَ ذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ.

٢. المصدر: مسكان.

١. الكافي ٨٩/٢، ح ٦.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: لم تكره.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: نابه.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: يستعبد.

٥. المصدر: باليسر عسراً.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: أُمَّتُهُ.

٧. المصدر: إذ.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: كناريج.

٩. تفسير العمري ٣٤٦/١ - ٣٤٧.

١٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: بزروع.

١١. الكلس بالكسر: الصاروج. منه.

١٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: «تركت» بدل «ترك الباقي».

١٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: الكناريج.

فلَمَّا جاءت سنوات الجذب، كان يخرج السنبُل، فيبيع بما شاء. وكان بينه وبين أبيه ثمانية عشر يوماً، وكان في بادية. وكان الناس من الآفاق يخرجون إلى مصر، ليمتاروا طعاماً.

وكان يعقوب وولده نزولاً في بادية فيها مقل^(١). فأخذ إخوة يوسف من ذلك المقل، وحملوه إلى مصر ليمتاروا به. وكان يوسف يتولَّى البيع بنفسه. فلَمَّا دخل^(٢) إخوته عليه، عرفهم ولم يعرفوه، كما حكى الله ﷻ.

وفي تفسير العياشي^(٣): عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يحدث قال: لَمَّا فقد يعقوب يوسف، اشتدَّ حزنه عليه وبكاؤه حتَّى ابْيَضَّت عيناه من الحزن، واحتاج حاجة شديدة، وتغيَّرت حاله. [قال: ^(٤)] وكان يمتار القمح من مصر [لعياله] ^(٥) في السنة مرَّتين للشتاء والصيف. وإنَّه بعث عدَّة من ولده ببضاعة يسيرة إلى مصر، مع رفقة خرجت.

فلَمَّا دخلوا على يوسف وذلك بعد ما ولَّاه العزيز مصر فعرفهم يوسف عليه السلام ولم يعرفه إخوته، لهيبة الملك وعزَّته^(٦). فقال لهم: عجَّلوا^(٧) بضاعتكم قبل الرفاق^(٨). وقال لفتيانهِ: عجَّلوا لهؤلاء الكيل، وأوفوهم. فإذا فرغتم، فاجعلوا بضاعتهم هذه في رحالهم، ولا تعلموهم بذلك. الحديث.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾: أصلحهم بعدَّتهم، وأوفر ركائبهم بما جاؤوا لأجله. والجهاز: ما يعدُّ من الأمتعة للنقلة، كعدد السفر، وما يحمل من بلدة إلى أخرى، وما تزفُّ للمرأة إلى زوجها.

١. المقل: الكندر. وثمر لشجر الدوم ينضج يؤكل. والدوم: شجرة تشبه النخلة في حالاتها.

٢. المصدر: دخلوا.

٣. تفسير العياشي ١٨١/٢، ح ٤٢.

٤ و ٥. من المصدر.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: غيره.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: الرواق.

٧. المصدر: هلموا.

وقرى^(١): «بجهازهم» بالكسر.

﴿قَالَ أَتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾: في تفسير علي بن إبراهيم^(٢): [وأعطاهم، و]^(٣) أحسن إليهم في الكيل، وقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن بنو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله، الذي ألقاه نمرود في النار، فلم يحترق، وجعلها الله عليه برداً وسلاماً. قال: فما فعل أبوكم؟ قالوا: شيخ ضعيف. قال: فلکم أخ (غيركم)^(٤)؟ قالوا: لنا أخ من أبينا، لا من أمنا. قال: فإذا جعتم إلي فأتوني به.

وفي تفسير العياشي^(٥)، عن الباقر عليه السلام: قال لهم يوسف: قد بلغني أن لكم أخوين^(٦) لأبيكم. فما فعلا؟ قالوا: أما الكبير منهما، فإن الذئب أكله. وأما الصغير فخلّفناه عند أبيه، وهو به ضنين^(٧)، وعليه شقيق. قال: فإنّي أحب أن تأتوني به معكم، إذا جئتم لتمتارون.

﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾: أتمه.

﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾^(٨): للضيف والمضيفين لهم. وكان أحسن إنزالهم وضيافتهم.

﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ﴾^(٩): أي لا تقربوني، ولا تدخلوا

دياري. وهو إمانتي، وإمانتي معطوف على الجزاء.

﴿قَالُوا سُرَّادُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾: سنجتهد في طلبه من أبيه.

﴿وَأَنَا لَفَاعِلُونَ﴾^(١٠): ذلك، لا نتواني فيه.

﴿وَقَالَ لِفَتَانِهِ﴾: لغلماناه الكياليين. جمع فتى.

وقرأ^(٨) حمزة والكسائي وحفص: «لفتيانه» على جمع الكثرة، ليوافق قوله:

٢. تفسير القمي ٣٤٧/١.

١. أنوار التنزيل ٥٠٠/١.

٣ و٤. من المصدر.

٥. تفسير العياشي ١٨١/٢، ح ٤٢ في ضمن حديث طويل.

٦. المصدر: أخوان.

٧. أ، ب: صغين. والضنين: البخيل.

٨. أنوار التنزيل ٥٠١/١.

﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾: فإنه وكل بكل رجل واحداً يعبئ بضاعتهم التي شروا بها الطعام. وكانت نعالاً وأدماء. وإنما فعل ذلك توسيعاً وتفضلاً عليهم، وترفعاً من أن يأخذ ثمن الطعام، وخوفاً من أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون به.

﴿فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾: لعلهم يعرفون حق ردها. أو: لكي يعرفوها،

﴿إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ﴾: وفتحوا أو عيبتهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٣٦): لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع.

﴿فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَى آبَائِهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾: حكم بمنعه بعد هذا الرجوع، إن

لم نذهب بنيامين.

﴿فَأَرْسَلَ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتُلُ﴾: فأرسل نرفع المانع من الكيل، ونكتل ما نحتاج إليه.

وقرأ^(٣٧) حمزة والكسائي بالياء، على إسناده إلى الأخ. أي يكتل لنفسه، فينضم

اكتياله إلى اكتيالنا.

﴿وَأَنَا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٣٨): من أن يناله مكروه.

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنَكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾: وقد قلتم في يوسف: «وَأَنَا

له لحافظون».

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً﴾: فأتوكل عليه، وأفوض إليه أمري.

﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٣٩): فأرجو أن يرحمني بحفظه، ولا يجمع عليّ مصيبتين.

وانتصاب «حفظاً» على التمييز. و«حافظاً» على قراءة^(٤٠) حمزة والكسائي وحفص،

يحتمله، والحال كقولهم: لله دَرَه فارساً.

وقرئ^(٤١): «خير حافظ»، و«خير الحافظين».

وفي مجمع البيان^(٤٢): ورد في الخبر أن الله سبحانه قال: فبعزتي لأردنهما إليك بعد

ما توكلت عليّ.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾: وقرئ^(١): «رَدَّت» بنقل كسرة

الدال المدغمة إلى الراء، نقلها في بيع وقيل .

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾: ماذا نطلب؟! هل من مزيد على ذلك، أكرمنا وأحسن مثوانا

وباع منا، وردّ علينا متاعنا، أو: لا نطلب وراء ذلك إحساناً. أو: لا نبغي في القول، ولا نزيد فيما حكينا لك من إحسانه. أو: ما نريد منك بضاعة أخرى.

وقرئ^(٢): «ما تبغي» على الخطاب، أي أي شيء تطلب وراء هذا من الإحسان، أو

من الدليل على صدقنا؟!

﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾: استئناف موضح لقوله: «ما نبغي».

﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: معطوف على محذوف. أي ردّت إلينا فتستظهر بها، ونمير أهلنا

بالرجوع إلى الملك.

﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾: عن المخاوف في ذهابنا وإيابنا.

﴿وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾: وسق بعير باستصحاب أخينا. هذا إذا كانت «ما» استفهامية. فأما

إذا كانت نافية، احتمل ذلك، واحتمل أن تكون الجمل معطوفة على «ما نبغي» أي لا نبغي فيما نقول، ونمير أهلنا ونحفظ أخانا.

﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾^(٣): أي مكيل قليل لا يكفينا.

استقلّوا ما كيل لهم، فأرادوا أن يضاعفوه بالرجوع إلى الملك، ويزدادوا إليه ما يكال لأخيهم.

ويجوز أن تكون الإشارة إلى «كيل بعير» أي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك، ولا يتعاضمه.

وقيل^(٤): إنّه من كلام يعقوب. ومعناه: إن حمل بعير شيء يسير، لا يخاطر لمثله بالوالد.

وفي كتاب علل الشرائع^(١)، بإسناده إلى يعقوب بن سويد، عن أبي^(٢) جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك، لم سمّي أمير المؤمنين أمير المؤمنين؟ قال: لأنه يميزهم العلم. أما سمعت قول الله ﷻ: «ونميز أهلنا»؟!

وفي كتاب معاني الأخبار^(٣)، بإسناده إلى يعقوب بن سويد بن بريد الحارثي، عن عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام مثله سواء.

وفي أصول الكافي^(٤): الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن أحمد بن عمر قال: سألت أبا الحسن عليه السلام: لم سمّي أمير المؤمنين أمير المؤمنين؟ قال: لأنه يميزهم العلم. أما سمعت [ما] في كتاب الله: «ونميز أهلنا»؟!

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ﴾: إذ رأيت منكم ما رأيت.

﴿حَتَّى تُوْتُونَ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾: حتى تعطوني ما أوثق به من عند الله، أي عهداً مؤكداً بذكر الله تعالى.

﴿لَتَأْتُنِّي بِهِ﴾: جواب القسم، إذ المعنى: حتى تحلفوا بالله لتأتني به.

﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾: إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا ذلك. أو: إلا أن تهلكوا جميعاً.

وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال. والتقدير: لتأتني به على كل حال، إلا حال الإحاطة بكم. أو من أعم العلل، على أن قوله: «لتأتني به» في تأويل النفي. أي لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم. كقولهم: أقسمت بالله إلا فعلت، أي ما أطلب منك إلا فعلك به.

﴿فَلَمَّا أَتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾: عهدهم.

﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾: من طلب الموثق وإتيانه.

﴿وَكَيْلٌ﴾^(٥): رقيب مطّلع، إن خلفتم انتصف لي منكم.

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾: لأنهم كانوا

٢. ليس في المصدر.

٤. الكافي ٤١٢/١، ح ٣.

١. العلل ١/١٦١، ح ٤.

٣. المعاني ٦٣/١، ح ١٣.

ذوي جمال وأبته مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك، فخاف عليهم أن يدخلوا كوكبة واحدة، فيعانونا. ولعلّه لم يوصهم بذلك في الكرة الأولى لأنّهم كانوا مجهولين حينئذ. أو كان الداعي إليها خوفه على بنيامين. وللنفس آثار منها العين.

وفي مجمع البيان^(١): وأنكر الجبائي العين، وذكر أنّه لم تثبت بحجّة. وجوّزه كثير من المحقّقين، ورووا فيه الخبر عن النبي ﷺ أنّ العين حقّ والعين لتنزل [الحالق]. و[^(٢)] الحالق المكان المرتفع من الجبل وغيره. فجعل ﷺ العين كأنّها تحطّ ذروة الجبل من قوّة أخذها وشدّة بطشها.

وروي^(٣) في الخبر أنّه ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين ﷺ بأن يقول: أعيذكما بكلمات الله التامة، من كلّ شيطان وهامة، ومن كلّ عين لامة^(٤).

وروي^(٥) أنّ إبراهيم ﷺ عوذ ابنه. وأنّ موسى عوذ ابني هارون بهذه العوذة. وروي^(٦) أنّ بني جعفر بن أبي طالب كانوا غلماناً بيضاً^(٧). فقالت أسماء بنت عميس: يا رسول الله، إنّ العين إليهم سريعة. أفأسترقّي لهم من العين؟ فقال ﷺ: نعم. وروي^(٨) أنّ جبرئيل ﷺ أتى رسول الله ﷺ وعلمه^(٩) الرقية. [وهي: ^(١٠)] بسم الله، أريقك من عين حاسد، الله يشفيك.

وروي^(١١) عن النبي ﷺ أنّه قال: لو كان شيء يسبق القدر، لسبقته العين. وقد روي^(١٢) عنه ﷺ ما يدلّ على أنّ الشيء إذا عظم في صدور العباد، وضع الله قدره وصغره^(١٣).

وفي الكافي^(١٤): عليّ بن إبراهيم، [عن أبيه] ^(١٥)، عن بعض أصحابنا، عن القدّاح،

١. المجمع ٢٤٩/٣.

٢. من المصدر.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. اللامة: العين المصيبة بسوء.

٥ و٦. نفس المصدر والموضع.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: بيضاء.

٨. نفس المصدر والموضع.

٩. ليس في أ، ب.

١٠. من المصدر.

١١ و١٢. نفس المصدر والموضع.

١٣. المصدر: صغّر أمره.

١٤. الكافي ٥٦٩/٢، ح ٣.

١٥. من المصدر.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام ^(١): عوذ ^(٢) النبي صلى الله عليه وآله حسناً وحسيناً فقال: أعيدكما بكلمات الله التامة ^(٣)، وأسمائه الحسنی كلها عامّة، من شرّ السامة والهامة، ومن شرّ كل عين لامة، ومن شرّ حاسد إذا حسد. ثم التفت النبي صلى الله عليه وآله إلينا فقال: هكذا [كان] ^(٤) يعوذ إبراهيم إسماعيل وإسحاق عليهم السلام.

﴿وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: ممّا قضى عليكم بما أشرت به إليكم؛ فإنّ الحذر لا يمنع القدر.

﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾: يصيبكم لا محالة إن قضى عليكم قضى عليكم بسوء، ولا ينفعكم ذلك.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ^(٥): جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة. كأنّ الواو للعطف، والفاء لإفادة التسبّب. فإنّ فعل الأنبياء سبب لأن يقتدى بهم.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ آبَاؤُهُمْ﴾: أي من أبواب متفرقة في البلد.

﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾: رأي يعقوب وأتباعهم له.

﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: ممّا قضاه الله عليهم، كما قال يعقوب. فسرقوا وأخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله، وتضاعفت المصيبة على يعقوب.

﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾: استثناء منقطع. أي ولكن حاجة في نفسه، يعني شفقتة عليهم وحرازته من أن يعانون.

﴿قَضَاهَا﴾: أظهرها ووصى بها.

﴿وَأَنَّهُ لَدُوْ عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾: بالوحي ونصب الحجج. ولذلك قال: «وما أغني عنكم من الله من شيء» ولم يغترّ بتدبيره.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٦): سرّ القدر، وأنّه لا يغني عنه الحذر.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: زيادة «قال».

٢. المصدر: رقي.

٤. من المصدر.

٣. المصدر: التامات.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾: ضَمَّ إِلَيْهِ بَنِيَامِينَ عَلَى الطَّعَامِ.

﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾: فَلَا تَعْلَمُهُمْ بِمَا أَعْلَمْتِكَ.

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: فَلَا تَحْزَنْ، افْتَعَالٌ مِنَ الْبُؤْسِ.

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣١): فِي حَقِّنَا. فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا وَجَمَعَنَا.

وفي تفسير العياشي^(١): عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، [عَنْ أَبِيهِ]^(٢) عَنْ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: وَقَدْ كَانَ هَيْأَ لَهُمْ طَعَامًا. فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ^(٣)، قَالَ: لِيَجْلِسَ كُلُّ بَنِي
أُمِّ عَلَى مَائِدَةٍ. قَالَ: فَجَلَسُوا. وَبَقِيَ بَنِيَامِينَ^(٤) قَائِمًا.

فَقَالَ لَهُ يُوسُفُ: مَا لَكَ لَا تَجْلِسُ؟ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ قُلْتَ: لِيَجْلِسَ كُلُّ بَنِي أُمِّ عَلَى مَائِدَةٍ.
وَلَيْسَ لِي فِيهِمْ ابْنُ أُمِّ.

فَقَالَ يُوسُفُ: أَمَّا^(٥) كَانَ لَكَ ابْنُ أُمِّ؟ قَالَ لَهُ: بَنِيَامِينَ^(٦): بَلَى.

قَالَ يُوسُفُ: فَمَا فَعَلَ؟ قَالَ: زَعَمَ هَؤُلَاءِ أَنَّ الذَّنْبَ أَكَلَهُ!

قَالَ: فَمَا بَلَغَ مِنْ حَزْنِكَ عَلَيْهِ. قَالَ: وَلَدَ لِي أَحَدٌ عَشَرَ ابْنًا كُلَّهُمْ اشْتَقَقْتُ لَهُ اسْمًا مِنْ
اسْمِهِ.

فَقَالَ لَهُ يُوسُفُ: أَرَأَيْكَ قَدْ عَانَقَتِ النِّسَاءُ وَشَمِمَتِ الْوُلَدُ مِنْ بَعْدِهِ. قَالَ لَهُ بَنِيَامِينَ^(٧):

إِنَّ لِي أَبًا صَالِحًا، وَإِنَّهُ قَالَ: تَزَوَّجْ؛ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَخْرِجَ مِنْكَ ذُرِّيَّةً تَنْقُلُ الْأَرْضَ بِالتَّسْبِيحِ.

فَقَالَ لَهُ: تَعَالَى فَاجْلِسْ مَعِيَ عَلَى مَائِدَتِي.

فَقَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ: لَقَدْ فَضَّلَ اللَّهُ يُوسُفَ وَأَخَاهُ، حَتَّى أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ أَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى
مَائِدَتِهِ!

عَنْ أَبَانَ الْأَحْمَرِ^(٨)، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَمَّا دَخَلَ إِخْوَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ، وَقَدْ

١. تفسير العياشي ١٨٣/٢ - ١٨٤، ح ٤٥. ٢. من المصدر.

٣. المصدر: إِلَيْهِ. ٤. المصدر: ابْنُ يَامِينَ.

٥. أ، ب، ما. ٦. المصدر: ابْنُ يَامِينَ.

٧. المصدر: ابْنُ يَامِينَ. ٨. تفسير العياشي ١٨٣/٢، ح ٤٤.

جاؤوا بأخيهام معهم، وضع لهم الموائد. ثم قال: يمتار كل واحد منكم مع أخيه لأمه على الخوان. فجلسوا، وبقي أخوه قائماً. فقال له: ما لك لا تجلس مع إخوتك؟ قال: ليس لي^(١) فيهم أخ من أمي. قال: فلك أخ من أمك، زعم هؤلاء أن الذئب أكله؟ قال: نعم، قال: فاقعد وكل معي.

قال: فترك إخوته الأكل وقالوا: إننا نريد أمراً، ويأبى الله إلا أن يرفع ولد يامين علينا. وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): فخرجوا وخرج معهم بنيامين. وكان لا يؤاكلهم، ولا يجالسهم، ولا يكلمهم. فلما وافوا مصر، دخلوا على يوسف وسلموا. فنظر يوسف إلى أخيه، فعرفه. فجلس منهم بالبعيد.

فقال يوسف: أنت أخوهم؟ قال: نعم. قال: فلم لا تجلس معهم؟ قال: لأنهم أخرجوا أخي من أمي وأبي، ثم رجعوا ولم يردّوه، وزعموا أن الذئب أكله. فأليت على نفسي أن لا أجتمع [معهم]^(٣) على أمر ما دمت حيّاً. قال: فهل تزوّجت؟ قال: بلى.

قال: كم ولد لك؟ قال: ثلاثة^(٤) بنين. قال: فما سمّيتهم؟ قال: سمّيت واحداً منهم الذئب. وواحداً القميص. وواحداً الدم. قال: وكيف اخترت هذه الأسماء؟ قال: لأنّ أنسى أخي. كلّما دعوت واحداً من ولدي، ذكرت أخي.

قال لهم يوسف: اخرجوا. وحبس بنيامين. فلما خرجوا من عنده، قال يوسف لأخيه: أنا أخوك يوسف. «فلا تبتئس بما كانوا يعملون». ثم قال له: أنا أحب أن تكون عندي. فقال: لا يدعني^(٥) إخوتي. فإنّ أبي قد أخذ عليهم عهداً لله وميثاقه أن يردّوني إليه. قال: أنا أحتال بحيلة. فلا تنكر إذا رأيت شيئاً ولا تخبرهم. فقال: لا.

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ ﴾: المشرّبة.

٢. تفسير القمي ١/٣٤٨.

٤. المصدر: ثلاث.

١. ليس في أ.

٣. من المصدر.

٥. المصدر: يدعوني.

﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾: قيل^(١): كانت مشربة جعلت صاعاً يكال به.

وقيل^(٢): كانت يسقى بها الدواب ويكال فيها، وكانت من فضة. وقيل: من ذهب.

وقرئ^(٣): «وجعل» على حذف جواب «فلماً». تقديره: أمهلهم حتى انطلقوا.

﴿ثُمَّ أَذِّنْ مُّؤَذِّنٌ﴾: [نادى مناد]^(٤).

﴿أَيُّهَا الْعَبْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾^(٥): والعبر: القافلة. وهي الإبل التي عليها الأحمال،

لأنها تعبر، أي تتردد. فقيل لأصحابها. كقوله ﷺ: يا خيل الله، اركبي.

وقيل^(٥): جمع عبر. وأصلها فعل، كسقف. فعل به ما فعل ببيض. تجوز به لقافلة

الحمير. ثم استعير لكل قافلة.

قيل^(٦): لعله لم يقله بأمر يوسف. أو كان تعبئة السقاية والنداء عليها برضا^(٧)

بنيامين.

وقيل^(٨): معناه: إنكم لسارقون يوسف من أبيه. أو أئنتكم لسارقون؟

وفي أصول الكافي^(٩): عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد، عن عثمان

بن عيسى، عن سماعة، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله ﷺ: التقية من دين الله [قلت:

من دين الله؟!]^(١٠) قال: إي والله، من دين الله. ولقد قال يوسف: «أيتها العبر إنكم

لسارقون». والله ما كانوا سرقوا شيئاً. ولقد قال إبراهيم^(١١): «إني سقيم». والله ما كان

سقيماً.

علي بن إبراهيم^(١٢)، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن محمد بن [أبي]^(١٣) نصر، عن حماد بن

عثمان، عن الحسن الصيقل^(١٤) قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: إنا قد رويناه عن

١-٣. أنوار التنزيل ٥٠٣/١.

٤. ليس في أ، ب.

٥ و٦. أنوار التنزيل ٥٠٣/١.

٧. أ، ب: برحلتنا.

٨. نفس المصدر والموضع.

٩. الكافي ٢/٢١٧، ح ٣.

١٠. من المصدر.

١١. الصافات ٨٩.

١٢. الكافي ٢/٣٤١-٣٤٢، ح ١٧.

١٣. من المصدر.

١٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: الصقيل.

أبي جعفر عليه السلام في قول يوسف: «أَيَّتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ». فقال: والله ما سرقوا، وما كذب. وقال إبراهيم ^(١): «بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون». [فقال: والله ما فعلوا،] ^(٢) وما كذب.

قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما عندكم فيها يا صيقل ^(٣)؟ قلت: ما عندنا فيها إلا التسليم.

فقال: إِنَّ اللَّهَ أَحَبُّ اثْنَيْنِ، وَأَبْغَضُ اثْنَيْنِ. أَحَبُّ الْخَطَرِ ^(٤) فِيمَا بَيْنَ الصَّفَيْنِ، وَأَحَبُّ الْكَذْبِ فِي الْإِصْلَاحِ. وَأَبْغَضُ الْخَطَرِ فِي الطَّرَقَاتِ، وَأَبْغَضُ الْكَذْبِ فِي غَيْرِ الْإِصْلَاحِ. إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام إِنَّمَا قَالَ: «بل فعله كبيرهم هذا» إِرَادَةَ الْإِصْلَاحِ، وَدَلَالَةَ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَ. وَقَالَ يَوْسُفُ إِرَادَةَ الْإِصْلَاحِ.

أبو علي الأشعري ^(٥)، عن مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنِ الْحَجَّالِ، عَنْ ثَعْلَبَةَ، عَنْ مَعْمَرِ بْنِ عَمْرِو، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا كَذِبَ عَلَى مُصْلِحٍ». ثُمَّ تَلَا: «أَيَّتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ». ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا سَرَقُوا وَمَا كَذَبَ. ثُمَّ تَلَا: «بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون». ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا فَعَلُوهُ، وَمَا كَذَبَ.

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ^(٦)، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي يَحْيَى الْوَاسِطِيِّ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: الْكَلَامُ ثَلَاثَةٌ: صَدَقَ، وَكَذَبَ، وَاصْلَاحُ بَيْنِ النَّاسِ.

وَفِي رَوْضَةِ الْكَافِي ^(٧): الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مَعْلَى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ الْوَشَاءِ، عَنْ أَبَانَ بْنِ عَثْمَانَ، عَنْ أَبِي مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: قِيلَ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام وَأَنَا عَنْده: إِنَّ سَالِمَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ وَأَصْحَابَهُ ^(٨) يَرَوُونَ عَنْكَ أَنَّكَ تَكَلِّمُ عَلَى سَبْعِينَ

١. الأنبياء/٦٣.

٢. من المصدر.

٣. المصدر: زيادة قال.

٤. الخطر: التبختر في المشي.

٥. الكافي/٣، ٣٤٣، ح ٢٢.

٦. الكافي/٢، ٣٤١، ح ١٦.

٧. الكافي/٨، ١٠٠، ح ٧٠.

٨. ليس في أ، ب.

وجهاً لك^(١) منها المخرج. فقال: ما يريد سالم مني؟! أريد أن أجيء بالملائكة؟! والله ما جاء^(٢) بهذا النبئون. ولقد قال يوسف عليه السلام: «أيتها العير إنكم لسارقون». والله ما كانوا سارقين، وما كذب.

وفي كتاب علل الشرائع^(٣)، بإسناده إلى أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لا خير فيمن لا تقية له. ولقد قال يوسف: «أيتها العير إنكم لسارقون» وما سرقوا. وبإسناده^(٤) إلى هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول يوسف: «أيتها العير إنكم لسارقون» قال: ما سرقوا، وما كذب.

وبإسناده^(٥) إلى صالح بن سعيد، عن رجل من أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله ﷻ في يوسف: «أيتها العير إنكم لسارقون». قال: إنهم سرقوا يوسف من أبيه. ألا ترى أنه قال لهم حين قالوا^(٦): «ما ذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك». ولم يقولوا: سرقتم صواع الملك. إنما عني: إنكم سرقتم يوسف من أبيه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٧): عن الصادق عليه السلام في قوله ﷻ: «أيتها العير إنكم لسارقون» قال: ما سرقوا وما كذب يوسف، وإنما عني سرقتم يوسف من أبيه.

﴿قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾^(٨): وأي شيء ضاع منكم؟

والفقد: غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه.

وقرئ^(٩): «تفقدون» من أفقده: إذا وجدته فقيداً.

﴿قَالُوا نَفْقِدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ﴾: وقرئ^(٩): «صاع» و«صوع» بالفتح والضم والعين

والغين. و«صواغ» من الصياغة.

١. ليس في أ، ب، ر.

٢. المصدر: ما جاء.

٣. العلل ٥١/١، ح ١.

٤. العلل ٥٢/١، ح ٣.

٥. نفس المصدر والموضع، ح ٤.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: قال.

٧. تفسير القمي ٣٤٩/١.

٨ و٩. أنوار التنزيل ٥٠٣/١.

وفي تفسير العياشي^(١): [عن أبي حمزة الثمالي^(٢)]، عن الباقر عليه السلام قال: صواع الملك الطاس^(٣) الذي يشرب فيه.

وعن الصادق عليه السلام^(٤) قال: كان قدحاً من ذهب. و [قال: ^(٥) كان صواع يوسف إذا كيل به، قال: «لعن الله الخزان. لا تخونوا به» بصوت حسن^(٦)]. وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٧): وكان الصاع الذي يكيلون به من ذهب. فجعلوه في رحله من حيث لم يقف عليه إخوته^(٨).

﴿وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ: من الطعام، جعلاً له.

﴿وَأَنَا بِهِ رَعِيمٌ﴾^(٩): كليل أوديه إلى من رده.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾: قسم فيه معنى التعجب. والتاء بدل من الباء، مختصة باسم الله.

﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾^(١٠): قيل^(١١): استشهدوا

بعلمهم على براءة أنفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومدخلتهم للملك، مما يدل على فرط أمانتهم، كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم، وكعم^(١٢) الدواب كيلا تتناول زرعاً أو طعاماً لأحد.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾: فما جزاء السارق، أو السرقة، أو الصواع، بمعنى سرقة، على

حذف المضاف.

﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾^(١٣): في ادعائكم البراءة.

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾: أي جزاء سرقة أخذ من وجد في

رحله واسترقاقه.

١. تفسير العياشي ١٨٥، ح ٥١.

٢. من المصدر.

٣. المصدر: طاس.

٤. نفس المصدر والموضع، ح ٥٢.

٥. من المصدر.

٦. من المصدر.

٧. تفسير العمري ٣٤٨/١.

٨. المصدر: «لم يقفوا عليه» بدل «لم يقف عليه إخوته».

٩. أنوار التنزيل ٣٥/١.

١٠. كعم البعير: شدّ فاه في هياجه لئلا يعضّ أو يأكل.

هكذا كان شرع يعقوب. وقوله: «فهو جزاؤه» تقرير للحكم والزام له. أو خبر «مَنْ»
والفاء لتضمّنها معنى الشرط. أو جواب لها على أنها شرطية. والجملة كما هي خبر
«جزاؤه» على إقامة الظاهر فيها مقام الضمير. كأنه قيل: جزاؤه من وجد في رحله،
فأحبسه.

وفي تفسير العياشي^(١)، عن الصادق عليه السلام: يعنون السنة التي كانت تجري فيهم أن
يجبسه.

﴿كَذَلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢) بالسّرقه.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ﴾: فبدأ المؤذن.

وقيل^(٣): يوسف، لأنهم ردّوا إلى مصر.

﴿قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾: بنيامين، نفيّاً للتهمة.

﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾: أي السقاية. أو الصواع، لأنه يُذَكَّرُ وَيُؤنَّثُ.

﴿مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾: وقرئ^(٤) بضم الواو، وبقلبها همزة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): فتشّبثوا بأخيه، فحبسوه.

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الكيد.

﴿كَيْدَنَا لِيُوسُفَ﴾: بأن علّمناه إياه، وأوحينا به إليه.

﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾: ملك مصر؛ لأنّ دينه الضرب وتغريم ضعف

ما أخذ دون الاسترقاق. وهو بيان للكيد.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: إلّا أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك.

فالاستثناء من أعم الأحوال. ويجوز أن يكون منقطعاً. أي لكن أخذه بمشيئة الله
وإذنه.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾: بالعلم، كما رفعنا درجته.

١. لم نثر عليه في تفسير العياشي ولكن يوجد في تفسير الصافي ٨٤٥/٤.

٢ و٣. أنوار التنزيل ٥٠٣/١. ٤. تفسير القمي ٣٤٨/١.

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^(١): أرفع درجة منه.

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ﴾: بنيامين.

﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾: يعنون يوسف.

في الخرائج والجرائح^(١)، وروى سعد بن عبدالله، عن محمد بن الحسن بن ميمون، عن داود بن قاسم الجعفري قال: سئل أبو محمد عليه السلام عن قوله تعالى: «إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ» والسائل رجل من قم وأنا حاضر، فقال عليه السلام: ما سرق يوسف. إنما كان ليعقوب منطقة ورثها من إبراهيم عليه السلام وكانت تلك المنطقة لا يسرقها أحد إلا استُعبد. فكانت^(٢) إذا سرقها إنسان، نزل جبرئيل عليه السلام فأخبره بذلك. فأخذت منه، وصار^(٣) عبداً.

وإن المنطقة كانت عند سارة بنت إسحاق بن إبراهيم، وكانت سمية أمه. وإن سارة أحبَّت يوسف، وأرادت أن تتخذه ولداً لها^(٤). وإنها أخذت المنطقة، فربطتها في وسطه. ثم سدلت عليه سرباله وقالت ليعقوب: إن المنطقة سرقت. وأتاه جبرئيل فقال: يا يعقوب، إن المنطقة مع يوسف. ولم يخبره بخبر ما صنعت سارة، لما أراد الله. فقام يعقوب إلى يوسف، ففتشهُ - وهو يومئذ غلام يافع - واستخرج المنطقة. فقالت سارة بنت إسحاق: مني سرقها يوسف، فأنا أحقُّ به. فقال لها يعقوب: فإنه عبدك أن لا تبيعه^(٥)، ولا تهيبه. قالت: فأنا أقبله على أن لا تأخذه مني، وأعتقه الساعة. فأعطاها إياه، فأعتقته. ولذلك قال إخوة يوسف: «إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ». قال أبو هاشم: فجعلت أجيل هذا في نفسي، أفكر وأتعجب من هذا الأمر، مع قرب يوسف من يعقوب وحزن يعقوب عليه، حتَّى ابْيَضَّت عيناه من الحزن، والمسافة قريبة!

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: فكان.

٤. المصدر: لنفسها.

١. الخرائج ٧٣٨/٢، ح ٥٣.

٣. بعض نسخ المصدر: أخذ.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: لا تبيعه.

فأقبل عليّ أبو محمّد ﷺ فقال: يا أبا هاشم، تعوذ بالله ممّا جرى في نفسك من ذلك. فإنّ الله لو شاء أن يرفع الستائر^(١) [من الأعلى ما]^(٢) بين يعقوب ويوسف حتّى كانا يتراءيان^(٣)، لفعل. ولكن له أجل هو بالغه، ومعلوم ينتهي إليه ما كان من ذلك. فالخيار من الله لأوليائه.

وفي تفسير العيّاشي^(٤): عن إسماعيل بن همام، قال: قال الرضا ﷺ [في قول الله: «إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم» قال: ^(٥)] كانت لإسحاق النبيّ منطقة يتوارثها الأنبياء والأكابر، وكانت عند عمّة يوسف. وكان يوسف عندها، وكانت تحبّه. فبعث إليها أبوه أن ابعنيها إليّ، وأردّه إليك. فبعثت إليه أن دعه عندي الليلة^(٦) أشمّه، ثم أرسله إليك غدوة. فلمّا أصبحت أخذت المنطقة، فربطتها في حقوه^(٧). وألبسته قميصاً، وبعثت به إليه. وقالت: سُرقت المنطقة، فوجدت عليه، وكان إذا سرق أحد في ذلك الزمان، دُفع إلى صاحب السرقة. فأخذته، فكان عندها.

وفي عيون الأخبار^(٨)، بإسناده إلى إسماعيل بن همام، عن الرضا ﷺ نحوه. حدّثنا المظفر بن جعفر بن المظفر العلوي^(٩)، قال: حدّثنا جعفر بن مسعود، عن أبيه، عن عبدالله^(١٠) بن محمّد بن خالد قال: حدّثني الحسن بن عليّ الوشاء قال: سمعت عليّ بن موسى الرضا ﷺ يقول: كانت الحكومة في بني إسرائيل إذا سرق أحد شيئاً، استرقّ به. وكان يوسف عند عمّته وهو صغير، وكانت تحبّه. وكانت لإسحاق ﷺ منطقة ألبسها إياه يعقوب ﷺ فكانت عند ابنته.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: الساتر.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: كان يراه.

٣. من المصدر.

٤. الحق: معقد الإزار، ويسمّى بالخصر.

٥. نفس المصدر والمجلّد ٧٥/٧٦، ح ٦.

٦. ليس في المصدر.

٧. العيون ٧٥/٢، ح ٥٣.

٨. ليس في أ، ب.

٩. المصدر: عبيدالله.

وإن يعقوب طلب يوسف^(١) من عمته. فاغتمت لذلك، وقالت: دعه حتى أرسله إليك. فأرسلته. وأخذت المنطقة فشدتها^(٢) في وسطه تحت الثياب.

فلما أتى يوسف [أباه، جاءت فقالت: سُرقت المنطقة. ففتشته، فوجدتها في وسطه. فلذلك قال إخوة يوسف] ^(٣) حيث جعل الصاع في وعاء أخيه^(٤)، فقال لهم يوسف: ما جزاء من وجد في رحله؟ قالوا: هو جزاؤه، كما جرت السنة التي تجري فيهم. «فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه». ولذلك قال إخوة يوسف: «إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل». يعنون المنطقة. «فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم».

وفي تفاسير العامة^(٥): كان لأبي أمه صنم. فسرقه وكسره، وألقاه في الجيف.

وفي بعضها^(٦): كان في البيت عناق أو دجاجة سرقه وأعطى السائل.

﴿فَاسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾: أكنها ولم يظهرها لهم.

والضمير للإجابة أو المقالة أو نسبة السرقة إليه.

وقيل^(٧): إنها كناية بشرطة التفسير، يفسرها قوله:

﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾: فإنه بدل من «أسرها». والمعنى: قال في نفسه: «أنتم شرّ

مكاناً» أي منزلة في السرقة لسرقتكم أخاكم أو في سوء الصنيع بما كنتم عليه. وتأنيتها

باعتبار الكلمة أو الجملة.

وفيه نظر، إذ المفسر بالجملة لا يكون إلا ضمير الشأن.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾^(٨) وهو يعلم أن الأمر ليس كما تصفون، وأنه لم يسرق.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾: في السن، أو القدر.

١. المصدر: زيادة يأخذه.

٢. المصدر: وشدها.

٣. ليس في أ، ر، ب.

٤. المصدر: زيادة «إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل».

٥. أنوار التنزيل ٥٠٤/١، وتفسير الجلالين المطبوع في هامش أنوار التنزيل ٥٠٤/١.

٦ و٧. أنوار التنزيل ٥٠٤/١.

ذكروا له حاله استعطافاً له عليه.

﴿فَخَذَ أَحَدُنَا مَكَانَهُ﴾: بدله. فَإِنَّ أَبَاهُ ثُكْلَانٌ عَلَى أَخِيهِ الْهَالِكِ، مُسْتَأْنَسٌ بِهِ.

﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣٨): إلينا، فأتَمَّ إحسانك. أو: من المتعودين بالإحسان،

فلا تغيّر عادتك.

وفي تفسير العيّاشي^(١)، عن الباقر عليه السلام: نراك من المحسنين إن فعلت.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾: نعوذ بالله معاذاً.

﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾: فَإِنْ أَخَذَ غَيْرَهُ ظَلَمَ عَلَى فَتَوَاكُم، فَلَوْ أَخَذْنَا

أَحَدَكُمْ مَكَانَهُ

﴿إِنَّا إِذَا لَطَلْنَا مَوْنَ﴾^(٣٩) في مذهبيكم.

هذا وأن مراده: أَنَّ اللَّهَ أَذُنٌ فِي أَخْذٍ مِنْ وَجَدْنَا الصَّاعِ فِي رَحْلِهِ لِمَصْلَحَتِهِ وَرِضَاهُ

عليه، فَلَوْ أَخَذْتَ غَيْرَهُ كُنْتَ ظَالِماً عَامِلاً بِخِلَافِ مَا أَمَرْتُ بِهِ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): [قال: أي يوسف^(٣)] وكانوا يجادلونه في حبسه،

وكانوا ولد يعقوب إذا غضبوا خرج من ثيابهم شعر وتقطر من رؤوسها دم أصفر.

وفي تفسير العيّاشي^(٤): عن الحسين^(٥) بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال ذكر

بني يعقوب: كانوا إذا غضبوا اشتدَّ غضبهم حتَّى تَقْطُرَ جلودهم دماً أصفر، وهم

يقولون: خذ أحدنا مكانه، يعني: جزاءه^(٦). فأخذ الذي وجد الصاع عنده.

وفي كتاب علل الشرائع^(٧): أبي عليه السلام، قال: حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ

أَحْمَدَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَهْرَانَ الْكُوفِيِّ^(٨)، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَهْرَانَ الْكُوفِيِّ

١. تفسير العيّاشي ١٨٢/٢، ح ٤٢ في ضمن حديث طويل.

٢. تفسير القمي ٣٤٩/١. ٣. ليس في المصدر.

٤. تفسير العيّاشي ١٨٦/٢، ح ٥٥. ٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: الحسن.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: جزاء. ٧. العلل ٦٠٦/١-٦٠٩، ح ٨١.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: «بن اليساري» بدل «عن أحمد بن محمد بن محمد اليساري».

قال: حَدَّثني حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي إسحاق اللبني قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: يا ابن رسول الله، إني لأجد من شيعتكم من يشرب الخمر، ويقطع الطريق، ويخيف السبيل، ويزني، ويلوط، ويأكل الربا، ويرتكب الفواحش، ويتهاون بالصلاة والصيام والزكاة، ويقطع الرحم، ويأتي الكبائر، فكيف هذا ولم ذلك؟

فقال: يا إبراهيم، هل يختلج في صدرك شيء غير هذا؟

قلت: [نعم] ^(١) يا ابن رسول الله، أخرى أعظم من ذلك.

فقال: وما هو، يا أبا إسحاق؟

قال: فقلت: يا ابن رسول الله، وأجد من أعدائكم ومن ناصبكم من يكثر من الصلاة والصيام، ويخرج ^(٢) الزكاة، ويتابع بين الحج والعمرة، ويحض ^(٣) على الجهاد، ويأثر على البرّ وعلى صلة الرحم، ويقضي حقوق إخوانه ويواسيهم ^(٤) من ماله، ويجتنب شرب الخمر والزنا واللواط وسائر الفواحش، فعمّ ذلك ولم ذاك؟ فسره لي يا ابن رسول الله، وبرهنه ويبيّنه، فقد والله كثر فكري وأسهر ليلي وضاق ذرعي.

قال: فتبسّم [الباقر] ^(٥) صلوات الله عليه، ثم قال: يا إبراهيم، خذ إليك بياناً شافياً فيما سألت وعلماً ^(٦) مكنوناً ^(٧) من خزائن علم الله وسرّه. وأخبرني يا إبراهيم، كيف تجد اعتقادهما؟

قلت: يا ابن رسول الله، أجد محبّيك وشيعتكم على ما هم فيه، ممّا وصفته من أفعالهم، لو أعطني أحدهم ما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضة أن يزول عن ولايتكم

١. من المصدر.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: ومخرج.

٣. المصدر: يحرض.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: ويواسيهم.

٥. من المصدر.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: علمنا.

٧. ب: مكتوماً.

و^(١) محبتكم إلى موالاة غيركم وإلى محبتهم ما زال، ولو ضُربت خياشيمه^(٢) بالسيوف فيكم، ولو قتل فيكم ما ارتدع ولا رجع عن محبتكم وولايتكم. وأرى الناصب على ما هو عليه ممّا وصفته من أفعالهم، لو أعطي أحدهم ما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضةً أن يزول عن محبة الطواغيت^(٣) وموالاتهم إلى موالاةكم ما فعل ولا زال، ولو ضُربت خياشيمه بالسيوف فيهم ولو قتل [فيهم]^(٤) ما ارتدع ولا رجع، وإذا سمع أحدهم منقبة لكم وفضلاً اشتمأ من ذلك وتغيّر لونه، ورأى^(٥) كراهية ذلك في وجهه بغضاً لكم ومحبة لهم^(٦).

[قال]^(٧) فنبسم الباقر عليه السلام ثم قال: يا إبراهيم، هاهنا هلكت العاملة الناصبة «تصلني ناراً حامية، تُسقى من عين أنية» ومن ذلك قال الله ﷻ: «وقدما إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً»^(٨). ويحك يا إبراهيم، أتدري ما السبب والقصة في ذلك، وما الذي قد خفي على الناس منه؟

قلت: يا ابن رسول الله، فبيّنه لي وشرحه وبرهنه.

قال: يا إبراهيم، إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً^(٩) قديماً خلق الأشياء لا من شيء، ومن زعم أنّ الله ﷻ خلق الأشياء^(١٠) من شيء فقد كفر، لأنّه لو كان ذلك الشيء الذي خلق منه الأشياء قديماً [معه] في أزليّته وهويّته كان ذلك الشيء أزليّاً، بل خلق ﷻ الأشياء كلّها لا من شيء، فكان ممّا خلق الله تعالى^(١١) أرضاً طيبة، ثمّ فجّر منها ماءً عذباً زلالاً، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت، فقبلتها، فأجرى ذلك الماء عليها

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: «لما فعل ولا عن» بدل «و».

٢. خياشيم - جمع الخيشوم -: أقصى الأنف. ٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: محبته للطواغيت.

٤. من المصدر. ٥. الأظهر: زُني.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: لغيركم. ٧. من المصدر.

٨. الفرقان ٢٣/ ٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: قائماً.

١٠. من المصدر.

١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: «ومما خلق الله ﷻ أن خلق» بدل «فكان ممّا خلق الله تعالى».

سبعة أيام حتى^(١) طبّقها وعمّها، ثم نضب^(٢) ذلك الماء عنها، فأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً، فجعله طين الأئمة عليهم السلام ثم أخذ ثقل^(٣) ذلك الطين فخلق منه شيعتنا، ولو ترك طينتكم يا إبراهيم، كما ترك طينتنا، لكنتم ونحن شيئاً واحداً.

قلت: يا ابن رسول الله، فما فعل بطينتنا؟

قال: أخبرك يا إبراهيم، خلق الله ﷻ بعد ذلك أرضاً سبخة خبيثة منتنة^(٤)، ثم فجر^(٥) منها ماء أجاجاً [أسناً]^(٦) مالحاً، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت، فلم تقبلها فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام حتى طبّقها وعمّها، ثم نضب ذلك الماء عنها، ثم أخذ من ذلك الطين فخلق منه الطغاة وأنتمهم^(٧)، ثم مزجه بثفل طينتكم، ولو ترك طينتهم على حالها ولم يمزج بطينتكم لم يشهدوا الشهادتين، ولا صلّوا ولا صاموا ولا زكّوا ولا حجّوا، ولا أدوا أمانة، ولا أشبهوكم في الصور، وليس شيء [أكبر]^(٨) على المؤمن أن يرى صورة عدوّه مثل صورته.

قلت: يا ابن رسول الله، فما صنع بالطينتين؟

قال: مزج بينهما بالماء الأوّل والماء الثاني، ثم عركهما عرك الأديم^(٩)، ثم أخذ من ذلك قبضة فقال: هذه إلى الجنّة ولا أبالي. وأخذ قبضة أخرى وقال: هذه إلى النار ولا أبالي. ثم خلط بينهما فوقع من شيع^(١٠) المؤمن وطينته على شيع الكافر وطينته، ووقع من شيع الكافر وطينته على شيع المؤمن وطينته. فما رأيته من شيعتنا من زناً أو لواط أو ترك صلاة أو صيام أو حجّ أو جهاد أو خيانة أو كبيرة من هذه الكبائر، فهو من طينة الناصب وعنصره الذي قد مزج فيه، لأنّ من شيع الناصب وعنصره وطينته

١. ليس في المصدر.

٢. المصدر: انضب.

٣. الثقل: ما استقرّ تحت الماء من كدر.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: ميتة.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: «فجرى» بدل «فجر».

٦. من المصدر. والأسن: المتغيّر الطعم.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: أمهم.

٩. عرك الأديم: دلكه. والأديم: الجلد المدبوغ.

٨. من المصدر.

١٠. المصدر: سنخ.

اكتساب المآثم والفواحش والكبائر. وما رأيت من الناصب من مواظبته على الصلاة والصيام والزكاة والحجّ والجهاد وأبواب البرّ، فهو من طينة المؤمن وشبّحه الذي قد مزج فيه، لأنّ من شبّح المؤمن وعنصره وطيبته اكتساب الحسنات واستعمال الخير واجتناب المآثم.

فإذا عُرِضَت هذه الأعمال كلّها على الله ﷻ قال: أنا الله ^(١) عدل لا أجور، ومنصف لا أظلم، وحكم لا أحيف ^(٢) ولا أميل ولا أشطط ^(٣)، ألحقوا الأعمال السيئة التي اجترحها المؤمن بشيخ ^(٤) الناصب وطيبته، وألحقوا الأعمال الحسنة التي اكتسبها الناصب بشيخ ^(٥) المؤمن وطيبته، ردّوها كلّها إلى أصلها، فإنّي أنا الله ^(٦) لا إله إلا أنا عالم السرّ وأخفى، وأنا المطلّع على قلوب عبادي، لا أحيف ولا أظلم ولا ألزم [أحداً] ^(٧) إلا ما عرفته منه قبل أن أخلقه.

ثم قال الباقري رحمه الله: اقرأ [يا إبراهيم] ^(٨) هذه الآية.

قلت: يا ابن رسول الله، أية آية؟

قال: قوله تعالى: «قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون» هو في الظاهر ما تفقهونه ^(٩)، هو والله في الباطن هذا بعينه يا إبراهيم. إنّ للقرآن ظاهراً وباطناً، ومحكماً ومتشابهاً، وناسخاً ومنسوخاً. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿ فَلَمَّا اسْتَيْسُّوْا مِنْهُ ﴾: يشسوا من يوسف وإجابته إياهم. وزيادة السين والتاء

للمبالغة.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: لا أخيف.

٤. المصدر: بسنخ.

٦. ليس في أ.

٩. المصدر: تفهمونه.

١. ليس في المصدر.

٣. شطط الرجل: أفرط وتباعد عن الحق.

٥. المصدر: بسنخ.

٧ و٨. من المصدر.

وعن البري^(١): «استيأس» بالالف وفتح الياء من غير همزة، وإذا وقف [همزة ألقى] ^(٢) حركة الهمزة على الياء على أصله.

﴿خَلَصُوا﴾: انفردوا واعتزلوا.

﴿نَجِيًّا﴾: متناجين.

وإنما وحده لأنه مصدر، أو بزنته، كما قيل: هم صديق. وجمعه أنجية، كندى وأندية.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾: قيل ^(٣): في السن، وهو روبيل، أو في الرأي، وهو شمعون.

وفي تفسير العياشي^(٤): عن الصادق عليه السلام: قال لهم يهوذا، وكان أكبرهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): قال لهم لاوي.

﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾: عهداً وثيقاً. وإنما جعل حلفهم بالله موثقاً منه؛ لأنه بإذن منه وتأكيده من جهته.

﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾: هذا.

﴿مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾: قصرتم في شأنه.

و«ما» مزيدة. ويجوز أن تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول «تعلموا» ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالطرف، أو على اسم «أَنْ» وخبره «في يوسف» أو «من قبل» أو الرفع بالابتداء والخبر «من قبل» وفيه نظر؛ لأن «قبل» إذا كان خبراً أو صلة لا يقطع عن الإضافة حتى لا ينقص.

وأن تكون موصولة، أي ما فرطتموه، بمعنى ما قدّمتموه في حقّه من الخيانة، ومحله ما تقدّم.

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾: فلن أفارق أرض مصر.

٢. من المصدر.

١. أنوار التنزيل ٥٠٤/١.

٤. تفسير العياشي ١٨٦/٢، ح ٥٦.

٣. أنوار التنزيل ٥٠٥/١.

٥. تفسير القمي ٣٤٩/١.

﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾: في الرجوع إليه.

﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾: أي يقضي لي بالخروج منها، أو بخلاص أخي منهم، أو بالمقاتلة معهم لتخليصه.

﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٥٦): لأن حكمه لا يكون إلا بالحق.

وفي تفسير العياشي^(١): عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا استيأس^(٢) إخوة يوسف من أخيهم قال لهم يهودا، وكان أكبرهم: «لن أبرح الأرض» الآية. قال: ورجع إلى يوسف يكلمه في أخيه، [فكلمه]^(٣) حتى ارتفع الكلام بينهما حتى غضب يهودا، وكان إذا غضب يهودا قامت شعرة في كتفه وخرج منها الدم [حتى يمسّه بعض ولد يعقوب]^(٤).

قال: وكان بين يدي يوسف ابن له صغير، معه رمانة من ذهب، وكان الصبي يلعب بها، فأخذها يوسف من الصبي فدحرجها نحو يهودا. قال: وجبا^(٥) الصبي نحو يهودا^(٦) ليأخذها فمسّ يهودا، فسكن يهودا. ثم عاد إلى يوسف فكلمه في أخيه حتى ارتفع الكلام بينهما حتى غضب يهودا وقامت الشعرة وسال منها الدم، فأخذ يوسف الرمانة من الصبي فدحرجها نحو يهودا، وجبا الصبي نحو يهودا فسكن يهودا.

فقال يهودا: إن في البيت معنا لبعض ولد يعقوب!

قال: فعند ذلك قال لهم يوسف: «هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون».

١. تفسير العياشي ١٨٦/٢، ح ٥٦.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: استيأسوا.

٣. ليس في المصدر.

٤. جبا الصبي: زحف.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: «وجاء الصبي» بدل «وجبا الصبي نحو يهودا».

وفي رواية هشام بن سالم ^(١)، عنه عليه السلام قال: لَمَّا أَخَذَ يَوْسُفُ أَخَاهُ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ إِخْوَتُهُ، فَقَالُوا لَهُ: خُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ، وَجُلُودَهُمْ تَقْطُرُ دَمًا أَصْفَرُ وَهُمْ يَقُولُونَ: خُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ. قَالَ: فَلَمَّا أُنْ أَبَى عَلَيْهِمْ وَأَخْرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ لَهُمْ يَهُودَا: قَدْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ «فَلَنْ أُبْرِحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ». قَالَ: فَارْجِعُوا إِلَى آبِيهِمْ، وَتَخَلَّفَ يَهُودَا.

قال: فدخل على يوسف يكلمه في أخيه حتى ارتفع الكلام بينه وبينه وغضب، وكان على كتفه شعرة إذا غضب قامت الشعرة فلا تزال تقذف بالدم حتى يمسه بعض ولد يعقوب.

قال: فكان بين يدي يوسف ابن له صغير في يده رمانة من ذهب يلعب بها، فلما رآه يوسف قد غضب وقامت الشعرة تقذف بالدم أخذ الرمانة من يد الصبي ثم دحرجها نحو يهودا، وأتبعها الصبي ليأخذها فوقعت يده على يهودا، [قال: فذهب غضبه، قال: فارتاب يهودا، ورجع الصبي بالرمانة إلى يوسف. ثم ارتفع الكلام بينهما حتى غضب وقامت الشعرة فجعلت تقذف بالدم، فلما رأى يوسف دحرج الرمانة نحو يهودا، وأتبعها الصبي ليأخذها فوقعت يده على يهودا ^(٢)] فسكن غضبه.

قال: فقال يهودا: إن في البيت لمن ولد يعقوب، حتى صنع ذلك ثلاث مرّات. وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٣): فرجع إخوة يوسف إلى أبيهم وتخلّف يهودا، فدخل على يوسف فكلمه حتى ارتفع الكلام بينه وبينه. وذكر مثل ما نقلناه عن تفسير العياشي، إلى قوله: ثلاث مرّات.

وبإسناده ^(٤) إلى علي بن محمد الهادي عليه السلام حديث طويل، وفيه: فنزل جبرئيل عليه السلام فقال له: يا يوسف، أخرج يدك. فأخرجها، فخرج من بين أصابعه نور. فقال يوسف: ما هذا يا جبرئيل؟

٢. ما بين المعقوفتين ليس في أ، ب.

١. تفسير العياشي ١٨٧/٢، ح ٥٦.

٤. تفسير القمي ٣٥٦/١.

٣. تفسير القمي ٣٤٩/١.

فقال: هذه النبوة، أخرجها الله من صلبك لأنك لم تقم لأبيك.
 فحفظ الله نوره ومحي النبوة من صلبه وجعلها في ولد لاوي أخيه يوسف، وذلك
 لأنهم لما أرادوا قتل يوسف قال: «لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب» فشكره
 الله على ذلك. ولما أرادوا أن يرجعوا إلى أبيهم من مصر، وقد حبس يوسف أخاه، قال:
 «فلن أبحر الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين» فشكر الله له
 ذلك، فكان أنبياء بني إسرائيل من ولد لاوي، وكان موسى من ولده، وهو موسى بن
 عمران بن يهصر بن واهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. وستقف على
 الحديث بتمامه إن شاء الله عن قريب.

﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾: على ما شهدنا من ظاهر الأمر.

وقرى^(١): «سُرِّقَ» أي نُسِبَ إلى السرقة.

﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾: بأن رأينا أن الصواع استخرج من وعائه.

﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾: لباطن الحال.

﴿حَافِظِينَ﴾^(٨١): فلا ندري أنه سرق، أو دَسَّوا الصاع في رحله. أو ما كنَّا للعواقب

عالمين، فلم ندر حين أعطيناك الموثق أنه سيسرق، أو أنك تصاب به كما أصبت
 بيوسف.

﴿وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾: يعنون مصر، أو قرية بقربها لحقهم المنادي فيها.

والمعنى: أرسل إلى أهلها واسألهم عن القصة.

﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾: وأصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنَّا معهم.

﴿وَأَنَا لَصَادِقُونَ﴾^(٨٢): تأكيد في محل القسم.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾: أي فلما رجعوا إلى أبيهم، وقالوا له ما قال لهم أخوهم، قال: بل

سوّلت، أي زينت وسهّلت.

﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾: أردتموه، لتعليمكم إياه أَنَّ السارق يؤخذ بسرقة، وإلا فما أدرى الملك أَنَّ السارق يؤخذ بسرقة.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: أي فأمري صبر جميل، أو فصبر جميل أجمل.
وفي تفسير العياشي^(١): عن جابر قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: رحمك الله، ما الصبر الجميل؟

قال: فذلك صبر ليس فيه شكوى إلى الناس.
وفي أمالي شيخ الطائفة^(٢) عليه السلام وبالإسناد في قوله عليه السلام في قول يعقوب: «فصبر جميل» قال: بلا شكوى.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾: بيوسف وبنيامين وأخيها الذي توقّف بمصر.
﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾: بحالي وحالهم.
﴿الْحَكِيمُ﴾^(٣): في تدبيرها.
﴿وَوَلَّيْ عَنْهُمْ﴾: وأعرض عنهم كراهة لما صادف منهم.
﴿وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ﴾: أي يا أسفى تعال فهذا أوانك.
و«الأسف» أشد الحزن والحسرة. و«الألف» بدل من ياء المتكلم.
وإنما تأسف على يوسف دون أخويه والحادث رزؤهما لأن رزاه كان قاعدة المصيبات وكان غصاً أخذاً بمجامع قلبه، ولأنه كان واثقاً بحياتهما^(٤) دون حياته.
وفي الحديث النبوي^(٥): لم تعط أمة من الأمم «إنا لله وإنا إليه راجعون» عند المصيبة إلا أمة محمد ألا ترى إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع، وقال: يا أسفى.
وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): سئل أبو عبدالله عليه السلام: ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف؟

١. تفسير العياشي ١٨٨/٢، ح ٥٧.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: يحبونهما.

٣. أنوار التنزيل ٥٠٦/١.

٤. تفسير العمي ٣٥٠/١.

قال: حزن سبعين ثكلى على أولادها.

قال: إنَّ يعقوب لم يعرف الاسترجاع، فمن هناك قال: «يا أسفى على يوسف».

وفي تفسير العياشي^(١): عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام.

وبهذا الإسناد^(٢)، عنه عليه السلام قال: قيل له: كيف يحزن يعقوب على يوسف، وقد

أخبره جبرئيل أنه لم يمت وأنه سيرجع إليه؟

فقال له: إنه نسي ذلك.

﴿وَاتَّيَسَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾: لكثرة بكائه من الحزن، كأنَّ العبرة محقت سوادهما

[يعني عمت من البكاء سوادها]^(٣).

وقيل: ضعف بصره.

وقيل: عمي عليه السلام.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤)، يعني: عميت من البكاء.

وقرئ^(٥): «من الحزن».

قيل^(٦): فيه دلالة على جواز التأسف والبكاء عند التفجع، ولعلَّ أمثال ذلك لا يدخل

تحت التكليف، فإنه قلَّ من يملك نفسه عند الشدائد. ولقد بكى رسول الله ﷺ على

ولده إبراهيم، وقال: القلب يحزن والعين تدمع، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا عليك

يا إبراهيم لمحزونون.

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(٧): مملوء من الغيظ على أولاده، ممسك له في قلبه لا يظهره. فعيل،

بمعنى مفعول، كقوله تعالى: «وهو مكظوم»^(٨). من كظم السقاء: إذا شدة على ملئه. أو

بمعنى فاعل، كقوله: «والكاظمين الغيظ». من كظم الغيظ: إذا اجترعه. وأصله: كظم

البعير جرته: إذا ردَّها في جوفه.

٢. نفس المصدر والموضع، ح ٥٩.

٤. تفسير القمي ١/٣٥٠.

٧. القلم/٤٨.

١. تفسير العياشي ١٨٨/٢، ح ٥٨.

٣. ليس في المصدر والمتن.

٥ و ٦. أنوار التنزيل ٥٠٦/١.

﴿قَالُوا تَاللّٰهِ تَفْتُوْا تَذْكُرُ يُوْسُفَ﴾: أي لا تفتأ ولا تزال تذكره تفجعاً عليه، فحذف «لا» كما في قوله:

فقلت يمين الله أبرح قاعداً

لأنه لا يلتبس بالإثبات، فإن القسم إذا لم يكن معه علامة الإثبات^(١) كان على النفي. ﴿حَتَّىٰ تَكُوْنَ حَرَضًا﴾: مريضاً مشرفاً على الهلاك.

وقيل^(٢): «الحرص» الذي أذابه همٌّ أو مرض، وهو في الأصل مصدر، ولذلك لا يؤنث ولا يجمع. والنعت بالكسر، كدنف ودنف، وقد قرئ به، وبضمّتين كجئب. ﴿أَوْ تَكُوْنَ مِنَ الْهَالِكِيْنَ﴾^(٣): من الميتين.

في كتاب الخصال^(٤): عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة.

إلى أن قال: ولقد بكى على أبيه الحسين صلوات الله عليه عشرين سنة، ما وضع بين يديه طعام إلّا بكى، حتّى قال له مولى له: يا ابن رسول الله، أما أنّ لحزنك أن ينقضي؟ فقال له: ويحك، إنّ يعقوب النبي عليه السلام كان له اثنا عشر ابناً، فغيّب الله عنه واحداً منهم، فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه [وشاب رأسه من الحزن]^(٥) واحدودب وقوس ظهره من الغم، وكان ابنه حيّاً في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني؟!

عن محمد بن سهل البحراني^(٦)، يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: البكاؤون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلي بن الحسين عليه السلام. فأما آدم فبكى على الجنة حتّى صار في خديه أمثال الأودية، وأما يعقوب فبكى على يوسف حتّى ذهب بصره حتّى قيل له: «تالله تفتؤ تذكر يوسف حتّى تكون حرصاً أو تكون من الهالكين».

١. علامة الإثبات هو اللام والنون. وقيل: لو كان إثباتاً لم يكن بدّ من اللام والنون.

٢. أنوار التنزيل ٥٠٦/١. ٣. الخصال ٥١٧/٢-٥١٩، ح ٤.

٤. من المصدر. ٥. الخصال ٢٧٢/١، ح ١٥.

وفي كتاب الاحتجاج^(١) للطبرسي عليه السلام: عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين^(٢) بن علي عليه السلام قال: إنَّ يهودياً من يهود الشام وأحبارهم قال لأمير المؤمنين عليه السلام: فأما يعقوب قد صبر على فراق ولده حتَّى كاد يحرض من الحزن. قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، وقد كان حزن يعقوب حزناً بعده تلاق، ومحمد ﷺ قبض ولده إبراهيم قرّة عينه في حياته منه، وخَصَّه بالاختيار ليعظم له الأذخار، فقال عليه السلام: «تحزن النفس ويجزع القلب، وأنا عليك يا إبراهيم لمحزونون، ولا نقول ما يسخط الرب» في كلّ ذلك يؤثر الرضا عن الله ﷻ والاستسلام له في جميع الفعال.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي﴾: همّي الذي لا أقدر الصبر عليه. من البَثِّ، بمعنى النشر.

﴿إِلَى اللَّهِ﴾: لا إلى أحد منكم ومن غيركم، فخلّوني وشكايتي.
﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾: من صنعه ورحمته، فإنّه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجئ إليه. أو من الله بنوع من الإلهام.

﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣): من حياة يوسف.

قيل^(٤): رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه، فقال: هو حيّ.

وقيل^(٥): علم من رؤيا يوسف أنّه لا يموت حتّى يخرّله إخوته سجّداً.

وسياتي في الخبر: أنّه نزل عليه ملك الموت فسأله عنه.

وفي تفسير العياشي^(٦): الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّما أشكو بَثِّي وحزني إلى الله» منصوبة.

٢. أ، ب: الحسن.

١. الاحتجاج ٣١٩/١.

٣. تفسير العياشي ١٩٠/٢ ح ٦٤ وأنوار التنزيل ٥٠٦/١.

٥. تفسير العياشي ١٨٩/٢ ح ٦٣.

٤. أنوار التنزيل ٥٠٦/١.

عن إسماعيل بن جابر^(١)، عن أبي عبدالله عليه السلام^(٢)، قال: إِنَّ يَعْقُوبَ أَتَى مَلِكًا يَسْأَلُهُ الحاجة. فقال له الملك: أنت إبراهيم؟

قال: لا.

قال: وأنت إسحاق بن إبراهيم؟

قال: لا.

قال: فمن أنت؟

قال: يعقوب بن إسحاق.

قال: فما بلغ ما أرى بك مع حادثة السن؟

قال: الحزن على يوسف.

قال: لقد بلغ بك الحزن يا يعقوب، كل مبلغ.

فقال: إِنَّا معاشر الأنبياء أسرع شيء البلاء إلينا، ثم الأمثل فالأمثل من الناس.

فقضى حاجته، فلمَّا جاوز صغير بابه هبط إليه جبرئيل فقال: يا يعقوب، ربك

يقرئك السلام ويقول لك: شكوتني إلى الناس؟

فغفر وجهه بالتراب وقال: يا رب، زلة أقلنيها، فلا أعود بعد هذا أبداً.

ثم عاد إليه جبرئيل، فقال: يا يعقوب، ارفع رأسك، ربك يقرئك السلام ويقول

لك: قد أقلتك فلا تعود تشكوني إلى خلقي. فما رُوي^(٣) ناطقاً بكلمة مما كان فيه حتى

أتاه^(٤) بنوه فضرب وجهه إلى الحائط وقال: «إِنَّمَا أَشْكُو بَنِي وَحْزَنِي» الآية.

وفي حديث آخر^(٥) عنه: [ذهب] يعقوب إلى نمرود في حاجة، فلمَّا رآه وثب

عليه، وكان أشبه الناس بإبراهيم، فقال له: أنت إبراهيم خليل الرحمان؟

قال: لا. الحديث.

١. نفس المصدر والموضع، ح ٦١.

٢. من المصدر.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: رأى.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: حصل.

٥. تفسير العياشي ١٨٩/٢، ح ٦٢.

وفي كتاب معاني الأخبار^(١)، بإسناده إلى ابن معاوية^(٢) الأستر قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: من شكى إلى مؤمن فقد شكى إلى الله ﷻ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): عن رسول الله ﷺ: ومن شكاً مصيبة نزلت به فإنما يشكو ربّه.

وفي نهج البلاغة^(٤): قال عليه السلام: ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فقد أصبح يشكو ربّه.

وفي مجمع البيان^(٥): «إنما أشكو بنّي وحزني إلى الله» وروي عن النبي ﷺ أن جبرئيل أتاه فقال: يا يعقوب، إن الله يقرأ عليك السلام ويقول: أبشر وليفرح قلبك، فوعزّتي، لو كانا ميّتين لشترهما لك، اصنع طعاماً للمساكين فإنّ أحبّ عبادي إليّ المساكين، أو تدري لمّ أذهبت بصرك وقوّست ظهرك؟ لأنكم ذبحتم شاة وأتاكم فلان^(٦) المسكين وهو صائم، فلم تطعموه شيئاً. فكان يعقوب بعد^(٧) ذلك إذا أراد الغداء أمر منادياً فنادى: ألا من أراد الغداء من المساكين فليتغدّ مع يعقوب. وإذا كان صائماً أمر منادياً ينادي: [ألا] من كان صائماً فليفطر مع يعقوب. رواه الحاكم أبو عبدالله في صحيحه.

وفي أصول الكافي^(٨): عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن علي بن أسباط، عن عمّه، يعقوب بن سالم، عن إسحاق بن عمّار [عن الكاهلي]^(٩) قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ يعقوب لمّا ذهب منه بنيامين نادى: يا ربّ، أما ترحمني حتّى أذهب عيني وأذهب ابني.

١. المعاني ٤٠٧/، ح ٨٤.

٢. تفسير القمّي ج ١ ص ٣٨١. نور الثقلين ٤٥٤/٢، ح ١٦١.

٣. نهج البلاغة ٥٠٨/، حكمة ٢٢٨.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: «فإنما» بدل «فقد أصبح».

٥. المجمع ٢٥٨/٣.

٦. ليس في أ، ب.

٧. من المصدر.

٨. الكافي ٦٦٦/٢، ح ٤.

٩. من المصدر.

فأوحى الله ﷻ إليه: لو أمتهما لأحييتهما لك حتى أجمع بينك وبينهما، ولكن تذكر الشاة التي ذبحتها وشويتها وأكلت، وفلان وفلان إلى جانبك صائم لم تنله منها شيئاً. وفي رواية أخرى^(١) قال: فكان بعد ذلك يعقوب إذا أصبح نادى: ألا من أراد الغداء فليأت يعقوب. وإذا أمسى نادى: ألا من أراد العشاء فليأت يعقوب.

وفي مصباح الشريعة^(٢): قال الصادق عليه السلام: المحزون غير المتفكر^(٣)، [لأن المتفكر] متكلف، والمحزون مطبوع^(٤)، والحزن يبدأ من الباطل، والفكر^(٥) يبدأ من رؤية المحدثات، وبينهما فرق، قال الله ﷻ في قصة يعقوب عليه السلام: «إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون».

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: فتعرّفوا منهما وتفحصوا من حالهما. والتحسس: تطلب الإحساس.

﴿وَلَا تَبْتَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ﴾: لا تقنطوا من فرجه وتنفيه.

وقرئ^(٦): «من روح الله» أي من رحمته التي يحيي بها العباد.

﴿إِنَّهُ لَا يَتَأَسُّ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٧): بالله وصفاته، لأن المؤمن من الله على خير يرجوه عند البلاء ويشكره في الرخاء.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٨): وقال الصادق عليه السلام: إن يعقوب عليه السلام لملك الموت: أخبرني عن الأرواح تقبضها مجتمعة أو متفرقة؟ قال: بل متفرقة.

قال: فهل قبضت روح يوسف في جملة ما قبضت من الأرواح؟ فقال: لا.

-
١. الكافي ٦٦٧/٢، ح ٥ قريب منه.
 ٢. مصباح الشريعة ١٨٧.
 ٣. ليس في أ، ب، ر.
 ٤. من المصدر.
 ٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: مطبوع.
 ٦. المصدر: التفكير.
 ٧. أنوار التنزيل ٥٠٦/١.
 ٨. كمال الدين ١٤٤/١، ح ١٠.

فعند ذلك قال لبيه: «يَا بَنِيَّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه».

وفي كتاب علل الشرائع^(١)، بإسناده إلى حنان بن سدير، عن أبيه قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن يعقوب حين قال لولده: «اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه» أكان علم أنه حيّ وقد فارقه منذ عشرين سنة وذهبت عيناه من الحزن؟ قال: نعم، علم أنه حيّ.

قلت: وكيف علم؟

قال: إنّه دعا في السحر أن يهبط عليه ملك الموت، فهبط عليه تريال وهو ملك الموت.

فقال له تريال: ما حاجتك يا يعقوب؟

قال: أخبرني عن الأرواح تقبضها مجتمعة أو متفرقة؟

فقال: بل متفرقة؛ روحاً وروحاً.

قال: فمرّ بك روح يوسف؟

قال: لا.

فعند ذلك علم أنه حيّ، فقال لولده: «اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه».

وفي روضة الكافي^(٢)، ابن محبوب، عن حنان بن سدير، عن أبي جعفر عليه السلام مثله، إلّا أنّ فيها «بريال» بالباء الموحدة نقطاً مكان «تريال» بالمشثاة من فوق.

وفي تفسير العياشي^(٣): عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام مثله أيضاً، إلّا أنّ فيه: «قوبال». وفيه وفي خبر آخر: تبرال، وهو ملك الموت. وذكر نحوه.

وفي الخرائج والجرائح^(٤): وعن الصادق عليه السلام: أنّ أعرابياً اشترى من يوسف طعاماً، فقال له: إذا مررت بوادي كذا فناد: يا يعقوب، فإنّه يخرج إليك شيخ وسيم، فقل له: إنّي رأيت بمصر رجلاً يقرنك السلام ويقول: إنّ وديعتك عند الله محفوظة لن تضيع.

١. العلل ٥٢/١، ح ١.

٢. الكافي ١٩٩/٨، ح ٢٣٨.

٣. تفسير العياشي ١٨٩/٢ - ١٩٠، ح ٦٤.

٤. الخرائج والجرائح ٩٣١/٢.

فلَمَّا بَلَغَهُ الأعرابي خَرَّ يعقوب مغشياً عليه، فلَمَّا أفاق قال: هل لك من حاجة؟
قال: لي ابنة عمٍّ، وهي زوجتي، لم تلد.

فدعاه، فَرَزَقَ منها أربعة أبطن، في كُلِّ بطن اثنان.

وفي نهج البلاغة^(١): قال ﷺ: «ولا تياسنَّ شرَّ هذه الأمة من روح الله لقوله تعالى: «إنَّه لا يئأس من روح الله [إلا القوم الكافرون]»^(٢) [ولا تؤمّنهم مكر الله]^(٣).

وفي من لا يحضره الفقيه^(٤)، في باب معرفة الكبائر التي وعد الله ﷻ عليها النار، عن أبي عبد الله ﷺ حديث طويل يذكر فيه الكبائر، يقول فيه ﷺ بعد أن ذكر الشرك بالله: وبعده اليأس من روح الله، لأنَّ الله ﷻ يقول: «إنَّه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون».

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ: بعد ما رجعوا إلى مصر رجعة ثانية.

﴿ مَسْنَا وَأَمَلْنَا الضُّرَّ: شدة الجوع.

﴿ وَحِثْنَا بِضَاعَةِ مُزَجَاةٍ: رديته، أو قليلة تُرَدُّ وتُدْفَع رغبة عنها. من أزجيته: إذا

دفعته. ومنه: تزجية الزمان.

قيل^(٥): كانت دراهم زيوفاً.

وقيل^(٦): صوفاً وسمناً^(٧).

وقيل^(٨): الصنوبر، والحبة الخضراء.

وقيل^(٩): الأقط^(١٠)، وسويق المثل^(١١).

١. نهج البلاغة / ٥٤٢، حكمة ٣٧٧.

٢. ليس في المصدر.

٣. الفقيه ٣/٣٦٧، ح ٢.

٤. أنوار التنزيل ٥٠٦/١.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: رسمناه.

٦. نفس المصدر والموضع.

٧. الأقط: لبن محمص يجمد حتى يستحجر ويطحخ أو يطبخ به.

٨. المقل: حمل الدوم. والدوم: شجر عظام من الفصيلة النخيلية، يكثر في صعيد مصر وفي بلاد العرب، وثمرته في غلط التفاحة ذات قشر صلب أحمر، وله نواة ضخمة ذات لب إسفنجي.

وفي تفسير العياشي^(١): عن أحمد بن محمد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن قوله: «وجئنا ببضاعة مزجاة».

قال: كانت المقل، وكانت بلادهم بلاد المقل، وهي البضاعة.

﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ ﴾: فآتّم لنا الكيل.

﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾: برّد أختينا. أو بالمسامحة وقبول المزجاة، أو بالزيادة على ما

يساويها.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ (٨٨): أحسن الجزاء.

والتصدق: التفضل مطلقاً. ومنه قوله عليه السلام في القصر: هذه صدقة تصدق الله عليكم

بها.

فرّق لهم يوسف، ولم يتمالك أن عزّفهم نفسه.

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾: أي هل علمتم قبحه، فبتّم عنه؟ وفعلهم

بأخيه إفراده عن يوسف وإذلاله، حتّى كان لا يستطيع أن يكلمهم إلاّ بعجز وذلة.

﴿ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ (٨٩): قبحه، فلذلك أقدمتم عليه. أو عاقبته.

وإنما قال ذلك تنصيحاً لهم وتحريضاً على التوبة، وشفقة عليهم لمّا رأى من

عجزهم وتمسكهم، لا معاتبّةً وتثريباً.

وقيل (٩٠): أعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين، وذكروا له ما هو فيه من الحزن

على فقد يوسف وأخيه، فقال لهم ذلك.

وإنما جهّلهم لأنّ فعلهم كان فعل الجهال، أو لأنّهم كانوا حينئذ صبياناً طيّاشين.

وفي مجمع البيان^(٩١): روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: كلّ ذنب عمله العبد وإن كان

عالماً، فهو جاهل حين خاطر بنفسه معصية ربّه، فقد حكى الله سبحانه قول يوسف

١. تفسير العياشي ١٩٢/٢، ح ٦٧.

٢. أنوار التنزيل ٥٠٧/١.

٣. نور الثقلين ٤٦٠/٢، ح ١٧٨.

لإخوته: «هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون». فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله.

﴿قَالُوا إِنَّكَ لَآتَىٰ يُوسُفَ﴾: استفهام تقرير، ولذلك حَقَّقَ بَأْنَ ودخول اللام عليه. وقرأه ^(١) ابن كثير على الإيجاب ^(٢).

قيل ^(٣): عرفوه بروائه وشماله حين كلمهم.

قيل ^(٤): تبسّم فعرفوه بثناياه.

وقيل ^(٥): رفع التاج عن رأسه فأروا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء، وكانت لسارة ويعقوب مثلها.

﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾: من أبي وأمي. ذكره تعريفاً لنفسه به، وتفخيماً لشأنه، وإدخالاً له في قوله:

﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: أي بالسلامة والكرامة.

﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾: أي يتق الله.

﴿وَيَصْبِرْ﴾: على البليّات. أو على الطاعات. أو عن المعاصي.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(٦): وضع المحسنين موضع الضمير، للتنبيه على

أَنَّ المحسن من جمع بين التقوى والصبر.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾: اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة.

﴿وَأَن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ ^(٧): والحال أَنَّ شأننا أَنَّا كُنَّا مذنبين بما فعلنا معك.

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾: لا تأنيب عليكم. تفعيل، من الثرب، وهو الشحم الذي

يغشي الكرش للإزالة، كالتجليد، فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه.

﴿النُّومُ﴾: متعلق بالتثريب. أو بالمقدّر للجَارِّ الواقع خبراً «لِلا تثريب» والمعنى:

٢. أي بحذف الهمزة.

١. أنوار التنزيل ٥٠٧/١.

٣-٥. نفس المصدر والموضع.

لا أثر بكم اليوم الذي هو مظلّته، فما ظنّكم بسائر الأيام. أو بقوله: «يغفرُ الله لكم» لأنّه صَفَحَ عن جريمتهم حين اعترفوا بها.

﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(١٢): فإنّه يغفر الصغائر والكبائر ويتفصّل على التائب.

قيل^(١١): ومن كرم يوسف ﷺ أنّهم لمّا عرفوه أرسلوا إليه وقالوا: إنك تدعونا بالبكرة والعشيّ إلى الطعام، ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك، فقال: أما إنّ أهل مصر كانوا ينظرون إليّ بالعين الأولى، ويقولون: سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ. ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا أنّكم^(١٢) إخوتي وأني من حفدة إبراهيم ﷺ.

وفي تفسير العياشي^(٣): عن أبي بصير، عن أبي جعفر ﷺ - عاد إلى الحديث الأوّل - قال: واشتدّ حزنه - يعني يعقوب - حتّى تقوّس ظهره وأدبرت الدنيا عن يعقوب وولده حتّى احتاجوا حاجة شديدة وفنيت ميرتهم، فعند ذلك قال يعقوب لولده: «اذهبوا» الآية. فخرج منهم نفر، وبعث معهم^(٤) ببضاعة يسيرة، وكتب معهم كتاباً إلى عزيز مصر يتعطفه على نفسه وولده، وأوصى لولده أن يبدأوا بدفع كتابه قبل البضاعة، فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، إلى عزيز مصر ومظهر العدل وموفي الكيل، من يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله صاحب النمرود، الذي جمع لإبراهيم الحطب والنار ليقرحه بها، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً وأنجاه منها.

أخبرك أيّها العزيز، أنّا أهل بيت قديم لم يزل البلاء إلينا سريعاً من الله ليلبونا بذلك عند السراء والضراء، وأنّ مصائب^(٥) تتابعت عليّ منذ عشرين سنة، أوّلها أنّه كان لي ابن سمّيته: يوسف، وكان سروري من بين ولدي وقرّة عيني وثمرّة فؤادي، وأنّ إخوته

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: أنتم.

١. أنوار التنزيل ٥٠٧/١.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: منهم.

٣. تفسير العياشي ١٩٠/٢ - ١٩٢، ح ٦٥.

٥. المصدر: مصائب.

من غير أمه سألوني أن أبعثه معهم يرتع ويلعب، فبعثته^(١) معهم بكرة وجاؤوني عشاءً
 يكون وجاؤوني على قميصه بدم كذب، فزعموا أنّ الذئب أكله، فاشتدّ لفقده حزني
 وكثر على فراقه بكائي حتّى ابيضّت عيناى من الحزن، وأنّه كان له أخ من خالته، وكنت
 له معجباً وعليه رفيقاً وكان لي أنيساً، وكنت إذا ذكرت يوسف ضممته إلى صدري
 فيسكن بعض ما أجد في صدري، وأنّ إخوته ذكروا لي أنّك أيّها العزيز، سألتهم عنه
 وأمرتهم أن يأتوك به وإن لم يأتوك به منعتهم الميرة لنا من القمح من مصر، فبعثته معهم
 ليمتاروا لنا قمحاً، فرجعوا إليّ وليس هو معهم، وذكروا أنّه سرق مكيال الملك، ونحن
 أهل بيت لا نسرق، وقد حبسته عنّي وفجعني به، وقد اشتدّ لفراقه حزني حتّى تقوَس
 لذلك ظهري وعظمت به مصيبتى مع مصائب متابعات عليّ، فمَنْ عليّ بتخليه سبيله
 وإطلاقه من محبسك^(٢)، وطيب لنا القمح واسمح لنا في السعر [وأوف لنا الكيل]^(٣)
 وعجل بسراح آل يعقوب.

فلما مضى ولد يعقوب من عنده نحو مصر بكتابه، نزل جبرئيل عليه السلام على يعقوب،
 فقال له: يا يعقوب، إنّ ربّك يقول لك: من ابتلاك بمصائبك التي كتبت بها إلى عزيز
 مصر؟

قال يعقوب: أنت بلوتني بها، عقوبة منك وأدباً لي.

قال: الله: فهل كان يقدر على صرفها عنك أحد غيري؟

قال يعقوب: اللهم لا.

قال: فما استحيت منّي حين شكوت مصائبك إلى غيري، ولم تستغث بي وتشكو

ما بك إليّ؟

فقال يعقوب: استغفرك يا إلهي وأتوب إليك، وأشكو بئي وحزني إليك.

فقال الله تبارك وتعالى: قد بلغت بك وبولدك الخاطئين الغاية في أدبي، ولو كنت يا

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: حبسك.

١. ليس في أ، ب، ر.

٣. ليس في المصدر.

يعقوب، شكوت مصائبك إليّ عند نزولها بك واستغفرت وتبت إليّ من ذنبك لصرفتها عنك بعد تقديري إياها عليك، ولكنّ الشيطان أنساك ذكرى فصرت إلى القنوط من رحمتي، وأنا الله الجواد الكريم أحبّ عبادي المستغفرين التائبين الراغبين إليّ فيما عندي، يا يعقوب، أنا رادّ إليك يوسف وأخاه ومعيد إليك ما ذهب من مالك ولحمك ودمك ورادّ إليك بصرك ومقوم لك ظهرك وطب نفساً وقرّ عيناً، وإنّ الذي فعلته بك كان أدباً منّي لك، فاقبل أدبي.

قال: ومضى ولد يعقوب بكتابه نحو مصر حتّى دخلوا على يوسف في دار المملكة، فقالوا: «يا أيّها العزيز سنّا وأهلنا الضّرّ وجننا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدّق علينا» بأخيña بنيامين، وهذا كتاب أبينا يعقوب إليك في أمره يسألك تخلية سبيله، وأن تمنّ به عليه.

قال: فأخذ يوسف كتاب يعقوب، فقَبَلَهُ ووضعهُ على عينيه، وبكى وانتحب حتّى بلّت دموعه القميص الَّذي عليه، ثمّ أقبل عليهم فقال: «هل علمتم ما فعلتم بيوسف» من قبل «وأخيه» من بعد «قالوا إنّك لأنّك يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا» «قالوا تالله لقد آثرك الله علينا» فلا تفضحنا ولا تعاقبنا اليوم واغفر لنا «قال لا تشرّب عليكم اليوم يغفر الله لكم».

وفي رواية أخرى^(١): عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام نحوه.

وفي مجمع البيان^(٢): وفي كتاب النبوة بالإسناد، عن الحسن بن محبوب، عن [أبي] ^(٣) إسماعيل الفراء، عن طربال عن أبي عبد الله عليه السلام في خبر طويل: أنّ يعقوب كتب إلى يوسف:

بسم الله الرحمن الرحيم، إلى عزيز مصر ومظهر العدل وموفي الكيل، من يعقوب

بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمان صاحب نمروذ، الذي جمع له النار ليحرقه بها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً وأنجاه منها.

أخبرك أيها العزيز، أنا أهل بيت لم يزل البلاء إلينا سريعاً من الله ليلبونا عند السراء والضراء، وأن مصائب تابعت علي منذ عشرين سنة، أولها أنه كان لي ابن سمّيته: يوسف، وكان سروري من بين ولدي وقرة عيني وثمره فؤادي، وأن إخوته من غير أمه سألوني أن أبعثه معهم يرتع ويلعب، فبعثته معهم بكرة فجاؤوني عشاء يبكون، وجاؤوا على قميصه بدم كذب، وزعموا أن الذئب أكله، فاشتد لفقده حزني وكثر على فراقه بكائي حتى ابيضت عينا من الحزن، وأنه كان له أخ، وكنت به معجباً وكان لي أنيساً، وكنت إذا ذكرت يوسف ضممته إلى صدري فيسكن بعض ما أجد في صدري، وأن إخوته ذكروا أنك سألتهم عنه وأمرتهم أن يأتوك به، فإن لم يأتوك به منعتهم الميرة، فبعثته معهم ليمتاروا لنا قمحاً، فرجعوا إليّ وليس هو معهم، وذكروا أنه سرق مكيال الملك، ونحن أهل بيت لا نسرق، وقد حبسته عني وفجعني به، وقد اشتد لفراقه حزني حتى تقوس لذلك ظهري وعظمت به مصيبتني مع مصائب تابعت علي، فمن بتخيلة سبيله وإطلاقه من حبسك، وطيب لنا القمح واسمح لنا في السعر وأوف لنا الكيل، وعجل بسراح آل إبراهيم.

قال: فمضوا بكتابه حتى دخلوا على يوسف في دار الملك و«قالوا يا أيها العزيز مسنا» إلى آخر الآية، وتصدق علينا بأخي بنايمين، وهذا كتاب أبينا يعقوب أرسله إليك في أمره يسألك تخلية سبيله، فمن به علينا، فأخذ يوسف كتاب يعقوب، وقبله ووضع على عينيه، وبكى وانتحب حتى بلت دموعه القميص الذي عليه، ثم أقبل عليهم وقال: «هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه» من قبل.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(١)، بإسناده إلى سدير قال: سمعت

أبا عبدالله عليه السلام يقول: إِنَّ فِي الْقَائِمِ عليه السلام شِبْهَ ^(١) مِنْ يَوْسُفَ عليه السلام.

قلت: كَأَنَّكَ تَذْكُرُ خَبْرَهُ أَوْ غَيْبَتَهُ؟

فقال لي: ما تنكر من ذلك هذه الأمة أشباه الخنازير؟ إِنَّ إِخْوَةَ يَوْسُفَ كَانُوا أَسْبَاطاً أَوْلَادَ أَنْبِيَاءٍ، تَاجَرُوا يَوْسُفَ وَبَايَعُوهُ، وَهُمْ إِخْوَتُهُ وَهُوَ أَخُوهُمْ، فَلَمْ يَعْرِفُوهُ حَتَّى قَالَ لَهُمْ: «أَنَا يَوْسُفُ وَهَذَا أَخِي» فَمَا تَنَكَرَ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تعالى فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَرْ ^(٢) حَجَّتَهُ [عَنْهُمْ] ^(٣)؟ لَقَدْ كَانَ يَوْسُفَ عليه السلام [يَوْمَاً] ^(٤) مَلِكُ مِصْرَ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَالِدِهِ مَسِيرَةَ ثَمَانِيَةِ عَشْرِ يَوْمَاً، فَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَعْرِفَهُ [مَكَانَهُ] ^(٥) لَقَدَّرَ عَلَى ذَلِكَ. وَاللَّهُ، لَقَدْ سَارَ يَعْقُوبُ وَوَلَدُهُ عِنْدَ الْبَشَارَةِ مَسِيرَةَ ^(٦) تِسْعَةِ أَيَّامٍ مِنْ بَدْوِهِمْ ^(٧) إِلَى مِصْرَ، فَمَا تَنَكَرَ هَذِهِ [الْأُمَّةُ] ^(٨) أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تعالى يَفْعَلُ [بِحَجَّتِهِ] ^(٩) مَا فَعَلَ بِيَوْسُفَ، أَنْ يَسِيرَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَيَمْشِي فِي أَسْوَاقِهِمْ وَيَطَأُ بِسَطْطِهِمْ ^(١٠) وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ تعالى لَهُ أَنْ يَعْرِفَهُمْ نَفْسَهُ كَمَا أَذَّنَ لِيَوْسُفَ حِينَ ^(١١) قَالَ لَهُمْ: «هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ، قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يَوْسُفُ قَالَ أَنَا يَوْسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا» الْآيَةَ.

وَفِي أَصُولِ الْكَافِي ^(١٢): عَلِيٌّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ سَدِيرِ الصَّيرَفِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ فِي صَاحِبِ هَذَا [الْأَمْرِ] ^(١٣) شِبْهَاً مِنْ يَوْسُفَ. وَذَكَرَ كَمَا نَقَلْنَا عَنْ كَمَالِ الدِّينِ بِتَغْيِيرِ يَسِيرَ.

وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ ^(١٤): عَنْ الْمُفَضَّلِ بْنِ عَمْرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: [لَيْسَ] ^(١٥)

١. المصدر: سنّة.

٣-٥. من المصدر.

٧. ليس في المصدر: من بدوهم.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: بسططهم.

١٢. الكافي ٣٣٦/١، ح ٤.

١٤. تفسير العيَّاشي ١٩٣/٢، ح ٦٩.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: أن يبين.

٦. المصدر: «في» بدل «مسيرة».

٨ و ٩. من المصدر.

١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: حتى.

١٣. من المصدر.

١٥. من المصدر.

رجل من ولد فاطمة لا^(١) يموت ولا يخرج من الدنيا حتى يقرّ للإمام بإمامته، كما أقرّ ولد يعقوب ليوسف [حين]^(٢) «قالوا تالله لقد أترك الله علينا».

وفي الكافي^(٣): عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لما قدم رسول الله ﷺ مكة^(٤) يوم افتتحها، فتح باب الكعبة، فأمر بصور في الكعبة فطمست^(٥)، فأخذ بعضادتي الباب فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ماذا تقولون وماذا تظنون؟ قالوا: نظنّ خيراً [ونقول خيراً]^(٦)، أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت.

فقال: فإنّي أقول كما قال أخي يوسف: «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير العيّاشي^(٧): عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا رفعه قال: كتب يعقوب النبيّ إلى يوسف:

عن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمان، إلى عزيز مصر: أمّا بعد، فإنّا أهل بيت لم يزل البلاء سريعاً إلينا، ابتلي جدّي إبراهيم فألقي في النار، ثمّ ابتلي أبي إسحاق الذبيح، وكان لي ابن وكان قرّة عيني وكنت أسرّ به فابتليت بأن أكله الذئب، فذهب بصري حزناً عليه من البكاء، وكان له أخ وكنت أسرّ إليه بعده فأخذته في سرق، فإن رأيت أن تمنّ عليّ به فعلت.

قال: فلمّا أوتي يوسف بالكتاب فتحه وقرأه فصاح، ثمّ قام فدخل منزله فقراه وبكى، ثمّ غسل وجهه، ثمّ خرج إلى إخوته، ثمّ عاد فقراه فصاح وبكى، ثمّ قام فدخل منزله فقراه وبكى، ثمّ غسل وجهه وعاد إلى إخوته، فقال: «هل علمتم ما فعلتم

١. ليس في المصدر.

٢. من المصدر.

٣. الكافي ٢٢٥/٤، ح ٣.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: بمكة.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: فطمئت.

٦. من المصدر.

٧. تفسير العيّاشي ١٩٢/٢، ح ٦٨.

بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون» وأعطاهم قميصه، وهو قميص إبراهيم، وكان يعقوب بالرملة^(١).

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾: أي ذا بصير.

﴿وَأْتُونِي﴾: أنتم وأبي.

﴿بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢): بنسائكم وذرائكم ومواليكم.

وفي أمالي شيخ الطائفة^(٣) رحمه الله بإسناده إلى أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: فلما كان من أمر إخوة يوسف ما كان، كتب يعقوب إلى يوسف عليه السلام وهو لا يعلم أنه يوسف:

بسم الله الرحمن الرحيم، من يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله ﷺ إلى عزيز آل فرعون: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله أنه لا إله إلا هو، أما بعد، فإننا أهل بيت مولع بنا أسباب البلاء، كان جدِّي إبراهيم ألقى في النار في طاعة ربك فجعلها الله ﷻ [عليه] برداً وسلاماً، وأمر الله جدِّي أن يذبح أبي ففداه بما فداه، وكان لي ابن فكان من أعز الناس عليّ، فقدته فأذهب حزني عليه نور بصري، وكان له أخ من أمه، فكنت إذا ذكرت المفقود ضمنت أخاه هذا إلى صدري فأذهب عني بعض وجدِّي، وهو محبوس عندك في السركة، فإني أشهدك أنني لم أسرق ولم ألد سارقاً.

فلما قرأ يوسف الكتاب بكى وصاح وقال: «اذهبوا بقميصي» إلى قوله: «أجمعين». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَلَمَّا فَصَلَ الْمِيرُ﴾: من مصر، وخرجت من عمرانها.

﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾: لمن حضره.

﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾: قيل^(٤): أوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين أقبل به إليه يهودا من ثمانين فرسخاً.

١. قال الحموي: الرملة - واحدة الرمل - : مدينة عظيمة بفلسطين، وكانت قصبتها قد خربت الآن، وكانت

رباطاً للمسلمين.

٢. أمالي الطوسي ٧١/٢ - ٧٢.

٣. أنوار التنزيل ٥٠٨/١.

﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾^(٥): تنسبونني إلى الفند، وهو نقصان عقل يحدث من هرم، ولذلك لا يقال: عجوز مفنّدة، لأن نقصان عقلها ذاتي.

وجواب «لولا» محذوف، وتقديره: لصدقتُموني. أو لقلت: إنّه قريب.

﴿قَالُوا﴾: أي الحاضرون.

﴿تَاللّٰهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾^(٥): لفي ذهابك عن الصواب قدماً بالإفراط في محبة يوسف، وإكثار ذكره، والتوقع للقاءه.

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾: في كمال الدين^(١): عن الصادق عليه السلام: هو يهودا.

نُقِلَ^(٢) أنّه قال: كما أحزنّته بحمل قميصه المملّخ بالدم إليه، فأفرحه بحمل هذا إليه.

﴿الْقَاءُ عَلَى وَجْهِهِ﴾: طرح البشير القميص على وجه يعقوب، أو يعقوب نفسه.

﴿فَارْتَدَّ بِصِيرًا﴾: عاد بصيراً لما انتعش فيه من القوة^(٣).

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤): من حياة يوسف وإنزال الفرج.

وقيل^(٤): «إني أعلم» كلام مبتدأ، والمقول «ولا تيأسوا من روح الله» أو «إني لأجد

ريح يوسف».

وفي تفسير العياشي^(٥): عن صفوان^(٦)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كتب عزيز مصر

إلى يعقوب:

أما بعد، فهذا ابنك يوسف اشتريته بثمن بخس دراهم معدودة واتّخذته عبداً،

وهذا ابنك بنيامين [أخذته]^(٧) قد سرق واتّخذته^(٨) عبداً.

قال: فما ورد على يعقوب شيء أشدّ عليه من ذلك الكتاب، فقال للرسول: قف

١. كمال الدين ١٤٢/١، ح ٩. ٢. أنوار التنزيل ٥٠٨/١.

٣. قوله: «لما انتعش فيه من القوة» هذا ليس كما ينبغي، لأنّه لم تعد قوّة البصر إذا ذهبت بالكلية بسبب قوّة البدن. والأولى أن يقال: إنّ هذا كان معجزة ليعقوب أو ليوسف.

٤. أنوار التنزيل ٥٠٨/١. ٥. تفسير العياشي ١٩٥/٢، ح ٧٨.

٦. المصدر: مقرر. ٧. من المصدر.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: فأخذته.

مكانك حتّى أجيبه. فكتب إليه يعقوب:

أما بعد، فقد فهمت كتابك بأنك أخذت ابني بئس بئس واتخذته عبداً، وأنك اتخذت ابني بنيامين وقد سرق واتخذته عبداً، فإنّا أهل بيت لانسرق ولكنا^(١) أهل بيت نبئلى، وقد ابتلى أبونا بالنار فوقاه الله، وابتلى أبونا إسحاق بالذبح فوقاه الله، وإني قد ابتليت بذهاب بصري وذهاب ابني، وعسى الله أن يأتيني بهم جميعاً.

قال: فلما ولى الرسول عنه رفع يده إلى السماء، ثم قال: يا حسن الصلحة، يا كريم المعونة، يا خير كلمة^(٢)، انتني بروح [منك]^(٣) وفرج من عندك.

قال: فهبط عليه جبرئيل، فقال: يا يعقوب، ألا أعلمك دعوات يرد الله عليك بها بصرك ويرد عليك ابنك؟ فقال له: بلى.

فقال: قل: يا من لا يعلم أحد كيف هو وحيث هو وقدرته إلّا هو، يا من سدّ الهواء بالسّماء وكبس الأرض على الماء واختار لنفسه أحسن الأسماء، انتني بروح منك وفرج من عندك. فما انفجر عمود الصبح حتّى أتى بالقميص وطرح على وجهه، فردّ الله عليه بصره، وردّ عليه ولده.

عن أبي بصير^(٤)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أذهبوا بقميصي هذا» الذي بلّته دموع عيني «فألقوه على وجه أبي» يرتدّ «بصيراً» لو قد شَمَ ريحي «واثتوني بأهلكم أجمعين»، وردّهم إلى يعقوب في ذلك اليوم وجّههم بجميع ما يحتاجون إليه «فلما فصلت غيرهم» عن مصر وجد يعقوب ريح يوسف، فقال لمن بحضرته من ولده: «إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفنّدون».

قال: وأقبل ولده يحنّون السير بالقميص فرحاً وسروراً بما رأوا من حال يوسف، والملك الذي أعطاه الله، والعزّ الذي صاروا إليه في سلطان يوسف. وكان مسيرهم من

٢. المصدر: يا خيراً كلّهُ.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: ولكن.

٤. تفسير العياشي ١٩٦/٢، ح ٧٩.

٣. من المصدر.

مصر إلى بدو يعقوب تسعة أيام، «فلما أن جاء البشير» ألقى القميص «على وجهه فارتد بصيراً».

وقال لهم: ما فعل بنيامين؟

قالوا: خلفناه عند أخيه صالحاً.

قال: فحمد الله يعقوب عند ذلك، وسجد لربه سجدة الشكر، ورجع إليه بصره، وتقوم له ظهره، وقال لولده: تحمّلوا إلى يوسف في يومكم هذا بأجمعكم. فساروا إلى يوسف ومعهم يعقوب وخالة يوسف ياميل، فأحثوا السير فرحاً وسروراً، فساروا تسعة أيام إلى مصر.

عن أخيه^(١) رزّام^(٢)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: وجد يعقوب ريح قميص إبراهيم، حين فصلت العير من مصر، وهو بفلسطين.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٣)، بإسناده إلى مفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: أتدري ما كان قميص يوسف عليه السلام؟ قال: قلت: لا.

قال: إن إبراهيم عليه السلام لما أوقدت له النار نزل إليه جبرئيل عليه السلام بالقميص وألبسه إياه، فلم يضرّ معه حرّ ولا برد. فلما حضرته الوفاة جعله في تميمة وعلّقه على إسحاق عليه السلام، وعلّقه إسحاق عليه السلام على يعقوب عليه السلام. فلما ولد له يوسف عليه السلام علّقه عليه، وكان في عضده حتّى كان من أمره ما كان. فلما أخرجه يوسف عليه السلام بمصر من تميمته وجد يعقوب عليه السلام ريحه، وهو قوله ﷺ حكاية عنه: «إنّي لأجد ريح يوسف لولا أن تغنّدون». فهو ذلك القميص الذي أنزل من الجنة.

١. تفسير العياشي ١٩٣/٢، ح ٧٠.

٢. المصدر: مرازم، وقال في هامش نور الثقلين ٤٦٣/٣: لم أظفر عليه باختلافه في كتب الرجال، فلعلّها تصحيف «أخو دارم» وهو محمّد بن عبد الله القلاتي.

٣. كمال الدين ١٤٢/١، ح ١٠.

قلت: جعلت فداك، فإلى من صار هذا القميص؟

قال: إلى أهله [ثم يكون مع قائمنا صلوات الله عليه إذا خرج] ^(١).

ثم قال: كل نبي ورث علماً أو غيره فقد انتهى إلى محمد وآله عليهم السلام.

وفي الكافي ^(٢)، مثله سواء.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٣) بعد المساواة فيما ذكر: وكان يعقوب بفلسطين، وفصلت العير من مصر، فوجد يعقوب ريحه وهو من ذلك القميص الذي نزل من الجنة، ونحن ورثته.

وفي تفسير العياشي ^(٤): عن محمد بن إسماعيل بن بزيع ^(٥)، رفعه بإسناده إليه قال: إن يعقوب وجد ريح قميص يوسف من مسيرة عشرة ليال ^(٦)، وكان يعقوب ببيت المقدس ويوسف بمصر، وهو القميص الذي نزل إلى إبراهيم من الجنة، فدفعه إبراهيم إلى إسحاق، وإسحاق إلى يعقوب، ودفعه يعقوب إلى يوسف عليه السلام.

وفي كتاب علل الشرائع ^(٧)، بإسناده إلى إبراهيم بن أبي البلاد، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان القميص الذي نزل على إبراهيم من الجنة في قسبة من فضة، وكان إذا لبس كان واسعاً كبيراً. فلما فصلوا، ويعقوب بالرملة ويوسف بمصر، قال يعقوب: «إنّي لأجد ريح يوسف» يعني: ريح الجنة حين فصلوا بالقميص، لأنّه كان من الجنة.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة ^(٨): وروي أنّ القائم عليه السلام إذا خرج يكون عليه قميص يوسف، ومعه عصا موسى وخاتم سليمان.

١. ليس في المصدرين.

٢. الكافي ٢٣٢/١، ح ٥.

٣. تفسير القمي ٣٥٥/١.

٤. تفسير العياشي ١٩٤/٢، ح ٧٣.

٥. كذا في المصدر. وفي ب: يوشع، وفي سائر النسخ: يوسع.

٦. ب: أيام.

٧. العلل ٥٢/١، ح ١.

٨. كمال الدين ١٤٣/١.

وفي تفسير العياشي^(١): عن نشيط بن صالح البجلي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أكان إخوة يوسف صلوات الله عليه أنبياء؟

قال: لا، ولا بررة أتقياء، كيف وهم يقولون لأبيهم: «تالله إنك لفي ضلالك القديم»؟ [وأيضاً] عن نشيط^(٢)، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله.

عن سليمان بن عبد الله الطلحي^(٣) قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حال بني يعقوب، هل خرجوا من الإيمان؟

فقال: نعم.

قلت: فما تقول في آدم؟

قال: دع آدم.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾^(٤): ومن حقَّ المعترف بذنبه أن يُصَفِّح عنه، ويُسأل له المغفرة.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٥): أخره إلى السحر.

وفي كتاب علل الشرائع^(٦)، بإسناده إلى إسماعيل بن الفضل الهاشمي قال: قلت لجعفر بن محمد عليه السلام: أخبرني عن يعقوب عليه السلام لما قال له بنوه: «يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ»، قال سوف أستغفر لكم ربِّي» فأخَّر الاستغفار لهم، ويوسف عليه السلام لما قالوا له «تالله لقد آثرك الله علينا وإن كُنَّا لخاطئين»، قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين».

قال: لأنَّ قلب الشاب أرقَّ من قلب الشيخ، وكان جناية ولد يعقوب على يوسف وجنایتهم على يعقوب إنما كانت بجنایتهم على يوسف، فبادر يوسف إلى العفو عن حقِّه، وأخَّر يعقوب العفو لأنَّ عفوَه إنما كان عن حقِّ غيره، فأخَّرهم إلى السحر ليلة الجمعة.

٢ و٣. تفسير العياشي ١٩٤/٢، ح ٧٥.

١. تفسير العياشي ١٩٤/٢، ح ٧٤.

٤. العلل ٥٤/١، ح ١.

وفي أصول الكافي^(١): «عَدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن خالد، عن شريف بن سابق، عن المفضل بن أبي قرة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: خير وقت دعوتكم الله فيه الأسحار. وتلا هذه الآية في قول يعقوب عليه السلام: «سوف أستغفر لكم ربِّي» وقال: أخرهم إلى السحر.

وفي من لا يحضره الفقيه^(٢): وروى محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «سوف أستغفر لكم ربِّي» فقال: أخرهم إلى السحر، قال: يا رب، إنّما ذنبهم فيما بيني وبينهم.

فأوحى الله إليه: إنّني قد غفرت لهم.

وفي روضة الكافي^(٣): عن حنان، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: ما كان أولاد يعقوب أنبياء؟

قال: لا، ولكنهم كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء، ولم يكن يفارقوا^(٤) الدنيا إلّا سعداء، تابوا وتذكروا ما صنعوا، وأنّ الشيخين فارقا الدنيا ولم يكن^(٥) يتوبا ولم يذكر^(٦) ما صنعا بأمر المؤمنين عليه السلام فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾: نُقِلَ^(٧): أنّه وجّه إليه راحل وأموالاً ليتجهز إليه بمن معه، واستقبله يوسف والملك بأهل مصر، وكان أولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلاً وامرأة، وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلاً سوى الذرية والهرمى.

﴿أَوَى إِلَيْهِ آبُوهُ﴾: ضمّ إليه أباه وأمه راحيل، كما مضى عن الباقر عليه السلام في تأويل رؤياه.

١. الكافي ٤٧٧/٢، ح ٦.

٢. تفسير العياشي ١٩٦/٢ ح ٨١ والفقيه ٢٧٢/١، ح ١٢٤٠ بتفاوت يسير.

٣. الكافي ٢٤٦/٨، ح ٣٤٣.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: يفارق.

٥. ليس في المصدر: يكن.

٦. المصدر: لم يتذكروا.

٧. أنوار التنزيل ٥٠٨/١.

أو أباه وخالته ياميل، لما سبق في رواية العياشي^(١)، أنها هي التي صارت معهم إلى مصر، ولما يأتي في روايته: أنه رفع أباه وخالته على سرير الملك. فإن صحّت هذه الرواية فلعلّه نزلها منزلة الأمّ تنزيل العمّ منزلة الأب في قوله تعالى: «واله أباؤك إبراهيم وإسماعيل»^(٢). أو لأنّ يعقوب عليه السلام تزوّجها بعد أمّه وربّته، والراية تدعى أمّا.

﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾^(٣) من القحط وأصناف المكاره، والمشية متعلّقة بالدخول المكثّف بالأمن، والدخول الأوّل كان في موضع خارج البلد حين استقبالهم.

وفي أصول الكافي^(٤): عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن مروق^(٥) بن عبيد، عمّن حدّثه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ يوسف لما قدم عليه الشيخ يعقوب عليه السلام دخله عزّ المُلْك، فلم ينزل إليه، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا يوسف، ابسط راحتك. فخرج منها نور ساطع، فصار في جوّ السماء.

فقال يوسف عليه السلام: يا جبرئيل، ما هذا النور الذي خرج من راحتي؟ فقال: نُزِعَت النبوّة من عقبك عقوبة لما لم تنزل إلى الشيخ يعقوب، فلا يكون من عقبك نبيّ.

وفي كتاب علل الشرائع^(٦)، بإسناده إلى يعقوب بن يزيد، عن غير واحد رفعوه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: لما تلقّى يوسف يعقوب ترجّل له يعقوب ولم يترجّل له يوسف، فلم ينفصلا من العناق حتّى أتاه جبرئيل فقال له: يا يوسف، ترجّل لك الصديق ولم تترجّل له؟! ابسط يدك. فبسطها فخرج نور من راحته.

فقال له يوسف: ما هذا؟

١. تفسير العياشي ١٩٦٢، ح ٧٩. ٢. البقرة ١٣٣.

٣. الكافي ٣١١/٢، ح ١٥.

٤. كذا في المصدر، وجامع الرواة ٢٢٦/٢. وفي النسخ: مروان.

٥. العلل ٥٥/١، ح ١.

قال: [هذا آية^(١)] لا يخرج من عقبك نبيّ عقوبة.

وبإسناده إلى هشام بن سالم^(٢)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لَمَّا أَقْبَلَ يَعْقُوبُ إِلَى مِصْرَ خَرَجَ يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَسْتَقْبِلَهُ. فَلَمَّا رَأَاهُ يَوْسُفُ هَمَّ بِأَنْ يَتَرَجَّلَ لِيَعْقُوبَ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْمَلِكِ، فَلَمْ يَفْعَلْ. فَلَمَّا سَلَّمَ عَلَى يَعْقُوبَ نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: يَا يَوْسُفُ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لَكَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَنَزَلَ إِلَى عَبْدِي الصَّالِحِ إِلَّا مَا أَنْتَ فِيهِ، ابْسُطْ يَدَكَ. فَبَسَطَهَا فَخَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ نُورٌ.

فقال له: ما هذا، يا جبرئيل؟

فقال: هذا آية^(٣) لا يخرج من صلبك نبيّ أبداً، عقوبة لك بما صنعت بيععقوب إذ لم تنزل إليه.

وفي تفسير العياشي^(٤): عن الحسن بن أسباط، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام: في كم دخل يعقوب من ولده على يوسف؟

قال: في أحد عشر ابناً.

ف قيل له: أسباط؟

قال: نعم.

وسأله عن يوسف وأخيه: أكان أخاه لأمه أم ابن خالته؟

فقال: ابن خالته.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾: قيل^(٥): تحية وتكرمة له، فإن السجود كان عندهم يجري مجراها. وإلحاق أن معناه: خرّوا لأجله سجداً، لله شكراً.

وقيل^(٦): الضمير لله، والواو لأبويه وأخوته. والرفع مؤخر عن الخور، وإن قدّم

١. من المصدر. ٢. العلل/٥٥، ح ٢.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: «إنه» بدل «هذا آية».

٤. تفسير العياشي ١٩٧/٢، ح ٨٤. ٥. أنوار التنزيل ٥٠٨/١.

٦. نفس المصدر والمجلّد ٥٠٩.

لفظاً للاهتمام بذكره^(١) بتعظيمه لهما.

وفي تفسير العياشي^(٢): عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: «ورفع أبويه على العرش» قال: العرش السرير.

وفي قوله: «خزوا له سجداً» قال: كان سجودهم ذلك عبادة لله.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما دخلوا عليه سجدوا شكراً لله وحده حين نظروا إليه، وكان ذلك السجود لله.

وعن الهادي عليه السلام^(٤) وقد سئل عن سجود يعقوب وولده يوسف، وهم أنبياء: أمّا سجود يعقوب وولده فإنه لم يكن ليوسف، وإنما كان من يعقوب وولده طاعة لله وتحية ليوسف، كما كان السجود من الملائكة لآدم وإنما كان ذلك منهم طاعة لله وتحية لآدم، فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكراً لله لاجتماع شملهم، ألم تر أنه يقول في شكره ذلك الوقت: «ربّ قد آتيتني من الملك» الآية؟

وفي الجوامع^(٥): عن الصادق عليه السلام أنه قرأ: «وخزوا لله ساجدين».

«وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ»: رأيتها أيام الصبا.

«قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا»: صدقاً.

في تفسير العياشي^(٦): وعن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: فلما دخلوا على يوسف في دار الملك اعتنق أباه [فقبله]^(٧) وبكى، [ورفعه]^(٨) ورفع خالته على سرير الملك، ثم دخل منزله فآذهن واكتحل ولبس ثياب العزّ والملك، ثم خرج إليهم. فلما رأوه سجدوا [جميعاً]^(٩) له، إعظاماً له، وشكراً لله. فعند ذلك قال: «يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل».

٢. تفسير العياشي ١٩٧/٢، ح ٨٥.

٤. تفسير القمي ٣٥٦/١.

٦. تفسير العياشي ١٩٧/٢، ح ٨٣.

١. ليس في المصدر.

٣. تفسير القمي ٣٣٩/١.

٥. الجوامع ٢٢٤.

٩-٧. من المصدر.

قال: ولم يكن يوسف في تلك العشرين [سنة] ^(١) يدَّهن، ولا يكتحل، ولا يتطيَّب، ولا يضحك، ولا يمسّ النساء حتّى جمع الله ليعقوب شمله، وجمع بينه وبين يعقوب وإخوته.

وفي مجمع البيان ^(٢): عنه عليه السلام مثله.

ولعلّ المراد بنفي مسّه النساء: عدم مسّهنّ للالتذاذ والشهوة، فلا ينافي ما سبق أنّه كان له ابن يلعب برمانة بين يديه حين خاصم أخوه في أخيه، فلعلّه إنّما مسّهنّ لتثقيل الأرض بتسبيح الولد، كما مضى في اعتذار أخيه في مثله.

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾: لعلّه لم يذكر الجبّ لئلا يكون تشريعاً عليهم.

﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾: من البادية، لأنهم كانوا أصحاب المواشي وأهل البدو.

﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾: أفسد بيننا وحرّش. من نزغ الرائض

الدابة: إذا نخسها وحملها على الجري.

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾: لطيف التدبير له، إذ ما من صعب إلّا وتنفذ فيه مشيئته

ويتسهّل دونها.

﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾: بوجوه المصالح والتدبير.

﴿الْحَكِيمُ﴾ ^(٣): الذي يفعل كلّ شيء في وقته، وعلى وجه تقتضيه الحكمة.

نُقل ^(٣): أنّ يوسف عليه السلام طاف بأبيه في خزانته، فلمّا أدخله خزانة القراطيس ^(٤) قال:

يَا بَنِي، ما أعقك، عندك هذه القراطيس وما كتبت إليّ على ثمان مراحل!

قال: أمرني جبرئيل عليه السلام.

فقال: أوّ ما تسأله؟

قال: أنت أبسط منّي إليه، فاسأله.

١. من المصدر.

٢. المجمع ٢٦٤/٣.

٣. أنوار التنزيل ٥٠٩/١.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: القراطاس.

قال جبرئيل عليه السلام: إِنَّ الله أمرني بذلك، لقولك: «وأخاف أن يأكله الذئب» قال تعالى: فهلاً خفتني.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى أَنَّ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمٍ سَأَلَ مُوسَى بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ مُوسَى مَسْأَلًا، فَعَرَضَهَا عَلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَأَجَابَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: فَنَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: يَا يُوسُفُ، أَخْرَجَ يَدَكَ. فَأَخْرَجَهَا، فَخَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ نُورٌ.

فقال يوسف: ما هذا، يا جبرئيل؟

فقال: هذه النبوة أخرجها الله من صلبك، لأنك لم تقم إلى أبيك.

فحطَّ الله نوره، ومحي النبوة من صلبه وجعلها في ولد لاوي أخيه يوسف، وذلك لأنهم لما أرادوا قتل يوسف قال: «لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب» فشكره الله على ذلك، ولما أرادوا أن يرجعوا إلى أبيهم من مصر، وقد حبس يوسف أخاه، قال: «لن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين» فشكر الله له ذلك. فكان أنبياء بني إسرائيل من ولد لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وكان موسى من ولد لاوي^(٢)، وهو موسى بن عمران بن يهصر بن واهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم^(٣) عليه السلام.

فقال يعقوب لابنه: يا بني، أخبرني ما فعل بك إخوتك حين أخرجوك من عندي؟ قال: يا أبت، أعفني من ذلك.

قال: فأخبرني ببعضه.

قال: إنهم لما أدنوني من الجب، قالوا: انزع القميص^(٤).

فقلت لهم: يا إخوتي، اتقوا الله ولا تجردوني.

١. تفسير القمي ٣٥٦/١-٣٥٧.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: من ولده.

٣. المصدر: قميصك.

٤. ليس في ب.

فَسَلُّوا عَلَيَّ السَّكِينِ، وَقَالُوا: لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ لِنَذِيقِكَ. فَفَزَعْتُ الْقَمِيصَ وَالْقَوْنِي فِي الْجَبِّ عَرِيَانًا.

قال: فشهو يعقوب شهقة وأغمي عليه، فلما أفاق قال: يا بني، حدثني.
قال: يا أبت، أسألك بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب إلا أعفيتني، فأعفاه. والحديث طويل يُذكر تتمته.

وفي مجمع البيان^(١): عن الصادق عليه السلام، وفي تفسير العياشي^(٢): عن الباقر عليه السلام ما في معناه.

وفي مجمع البيان^(٣): وروي أن يوسف قال ليعقوب: لا تسألني عن صنع إخوتي، واسأل عن صنع الله بي.

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾: بعض الملك، وهو ملك مصر.
وفي الكافي^(٤): عن الصادق عليه السلام في حديث يذكر فيه يوسف عليه السلام: إن الله لم يبعث أنبياء ملوكاً في الأرض إلا أربعة - إلى أن قال: - وأما يوسف فملك مصر وبرايرها، ولم يتجاوزها إلى غيرها.

وفي الكافي^(٥): عن الصادق عليه السلام في حديث يذكر فيه يوسف، وفيه: فكان من أمره الذي كان أن اختار مملكة الملك وما حولها إلى اليمن.

وفي كتاب الخصال^(٦): عن الباقر عليه السلام: إن الله لم يبعث الأنبياء ملوكاً في الأرض إلا أربعة - إلى أن قال: - وأما يوسف فملك مصر وبرايرها، ولم يتجاوزها إلى غيرها.
﴿وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: الكتب، أو الرؤيا.
و«من» أيضاً للتبويض، لأنه لم يؤث كل التأويل.

٢. تفسير العياشي ١٩٨/٢، ح ٨٦.

١. المجمع ٢٦٥/٣.

٣. المجمع ٢٦٥/٣.

٤. بل في الخصال ٢٤٨/١، ح ١١٠. وتفسير نور الثقلين ٤٧٣/٢، ح ٢٢٢ عنه.

٦. الخصال ٢٤٨/١، ح ١١٠.

٥. الكافي ٧٠/٥، ح ١.

وفي كتاب الاحتجاج^(١) للطبرسي عليه السلام: عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام قال: إنَّ يهودياً من يهود الشام وأحبارهم [جاء إلى مجلس فيه أصحاب رسول الله ﷺ وفيهم علي] ^(٢) قال لأمير المؤمنين عليه السلام: فإنَّ هذا يوسف قاسي^(٣) مرارة الفرقه، وحُبس في السجن توقياً للمعصية، وألقي في الحب وحيداً. فقال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد ﷺ قاسي مرارة الغربة وفراق الأهل والأولاد والمال، مهاجراً^(٤) من حرم الله تعالى وأمنه. فلما رأى الله ﷻ كآبته^(٥) واستشعاره الحزن، أراه تبارك وتعالى رؤياً توازي رؤيا يوسف في تأويلها، وأبان للعالمين صدق تحقيقها، فقال: «لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون»^(٦).

ولئن كان يوسف حُبس في السجن، فلقد حبس رسول الله ﷺ نفسه في الشعب ثلاث سنين، وقطع منه أكاربه وذوو الرحم وألجأوه إلى أضيق^(٧) المضيق، ولقد كادهم الله ﷻ كيداً مستبيناً إذ بعث أضعف خلقه فأكل عهدهم الذي كتبوه بينهم في قطيعة رحمه^(٨).

ولئن كان يوسف أُلقي في الحب، فلقد حبس محمد ﷺ نفسه مخافة عدوه في الغار حتّى قال لصاحبه: «لا تحزن إنَّ الله معنا»^(٩) ومدحه الله بذلك في كتابه.

وفي روضة الكافي^(١٠): علي، عن أبيه، عن الحسن بن علي، عن أبي جعفر الصائغ، عن محمد بن مسلم قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعنده أبو حنيفة، فقلت له: جعلت فداك، رأيت رؤياً عجيبة.

١. الاحتجاج ١/٣١٤-٣٢٠.

٢. من المصدر.

٣. قاسي: تحمّل.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: فهاجر.

٥. الكآبة: الغم والحزن.

٦. الفتح ٢٧.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: الضيق.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: «قطيعته» بدل «قطيعة رحمه».

٩. الكافي ٨/٢٩٢، ح ٤٤٧.

١٠. التوبة ٤٠.

فقال له : يا ابن مسلم ، هاتها ، فإنَّ العالم بها جالس وأوماً بيده إلى أبي حنيفة .
 قال : فقلت : رأيت كأني دخلت داري ، وإذا أهلي قد خرجت عليّ ، فكسرت جوزاً
 كثيراً ونثرته عليّ ، فتعجبت من هذه الرؤيا .
 فقال أبو حنيفة : أنت رجل تخاصم وتجادل لثاماً في مواريث أهلِكَ ، فبعد نصب
 شديد تنال حاجتك منها إن شاء الله تعالى .
 فقال أبو عبدالله عليه السلام : أصبت والله ، يا أبا حنيفة .
 قال : ثمَّ خرج أبو حنيفة من عنده ، فقلت : جعلت فداك ، إنني كرهت تعبير هذا
 الناصب .
 فقال : يا ابن مسلم ، لا يسوؤك الله ، فما يواطئ تعبيرهم تعبيرنا ولا تعبيرنا
 تعبيرهم ، وليس التعبير كما عبّره .
 قال : فقلت له : جعلت فداك ، فقولك : «أصبت» وتحلف عليه وهو مخطئ ؟!
 قال : نعم ، حلفت عليه أنّه أصاب ^(١) الخطأ .
 قال : قلت : فما تأويلها ؟
 قال : يا ابن مسلم ، إنك تتمتع بامرأة فتعلم بها أهلِكَ فتمزّق عليك ^(٢) ثياباً جدداً ،
 فإنَّ القشر كسوة اللب .
 قال ابن مسلم : فوالله ، ما كان بين تعبيره وتصحيح الرؤيا إلاّ صبيحة الجمعة ، فلمّا
 كان غداة الجمعة وأنا جالس بالباب إذ مرّت بي جارية فأعجبني ، فأمرت غلامي فردّها
 ثمَّ أدخلها داري ، فتمتّع بها ، فأحسّت بي وعلمت بها أهلي ، فدخلت علينا البيت
 فبادرت الجارية نحو الباب وبقيت أنا ، فمزّقت عليّ ثياباً [جدداً] ^(٣) كنت ألبسها في
 الأعياد .

١. كذا في المصدر . وفي النسخ : «أنّه صاحب» بدل «عليه أنّه أصاب» .

٢. كذا في المصدر . وفي النسخ : «فتخرق عليها» .

٣. كذا في المصدر .

وجاء موسى الزوار العطار إلى أبي عبدالله عليه السلام فقال له: يا ابن رسول الله، رأيت رؤياً هالتي، رأيت صهراً لي ميتاً وقد عانقني، وقد خفت أن يكون الأجل قد اقترب.
فقال: يا موسى، توقع الموت صباحاً ومساءً فإنه ملائنا، ومعانقة الأموات للأحياء أطول لأعمارهم، فما كان اسم صهرك؟
قال: حسين.

فقال: أما إن^(١) رؤياك تدل على بقائك وزيارتك أبا عبدالله عليه السلام فإن كل من عانق سمي الحسين عليه السلام يزوره إن شاء الله.

﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مبدعهما.

وانتصابه على أنه صفة المنادي، أو منادى برأسه.

﴿أَنْتَ وَلِيِّي﴾: ناصري، أو متولي أمري.

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾: أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما.

﴿تَوْفِّي مُسْلِمًا﴾: اقبضني مسلماً.

﴿وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٢): من آبائي. أو بعامّة الصالحين في الرتبة والكرامة.

وفي تفسير العياشي^(٣): عن عباس بن يزيد قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: بينا رسول الله ﷺ جالس في أهل بيته إذ قال: أحب يوسف أن يستوثق^(٤) لنفسه.

قال: فقيل: بما ذا يا رسول الله؟

قال: لمّا عزل^(٥) له عزيز مصر [عن مصر]^(٦)، لبس ثوبين جديدين، أو قال: نظيفين، وخرج إلى فلاة من الأرض، فصلّى ركعات. فلمّا فرغ رفع رأسه إلى السماء، فقال: يا «ربّ» قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة».

٢. تفسير العياشي ١٩٩/٢، ح ٨٩.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: عجل.

٦. ليس في المصدر.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: أنك.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: يدعون.

٥. من المصدر.

قال: فهبط إليه جبرئيل فقال له: [يا يوسف ^(١)] ما حاجتك؟

فقال: «توفني مسلماً وألحقني بالصالحين».

فقال أبو عبدالله عليه السلام: خشي الفتن ^(٢).

وفي كمال الدين وتمام النعمة ^(٣): عن الصادق، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: عاش يعقوب بن إسحاق مائة وأربعين سنة، وعاش يوسف بن يعقوب مائة وعشرين سنة.

وفي مجمع البيان ^(٤): عن الصادق عليه السلام قال: دخل يوسف السجن وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ومكث فيه ثمانين سنة، وبقي بعد خروجه ثمانين سنة، فذلك مائة سنة وعشر سنين.

وعن الباقر عليه السلام ^(٥) أنه سئل: كم عاش يعقوب مع يوسف بمصر؟

قال: عاش حولين.

قيل: فمن كان الحجة لله في الأرض، يعقوب أم يوسف؟

قال: كان يعقوب [الحجة] ^(٦)، وكان المُلْك ليوسف. فلما مات يعقوب حمله يوسف في تابوت إلى أرض الشام، فدفنه ^(٧) في بيت المقدس، فكان يوسف بعد يعقوب الحجة.

قيل ^(٨): فكان يوسف رسولاً نبياً؟

قال: نعم، أما تسمع قوله: «ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات».

وفي تفسير العياشي ^(٩): عنه عليه السلام ما يقرب منه.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: العين.

٤. المجمع ٢٦٦٣.

٦. من المصدر.

٨. المصدر: قلت.

١. من المصدر.

٣. كمال الدين ٥٣٣/٢، ح ١.

٥. المجمع ٢٦٦٣.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: فدفن.

٩. تفسير العياشي ١٩٨/٢، ح ٨٧.

وفي من لا يحضره الفقيه^(١): عن الصادق عليه السلام: أَنَّ الله ﷻ أوحى إلى موسى بن عمران: أَنْ أخرج عظام يوسف عليه السلام من مصر. ووعده طلوع القمر^(٢)، فأبطأ [طلوع]^(٣) القمر [عليه]^(٤)، فسأل عَمَن يعلم موضعه، ف قيل له: ها هنا عجوز تعلم [علمه]^(٥). فبعث إليها، فأتي بعجوز مقعدة عمياء.

فقال: تعرفين قبر يوسف عليه السلام؟

قالت: نعم.

قال: فأخبريني بموضعه.

فقالت: لا أفعل حتَّى تعطيني خصالاً؛ تطلق رجلي، وتعيد إليّ بصري، وتردّ إليّ شبابي، وتجعلني معك في الجنة.

فكبر ذلك على موسى، فأوحى الله إليه: إِنَّمَا تعطي عليّ، فأعطها ما سألت. ففعل، فدلته على قبر يوسف عليه السلام واستخرجته من شاطئ النيل في صندوق مرمر. فلَمَّا أخرجاه طلع القمر، فحملة إلى الشام، فلذلك يحمل أهل الكتاب موتاهم إلى الشام. وهو يوسف بن يعقوب عليه السلام وما ذكر الله ﷻ في القرآن غيره.

وفي روضة الكافي^(٦): عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن بريد^(٧) الكناسي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إِنَّ رسول الله ﷺ كان نزل على رجل بالطائف قبل الإسلام، فأكرمه. فلَمَّا أَنْ بعث الله محمداً ﷺ إلى الناس قيل للرجل: أتدري من الذي أرسله الله ﷻ إلى الناس؟ قال: لا.

قالوا: هو محمد بن عبدالله، يتيم أبي طالب، وهو الذي كان نزل [بك]^(٨) بالطائف يوم كذا وكذا، فأكرمه.

٢. ليس في أ.

١. الفقيه ١٢٣/١.

٦. الكافي ١٥٥/٨، ح ١٤٤.

٣-٥. من المصدر.

٨. من المصدر.

٧. المصدر: يزيد.

قال: فقدم الرجل على رسول الله ﷺ فسلم عليه وأسلم، ثم قال له: تعرفني يا رسول الله؟

قال: ومن أنت؟

قال: أنا رب المنزل الذي نزلت به بالطائف في الجاهلية يوم كذا وكذا، فأكرمك.

فقال له رسول الله ﷺ: مرحباً بك، سل حاجتك.

فقال: أسألك مائتي شاة برعاتها.

فأمر له رسول الله ﷺ بما سأل، ثم قال لأصحابه: ما كان على هذا الرجل أن يسألني سؤال عجوز بني إسرائيل لموسى؟

فقالوا: وما سألت عجوز بني إسرائيل لموسى؟

فقال: إن الله ﷻ أوحى إلى موسى: أن احمل عظام يوسف من مصر من قبل أن

تخرج منها إلى الأرض المقدسة بالشام. فسأل موسى عن قبر يوسف ﷺ فجاءه شيخ

فقال: إن كان أحد يعرف قبره ففلانة. فأرسل موسى ﷺ إليها، فلما جاءته قال: تعلمين

موضع قبر يوسف ﷺ؟

قالت: نعم.

قال: فدلّيني عليه، ولك ما سألت.

قالت: لا أدلك عليه إلا بحكمي.

قال: فلك الجنة.

قالت: لا، إلا بحكمي عليك.

فأوحى الله ﷻ إلى موسى: لا يكبر عليك أن تجعل لها حكمها.

فقال موسى: فلك حكمك.

قالت: فإن حكمي أن أكون معك في درجتك التي تكون فيها يوم القيامة في الجنة.

فقال رسول الله ﷺ: ما كان على هذا لو سألني ما سألت عجوز بني إسرائيل.

وفي كتاب علل الشرائع^(١)، بإسناده إلى عبدالله بن المغيرة، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: استأذنت زليخا على يوسف.

فقبل لها: إنّا نكره أن تُقدم بك عليه، لما كان منك إليه.

قالت: إنّي لا أخاف من يخاف الله.

فلما دخلت قال لها: يا زليخا، مالي أراك قد تغيّر لونك؟

قالت: الحمد لله الذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيداً، وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً.

فقال لها: ما الذي دعاك [يا زليخا] ^(٢)إلى ما كان منك؟

قالت: حسن وجهك، يا يوسف.

فقال: كيف لو رأيت نبياً يقال له: محمّد، يكون ^(٣)في آخر الزمان، أحسن منّي

وجهاً، وأحسن منّي خلقاً، وأسمح منّي كفاً؟

قالت: صدقت.

قال: وكيف علمت أنّي صدقت؟

قالت: لأنك حين ذكرته وقع حبه في قلبي.

فأوحى الله ﷻ إلى يوسف: أنّها صدقت، وأنّي قد أحببتها لحبّها محمّداً ﷺ. فأمره

الله تبارك وتعالى أن يتزوّجها.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٤): حدّثني محمّد بن عيسى، أنّ يحيى بن أكنم سأل

موسى بن محمّد بن عليّ بن موسى مسائل، فعرضها على أبي الحسن، فكانت

أحداها^(٥): أخبرني عن قول الله ﷻ: «ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً». وقد

سبق أكثر الحديث عند هذه الآية، ويتّصل بآخر ما سبق، قال: ولما مات العزيز^(٦) في

٢. من المصدر.

١. العلل ٥٥/١، ح ١.

٤. تفسير القميّ ٣٥٧/١.

٣. ليس في أ، ب.

٦. المصدر: زيادة «وذلك».

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: وكان أحداها.

السنين المجدبة افتقرت امرأة العزيز، واحتاجت حتّى سألت [الناس] ^(١).
فقالوا لها ^(٢): لو قعدت للعزيز. وكان يوسف سَمِي بالعزیز، وكلّ ملك كان لهم
سَمِي بهذا الاسم.

فقال: أستحيي منه. فلم يزالوا بها حتّى قعدت له [على الطريق] ^(٣) فأقبل يوسف
في مركبه، فقامت إليه فقالت: سبحان الذي ^(٤) جعل الملوك بالمعصية عبيداً، وجعل
العبيد بالطاعة ملوكاً.

فقال لها يوسف: أنت هاتيك ^(٥)؟

فقال: نعم. وكان اسمها زليخا.

قال: هل لك فيّ؟

قالت: دعني بعد ما كبرت، أتتهزأ بي؟

قال: لا.

قالت: نعم.

فأمر بها فحوّلت إلى منزله، وكانت هرمة، فقال لها: ألسنت فعلت بي كذا وكذا؟

فقال: يا نبيّ الله، لا تلمني، فإنّي بليت بليّة لم يتل بها أحد.

قال: وما هي؟

قالت: بليت بحبك ولم يخلق الله لك في الدنيا نظيراً، وبليت [بحسني] ^(٦) بأنّه لم

يكن بمصر امرأة أجمل منّي ولا أكثر مالاً منّي، نزع عنيّ مالي وذهب عنيّ جمالي ^(٧)،

وبليت بزواج عنيّين.

١. من المصدر. ٢. المصدر: «ما يضرك» بدل «لها».

٣. من المصدر. ٤. المصدر: من.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: ملك. ٦. من المصدر.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: «فنزعا منّي» بدل «نزع عنيّ مالي وذهب عنيّ جمالي».

فقال لها يوسف: فما حاجتك^(١)؟

فقالت: تسأل الله أن يردّ عليّ شبابي. فسأل الله، فردّ عليها شبابها، فتزوجها وهي بكر.

وفي أمالي شيخ الطائفة^(٢) رحمه الله بإسناده إلى أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: لما أصابت امرأة العزيز الحاجة، قيل لها: لو أتيت يوسف بن يعقوب عليه السلام.

فشاورت في ذلك، فقيل لها: إنّنا نخافه عليك.

قالت: كلا، إنّني لا أخاف من يخاف الله. فلما أدخلت^(٣) عليه فرأته في ملكه، قالت: الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكاً بطاعته، وجعل الملوك عبيداً بمعصيته. فتزوجها، فوجدها بكراً.

فقال: أليس هذا أحسن، أليس هذا أجمل؟

فقالت: إنّني كنت بليت منك بأربع خصال: كنت أجمل أهل زماني وكنت أجمل أهل زمانك، وكنت بكراً، وكان زوجي عتيماً.

﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى ما ذكر من أنباء يوسف، والخطاب فيه للرسول ﷺ. وهو مبتدأ.

﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾: خبران له.

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾^(٤): كالدليل عليها.

والمعنى: أنّ هذا النبأ غيب لم تعرفه إلا بالوحي، لأنك لم تحضر إخوة يوسف حين عزموا على ما همّوا به، من أن يجعلوه في غيابة الجب، وهم يمكرون به وبأبيه ليرسله معهم. ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذّبيك، أنك ما لقيت أحداً سمع ذلك فتعلّمته منه. وإنّما حذف هذا الشقّ استغناء بذكره في غير هذه القصة، كقوله: «ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا».

﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾: على إيمانهم وبالغت في إظهار الآيات عليهم.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: تريدن. ٢. أمالي الطوسي ٧١/٢-٧٢.

٣. أ، ب: دخلت.

﴿يَمُؤْمِنِينَ﴾^(٥٣): لعنادهم وتصميمهم على الكفر.

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾: على الأنبياء والقرآن.

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: جَعَلِي، كما يفعله حملة الأخبار.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظة من الله.

﴿لِلْعَالَمِينَ﴾^(٥٤): عامة.

﴿وَكَايْنٍ مِنْ آيَةٍ﴾: وكم من آية^(١).

والمعنى: وكأي عدد من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده.

﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْزُونَ عَلَيْهَا﴾: على الآيات ويشاهدونها.

﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾^(٥٥): لا يتفكرون فيها، ولا يعتبرون بها.

وقرئ^(٢): «والأرض» بالرفع، على أنه مبتدأ خبره «يمزون» فيكون لها الضمير في

«عليها». وبالنصب، على ويطأون الأرض.

وقرئ^(٣): «والأرض يمشون عليها» أي يترددون فيها فيرون آثار الأمم الهالكة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): قال: «الآيات» الكسوف والزلزلة والصواعق.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾: أي في إقرارهم بوجوده وخالقيته.

﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(٥٦): وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥) قال: حدثنا أحمد بن

محمد، عن علي بن الحكم، عن موسى بن بكر، عن الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

شرك طاعة وليس شرك عبادة، والمعاصي التي يرتكبون فهي شرك طاعة أطاعوا فيها

الشیطان فأشركوا بالله في الطاعة لغيره، وليس بإشراك عبادة أن يعبدوا غير الله.

وفي كتاب التوحيد^(٦)، بإسناده إلى حنان بن سدير، عن أبي عبد الله عليه السلام حديث

١. ليس في أ، ب، ر: وكم من آية.

٢ و٣. أنوار التنزيل ٥١٠/١.

٦. التوحيد ٣٢٤، ح ١.

٤ و٥. تفسير القمي ٣٥٨/١.

طويل، يقول فيه: وله ^(١) الأسماء الحسنى التي لا يسمّى بها غيره، وهي التي وصفها في الكتاب فقال: «فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه» جهلاً بغير علم. فالذي يلحد في أسمائه بغير علم يشرك وهو لا يعلم، ويكفر به وهو يظنّ أنّه يحسن، فلذلك قال: «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون» فهم الذين يلحدون في أسمائه بغير علم ويضعونها غير مواضعها.

وفي أصول الكافي ^(٢): عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن يحيى بن المبارك، عن عبدالله بن جبلة، عن سماعة، عن أبي بصير وإسحاق بن عمار، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله ﷺ: «وما يؤمن أكثرهم» إلى قوله: «مشركون».

قال: يتّبع الشيطان من حيث لا يعلم فيشرك.

علي بن إبراهيم ^(٣)، عن محمد بن عيسى، عن يونس [عن] ^(٤) ابن بكير، عن ضريس، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله ﷻ: «وما يؤمن أكثرهم بالله» الآية، قال: [شرك طاعة وليس شرك عبادة] ^(٥).

[عن زارة ^(٦)]، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون» قال: [^(٧) من ذلك قول الرجل: لا، وحياتك.

عن محمد بن الفضيل ^(٨)، عن الرضا عليه السلام قال: شرك لا يبلغ به الكفر.

أبو بصير ^(٩)، عن أبي إسحاق قال: هو قول الرجل: لو لا الله وأنت ما فعل بي كذا وكذا، ولو لا الله وأنت ما صرف عني كذا وكذا، وأشباه ذلك.

عن مالك بن عطية ^(١٠)، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «وما يؤمن» إلى قوله: «وهم

٢. الكافي ٣٩٧/٢، ح ٣.

٤ و ٥. من المصدر.

٧. من المصدر.

٩. نفس المصدر والموضع، ح ٩٤.

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: وأما.

٣. نفس المصدر والموضع، ح ٤.

٦. تفسير العياشي ١٩٩/٢، ح ٩٠.

٨. نفس المصدر والموضع، ح ٩٢.

١٠. تفسير العياشي ٢٠٠/٢، ح ٩٦.

مشركون» قال: هو الرجل يقول: لولا فلان لهلكت، ولولا فلان لأصبت كذا وكذا، ولولا فلان لضاع عيالي. ألا ترى أنه قد جعل الله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه؟ قال: قلت: فيقول: لولا أن من الله عليّ بفلان لهلكت؟ قال: نعم، لا بأس بهذا.

عن زرارة^(١) وحمران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالوا: سألناهما.

فقالا: شرك النعم.

وفي مجمع البيان^(٢): اختلف في معناه على أقوال:

أحدها: أنهم مشركو قریش، كانوا يقرّون بالله خالقاً ومحيياً ومميتاً ويعبدون الأصنام ويدعونها آلهة، مع أنهم كانوا يقولون: الله ربّنا وإلهنا يرزقنا، وكانوا مشركين بذلك.

وثانيها: أنها نزلت في مشركي العرب، إذ سئلوا: من خلق السماوات والأرض وينزل القطر^(٣)؟ قالوا: الله، ثم هم يشركون. وكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك.

وثالثها: أنهم أهل الكتاب، آمنوا بالله واليوم الآخر والتوراة والإنجيل، ثم أشركوا بإنكار القرآن وإنكار نبوة نبيّنا صلّى الله عليه وآله. [عن الحسن^(٤)]. وهذا القول مع ما تقدّمه؛ رواه دارم بن قبيصة، عن عليّ بن موسى الرضا، عن أبيه، عن جدّه أبي عبد الله عليه السلام.

ورابعها: أنهم المنافقون، يظهرون الإيمان ويشركون في السرّ.

وخامسها: أنهم المشبهة، آمنوا في الجملة وأشركوا في التوحيد.

وسادسها: أن المراد بالإشراك: شرك الطاعة لا [شرك^(٥)] العبادة. عن أبي جعفر عليه السلام.

١. تفسير العيّاشي ٢/٢٠٠، ح ٩٦.

٢. المجمع ٣/٢٦٧-٢٦٨.

٣. أ، ب: المطور.

٤. من المصدر.

٥. من المصدر.

﴿ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴾: عقوبة تغشاهم وتشملمهم.
 ﴿ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾: فجأة من غير سابقة علامة.
 ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٣٧): بإتيانها، غير مستعدين لها.
 ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ﴾: يعني الدعوة إلى التوحيد، والإعداد للمعاد. ولذلك فسر السبيل بقوله:

﴿ اذْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾: وقيل (١): هو حال من البلاء (٢).
 ﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾: بيان وحجة واضحة، غير عمياء.
 ﴿ أَنَا ﴾: تأكيد للمستتر في «أدعو» أو «على بصيرة» (٣)، لأنه حال منه. أو مبتدأ خبره «على بصيرة».

﴿ وَمَنْ اتَّبَعَنِي ﴾: عطف عليه.
 وفي أصول الكافي (٤): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الأحول، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ذلك رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام والأوصياء من بعدهم.
 علي بن إبراهيم (٥)، عن أبيه قال: قال علي بن حسان لأبي جعفر الجواد عليه السلام: يا سيدي، إن الناس ينكرون عليك حدائث سنك!
 قال: وما ينكرون؟ ذلك قول الله ﷻ لقد قال لنبية: «قل هذه سبيلي» الآية، فوالله ما تبعه إلا علي عليه السلام وله تسع سنين، فأنا ابن تسع سنين.
 وفي روضة الواعظين (٦): قال الباقر عليه السلام: «قل هذه» إلى قوله: «ومن اتبعني» قال: علي اتبعه.

١. أنوار التنزيل ٥١٠/١.

٢. أي ياء المتكلم الذي يضاف إليه «سبيل». ولعله باعتبار أنه مفعول مصدر مقدر، أي سبيل سلوك.

٣. لأن تقديره: أدعو كأننا على بصيرة فيكون فاعل الظرف ضمير المتكلم المستتر.

٤. الكافي ٤٢٥/١، ح ٦٦.

٥. الكافي ٣٨٤/١، ح ٨.

٦. روضة الواعظين ١٠٥/١.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «قل هذه» إلى قوله: «ومن اتبعني» يعني نفسه. ومن تبعه، [يعني] ^(٢) علي بن أبي طالب وآل محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

وفي الكافي^(٣): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن يزيد، عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن الدعاء إلى الله والجهاد في سبيله، أهو لقوم لا يحلّ إلّا لهم ولا يقوم به إلّا من كان منهم، أم هو مباح لكل من وحد الله تعالى وآمن برسول الله صلى الله عليه وآله، ومن كان كذا فله أن يدعو إلى الله تعالى وإلى طاعته وأن يجاهد في سبيله؟

فقال: ذلك لقوم لا يحلّ إلّا لهم، ولا يقوم بذلك إلّا من كان منهم.

قلت: من أولئك؟

قال: من قام بشرائط الله تعالى في القتال والجهاد على المجاهدين، فهو المأذون له في الدعاء إلى الله تعالى. ومن لم يكن قائماً بشرائط الله تعالى في الجهاد على المجاهدين، فليس بمأذون له في الجهاد ولا الدعاء إلى الله، حتّى يحكم في نفسه ما أخذ الله عليه من شرائط الجهاد.

قلت: فبين لي، يرحمك الله.

قال: إنّ الله تبارك وتعالى أخبر في كتابه الدعاء إليه، ووصف الدعاء إليه - إلى أن قال: - ثم أخبر عن هذه الأمة، وممن هي، وأنها من ذرية إبراهيم ومن ذرية إسماعيل، من سكّان الحرم، ممن لم يعبدوا غير الله قطّ، والذين وجبت لهم الدعوة دعوة إبراهيم وإسماعيل، من أهل المسجد الذين أخبر عنهم في كتابه أنّه أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، الذين وصفناهم قبل هذا في صفة أمة إبراهيم عليه السلام، الذين عناهم الله تبارك وتعالى في قوله: «أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» يعني أول من اتبعه

على الإيمان به والتصديق له وبما جاء به من عند الله ﷻ من الأمة التي بُعث فيها ومنها واليها قبل الخلق، مَن لم يشرك بالله قط، ولم يلبس إيمانه بظلم، وهو الشرك. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تهذيب الأحكام^(١)، في الدعاء بعد صلاة يوم الغدير المسند إلى الصادق عليه السلام: رَبَّنَا آمَنَّا، وَاتَّبَعْنَا مَوْلَانَا وَلَوْلَيْنَا وَهَادَيْنَا وَدَاعَيْنَا، وَدَاعِي الْأَنَامِ وَصِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ السَّوِيِّ، وَحَجَّتِكَ وَسَبِيلِكَ الدَّاعِي إِلَيْكَ عَلَى بَصِيرَةٍ، هُوَ وَمَنْ أَتَّبَعَهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ بَوْلَايَتِهِ وَبِمَا يُلْحِدُونَ وَبِاتِّخَاذِ الْوَلَايَةِ دُونِهِ. ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾: وَأَنْزَهْهُ تَنْزِيهًا مِنَ الشُّرَكَاءِ.

﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: عطف على سبيل التفسير.

وفي أصول الكافي^(٢): علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس، عن هشام بن الحكم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن «سبحان الله». فقال: أنفة لله^(٣).

أحمد بن مهران^(٤)، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني، عن علي بن أسباط، عن سليمان مولى طربال، عن هشام الجواليقي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: «سبحان الله» ما يعني به؟

قال: تنزيهه^(٥).

وفي الكافي^(٦): علي، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة [عن هشام بن الحكم]^(٧) قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تفسير «سبحان الله»؟

٢. الكافي ١١٨/١، ح ١٠.

١. التهذيب ١٤٥/٣، ح ٣١٧.

٣. يعني: تنزيهه لذاته الأحدثية عن كل ما لا يليق بجنابه. يقال: أنف من الشيء: إذا استنكف عنه وكرهه.

٤. الكافي ١١٨/١، ح ١١.

وشرف نفسه عنه قاله في الوافي.

٦. الكافي ٣٢٩/٣، ح ٥.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: تنزيه.

٧. من المصدر.

قال: أنفة لله. أما ترى الرجل إذا عجب من الشيء قال: سبحان الله!

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾: ردّ لقولهم: «لو شاء ربنا لأنزل ملائكة».

وقيل ^(١): معناه: نفى استنباء النساء.

﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾: كما أوحى إليك، وتميّزوا بذلك عن غيرهم.

وقرأ ^(٢) حفص: «نوحى» في كلّ القرآن، ووافقه حمزة والكسائي في الحرف الثاني

في سورة الأنبياء. وحمزة والكسائي يميلانه على أصلها هاهنا وفي النحل، والأوّل من سورة الأنبياء.

﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾: لأنّ أهلها أعلم وأحلم من أهل البدو.

وفي عيون الأخبار ^(٣): «وما أرسلنا من قبلك» يعني إلى الخلق. «إلا رجالاً نوحى

إليهم من أهل القرى» فأخبر أنّه لم يبعث الملائكة إلى الأرض ليكونوا أنمة أو حكّاماً،

ولنّما أرسلوا ^(٤) إلى أنبياء الله.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: من المكذّبين

بالرسل والآيات، فيحذروا تكذيبك. أو من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها،

فيقلعوا عن حبّها ويزهدوا فيها.

﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾: ولدّار الحال، أو الساعة، أو الحياة الآخرة.

﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: الشرك والمعاصي.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ^(٥): يستعملون عقولهم ليعرفوا أنّها خير.

وقرأ ^(٦) نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء، حملاً على قوله: «قل هذه سبيلي»

[أي قل لهم: أفلا تعقلون] ^(٧).

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَرَ الرُّسُلُ﴾: غاية محذوف دلّ عليه الكلام، أي لا يغررهم تمادي

٣. العيون ٢٧٠/١، ح ١.

٥. أنوار التنزيل ٥١١/١.

١ و٢. أنوار التنزيل ٥١٠/١.

٤. المصدر: إنّما كانوا أرسلوا.

٦. من المصدر.

أَيَّامَهُمْ، فَإِنَّ مَنْ قَبْلَهُمْ أَهْلُوا حَتَّى آيَسَ الرِّسْلَ عَنْ النَّصْرِ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا.
أَوْ عَنْ إِيْمَانِهِمْ؛ لِأَنَّهَا كُفَرُ فِي الْكُفْرِ مَتَرَفِّهَيْنِ مَتَمَادِينِ فِيهِ مِنْ غَيْرِ وَازِعٍ.
﴿وَضَوُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوا﴾: أَي كَذَّبْتَهُمْ أَنْفُسَهُمْ حِينَ حَدَّثْتَهُمْ بِأَنَّهُمْ يُنْصَرُونَ. أَوْ
كَذَّبَهُمُ الْقَوْمُ بِوَعْدِ الْإِيْمَانِ.

وقيل ^(١): الضمير للمرسل إليهم، أي وظنَّ المرسل إليهم أَنَّ الرِّسْلَ قَدْ كَذَّبُوهُمْ
بِالدَّعْوَةِ وَالْوَعْدِ.

وقيل ^(٢): الْأَوَّلُ لِلْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ، وَالثَّانِي لِلرِّسْلِ، أَي وَضَعُوا أَنَّ الرِّسْلَ قَدْ كُذِّبُوا
وَأَخْلَفُوا فِيمَا وَعَدَ لَهُمْ مِنَ النَّصْرِ، وَخَلَطَ الْأَمْرَ عَلَيْهِمْ.

وفي الجوامع ^(٣): أَنَّ قِرَاءَةَ التَّخْفِيفِ قِرَاءَةُ أَثْمَةِ الْهَدْيِ لِلرَّسْلِ.
وقرأ ^(٤) غير الكوفيين بالتشديد، أَي وَظَنَّ الرِّسْلَ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ كَذَّبُوهُمْ فِيمَا
أَوْعَدُوهُمْ.

وقرئ ^(٥): «كذبوا» بالتخفيف وبناء الفاعل، أَي أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا فِيمَا حَدَّثُوا بِهِ عِنْدَ
قَوْمِهِمْ لَمَّا تَرَاخَى عَنْهُمْ وَلَمْ يَرَوْا لَهُ أَثْرًا.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٦): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ أَبِي
بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: وَكَلَّمَهُمُ اللَّهُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، فَظَنُّوا أَنَّ الشَّيَاطِينَ قَدْ تَمَثَّلَتْ
لَهُمْ فِي صُورَةِ الْمَلَائِكَةِ.

وفي تفسير العياشي ^(٧): عَنْ ابْنِ شَعِيبٍ ^(٨)، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: وَكَلَّمَهُمُ [اللَّهُ] ^(٩)
إِلَى أَنْفُسِهِمْ أَقَلَّ مِنْ طَرَفَةِ عَيْنٍ.

٣. الجوامع/ ٢٢٤.

٥. أنوار التنزيل ٥١١/١.

٧. تفسير العياشي ٢٠١/٢، ح ١٠٣.

٩. من المصدر.

١ و ٢. أنوار التنزيل ٥١١/١.

٤. أنوار التنزيل ٥١١/١.

٦. تفسير القمي ٣٥٨/١.

٨. ب: أبي شعيب.

عن زرارۃ^(١) قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف لم يخف رسول الله ﷺ فيما يأتيه من قبل الله، أن يكون ذلك ما ينزغ به الشيطان؟

قال: فقال: إن الله إذا اتخذ عبدا رسولا أنزل عليه السكينة والوقار، فكان يأتيه من قبل الله مثل الذي يراه بعينه.

﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾: النبي والمؤمنين. وإنما لم يعينهم للدلالة على أنهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم، يشاركهم فيه غيرهم.

وقرأ ابن^(٢) عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول.

وقرئ^(٣): «فنجى».

﴿وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٤): إذا نزل بهم.

وفي عيون الأخبار^(٥)، في باب مجلس الرضا عليه السلام عند المأمون في عصمة الأنبياء عليه السلام: حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي عليه السلام، قال: حدثنا أبي، عن حمدان بن سليمان النيشابوري، عن علي بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام. فقال له المأمون: يا ابن رسول الله، أليس من قولك: إن الأنبياء معصومون؟

قال: بلى.

قال: فما معنى قول الله ﷻ؟ - إلى أن قال: - فأخبرني عن قول الله تعالى: «حتى إذا استأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا».

قال الرضا عليه السلام: يقول الله تعالى: «حتى إذا استأس الرسل» من قومهم، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا جاء الرسل نصرنا.

فقال المأمون: لله درك، يا أبا الحسن.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾: في قصص الأنبياء وأمهم. أو في قصة يوسف وإخوته.

١. نفس المصدر والموضع.

٢ و٣. أنوار التنزيل ٥١١/١.

٤. العيون ٢٠٢/١، ح ١.

﴿عَبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾: لذوي العقول المبرّاة من شوائب الإلّاف والركون إلى الحسّ.

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾: ما كان القرآن حديثاً يُفترى.

﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: من الكتب الإلهية.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(١): يعني من^(٢) كتب الأنبياء.

﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: يُحتاج إليه في الدين.

﴿وَهُدًى﴾: من الضلالة.

﴿وَرَحْمَةً﴾: يُنال بها خير الدارين.

﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٣): يصدّقونه.

سورة الرعد

سورة الرعد

مدنية.

وقيل ^(١): مكية، إلا قوله: «ويقول الذين» الآية.

وآياتها ثلاث ^(٢) وأربعون.

بسم الله الرحمن الرحيم

في كتاب ثوب الأعمال ^(٣)، بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: من أكثر قراءة سورة الرعد لم يصبه الله بصاعقة أبداً ولو كان ناصبياً ^(٤)، وإذا كان مؤمناً دخل ^(٥) الجنة بلا حساب ويشفع في جميع من يعرفه ^(٦) من أهل بيته وإخوانه.

وفي مجمع البيان ^(٧): أبي بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة، وكان يوم القيامة من المؤمنين ^(٨) بعهد الله.

«المر»: قيل ^(٩): معناه: أنا الله أعلم وأرى.

وفي كتاب معاني الأخبار ^(١٠)، بإسناده إلى سفيان بن سعيد الثوري، عن الصادق عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: [و«المر» معناه] ^(١١) أنا الله المحيي المميت الرزاق.

١. أنوار التنزيل ٥١٢/١.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: خمس.

٣. ثواب الأعمال ١٣٣، ح ١.

٤. المصدر: ناصباً.

٥. المصدر: أدخله.

٦. المصدر: يعرف.

٧. المجمع ٢٧٣٣.

٨. المصدر:، الموفين.

٩. نفس المصدر والمجلد ٢٧٤.

١٠. المعاني ٢٢، ح ١.

١١. من المصدر.

وفي تفسير العياشي^(١): عن أبي لبيد^(٢)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا أبا لبيد، إن لي في حروف القرآن المقطعة لعلماً جماً. إن الله تبارك وتعالى أنزل «الم»^(٣) ذلك الكتاب» فقام محمد ﷺ حتى ظهر نوره وثبتت كلمته وولد يوم ولد، وقد مضى من الألف السابع مائة سنة وثلاث سنين.

ثم قال: وتبينه في كتاب الله في الحروف المقطعة إذا عدّتها من غير تكرار، وليس من حروف مقطعة حرف تنقضي أيامه إلّا وقائم من بني هاشم عند انقضائه.

ثم قال: «الألف» واحد، و«اللام» ثلاثون، و«الميم» أربعون، و«الصاد» تسعون^(٤)، فلذلك مائة واحد وستون^(٥). ثم كان بدو خروج الحسين بن علي عليه السلام «الم [الله]»^(٦). فلمّا بلغت مدّته، قام قائم^(٧) ولد العباس عند «المص» ويقوم^(٨) قائمنا عند انقضائها بـ «المر»^(٩)، فافهم ذلك وعه^(١٠) واكتمه.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾: قيل^(١١): المراد بالكتاب: السورة، و«تلك» إشارة إلى آياتها، أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة. أو القرآن.

﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: هو القرآن كله.

ومحلّه الجزّ بالعطف على «الكتاب» عطف العام على الخاص، أو إحدى الصفتين على الأخرى. أو الرفع بالابتداء. وخبره:

﴿الْحَقُّ﴾: والجملة كالحجّة على الجملة الأولى.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لإخلالهم بالنظر والتأمل فيه.

-
١. تفسير العياشي ٢/٢٠٢، ح ٢.
 ٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: أبي سعيد.
 ٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: المر.
 ٤. المصدر: ستون.
 ٥. المصدر: ثلاثون.
 ٦. من المصدر.
 ٧. المصدر: زيادة «من».
 ٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: ويقول.
 ٩. المصدر: الر.
 ١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: «وعد».

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ﴾: مبتدأ وخبره الموصول. ويجوز أن يكون الموصول صفة، والخبر «يدبر الأمر».

﴿بَغْيَرٍ عَمِدٍ﴾: أساطين، جمع عماد، كإهاب وأهب. أو عمود، كأديم وأدم. وقرئ^(١): «عُمْد» كرسل.

﴿تَرَوْنَهَا﴾: صفة «لعمد»، أو استئناف للاستشهاد برؤيتهم السماوات كذلك. وهو دليل على وجود الصانع الحكيم، فإن ارتفاعها على سائر الأجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية، واختصاصها بما يقتضي ذلك، لا بد وأن يكون المخصص ليس بجسم ولا جسماني، يرجح بعض الممكّنات على بعض بإرادته، وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): حدّثني أبي، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: فتمَّ^(٣) عمد، ولكن لا ترونها.

وفي نهج البلاغة^(٤): قال عليه السلام: فمن شواهد خلقه خلق السماوات موطدات^(٥) بلا عمد، قائمات بلا سند.

وفيه^(٦) كلام له عليه السلام يذكر فيه خلق السماوات: جعل سفلاهنّ موجاً مكفوفاً، وعليهنّ سقفاً محفوظاً وسمكاً مرفوعاً، بغير عمد يدعمها، ولا دسار^(٧) يتنظّمها^(٨).

وفي كتاب الإلهيلجة^(٩): قال الصادق عليه السلام: فنظرت العين إلى خلق مختلف متّصل بعضه ببعض، ودلّها القلب على أنّ لذلك خالقاً، وذلك أنّه فكّر حيث دلّته العين على أنّ ما عاينت من عظم السماء وارتفاعها في الهواء بغير عمد ولا دعامة تمسكها، وأنّها

١. أنوار التنزيل ٥١٢: ١.

٢. تفسير القمي ٣٢٨: ٢.

٣. فتمّ: فهناك.

٤. النهج ٢٦١/ خطبة ١٨٢.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: موطرات. ووطد الشيء: دام وثبت ورسا.

٦. نفس المصدر ٤١/ خطبة ١.

٧. الدسار، واحد الدسر: المسامير.

٨. المصدر: ينظّمها.

٩. البحار ١٦٢: ٣.

لا تتأخر فننكشط، ولا تتقدم فتزول، ولا تهبط مرة فتدنو، ولا ترتفع فلا تُرى.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: سبق معناه.

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: ذلّلهما لما أراد منهما، كالحركة المستمرة على حدّ من

السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها.

﴿كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: لمدّة معيّنة يتمّ فيها أدواره. أو لغاية مضروبة ينقطع

دونها سيره، وهي «إذا الشمس كورت، وإذا النجوم انكدرت».

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: أمر ملكوته من الإيجاد والإعدام، والإحياء والإماتة، وغير ذلك.

﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: ينزلها ويبينها مفصلة. أو يحدث الدلائل واحداً بعد واحد.

﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ ٦٧: لكي تفكروا فيها وتحققوا كمال قدرته، فتعلموا

أنّ من قدر على خلق هذه الأشياء المخلوقات وتديرها قدر على الإعادة والجزاء.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾: بسطها طولاً وعرضاً، لثبّت عليها الأقدام ويتقلّب عليها

الحيوان.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي﴾: جبلاً ثوابت. من رسا الشيء: إذا ثبت. جمع راسية. والتاء

للتأنيث، على أنّها صفة أجبل، أو للمبالغة.

﴿وَأَنهَاراً﴾: ضمّها إلى الجبال، وعلّق بهما فعلاً واحداً من حيث أنّ الجبال أسباب

لتولّدها.

﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾: متعلّق بقوله

﴿جَعَلَ فِيهَا رَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: أي جعل فيها من جميع أنواع الثمرات صنفين اثنين،

كالخلو والحامض، والأسود والأبيض، والصغير والكبير، والرطب واليابس.

﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾: يلبس ظلمة الليل ضياء النهار، فيصير الجوّ مظلماً بعد ما كان

مضيئاً.

وقرأ^(١) حمزة والكسائي بالتشديد.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢): فيها، فَإِنَّ تَكُونُهَا وتخصيصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر أمرها وهياً أسبابها.

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ﴾: بعضها طيبة، وبعضها سبخة، وبعضها رخوة، وبعضها صلبة، وبعضها يصلح للزراع دون الشجر، وبعضها بالعكس. ولولا تخصيص قادر موقع لأفعاله على وجه دون وجه لم يكن كذلك، لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الأرضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الأسباب السماوية، من حيث أنها متضامة متشاركة في النسب والأوضاع.

﴿وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾: وبساتين فيها أنواع الأشجار والزروع.

وتوحيد الزرع لأنه مصدر في أصله.

وقرأ^(٣) ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص: «وزرع ونخيل» بالرفع عطفًا على «وجنات».

﴿صِنُونًا﴾: نخلات أصلها واحد.

﴿وَعُثْرٌ صِنُونٍ﴾: ومتفرقات مختلفة الأصول. أو أمثال وغير أمثال.

وفي الحديث النبوي^(٤): عمّ الرجل صنو أبيه.

وقرأ^(٥) حفص بالضم، وهو لغة تميم، كقنوان في جمع قنو.

﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفْضُلٌ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ﴾: في الثمر شكلاً وقدرًا ورائحة وطعمًا. وذلك أيضاً مما يدل على الصانع الحكيم، فَإِنَّ اختلافها مع اتحاد الأصول والأسباب لا يكون إلا بتخصيص قادر مختار.

وقرأ^(٥) ابن عامر وعاصم ويعقوب: «يسقى» بالتذكير على تأويل ما ذكر.

وحمزة والكسائي: «ويفضل» بالياء ليطابق قوله «يدبر الأمر».

وفي تفسير العياشي^(١): عن الخطّاب الأعور، رفعه إلى أهل العلم والفقّه من آل محمّد ﷺ قال: «في الأرض قطع متجاورات» يعني هذه الأرض الطّيبة مجاورة لهذه الأرض المالحة وليست منها، كما يجاور القوم وليسوا منهم.

وفي مجمع البيان^(٢): وروي عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول لعليّ عليه السلام: الناس من شجر شتى، وأنا وأنت من شجرة واحدة. ثم قرأ هذه الآية.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٣): يستعملون عقولهم بالتفكر، فيهتدون إلى عظمة الصانع وعلمه وحكمته وقدرته.

﴿وَأَنْ تَعَجَّبَ﴾: يا محمّد بإنكارهم البعث.

﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾: حقيق بأن يتعجّب منه، فإنّ من قدر على إنشاء ما قصّ عليك كانت الإعادة أيسر شيء عليه، والآيات المعدودة، كما هي دالة على وجود المبدأ، فهي دالة على إمكان الإعادة.

﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: بدل من قولهم، أو مفعول له، والعامل في «إذا» محذوف دلّ عليه «أئنّا لفي خلق جديد».

﴿أَوَّلِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾: لأنهم كفروا بقدرته على البعث.

﴿وَأُولَئِكَ الْأَعْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾: مقيدون بالضلال لا يرجئ خلاصهم، أو يُغْلَوْنَ يوم القيامة.

﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٤): لا ينفكّون عنها. وتوسط الفصل، لتخصيص الخلود بالكفّار^(٥).

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: بالعقوبة قبل العافية، وذلك أنّهم استعجلوا بما هُذِّدوا به من عذاب الدنيا استهزاء.

٢. المجمع ٢٧٦/٣.

١. تفسير العياشي ٢/٢٠٣، ج ٤.

٣. فيكون الخلود بمعنى: الأبد هنا. وإن كان بمعنى المكث الطويل في المواضع الأخر، والمقصود بالفضل

هنا: «هم».

﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَّاتُ﴾: عقوبات أمثالهم من المكذبين، فما بالهم لم يعتبروا بها، ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم؟

و«المثلة» بفتح التاء وضمها، كالصَّدَقَة والصَّدَقَة: العقوبة؛ لأنها مثل المعاقب عليه. ومنه المثل للقصاص. وأمثلة الرجل من صاحبه: إذا اقتصصته منه.

وقرئ^(١): «المُثَلَّات» بالتخفيف. و«المُثَلَّات» بإتباع الفاء العين. والمُثَلَّات بالتخفيف بعد الإتيان. و«المُثَلَّات» على أنها جمع مثلة، كركبة وركبات.

وفي نهج البلاغة^(٢): واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلثات بسوء الأفعال وذم الأفعال، فتذكروا في الخير والشر أحوالهم، واحذروا أن تكونوا أمثالهم.

وفيه^(٣): قال عِشَّة: فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله^(٤) وصولاته ووقائعه ومثلاته، واتعظوا بمثاوي^(٥) خدودهم ومصارع جنوبهم.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾: مع ظلمهم أنفسهم.

ومحلّه النصب على الحال، والعامل فيه «المغفرة». والتقييد به دليل على جواز العفو قبل التوبة، فإنّ التائب ليس على ظلمه^(٦). ومن منع ذلك خصّ الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر، أو أوّل «المغفرة» بالستر والإمهال.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٧): للكفار، أو لمن شاء.

وفي مجمع البيان^(٨): وروي عن سعيد بن المسيّب قال: لما نزلت هذه الآية، قال رسول الله ﷺ: لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا أحد بعيش، ولولا وعيد الله وعقابه لاتّكل كل واحد.

٢. النهج ٢٩٦/ خطبة ١٩٢.

١. أنوار التنزيل ٥١٤/١.

٤. من المصدر.

٣. نفس المصدر ٢٩٠٠/ خطبة ١٩٢.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: بمساوي. والمثاوي - جمع المثوى -: المنزل.

٦. أي فإنّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له. ٧. المجمع ٢٧٨/٣.

وفي كتاب التوحيد^(١): حَدَّثَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَيْهَقِيُّ بَنِي شَابُورَ سَنَةَ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثُمِائَةَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو ذَكْوَانَ^(٢) قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْعَبَّاسِ^(٣) يَقُولُ: كُنَّا فِي مَجْلِسِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَذَاكُرُوا الْكِبَائِرَ وَقَوْلَ الْمُعْتَزَلَةِ فِيهَا: «إِنَّهَا لَا تُغْفَرُ».

فَقَالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَدْ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِخِلَافِ قَوْلِ الْمُعْتَزَلَةِ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: «وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ».

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: لَعَدَمِ اعْتِقَادِهِمْ بِالآيَاتِ الْمُنْزَلَةِ عَلَيْهِمْ، وَاقْتِرَاحًا لِنَحْوِ مَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾: مَرْسَلٌ لِلإِنذَارِ، كَغَيْرِكَ مِنَ الرُّسُلِ، وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا الْإِتْيَانُ بِمَا تَصَحَّحَ بِهِ نَبُوءَتُكَ مِنْ جِنْسِ الْمَعْجَزَاتِ، لَا بِمَا يُقْتَرَحُ عَلَيْكَ.

وَالْآيَاتُ كُلُّهَا مُتَسَاوِيَةٌ الْأَقْدَامُ فِي حَصُولِ الْغَرَضِ.

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٤): يَهْدِيهِمْ إِلَى الْحَقِّ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الصَّوَابِ.

وفي مجمع البيان^(٥): عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

أَنَا الْمُنْذَرُ وَعَلِيٌّ الْهَادِي مِنْ بَعْدِي، بَلْ يَا عَلِيُّ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ.

وَرَوَى الْحَاكِمُ أَبُو الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِيُّ^(٦) فِي كِتَابِ شَوَاهِدِ التَّنْزِيلِ بِالإِسْنَادِ [عَنْ

إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ ظَهْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَكَمِ بْنِ جَبْرِ]^(٧) عَنْ أَبِي بَرْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ

قَالَ: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالطُّهُورِ، وَعِنْدَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

بِيَدِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ مَا تَطَهَّرَ فَأَلْزَقَهَا^(٨) بَصْدَرَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ» يَعْنِي نَفْسَهُ، ثُمَّ

رَدَّهَا إِلَى صَدْرِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ قَالَ: «وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ».

١. التوحيد ٤٠٦، ح ٤.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: أبو ذكران.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: إبراهيم العياشي.

٤. المجمع ٢٧٨/٣.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. من المصدر.

٧. المصدر: فَأَلْزَمَهَا. وَلَزَقَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ: اتَّصَلَ بِهِ لَا يَكُونُ بَيْنَهُمَا فَجْوَةٌ.

ثم قال: إِنَّكَ منار الأنام، وغاية الهدى، وأمير القرى، أشهد على ذلك أنك كذلك. وفي أمالي الصدوق^(١)، بإسناده إلى عباد^(٢) بن عبدالله قال: قال عليّ عليه السلام: ما نزلت من القرآن آية إلا وقد علمت أين نزلت، وفيمن نزلت، [وفي أي شيء نزلت،]^(٣) في سهل نزلت أو في جبل نزلت.

قيل: فما نزل فيك؟

قال: لو لا أنكم سألتموني ما أخبرتكم، نزلت في هذه الآية: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ». فرسول الله ﷺ المنذر، وأنا الهادي إلى ما جاء به.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٤)، بإسناده إلى محمد بن مسلم قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام في قول الله ﷻ: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ» الآية.

فقال: كل إمام هاد لكل قوم في زمانه.

وفي أصول الكافي^(٥): عِدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد وفضالة بن أيوب، عن موسى بن بكر، عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله ﷻ «ولكل قوم هاد»؟

قال: كل إمام هاد للقرن الذي هو فيه.

عليّ بن إبراهيم^(٦)، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن بريد العجلي، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﷻ: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ».

فقال: رسول الله ﷺ المنذر، ولكل زمان إمام مّا هاد يهديهم إلى ما جاء به نبي الله ﷺ ثم الهداة من بعده، عليّ، ثم الأوصياء واحداً بعد واحد.

الحسين بن محمد الأشعري^(٧)، عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن

٢. أ، ب، ر: عباد الله بن عبد الله.

١. أمالي الصدوق / ٢٢٧-٢٢٨، ح ١٣.

٤. كمال الدين ٦٦٧/٢ قريب منه.

٣. من المصدر.

٦. الكافي / ١٩٢/١، ح ٢.

٥. الكافي / ١٩١/١.

٧. الكافي / ١٩٢/١، ح ٣.

محمد بن إسماعيل، عن سعدان، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «إنما أنت منذر ولكل قوم هاد».

فقال: قال رسول الله ﷺ: أنا المنذر وعليّ الهادي. يا أبا محمد، هل من هاد اليوم؟ قلت: بلى، جعلت فداك، ما زال منكم هاد من بعد هاد حتى دُفعت إليك.

فقال: رحمك الله يا أبا محمد، لو كانت إذا نزلت آية على رجل ثم مات ذلك الرجل ماتت الآية، مات الكتاب، ولكنه حيّ يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى.

محمد بن يحيى^(١)، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن منصور، عن عبد الرحيم القصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: «إنما أنت منذر ولكل قوم هاد». فقال: قال^(٢) رسول الله ﷺ: أنا^(٣) المنذر، وعليّ الهادي. أما والله، ما ذهب منا وما زالت فينا إلى الساعة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): حدّثني أبي، عن حمّاد، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المنذر رسول الله ﷺ، والهادي أمير المؤمنين عليه السلام، وبعده الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين، وهو قوله: «ولكلّ قوم هاد».

وفي تفسير العياشي^(٥): عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: فينا^(٦) نزلت هذه الآية: «إنما أنت منذر ولكلّ قوم هاد».

وقال: قال رسول الله ﷺ: أنا المنذر، وأنت الهادي يا عليّ.

فمنّا الهدى والنّجاة^(٧) والسعادة إلى يوم القيامة.

عن عبد الرحيم القصير^(٨) قال: كنت يوماً من الأيام عند أبي جعفر عليه السلام فقال: يا عبد الرحيم:

٢ و٣. ليس في المصدر.

٥. تفسير العياشي ٢/٢٠٣، ح ٥.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: فهنا الهادي الإنجاء.

١. الكافي ١/١٩٢، ح ٤.

٤. تفسير العمري ١/٣٥٩.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: فيما.

٨. تفسير العياشي ٢/٢٠٣، ح ٦.

قلت: لئيك.

قال: قول الله: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» إذ قال رسول الله ﷺ: أنا المنذر وعليّ

الهادي، ومن الهادي اليوم؟

قال: فمكثت^(١) طويلاً، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي فَقُلْتُ: جعلت فداك، هي فيكم

توارثونها^(٢) رجل فرجل حتّى انتهت إليك، فأنت - جعلت فداك - الهادي.

قال: صدقت يا عبد الرحيم، إِنَّ الْقُرْآنَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَالْآيَةُ حَيَّةٌ لَا تَمُوتُ.

وقال عبد الرحيم^(٣): قال أبو عبد الله عليه السلام: إِنَّ الْقُرْآنَ [حَيٌّ] ^(٤) لم يمت، وإنّه يجري

كما يجري الليل والنهار، وكما يجري الشمس والقمر. ويجري على آخرنا^(٥)، كما

يجري على أولنا^(٦).

عن حنّان بن سدير^(٧)، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول في قول الله

تبارك وتعالى: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» فقال: [قال] ^(٨) رسول الله ﷺ: أنا المنذر

وعليّ الهادي. وكلّ إمام هادٍ للقرن الذي هو فيه.

جابر^(٩)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال النبي ﷺ: أنا المنذر وعليّ الهادي إلى أمري.

«اللَّهُ يَغْلُمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى»: أي حملها^(١٠). أو ما تحمله^(١١) على أي حال هو من

الأحوال الحاضرة والمترقبة، من ذكر وأنثى، تامّ وناقص، وحسن وقبيح، وسعيد

وشقي.

«وَمَا تَقْيِضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ»: وما تنقصه، وما تزداد في الجنة والخلقة والمدة

والعدد. أو نقصان دم الحيض وازدياده.

١. المصدر: فسكت.

٢. كذا في المصدر. وفي أ: فوارثوها. وفي سائر النسخ: توارثوها.

٣. تفسير العياشي ٢/٢٠٤، ح ٦.

٤. من المصدر.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: أهدنا.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: أخرنا.

٧. من المصدر.

٨. تفسير العياشي ٢/٢٠٤، ح ٧.

٩. نفس المصدر والموضع، ح ٩.

١٠. فتكون «ما» موصولة، أو موصوفة.

١١. فتكون «ما» مصدرية.

و«غاض» جاء متعدياً ولازماً، وكذا «ازداد» قال الله تعالى: «وازدادوا تسعاً»^(١)، فإن جعلتهما لازمين تعين «ما» أن تكون مصدرية^(٢). وإسنادهما إلى الأرحام على المجاز، فإنهما لله، أو لما فيها^(٣).

وفي الكافي^(٤): عنه، عن أحمد، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن مَنْ ذكره، عن أحدهما عليه السلام في قول الله تعالى: «يعلم ما تحمل» إلى قوله: «وما تزداد» قال: «الغيض» كل حمل دون تسعة أشهر. «وما تزداد» كل شيء يزداد على تسعة أشهر، وكلما رأت المرأة الدم الخالص في حملها فإنها تزداد بعدد الأيام التي رأت^(٥) في حملها من الدم.

وفي تفسير العياشي^(٦): عن زرارة، عن أبي جعفر أو أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «ما تحمل كل أنثى» يعني الذكر والأنثى. «وما تغيض الأرحام» قال: الغيض ما كان أقل من الحمل. «وما تزداد» ما زاد على^(٧) الحمل فهو مكان ما رأت^(٨) من الدم في حملها. محمد بن مسلم^(٩) وحرمان وزرارة، عنهما عليه السلام قالوا: «ما تحمل كل أنثى أنثى أو ذكر. «وما تغيض الأرحام» [ما لم يكن حملاً]^(١٠) [التي لا تحمل]^(١١). «وما تزداد» من أنثى أو ذكر.

عن محمد بن مسلم^(١٢) قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله: «ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام».

١. الكهف/٢٥.

٢. إذ لو كان موصولة أو موصوفة لزم خلو الجملة عن العائد إلى «ما» إذ لا يمكن أن يقال: التقدير: وما تغيضه الأرحام، إذ الكلام على تقدير أن يكون الفعل لازماً فلا يكون له مفعول.

٣. قوله: «فإنهما لله أو لما فيها» فالأول على تقدير أن يكون الفعل متعدياً، والثاني على تقدير أن يكون لازماً.

٤. الكافي ١٢/٦، ح ٢.

٥. كذا في أنوار التنزيل. وفي النسخ: زاد فيها.

٦. تفسير العياشي ٢/٢٠٤، ح ١١.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: «كلما زاد» بدل «مكان ما رأت».

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: «كلما زاد» بدل «مكان ما رأت».

٩. تفسير العياشي ٢/٢٠٥، ح ١٢.

١٠. من المصدر.

١١. نفس المصدر والموضع، ح ١٣.

١٢. ليس في المصدر.

قال: ما لم يكن حملاً. «وما تزداد» قال: الذكر والأنثى جميعاً.
 زرارة^(١) عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: «يعلم ما تحمل كل أنثى» قال: الذكر والأنثى. «وما تغيض الأرحام» قال: ما كان من دون التسعة فهو غيض. «وما تزداد» قال: ما رأت الدم في حال حملها ازداد به على التسعة أشهر.
 ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^(٨): بقدر لا يجاوز ولا ينقص عنه، كقوله: «إنّا كل شيء خلقناه بقدر» فإنه تعالى خصّ كل حادث بوقت وحال معينين، وهياً له أسباباً مسوقة إليه تقتضي ذلك.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾: الغائب عن الحس.
 ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾: الحاضر له.
 ﴿الْكَبِيرُ﴾: العظيم الشأن، الذي كل شيء دونه.
 ﴿الْمُتَعَالَى﴾^(٩): المستعلي على كل شيء بقدرته. أو الذي كبر عن نعت المخلوقين، وتعالى عنه.

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ﴾: في نفسه.
 ﴿وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾: لغيره.
 ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾: طالب للخفاء في مختبأ بالليل.
 ﴿وَسَارِبٌ﴾: وبارز.
 ﴿بِالنَّهَارِ﴾^(١٠): يراه كل أحد. من سرب سروراً: إذا برز.
 وهو عطف على «من» أو «مستخف»، على أن «من»^(٢) في معنى الاثنين^(٣)، كقوله:

١. تفسير العنّاشي ٢٠٥/٢، ح ١٤.

٢. ليس في أ.ب.

٣. قوله: «وهو عطف على من أو مستخف» فعلى الأول يكون «من» مقدراً على قوله: «وسارب بالنهار» حتى يكون المتّصف بالصفتين المذكورتين شخصين، ولذا قال: في الاحتمال الثاني على أن يكون «من» في معنى الاثنين. وإنما اعتبر ذلك لأن الاستواء لا بد أن يكون بين اثنين.

نكن مثل من ياذنب^(١) يصطحبان

كأنه قال: سواء منكم اثنان مستخفٍ بالليل وسارب بالنهار. والآية متصلة بما قبلها، مقررة لكمال علمه وشموله.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «سواء منكم من أسر القول ومن جهر به» يعني فالسر والعلاية عنده سواء.

﴿لَهُ﴾: لمن أسر، أو جهر، أو استخفى، أو سرب.

﴿مُعَقَّبَاتٌ﴾: ملائكة تعتقب^(٣) في حفظه.

جمع معقبة. من عقبه، مبالغة عقبه: إذا جاء على عقبه، كأن بعضهم يعقب بعضاً.

أو لأنهم يعقبون أقواله وأفعاله، فيكتبونها.

أو اعتقب، فأدغمت التاء في القاف. والتاء للمبالغة، أو لأن المراد بالمعقبات^(٤):

جماعات^(٥).

وقرئ^(٦): «معاقيب» جمع معقب أو معقبة، على تعويض الياء من حذف إحدى

القافين.

﴿مَنْ يَبْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: أي من جوانبه.

﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾: قيل^(٧): من بأسه متى أذنب، بالاستمهال والاستغفار له.

وقيل^(٨): يحفظونه من المضار [أو يراقبون أحواله]^(٩) من أجل أمر الله، وقد قرئ

به.

وقيل^(١٠): «من» بمعنى الباء.

١. قوله: «نكن مثل من ياذنب» نداء وقع اعتراضاً بين «من» وصلته، أي نكن مثل رجلين يصطحبان.

٣. ب: تعتقب.

٢. تفسير القمي ٣٦٠/١.

٤. ر: بالمعقبات.

٥. أراد أن المعقبات: جمع معقبة، وتاء المعقبة إما لأجل المبالغة، وإما لأجل التأنيث باعتبار أن موصوفها

الجماعة.

٨-٦. أنوار التنزيل ٥١٥/١.

١٠. نفس المصدر والموضع.

٩. من المصدر.

وقيل ^(١): «من أمر الله» صفة ثانية «لمعقبات».

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٢): «أن هذه الآية قرئت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال لقارئها: ألتسم عربياً، فكيف يكون المعقبات من بين يديه، وإنما المعقب من خلفه؟ فقال الرجل: جعلت فداك، كيف هذا؟

فقال: إنما أنزلت: «له معقبات من خلفه وورقب من بين يديه يحفظونه بأمر الله» ومن ذا الذي يقدر أن يحفظ الشيء من [أمر] الله ^(٣)، وهم الملائكة الموكلون بالناس. وفي تفسير العياشي ^(٤) عنه عليه السلام مثله.

عن فضيل بن عثمان ^(٥) عن أبي عبد الله عليه السلام [أنه] قال في هذه الآية: «له معقبات من بين يديه» الآية، قال: من المقدمات المؤخرات ^(٦) المعقبات الباقيات الصالحات. وفي كتاب المناقب ^(٧) لابن شهر آشوب، أيضاً.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٨): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام: «يحفظونه من أمر الله» يقول: بأمر الله من أن يقع في ركي ^(٩) أو يقع عليه حائط أو يصيبه شيء، حتى إذا جاء القدر خلّوا بينه وبينه ^(١٠) يدفعونه إلى المقادير. وهما ملكان يحفظانه بالليل، وملكان بالنهار يتعاقبانه.

وفي مجمع البيان ^(١١): واختلف في المعقبات على أقوال:

أحدها: أنها الملائكة يتعاقبون، تعقب ملائكة الليل ملائكة النهار وملائكة [النهار

١. نفس المصدر والموضع.

٢. تفسير القمي ١/٣٦٠.

٣. من المصدر.

٤. تفسير العياشي ٢/٢٠٥، ح ١٥.

٥. نفس المصدر والموضع، ح ١٧.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: هو المقدرات المواخذات.

٨. تفسير القمي ١/٣٦٠.

٩. المناقب ٤/١٩٧.

١٠. المصدر: بينهم.

٩. الركي - جمع الركية -: البثر.

١١. المجمع ٣/٢٨٠ - ٢٨١.

ملائكة الليل^(١) [وهم الحفظة]^(٢) يحفظون على العبد عمله. وقد روي ذلك عن الأئمة عليهم السلام.

والثاني: أنهم ملائكة يحفظونه من المهالك، حتى ينتهوا به إلى المقادير، فيخلّوا بينه وبين المقادير. عن علي عليه السلام.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾: من العافية والنعمة.

﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾: من الأحوال الجميلة بالأحوال القبيحة.

وفي تفسير العياشي^(٣): عن أبي عمرو المدائني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أبي كان يقول: إن الله قضى قضاءً حتماً، لا ينعم على عبده نعمة فيسلبها^(٤) إياه قبل أن يحدث العبد ذنباً يستوجب بذلك الذنب سلب تلك النعمة، وذلك قول الله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ».

عن الحسين بن سعيد المكفوف^(٥)، كتب إليه في كتاب له: جعلت فداك يا سيدي، علم مولاك ما معنى «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ».

فكتب عليه السلام: أما التغيير، فإنه لا يسيء^(٦) إليهم حتى يتولّوا^(٧) ذلك بأنفسهم بخطاياهم وارتكابهم ما نهى عنه. وفي الحديث أشياء غير هذا سؤالاً وجواباً انتزعت منه موضع الحاجة.

عن سليمان بن عبد الله^(٨) قال: كنت عند أبي الحسن موسى عليه السلام قاعداً، فأتي بامرأة قد صار وجهها قفاها، فوضع يده اليمنى في جبينها ويده اليسرى من خلف ذلك ثم عسر وجهها عن اليمين، ثم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» فرجع وجهها.

١. ليس في م، ب، ر.

٢. المصدر: فسلبها.

٣. تفسير العياشي ٢/٢٠٦، ح ١٩.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: ليس.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: يقولوا.

٧. تفسير العياشي ٢/٢٠٥، ح ١٨. كذا فيه وفي النسخ: عبد الملك.

فقال: احذري أن تفعلين، كما فعلتِ. [قالوا: يا ابن رسول الله وما فعلت؟]
فقال: ذلك مستور إلا أن تتكلم به فسألوها، فقالت: كانت لي ضرة فقممت أصلي
فظننت أن زوجي معها، فالتفت إليها فرأيتها قاعدة وليس هو معها، فرجع وجهي على
ما كان^(١).

وفي أصول الكافي^(٢): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن جميل بن
صالح، عن بريد قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «فقالوا ربنا باعد بين
أسفارنا وظلموا أنفسهم»^(٣) الآية.

فقال: هؤلاء قوم كانت لهم قرى متصلة ينظر بعضهم إلى بعض، وأنهار جارية
وأموال ظاهرة، فكفروا نعم الله ﷻ وغيروا ما بأنفسهم من عافية الله، فغير الله ما بهم من
نعمة، وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» فأرسل [الله] عليه السلام
العرم ففرق قراهم وخرّب ديارهم وأذهب أموالهم، وأبدلهم مكان جنّاتهم «جنّتين
ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل» ثم قال: «ذلك جزيناهم بما كفروا وهل
نجازي إلا الكفور»^(٤).

وفي كتاب معاني الأخبار^(٥)، بإسناده إلى أبي خالد الكابلي قال: سمعت زيد
العبادين عليه السلام يقول: الذنوب التي تغيّر النعم: البغي على الناس، والزوال عن العادة في
الخير واصطناع المعروف، وكفران النعم، وترك الشكر. ثم تلا هذه الآية.

﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾: فلا رادّ له.

والعامل في «إذا» ما دلّ عليه الجواب.

وفي قرب الإسناد^(٦) للحميري: أحمد بن محمد، عن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر،

١. من المصدر.

٢. الكافي ٢/٢٧٤، ح ٢٣.

٣. سبأ ١٩.

٤. من المصدر.

٥. سبأ ٢٠.

٦. معاني الأخبار ٢٧٠، ح ٢.

٧. قرب الإسناد ١٥٧-١٥٨.

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سمعته يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ».

فقال: إِنَّ الْقُدْرَةَ يَحْتَجُونَ بِأَوَّلِهَا، وَلَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ. أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: «وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ». وقال نوح: «وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُغَيِّرَكُمْ» قال: الأمر إلى الله، يهدي من يشاء.

وفي تفسير العياشي^(١): عن أحمد بن محمد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في قول الله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّى يَغَيِّرُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ» فصار الأمر إلى الله تعالى.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾^(٢): من يلي أمرهم، فيدفع عنهم السوء.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾: من أذاه.

﴿وَطَمَعًا﴾: في الغيث.

وقيل^(٣): يخاف المطر من يضره، ويطمع فيه من ينفعه.

وفي عيون الأخبار^(٤): عن الرضا عليه السلام: «خَوْفًا» للمسافر. و«طَمَعًا» للمقيم.

وانتصابهما^(٥) على العلة بتقدير المضاف، أي إرادة خوف وطمع. أو التأويل بالإخافة والإطماع. أو الحال من البرق. أو المخاطبين على إضمار «ذو». أو إطلاق المصدر بمعنى المفعول، أو الفاعل للمبالغة.

﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ﴾: الغيم المنسحب في الهواء.

﴿الثَّقَالُ﴾^(٦): جمع ثقيلة. وإنما وصف به السحاب، لأنه اسم جنس في معنى

الجمع.

٢. أنوار التنزيل ٥١٥/١.

١. تفسير العياشي ٢٠٦/٢، ح ٢٠.

٣. العيون ٢٩٤/١، ح ٥١.

٤. أي انتصاب كل منهما بكونه مفعولاً له. وإنما وجب تقدير المضاف لأنه شرط في نصب المفعول الذي له أن يكون فعلاً لفاعل عامله.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): يعني يرفعها من الأرض.

﴿وَيَسَّخِرُ الرُّعْدُ﴾: قيل^(٢): أي سامعوه.

﴿يَحْمَدُهُ﴾: ملتبسين^(٣) به فيضجون بسبحان الله^(٤) والحمد لله. أو يدلّ الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته، ملتبساً بالدلالة على فضله ونزول نعمته ورحمته.

وشئل^(٥) النبي ﷺ عن الرعد، فقال: ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب.

وفي من لا يحضره الفقيه^(٦): وروي أنّ الرعد صوت ملك أكبر من الذباب وأصغر من الزنبور.

وسأل أبو بصير^(٧) أبا عبد الله عليه السلام عن الرعد: أي شيء هو؟

قال: إنّه بمنزلة الرجل يكون في الإبل فيزجرها: هاي هاي. كهينة ذلك.

قال: قلت: جعلت فداك، فما حال البرق؟

قال: تلك مخاريق الملائكة تضرب السحاب فتسوقه إلى الموضع الذي قضى الله ﷻ فيه المطر.

وفي مجمع البيان^(٨): وكان النبي ﷺ إذا سمع صوت الرعد قال: سبحان من يسبح الرعد بحمده.

وروي عن النبي ﷺ أنّه قال: إنّ ربكم سبحانه يقول: لو أنّ عبادي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أسمعهم صوت الرعد. وروي^(٩) سالم بن عبدالله، عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال: اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك.

١. تفسير القمي ٣٦١/١. ٢. أنوار التنزيل ٥١٥/١.

٣. كذا في أنوار التنزيل. وفي النسخ: متلبس.

٤. كذا في أنوار التنزيل. وفي النسخ: فيصيحون سبحان الله.

٥. أنوار التنزيل ٥١٥/١. ٦. الفقيه ٣٣٤/١.

٧. الفقيه ٣٣٤/١. ٨. المعجم ٢٨٣/٣.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾: من خوف الله وإجلاله.

وقيل ^(١): الضمير «للرعد».

وفي تفسير العياشي ^(٢): يونس بن عبد الرحمان، أن داود قال: كنّا عنده فارتعدت السماء، فقال هو: سبحان من يسبح له الرعد بحمده والملائكة [من خيفته] ^(٣).

فقال له أبو بصير: جعلت فداك، إن للرعد كلاماً؟

فقال: يا أبا محمد، سل عما يعينك ودع ما ^(٤) لا يعينك.

﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾: فيهلكه.

في أمالي ^(٥) شيخ الطائفة، بإسناده إلى أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً إلى فرعون من فراعنة العرب يدعوه إلى الله ﷻ. فقال للرسول: أخبرني عن الذي يدعوني إليه، أمن فضة هو أم من ذهب أو من حديد؟

فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره بقوله، فقال النبي ﷺ: ارجع إليه فادعه.

قال: يا نبي الله، إنه أعتى من ذلك.

قال: ارجع إليه.

فرجع إليه، فقال كقوله. فبينما هو يكلمه إذ رعدت ^(٦) سحابة رعدة فألقت على رأسه صاعقة ذهبت بقحف رأسه، فأنزل الله جل ثناؤه: «ويرسل الصواعق» الآية.

وفي أصول الكافي ^(٧): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد ^(٨) بن إسماعيل، عن محمد بن الفضيل ^(٩)، عن أبي الصباح الكناني، عن أبي عبد الله ﷺ قال: يموت المؤمن بكل ميتة، إلا الصاعقة [لا تأخذه] ^(١٠) وهو يذكر الله ﷻ.

١. أنوار التنزيل ٥١٦/١.

٢. تفسير العياشي ٢/٢٠٧، ح ٢٢.

٣. من المصدر.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: عما.

٥. أمالي الطوسي ٩٩/٢.

٦. ب: أرعدت.

٧. المصدر: محمد.

٨. الكافي ٥٠٠/٢، ح ١.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: الفضل.

١٠. من المصدر.

علي بن إبراهيم^(١)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن بريد بن معاوية العجلي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الصواعق لا تصيب ذاكراً.

قال: قلت: وما الذاكر؟

قال: من قرأ مائة آية.

حميد بن زياد^(٢)، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن وهيب بن حفص، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن ميتة المؤمن.

قال: يموت المؤمن بكل ميتة [يموت]^(٣)، غرقاً، ويموت بالهدم، وبتلئ بالسبع، ويموت بالصاعقة، ولا تصيب ذاكراً لله تعالى.

علي بن إبراهيم^(٤)، عن أبيه، عن علي بن معبد، عن أبيه، عن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: لا تملؤا من قراءة «إذا زلزلت الأرض زلزالها» فإنه من كانت قراءته [بها]^(٥) في نوافله لم يصبه الله تعالى بزلزلة أبداً، ولم يمت بها ولا بصاعقة ولا بأفة من آفات الدنيا حتى يموت. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي مجمع البيان^(٦): وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: أن الصواعق تصيب المسلم وغير المسلم، ولا تصيب ذاكراً.

﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾: حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالألوهية، وإعادة الناس ومجازاتهم.

والجدال: التشدد في الخصومة. من الجدل، وهو القتل.

والواو إمّا لعطف الجملة على الجملة، أو للحال.

لما روي سابقاً، ولما نُقِل^(٧): أن عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة أخا لبيد وفدا على

٢. الكافي ٥٠٠/٢، ح ٣.

٤. الكافي ٦٢٦/٢، ح ٢٤.

٦. المجمع ٢٨٣/٣.

١. الكافي ٥٠٠/٢، ح ٢.

٣. من المصدر.

٥. من المصدر.

٧. أنوار التنزيل ٥١٦/١، والمجمع ٢٨٣/٣ باختلاف.

رسول الله ﷺ قاصدين لقتله، فأخذه عامر بالمجادلة، ودار أريد من خلفه ليضربه بالسيف، فتنبه له رسول الله ﷺ وقال: اللهم أكفنيهما بما شئت. فأرسل الله عليه^(١) صاعقة فقتلته، ورمى عامراً بغدة فمات في بيت سلولية، وكان يقول: غدة كغدة البعير، وموت في بيت سلولية. فنزلت.

﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمَحَالِ﴾^(٣): «المماحلة» المكايدة^(٢) لأعدائه. من محل بفلان: إذا كايده^(٣) وعرضه للهلاك. ومنه: تمحل: إذا تكلف استعمال الحيلة. ولعل أصله: المحل، بمعنى القحط.

وقيل^(٤): فعال، من المحل، بمعنى القوة.

وقيل^(٥): مفعول، من الحول أو الحيلة، على غير القياس.

وقرئ^(٦) بفتح الميم، على أنه مفعول، من حال يحول: إذا احتال.

قيل^(٧): ويجوز أن يكون المعنى شديد الفقر، فيكون مثلاً في القوة والقدرة، كما جاء: فساعد الله أشد وموساه أحد. لأن الحيوان إذا اشتد محاله كان منعوتاً بشدة القوة، والاصطلام بما يعجز عنه غيره. ألا ترى إلى قولهم: فقرته العواقر. وذلك لأن الفقار عمود الظهر وقوامه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٨): أي شديد الغضب.

وفي مجمع البيان^(٩): عن أمير المؤمنين عليه السلام: شديد الأخذ.

وهما مع اتحاد ما لهما حاصل المعنى.

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾: الدعاء الحق، فإنه الذي يحق أن يُعبد، ويدعى إلى عبادته دون غيره. أو له الدعوة المجابة، فإن من دعاه أجابه.

١. يعني على أريد.

٢. كذا في أنوار التنزيل ٥١٦/١. وفي النسخ: أي المماحلة والمكايدة.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: كاده. ٤-٦. أنوار التنزيل ٥١٦/١.

٧. الكشف ٥٢٠/٢. ويوجد قريب منها في أنوار التنزيل ٥١٦/١.

٨. تفسير القمي ٣٦١/١. ٩. المجمع ٢٨٣/٣.

و«الحَقُّ» ما يناقض الباطل . وإضافة الدعوة إليه لما بينهما من الملازمة ، أو على تأويل دعوة المدعو الحق .

وقيل ^(١) : الحق هو الله ، وكلّ دعاء إليه دعوة الحق .

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ : أي والأصنام الذين يدعوهم المشركون ، فحذف الراجع . أو والمشركون الذين يدعون الأصنام ، فحذف المفعول لدلالة ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ : عليه .

﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ : من الطلبات .

﴿إِلَّا كِبَاسُطٌ كَفَّيْهِ﴾ : إلا استجابة كاستجابة من بسط كفّيه .

﴿إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ : يطلب منه أن يبلغه من بعيد ، أو يغترف مع بسط كفّيه ليشر به .

﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ : لأن الماء جماد لا يشعر بدعائه ، ولا يقدر على إجابته ، ولا يستقر في الكف المبسوطة ، وكذلك ألتهم .

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٢) : وفي رواية أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام : هذا مثل ضربه الله للذين يعبدون الأصنام والذين يعبدون الآلهة من دون الله فلا يستجيبون لهم بشيء ولا ينفعهم «إلا كباسط كفّيه إلى الماء ليبلغ فاه» ليتناوله من بعيد ولا يناله .

وحديث أبي ^(٣) ، عن أحمد بن النضر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، رأيت أمراً عظيماً .

قال : وما رأيت ؟

قال : كان لي مريض ، وتعت له ماء من بئر بالأحقاف يستشفى به في برهوت .

قال : فتهايت ومعي قرية وقدح لأخذ من مائها وأصب في القرية ، وإذا بشيء قد هبط في جوف السماء كهينة السلسل ، وهو يقول : يا هذا ، أسقني الساعة أموت . فرفعت

رأسي إليه ورفعت إليه القدح لأسقيه، فإذا رجل في عنقه سلسلة، فلما ذهبت أناوله القدح اجتذِبَ مِنِّي حَتَّى عُلِقَ بالشمس، ثم أقبلت على الماء أغرف إذ أقبل الثانية، وهو يقول: العطش العطش، يا هذا، أسقني الساعة أموت. فرفعت القدح لأسقيه فاجتذِبَ مِنِّي حَتَّى عُلِقَ بالشمس، حَتَّى فعل ذلك الثالثة، [فعمت] ^(١) وشدت قرتي ولم أسقه. فقال رسول الله ﷺ: ذلك قابيل بن آدم الذي قتل أخاه، وهو يقول الله ﷻ: «والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء» إلى قوله: «إلا في ضلال».

وقرئ ^(٢): «تدعون» بالتاء. و«باسط» بالتونين.

﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ^(٣): في ضياع وخسار وبطلان.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾: قيل ^(٤): يحتمل أن يكون السجود على حقيقته، فإنه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعاً حالتي الشدة والرخاء، والكفرة له كرهاً حال الشدة والضرورة.

﴿وِظِلَّائِهِمْ﴾: بالعرض، وأن يراد به انقيادهم لإحداث ما أَرَادَهُ منهم شأواً أو كرهاً، وانقياد ظلالهم لتصريفه إياها بالمد والتقلص.

وانتصاب «طوعاً وكرهاً» بالحال، أو العلة، وقوله:

﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ^(٥): ظرف لـ «يسجد» والمراد بهما الدوام، أو حال من «الظلال». وتخصيص الوقتين لأن الامتداد والتقلص أظهر فيهما.

و«الغدو» جمع غداة، كَفَتِي وفتاة ^(٦). و«الآصال» جمع أصيل، وهو ما بين العصر والمغرب.

وقيل ^(٥): «الغدو» مصدر، ويؤيده أنه قرئ به. والإيصال هو الدخول في الأصيل.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٦): عن الباقر عليه السلام: «أما من يسجد من أهل السماوات

٢. أنوار التنزيل ٥١٦/١.

١. من المصدر.

٤. ب: كفتي وفتاة.

٣. أنوار التنزيل ٥١٧/١.

٦. تفسير القمي ٣٦٢/١.

٥. أنوار التنزيل ٥١٧/١.

طوعاً فالملائكة يسجدون لله طوعاً، ومن يسجد من أهل الأرض فمن وُلد في الإسلام فهو يسجد له طوعاً. وأما من يسجد له كرهاً، فمن أُجْبِر^(١) على الإسلام. وأما من لم يسجد، فظَلَّه يسجد له بالغداة والعشي.

وفيه^(٢): قال: تحويل كل ظل خلقه الله هو سجوده لله، لأنه ليس شيء إلا له ظل يتحرك بتحريكه، وتحويله سجوده.

وفيه^(٣): قال: ظل المؤمن يسجد طوعاً، وظل الكافر يسجد كرهاً، وهو نموهم وحركتهم وزيادتهم ونقصانهم.

وقيل^(٤): أريد بالظل الجسد، وإنما يقال للجسم: الظل؛ لأنه منه الظل ولأنه ظل للروح، لأنه ظلماني والروح نوراني، وهو تابع له يتحرك بحركته النفسانية ويسكن بسكونه النفساني.

وفي أصول الكافي^(٥): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن أسباط، عن غالب بن عبدالله، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: «وظلالهم بالغدو والآصال» قال: هو الدعاء قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وهي ساعة إجابة.

وفي نهج البلاغة^(٦): فتبارك الذي يسجد له «من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً» ويُعَفَّر له خدّاً ووجهاً، ويُلقَى^(٧) بالطاعة إليه^(٨) سلماً وضعفاً^(٩)، ويُعطى له القيادة^(١٠) رهبة وخوفاً.

[وقال: وسجدت له بالغدو والآصال الأشجار]^(١١).

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: جبر. ٢ و ٣. تفسير القمي ٣٦٢/١.

٤. تفسير الصافي ٦٣/٣. ٥. الكافي ٥٢٢/٢، ح ١.

٦. نهج البلاغة ٢٧٢/٢، خطبة ١٨٥. ٧. المصدر: زيادة «إليه».

٨. ليس في المصدر.

٩. كذا في المصدر. وفي ب: وضعنا وفي سائر النسخ: وضعنا.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: «الانقياد» بدل «له القيادة».

١١. ليس في المصدر. ويوجد في نور الثقلين ٤٩٢/٢، ح ٧٣.

قيل^(١): كما يجوز أن يراد بكل من السجود والظّل والغدوّ والآصال معناه المعروف، كذلك يجوز أن يراد بالسجود الانقياد، وبالظّل الجسد، وبالغدوّ والآصال الدوام، ويجوز أيضاً أن يراد بكل منهما ما يشمل كلا المعنيين، فيكون في كلّ شيء بحسبه وعلى ما يليق به، وبهذا تتلائم الروايات والأقوال.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خالقهما، أو متولّي أمرهما.

﴿قُلِ اللَّهُ﴾: أجب عنه بذلك، إذ لا جواب لهم سواه. أو لأنّه البين الذي لا يمكن المراء فيه. أو لأنّهم الجواب به.

﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾: ثم ألزمهم بذلك؛ لأنّ اتّخاذهم منكراً بعيداً عن مقتضى العقل.

﴿أُولَئِكَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً﴾: لا يقدرّون أن يجلبوا إليها نفعاً أو يدفعوا عنها ضرراً، فكيف يستطيعون نفع الغير ودفع الضرر عنه.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾: قيل^(٢): المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها، والموحد العالم بذلك.

وقيل^(٣): المعبود الغافل عنكم، والمعبود المطلع على أحوالكم

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): يعني الكافر والمؤمن.

﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾: الشرك والتوحيد.

وقرأ^(٥) حمزة والكسائي وأبو بكر بالياء.

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾: بل جعلوا، والهمزة للإنكار، وقوله

﴿خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾: صفة لـ «شركاء» داخله في حكم الإنكار.

﴿فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾: خلق الله وخلقهم.

والمعنى أنّهم ما اتّخذوا الله شركاء خالقين مثله حتّى يتشابه عليهم الخلق، فيقولوا:

هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما يستحقها، ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلاً عما يقدر عليه الخالق.

﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: لا خالق غيره فيشاركه في العبادة. جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها، ثم نفاه عما سواه ليدل على قوله

﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ﴾: أي المتوحد بالألوهية.

﴿الْقَهَّارُ﴾ (٣٧): الغالب على كل شيء.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: من السحاب. أو من جانب السماء أو من السماء نفسها، فإن المبادئ منها^(١).

﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾: أنهار، جمع وادٍ، وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه^(٢)، واستعمل للماء الجاري فيه. وتنكيرها؛ لأن المطر يأتي على تناوب بين البقاع^(٣).

﴿بِقَدَرِهَا﴾: بمقدارها الذي علم الله أنه نافع غير ضار. أو بمقدارها في الصغر والكبر.

﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا﴾: رفعه. والزبد: وضر الغليان^(٤).

﴿وَأَبْيَأُ﴾: عالياً.

﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ﴾: يعم الفلزات، كالذهب والفضة والحديد والنحاس، على وجه التهاون بها إظهاراً لكبريائه.

﴿فِي النَّارِ انْتِفَاءً حُلِيَّةً﴾: طلب حلي.

١. أي لما كان مبادئ الماء من جانب السماء فإنه يحصل بارتفاع الأبخرة الحاصلة من حركات الكواكب على طريق العادة.

٢. أي تجوز فيه، فأطلق اسم الوادي الذي هو المحل على الحال الذي هو الماء.

٣. أي ليس سيل جميع الأودية في زمان واحد، بل بعض في بقعة في زمان وبعض في زمان آخر في بقعة أخرى.

٤. أي وسخه، أو خبثه.

﴿أَوْ مَنَّا﴾: كالأواني وآلات الحرب والحرث. والمقصود من ذلك بيان منافعها.

﴿زَيْدٌ مِثْلُهُ﴾: أي ومما يوقدون عليه زبد مثل الماء، وهو خبثه.

و«من» للابتداء، أو للتبعيض.

وقرأ^(١) حمزة والكسائي وحفص بالياء، على أن الضمير للناس وإضمامه للعلم به.

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾: مثل الحق والباطل، فإنه مثل الحق في إفادته

وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فيسيل به الأودية على قدر الحاجة والمصلحة،

فينتفع به أنواع المنافع، ويمكث في الأرض بأن يثبت بعضه في مناقعه^(٢) ويسلك

بعضه في عروق الأرض إلى العيون والقني والآبار، وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ

الحلي واتخاذ الأمتعة المختلفة، ويدوم ذلك مدة متطاولة. والباطل في قلة نفعه

وسرعة زواله بزبدهما، ويثبت ذلك بقوله

﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنفَدُ حَبًّا جُفَاءً﴾: يجفأ به، أي يرمي به السيل أو الفلز المذاب.

وانتصابه على الحال.

وقرئ^(٣): «جُفَالًا» والمعنى واحد. يقال^(٤): جفأت القدرُ بزبدِها، وأجفأ السيل

وأجفل.

﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾: كالماء وخلاصة الفلزات.

﴿فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾: ينتفع به أهلها.

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾^(٥): لإيضاح المشتبهات.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): يقول: أنزل الحق من السماء فاحتمله^(٦) القلوب

بأهوائها؛ ذو اليقين على قدر يقينه، وذو الشك على قدر شكّه، فاحتل الهوى بطلاً

كثيراً أو جفاءً، فالماء هو الحق، والأودية هي القلوب، والسيل هو الهوى، والزبد

٢. المناقع - جمع منقع -: وهو المستنقع، أو البحر.

٤. الكشف ٥٢٣/٢.

٦. المصدر: فاحتمله.

١. أنوار التنزيل ٥١٨/١.

٣. أنوار التنزيل ٥١٨/١، والكشاف ٥٢٣/٢.

٥. تفسير القمي ٣٦٢/١.

وخبث الحلية هو الباطل، والحلية والمتاع هو الحق. من أصاب الحلية والمتاع في الدين^(١) انتفع به، وكذلك صاحب الحق يوم القيامة ينفعه. ومن أصاب الزبد وخبث الحلية في الدنيا لم ينتفع به، وكذلك صاحب الباطل يوم القيامة لا ينتفع به.

وفي كتاب الاحتجاج^(٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام: قد بين الله قصص المغيرين ف ضرب مثلهم بقوله: «فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ينعف الناس فيمكث في الأرض» فالزبد في هذا الموضع كلام الملحدين الذين أثبتوه في القرآن، فهو يضمحل ويبطل ويتلاشى عند التحصيل. والذي ينعف الناس منه، فالتنزيل الحقيقي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والقلوب تقبله. والأرض في هذا الموضع فهي محل العلم وقراره. الحديث.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾: للمؤمنين الذين استجابوا.

﴿لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى﴾: الاستجابة الحسنى.

﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾: وهم الكفرة.

و«اللام» متعلقة بـ «يضرب» على أنه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما.

وقيل^(٣): «للذين استجابوا» خبر «الحسنى» وهي المثوبة أو الجنة. «والذين لم يستجيبوا» مبتدأ خبره

﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾: وهو على الأول كلام مبتدأ لبيان ما مآل غير

المستجيبين.

﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾: وهو المناقشة فيه، بأن يحاسب

الرجل بذنبه ولا يُغفر منه شيء.

وفي مجمع البيان^(١): هو أن لا تُقبل لهم حسنة، ولا تُغفر لهم سيئة. وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿وَمَا وَاهُمْ﴾: مرجعهم.

﴿جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمِهَادُ﴾^(٢): المستقر. والمخصوص بالذم محذوف.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣) قال: يمهدون في النار.

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾: فيستجيب.

﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾: عمى القلب، لا يستبصر فيستجيب.

و«الهمزة» لإنكار أن تقع شبهة في تشابهها بعد ما ضرب من المثل.

﴿إِنَّمَا يَنْذَرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٤): ذوو العقول المبرأة عن مشايعة الإلف ومعارضة

الوهم.

في شرح الآيات الباهرة^(٥): نقل ابن مردويه، عن رجاله، بالإسناد إلى ابن عباس أنه قال: إن قوله تعالى: «أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق» هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

وذكر أبو عبد الله^(٦) الحسين بن جبير عليه السلام في نخب المناقب قال: روينا حديثاً مسنداً عن أبي الورد الإمامي المذهب، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قوله ﷺ: «أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق» هو علي بن أبي طالب عليه السلام. و«الأعمى» هنا [هو] ^(٧) عدوه. و«أولو الأبواب» شيعة الموصوفون بقوله تعالى: «الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق» المأخوذ عليهم في الذر بولايته ويوم الغدير.

وفي تفسير العياشي^(٨): عن قصة^(٩) بن خالد قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأذن

١. المجمع ٢٨٧/٣.

٢. تفسير القمي ٣٦٣/١.

٣. تأويل الآيات الباهرة ٢٣١/١، ح ٧.

٤. تأويل الآيات الباهرة ٢٣١/١، ح ٨.

٥. من المصدر.

٦. تفسير العياشي ٢٠٧/٢، ح ٢٥.

٧. المصدر: عقبة.

لي وليس هو في مجلسه، فخرج علينا من جانب البيت من عند نسائه وليس عليه جلباب. فلما نظر إلينا رَحَبَ بنا^(١)، ثم جلس.

ثم قال: أنتم أولو الألباب في كتاب الله، قال الله: «إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ».

عن أبي العباس^(٢)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: تفكر ساعة خير من عبادة سنة، [قال الله: (٣)] «إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ».

«الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ»: ما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف ببروبيته حين قالوا: «بلى». أو ما عهد الله عليهم في كتبه.

«وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ»^(٤): ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد. وهو تعميم بعد تخصيص.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): حدّثني أبي، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام قال: إنّ رحم آل محمد ﷺ معلقة بالعرش تقول: اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني. وهي تجري في كلّ رحم. ونزلت هذه الآية في آل محمد، وما عاهدهم عليه، وما أخذ عليهم من الميثاق في الذر من ولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام بعده، وهو قوله: «الَّذِينَ يُؤْفُونَ» الآية.

«وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ»: من الرحم، وموالات المؤمنين، والإيمان بجميع الأنبياء، ويندرج في ذلك مراعاة حقوق الناس.

وفي أصول الكافي^(٦): الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ الرحم معلقة بالعرش تقول: اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني. وهي رحم آل محمد، وهو قول الله ﷻ: «الَّذِينَ» إلى قوله: «أَنْ يُوصَلَ» ورحم كلّ ذي رحم.

١. المصدر: «قال: أحب لقاءكم» بدل «رحب بنا».

٢. تفسير العباسي ٢٠٨/٢، ح ٢٦.

٣. تفسير القمي ٣٦٣/١.

٤. من المصدر.

٥. الكافي ١٥١/٢، ح ٧.

٦. الكافي ١٥١/٢، ح ٧.

عَدَّة من أصحابنا^(١)، عن سهل بن زياد، عن ابن بكير^(٢)، عن عمر بن يزيد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله الله ﷻ: «الَّذِينَ يَصْلُونَ مَا أَمَر الله بِهِ أَنْ يَوْصَلَ». فقال: قرابتك.

علي بن إبراهيم^(٣)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان وهشام بن الحكم ودرست بن أبي منصور، عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «الَّذِينَ» إلى قوله: «أَنْ يَوْصَلَ».

فقال: نزلت في رحم آل محمد ﷺ وقد يكون في قرابتك.

ثم قال: فلا تكونن ممن يقول للشيء: إنه في شيء واحد.

وفي الكافي^(٤): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ومما فرض الله تعالى أيضاً في المال [من]^(٥) غير الزكاة قوله تعالى: «الَّذِينَ يَصْلُونَ مَا أَمَر الله بِهِ أَنْ يَوْصَلَ». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير العياشي^(٦): عن العلاء بن فضيل^(٧)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الرحم معلقة بالعرش تقول: اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني. وهي رحم آل محمد ورحم كل مؤمن، وهو قول الله ﷻ: «الَّذِينَ يَصْلُونَ مَا أَمَر الله بِهِ أَنْ يَوْصَلَ».

عن محمد بن الفضيل^(٨) قال: سمعت العبد الصالح يقول: «الَّذِينَ يَصْلُونَ مَا أَمَر الله بِهِ أَنْ يَوْصَلَ» قال: هي رحم آل محمد معلقة بالعرش تقول: اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني. وهي تجري في كل رحم.

١. الكافي ١٥٦/٢، ح ٢٧. وفيه: «عن أحمد بن أبي عبد الله عن ابن فضال» بدل «عن سهل بن زياد».

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: ابن أبي بكير. ٣. الكافي ١٥٦/٢، ح ٢٨.

٤. الكافي ٤٩٨/٣، ح ٨. ٥. من المصدر.

٦. تفسير العياشي ٢٠٨/٢، ح ٢٧.

٧. كذا في المصدر، وجامع الرواة ٥٤٣/١. وفي النسخ: فضل.

٨. تفسير العياشي ٢٠٨/٢، ح ٢٩. وفيه: محمد بن الفضل.

عن الحسين بن موسى^(١) قال: روى أصحابنا قال: سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عن قول الله تعالى: «الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ».

فقال: هو صلة الإمام في كل سنة بما قَلَّ أو كثر.

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: ما أريد^(٢) بذلك إلا تزكيتكم.

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾: وعيده عموماً.

﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾^(٣): خصوصاً، فيحاسبون أنفسهم قبل أن يُحاسبوا.

وفي أصول الكافي^(٤): مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ صفوان الجمال قال: وقع بين أبي عبد الله عليه السلام وبين عبد الله بن الحسن كلام حتى وقعت الضوضاء بينهم، فاجتمع الناس، فافترقا عشيتهما بذلك وغدوت في حاجة فإذا أنا بأبي عبد الله عليه السلام على باب عبد الله بن الحسن وهو يقول: يا جارية، قولي لأبي مُحَمَّدٍ [يخرج]^(٥).

قال: فخرج، فقال: يا أبا عبد الله، ما بكربك؟

قال: إنني تلوت آية من كتاب الله تعالى البارحة فأقلقتني.

قال: وما هي؟

قال: قول الله تعالى: «الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ

سُوءَ الْحِسَابِ» فقال: صدقت، لكنني لم أقرأ هذه الآية من كتاب [الله تعالى]^(٥) فاعتنقا وبكيا.

وفي الكافي^(٦): عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ،

عَنْ جَمِيلِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ أَحْمَرَ. وَعَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ. وَمُحَمَّدَ بْنَ

١. تفسير العياشي ٢/٢٠٩، ح ٣٤٤. وفيه: الحسن بن موسى.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: وما أراد. ٣. الكافي ٢/١٥٥، ح ٢٣.

٤. يوجد في المصدر مع المعقوفتين. ٥. من المصدر.

٦. الكافي ٥٥٧، ح ١٠.

إسماعيل، عن الفضل بن شاذان عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد، جميعاً عن سلمة^(١) مولاة أبي عبد الله عليه السلام قالت: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام حين حضرته الوفاة، فأغمي عليه، فلما أفاق قال: أعطوا الحسن بن علي بن الحسين - وهو الأفطس - سبعين ديناراً، وأعطوا فلاناً كذا [وكذا وفلاناً كذا وكذا]^(٢).

فقلت: أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة؟

فقال: ويحك، أما تقرنين القرآن؟

قلت: بلى.

قال: أما سمعت قول الله ﷻ: «الَّذِينَ يَصْلُونَ» إلى قوله: «سوء الحساب».

قال ابن محبوب في حديثه: حمل عليك بالشفرة يريد أن يقتلك؟ فقال: أتريدني على أن لا أكون من الذين قال الله تبارك وتعالى: «الَّذِينَ يَصْلُونَ» إلى قوله: «سوء الحساب» نعم يا سلمة^(٣)، إن الله خلق الجنة وطيبها وطيب ريحها [وإن ريحها]^(٤) ليوجد من مسيرة ألفي عام، ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم.

وفي تفسير العياشي^(٥): عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: برّ الوالدين وصلة الرحم يهونان الحساب. ثم تلا هذه الآية: «الَّذِينَ يَصْلُونَ» إلى قوله: «سوء الحساب».

وفي مجمع البيان^(٦): وروى الوليد بن أبان، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت له: هل على الرجل في ماله سوى الزكاة؟

قال: نعم، أين ما قال الله: «والَّذِينَ يَصْلُونَ» الآية.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٧): أبي عبد الله عليه السلام، قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن

١. المصدر: سالمة.

٢. من المصدر.

٣. المصدر: سالمة.

٤. ليس في أ.

٥. تفسير العياشي ٢٠٨/٢، ح ٢٨.

٦. المجمع ٢٨٩/٣.

٧. المعاني ٢٤٦، ح ١.

محمد، عن أبيه، عن محمد بن يحيى، عن حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه ^(١) قال الرجل: يا فلان، ما لك ولأخيك؟

قال: جعلت فداك، كان لي عليه شيء فاستقصيت ^(٢) عليه ^(٣) في حقّي. فقال أبو عبد الله عليه السلام: أخبرني عن قول الله تعالى: «ويخافون سوء الحساب» أتراهم يخافون ^(٤) أن يظلمهم أو يجور عليهم؟ لا، ولكنهم خافوا الاستقصاء والمدافعة ^(٥).

وفي روضة الواعظين ^(٦): قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معشر المؤمنين ^(٧)، إياكم والزنا، فإنّ فيه ستّ خصال: ثلاث في الدنيا، وثلاث في الآخرة. أمّا التي في الدنيا، فإنّه يذهب البهاء، ويورث الفقر، وينقص العمر. وأمّا التي في الآخرة، فإنّه يوجب سخط الرب تعالى، وسوء الحساب، والخلود في النار.

وفي الكافي ^(٨): الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي، عن حماد بن عثمان قال: دخل رجل على أبي عبد الله عليه السلام فشكا إليه رجلاً من أصحابه، فلم يلبث أن جاء المشكوك إليه ^(٩).

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما لفلان يشكوك؟

فقال له: يشكوني أنّي استقصيت منه حقّي.

قال: فجلس أبو عبد الله عليه السلام مغضباً، ثم قال: كأنك إذا استقصيت حقك لم تسئ، أرايتك ما حكى الله تعالى فقال: «ويخافون سوء الحساب» ترى أنّهم خافوا الله تعالى أن يجور عليهم؟ لا والله، ما خافوا إلا الاستقصاء، فسمّاه ^(١٠) الله تعالى: «سوء الحساب»، فمن استقصى ^(١١) فقد أساء.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: فاستقصيت.

٤. المصدر: خافوا.

٦. روضة الواعظين ٤٦٢/٢.

٨. الكافي ١٠٠/٥ - ١٠١، ح ١.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: فسّني.

١. ليس في أ، ب.

٣. ليس في المصدر.

٥. المدافعة: المحاسبة الدقيقة.

٧. المصدر، أ، ب، ر: المسلمين.

٩. ليس في المصدر.

١١. المصدر: زيادة «به».

وفي تفسير العياشي^(١): عن أبي إسحاق قال: سمعته يقول في «سوء الحساب»: لا تُقَبَّلَ حسناتهم، ويؤخذون بسيئاتهم^(٢).

عن هشام بن سالم^(٣)، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: «يخافون سوء الحساب» [قال: تُحَسَّبَ عليهم السيئات و لا] ^(٤) تُحَسَّبَ لهم الحسنات [و هو الاستقصاء. عن هشام بن سالم^(٥)، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «يخافون سوء الحساب» قال: الاستقصاء والمدافعة.

وقال: تُحَسَّبَ عليهم السيئات، ولا تُحَسَّبَ لهم الحسنات. وفي مصباح الشريعة^(٦): قال الصادق عليه السلام: لو لم يكن للحساب مهولة^(٧) إلا حياء العرض على الله وفضيحة^(٨) هتك الستر على المخفيات، لحقَّ للمرء أن لا يهبط من رؤوس الجبال، ولا يأوي إلى عمران ولا يأكل ولا يشرب إلا عن اضطرار متّصل بالتلف.

«وَالَّذِينَ صَبَرُوا»: على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى.
«إِيتَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ»: طلباً لرضاه، لالرياء أو سمعة أو نحوهما.
«وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ»: المفروضة.
«وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ»: بعض الذي وجب عليهم إنفاقه.
«سِرًّا»: في السرّ، كمن لم يعرف به.
«وَعَلَانِيَةً»: وفي العلانية، كمن عرف به.
«وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ»: ويدفعونها بها، فيجازون الإساءة بالإحسان. أو يتبعون الحسنة السيئة، فتمحوها.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: ويؤخرون سيئاتهم.

٤. من المصدر.

٦. تفسير العياشي ٢/٢١٠، ح ٣٩.

٨. المصدر: محولة.

١. تفسير العياشي ٢/٢١٠، ح ٣٧.

٣. تفسير العياشي ٢/٢١٠، ح ٣٨.

٥. ليس في أ، ب، ر.

٧. مصباح الشريعة ٨٥/.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: فضيخته.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ أَبِي بصير، عَنْ الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: يا علي^(٢)، ما من دار فيها فرحة إلا تبعها ترحة^(٣)، وما من له^(٤) هم إلا وله فرج إلا هم أهل النار، فإذا عملت سيئة فاتبعها بحسنة تمحها سريعاً، وعليك بصنائع الخير فإنها تدفع مصارع السوء.

وإنما قال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام على حدّ تأديب الناس، لا بأن أمير المؤمنين عليه السلام^(٥) سيئات عملها.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾^(٦): عاقبة الدنيا، وما ينبغي أن يكون مآل أهلها، وهي الجنة.

والجملة خبر الموصولات إن رُفِعَتْ بالابتداء، وإن جُعِلَتْ صفات «لأولي الأبواب» فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: بدل من «عقبى الدار». أو مبتدأ خبره
﴿يَدْخُلُونَهَا﴾: و«العدن» الإقامة، أي جنّات يقيمون فيها. وقد مضى في شأنها أخبار.

وقيل^(٧): هو بطنان الجنة.

وفي كتاب الخصال^(٨)، في احتجاج علي عليه السلام على الناس يوم الشورى، قال: نشدكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويسكن جنّتي التي وعدني الله ربّي، جنّات عدن قضيب غرسه [الله]^(٩) بيده ثم قال له: كن فكان، فليوال علي بن أبي طالب وذريته من بعده، فهم الأئمة وهم الأوصياء، أعطاهم الله علمي وفهمي، لا يدخلونكم في باب ضلال ولا يخرجونكم

٢. ليس في ب.

٤. ليس في المصدر.

٦. أنوار التنزيل ٥١٩/١.

٨. من المصدر.

١. تفسير القمي ٣٦٤/١.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: مرحلة.

٥. المصدر: زيادة «له».

٧. الخصال ٥٥٨/٢ ح ٣١.

من باب هدى، لا تعلموهم فهم أعلم منكم، يزول الحقّ معهم أينما زالوا، غيري؟
قالوا: اللهم لا.

وعن عليّ عليه السلام^(١) أنّه سأله بعض اليهود، فقال: أين يسكن نبيكم من الجنّة؟
قال: في أعلاها درجة وأشرفها مكاناً، في جنّات عدن.

قال: صدقت والله، إنّ لبخطّ هارون وإملاء موسى.

وفي أصول الكافي^(٢): عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن أبي المغراء، عن محمد بن سلام، عن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: من أراد أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنّة عدن التي غرسها الله بيده، فليوال^(٣) عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وليتولّ وليّه، وليعاد عدوّه، وليسلم للأوصياء من بعده، فإنهم عترتي من لحمي ودمي، أعطاهم الله فهمي وعلمي، إلى الله أشكو أمر أمّتي المنكرين^(٤) لفضلهم، القاطعين فيهم صلتني، وأيم الله، ليقتلن^(٥) ابني، لأنّ الله شفاعتي.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٦): في خبر بلال، عن النبي ﷺ الذي يذكر فيه صفة الجنّة، قال: فقلت لبلال: هل وسطها غيرها؟

قال: نعم، جنّة عدن وهي في وسط الجنان، وأمّا جنّة عدن فسورها ياقوت أحمر وحصاها اللؤلؤ.

﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾: عطف على المرفوع في «يدخلون» وإنّما ساغ للفصل بالضمير الآخر. أو مفعول معه، والمعنى أنّه يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم، تبعاً لهم وتعظيماً لشأنهم. وهو دليل على أنّ الدرجة تعلو بالشفاعة، وأنّ الموصوفين بتلك الصفات يقترن بعضهم ببعض لما بينهم من

١. الخصال ٤٧٧/٢، ح ٤٠.

٢. الكافي ٢٠٩/١، ح ٥.

٣. المصدر: فليتولّ.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: المنكرون.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: لتقتلن.

٦. الفقيه ١٩٣/١، ح ٩٠٥.

القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنفسهم.

وفي التقييد بالصلاح دلالة على أن مجرد الأنساب لا ينفع.

وفي أصول الكافي^(١): علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن أبي أسامة، عن هشام. ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن أبي حمزة، عن أبي إسحاق قال: حدثني الثقة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أنهم سمعوا أمير المؤمنين عليه السلام يقول في خطبة له: اللهم وإنّي لأعلم أن العلم لا يآرز^(٢) كله ولا تنقطع موادّه^(٣)، وأنت لا تخلي أرضك من حجة لك على خلقك، ظاهر ليس بالمطاع أو خائف مغمور، كيلا تبطل حجّتك ولا يضلّ أولياؤك بعد إذ هديتهم، بل أين هم وكم [هم]^(٤)؟

أولئك الأقولون عدداً والأعظمون عند الله جلّ ذكره قدرأ^(٥)، المتبعون لقادة الدين الأئمة الهادين، الذين يتأدّبون بأدابهم وينهجون نهجهم، فعند ذلك يهجم بهم العلم^(٦) على حقيقة الإيمان، فتستجيب أرواحهم لقادة العلم، ويستلينون^(٧) من حديثهم ما استوعر^(٨) على غيرهم، ويأنسون بما استوحش منه^(٩) المكذّبون وأباه المسرفون. أولئك أتباع العلماء، صحبوا أهل الدنيا بطاعة الله تبارك وتعالى وأوليائه^(١٠)، ودانوا بالتقية على دينهم والخوف من عدوهم، فأرواحهم معلقة بالمحل الأعلى، فعلمواهم وأتباعهم خرس صمت في دولة الباطل منتظرون لدولة الحق، وسيحقّ الله الحقّ بكلماته ويمحقّ الباطل. هاها، طوبى لهم على صبرهم على دينهم في حال هذنتهم،

١. الكافي ١/٣٣٥، ح ٣. ٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: يأزر. ويأرز: يتقبض.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: مراده.

٤. يوجد في نور الثقلين ٢/١٠٥، ح ٤٩٨ مع المعقوفتين.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: قدر.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: المعلم.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: ويستنبئون.

٨. استوعر، أي استصعب.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: استوحشوا منهم.

١٠. كذا في المصدر. وفي النسخ: لأوليائه.

ويا شوقاه إلى رؤيتهم في حال ظهور دولتهم، وسيجمعنا الله وإياهم في جنات عدن «ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم».

وفي تفسير العياشي^(١): عن الصادق عليه السلام أنه سُئل عن الرجل المؤمن له امرأة مؤمنة يدخلان الجنة، يتزوج أحدهما الآخر؟

فقال: إن الله حكم عدل، إذا كان أفضل منها خير، فإن اختارها كانت من أزواجه. وإن كانت هي خيراً منه خيراً، فإن اختارته كان زوجاً لها.

وفي كتاب الخصال^(٢): عن موسى بن إبراهيم [عن الحسن]^(٣)، عن أبيه رفعه^(٤) بإسناده رفعه إلى رسول الله ﷺ أن أم سلمة قالت له: بأبي أنت وأمي، المرأة يكون لها زوجان فيموتان فيدخلان الجنة، لأيهما تكون؟

فقال: يا أم سلمة، تُخَيَّر أحسنهما خلقاً وخيرهما لأهله. يا أم سلمة، إن حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾^(٥): من أبواب المنازل.

قيل^(٥): أو من أبواب الفتوح^(٦) والتحف قائلين:

﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: بشارة بدوام السلامة.

﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾: متعلق بـ «عليكم». أو بمحذوف، أي هذا بما صبرتم.

قيل^(٧): لا بـ «سلام» فإن الخبر فاصل^(٨). والباء للسببية، أو للبدلية.

١. عنه المجمع ٢١٠/٥.

٢. الخصال ٤٢/١، ح ٣٤.

٣. من المصدر.

٤. ليس في المصدر.

٥. أنوار التنزيل ٥١٩/١.

٦. الأظهر: «الفتوح» بدل «الفتوح». والفتوح، جمع الفتح أو الفتحة.

والفتح: كلٌ خلخال لا يصلصل. والفتحة: حلقة من ذهب أو فضة لا فُص لها تلبس في البصر، كالخاتم.

٧. أنوار التنزيل ٥١٩/١.

٨. قوله: «لا بسلام»، فإن الخبر فاصل أي لا يتعلّق «بما صبرتم» بـ «سلام» لوجود الفاصل بينهما وهو

﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٣١): وقرئ^(١): «فَنَعْم» بفتح النون، والأصل «نَعِم» فشكَّن العين بنقل كسرتها إلى الفاء وبغيره.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ أَبِي بصير، عَنْ أَبِي عبد الله عليه السلام قال: نزلت في الأئمة عليهم السلام وشيعتهم الذين صبروا.

وحَدَّثَنِي^(٣) أَبِي، عَنْ ابْنِ أَبِي عمير، عَنْ جميل، عَنْ أَبِي عبد الله عليه السلام قال: نحن صبرنا وشيعتنا أصبر منا، لأننا صبرنا بعلم وصبروا على ما لا يعلمون.

حَدَّثَنِي أَبِي^(٤)، عَنْ الحسن بن محبوب، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ حديث طويل، يصف فيه حال المؤمن إذا دخل الجنان والغرف، وفيه: ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ مَلَكٍ يَهْتَنُونَهُ بِالْجَنَّةِ وَيَزَوِّجُونَهُ بِالْحَوْرَاءِ^(٥)، فَيَنْتَهَوْنَ إِلَى أَوَّلِ بَابٍ مِنْ جَنَانِهِ، فَيَقُولُونَ لِلْمَلِكِ الْمَوْكَلِ بِأَبْوَابِ الْجَنَانِ: اسْتَأْذِنْ لَنَا عَلَى وَلِيِّ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَنَا مَهْتَنِينَ.

فيقول الملك الموكَّل^(٦): قَفُوا حَتَّى أَقُولَ لِلْحَاجِبِ فَيُعَلِّمُهُ مَكَانَكُمْ.

قال: فَيَدْخُلُ الْمَلِكُ^(٧) إِلَى الْحَاجِبِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَاجِبِ ثَلَاثُ جَنَانٍ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى أَوَّلِ بَابٍ.

فيقول للحاجب: إِنَّ عَلَى بَابِ الْعَرْصَةِ^(٨) أَلْفَ مَلَكٍ أَرْسَلَهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ، جَاءُوا

﴿وعليكم﴾. وهذا خلاف ما قاله صاحب الكشاف، فإنه قال: يجوز أن يتعلَّقَ «بِما صبرتم» بِـ «سلام» أي يَسْلَمُ عليكم ويكرمكم بصبركم. وما قاله المصنَّف هو المشهور بين النحاة، لأنَّ المصدر في حكم «أن مع الفعل» والفصل بين بعض الصلة وبعضها لا يجوز. وقال الرضي: أنا لا أرى منعاً من ذلك، وليس كل ما أَوَّلَ شيء بكلمة حكم ما أَوَّلَ به، فلا منع من تأويله بالحرف المصدرِ من جهة المعنى مع أنَّه لا يلزمه أحكامه. وكلام صاحب الكشاف يؤيد ما ذكره الرضي.

١. أنوار التنزيل ٥١٩/١.
٢. تفسير القمي ٣٦٥/١.
٣. تفسير القمي ٣٦٥/١.
٤. نفس المصدر ٢٤٦/١-٢٤٨.
٥. المصدر: زيادة «قال».
٦. ليس في المصدر.
٧. ليس في أ.
٨. المصدر: الغرفة.

يَهْتَنُونَ وَلِيَّ اللَّهِ، وقد سألوا أن استأذن لهم عليه.

فيقول له الحاجب: إِنَّهُ ليعظم عليَّ أن استأذن لأحد على وليِّ الله وهو مع زوجته.

قال: وبين الحاجب وبين وليِّ الله جَنَّتَانِ، فيدخل الحاجب على القيِّم.

فيقول له: إِنَّ عَلَى باب العرصة ^(١) أَلْفَ ملك أرسلهم رَبُّ الْعَالَمِينَ يَهْتَنُونَ وَلِيَّ اللَّهِ،

فاستأذن [لهم] ^(٢).

فيقوم القيِّم إلى الخَدَّام، فيقول لهم: إِنَّ رسل الجَبَّار على باب العرصة، وهم أَلْفَ

ملك، أرسلهم يَهْتَنُونَ وَلِيَّ اللَّهِ فأعلموه ^(٣) مكانهم.

قال: فيعلمونه الخَدَّام مكانهم.

قال: فيؤذن لهم، فيدخلون على وليِّ الله وهو في الغرفة ولها أَلْفَ باب، وعلى كُلِّ

باب من أبوابها ملك موَكَّل به. فإذا أذن للملائكة بالدخول على وليِّ الله [وهو في

الغرفة] ^(٤) فتح كُلَّ ملك بابَه الَّذِي قد وُكِّل به، فيدخل كُلَّ ملك من باب من أبواب

الغرفة فيبلغونه رسالة الجَبَّار، وذلك قول الله تعالى: «والملائكة يدخلون عليهم من

كُلِّ باب» يعني من أبواب الغرفة «سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار».

وفي روضة الكافي ^(٥)، مثله سنداً ومتناً.

وفي الصحيفة السجادية ^(٦)، في دعائه عليه الصلاة والسلام على حملة العرش، قال عليه

بعد أن عدَّ أصنافاً من الملائكة: وَالَّذِينَ يَقُولُونَ: «سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى

الدار».

وفي تفسير العياشي ^(٧): عن الحسن بن محبوب، عن أبي ولَّاد، عن أبي عبد الله عليه

حديث طويل، وفيه: ثُمَّ قال: إِنَّ طائفة من الملائكة عابوا ولد آدم في اللَّذَّاتِ

١. المصدر: الغرفة.

٢. من المصدر.

٣. المصدر: فأعلمهم.

٤. يوجد في ب، ر.

٥. الكافي ٩٥/٨، ٩٨، ح ٦٩.

٦. الصحيفة السجادية: الدعاء الثالث ٣٧.

٧. تفسير العياشي ٢/٢١١، ح ٤٢.

والشهوات، أعني لكم: الحلال ليس الحرام. قال: فأنف الله للمؤمنين من ولد آدم من تعبير الملائكة لهم. قال: فألقى الله في همم^(١) أولئك الملائكة اللذات والشهوات كي لا يعيبوا المؤمنين، فلما أحسوا ذلك [من همهم]^(٢) عَجَّوا إلى الله من ذلك فقالوا: ربنا، عفوك عفوك، ردنا إلى ما خلقتنا له واخترتنا عليه، فإننا نخاف أن نصير في أمر مريج^(٣). قال: فنزع الله ذلك [من همهم]^(٤).

قال: فإذا كان يوم القيامة، وصار أهل الجنة في الجنة، استأذن أولئك الملائكة على أهل الجنة فيؤذن لهم، فيدخلون عليهم [فيسلمون عليهم]^(٥) ويقولون لهم: «سلام عليكم بما صبرتم» [في الدنيا عن اللذات والشهوات الحلال].
عن محمد بن الهيثم^(٦)، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام: «سلام عليكم بما صبرتم» على الفقر في الدنيا^(٧) [«نعم عقبى الدار» قال: يعني الشهداء].

وفي كتاب جعفر بن محمد الدورستاني^(٨)، بإسناده إلى أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: وما نال الفوز في القيامة إلا الصابرون، إن الله يقول: «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» قال: «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار».

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾: قيل^(٩): يعني مقابلي الأولين.

﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: من بعد ما أوثقوه به من الإقرار والقبول.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١٠): يعني في أمير المؤمنين. وهو الذي أخذ الله عليهم في الذر، وأخذ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغدير خم.

-
١. كذا في المصدر. وفي النسخ: همة.
 ٢. أمر مريج: مختلط أو ملتبس.
 ٣. تفسير العياشي ٢/٢١١، ح ٤٣.
 ٤. من المصدر.
 ٥. أنوار التنزيل ٥١٩/١.
 ٦. نور القلبي ٢/٥٠١، ح ١١٤.
 ٧. تفسير القمي ١/٣٦٣.
 ٨. من المصدر.
 ٩. من المصدر.
 ١٠. أنوار التنزيل ٥١٩/١.

﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾: من الرحم وغيرها.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: بالظلم وتهيج الفتن.

﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾^(١): عذاب جهنم. أو سوء عاقبة الدنيا، لأنه في

مقابلة «عقبى الدار».

وفي أصول الكافي^(١): عِدَّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد [وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً]^(٢)، عن عمرو^(٣) بن عثمان، عن محمد بن عذافر، عن بعض أصحابهما^(٤)، عن محمد بن مسلم وأبي حمزة، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: يا بُنَيَّ، إياك ومصاحبة القاطع لرحمه، فإنِّي^(٥) وجدتُه ملعوناً في كتاب الله ﷻ في ثلاثة مواضع^(٦)، قال: «الذين ينقضون عهد الله» الآية.

وفي عيون الأخبار^(٧)، بإسناده إلى الرضا عليه السلام حديث طويل في تعداد الكبائر وبيانها عن كتاب الله، وفيه: عن الصادق عليه السلام: ونقض العهد وقطيعة الرحم، لأن الله تعالى يقول: «أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ».

﴿الله﴾: وحده، لا يشاركه في البسط والقبض غيره.

﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: يوسعه ويضيِّقه.

﴿وَفَرَحُوا﴾: أي القاطعون.

وقيل^(٨): أهل مكة.

﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: بما بسط لهم في الدنيا.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾: في جنب الآخرة.

١. الكافي ٦٤١/٢، ح ٧.

٢. كذا في المصدر وجامع الرواة ٦٢٤/١. وفي النسخ: عمر.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: أصحابه.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: فأنه.

٥. العيون ٢٢٣/٢-٢٢٤، ح ٣٣.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: ثلاث.

٧. أنوار التنزيل ٥١٩/١.

﴿إِلَّا مَتَاعٌ﴾^(٣): إلّا متعة لا تدوم، كعجالة الراكب وزاد الراعي.

والمعنى أنّهم اشتروا بما نالوا من الدنيا، ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة، واغترّوا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال.
﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾: باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات.

﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾^(٤): أقبل إلى الحقّ ورجع عن العناد.

وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم، كأنّه قال: قل لهم: ما أعظم عنادكم، إنّ الله يضلّ من يشاء ممّن كان على صفتكم، فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أنزلت كلّ آية، ويهدي إليه من أناب بما جثت به بل بأدنى منه من الآيات.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: بدل من «مَنْ». أو خبر مبتدأ محذوف.

﴿وَتَطْمَنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾: أنساً به، واعتماداً عليه، ورجاء منه. أو بذكر رحمته بعد القلق من خشيته. أو بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته. أو بكلامه - يعني القرآن - الذي هو أقوى المعجزات.

وفي تفسير العيّاشي^(١): عن خالد بن نجيح، عن جعفر بن محمد عليه السلام [في قوله: «ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب»]^(٢) قال: بمحمد عليه السلام تطمئنّ [القلوب]^(٣)، وهو ذكر الله وحجابه.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٤): «الذين آمنوا» الشيعة، و«ذكر الله» أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام.

وحال الخبرين واحد لا اختلاف بينهما، لأنّ محمداً عليه السلام والأئمة عليهم السلام واحد في كونهم ذكر الله.

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٥): تسكن إليه.

٢. من المصدر.

١. تفسير العيّاشي ٢/٢١١، ح ٤٤.

٤. تفسير القمي ١/٣٦٥.

٣. من المصدر.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: مبتدأ خبره

﴿طُوبَى لَهُمْ﴾: وهو فعلى، من الطيب، قُلِبَتْ ياءه واواً لضمّة ما قبلها، مصدر لطاب، كبشري وزلفى.

ويجوز فيه الرفع والنصب^(١)، كقولك: طيباً لك، وطيب لك. ولذلك قرئ

﴿وَحَسُنَ مَا يَ﴾^(٢): بالرفع والنصب.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): عن النبي ﷺ حديث طويل، وفيه يقول ﷺ: دخلت الجنة وإذا أنا بشجرة^(٤)، لو أرسل طائر في أصلها ما دارها سبعمائة عام^(٥)، وليس في الجنة منزل إلا وفيها فرع^(٥) منها، فقلت: ما هذه يا جبرئيل؟ فقال: هذه شجرة طوبى، قال الله تعالى: «طوبى لهم وحسن مآب».

حدّثني أبي^(٦)، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رثاب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «طوبى» شجرة في الجنة في دار أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وليس أحد من شيعة إلا وفي داره غصن من أغصانها وورق من أوراقها، تستظل^(٧) تحتها أمة من الأمم.

وعنه^(٨) [قال]^(٩): كان ﷺ يكثر تقبيل فاطمة عليها السلام فأنكرت ذلك عائشة.

فقال رسول الله ﷺ: يا عائشة، إني لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة، فأداني جبرئيل من شجرة طوبى وناولني من ثمارها، فأكلته فحوّل الله ذلك ماءً في ظهري. فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة، فحملت بفاطمة، وكلّما اشتقت إلى الجنة قبلتها^(١٠)، وما قبلتها قط إلا وجدت رائحة شجرة طوبى منها، [فهي حوراء أنسية]^(١١).

١. الرفع بأنّه مبتدأ و«لهم» خبره، أو خبر و«لهم» صلة. والنصب بأنّه مفعول فعل مقدّر، وهو «طابوا».

٢. تفسير القمي ١٠/٢ - ١١.

٣. المصدر: «شجرة» بدل «أنا بشجرة».

٤. المصدر: تسعمائة سنة.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: شجر.

٦. تفسير القمي ٣٦٥/١.

٧. المصدر: يستظل.

٨. تفسير القمي ٣٦٥/١.

٩. من المصدر.

١٠. ليس في المصدر.

١١. ليس في المصدر.

وأما ما رواه ^(١) الشيخ أبو جعفر الطوسي عليه السلام عن رجاله، عن الفضل بن شاذان وكتبه في كتابه مسائل البلدان يرفعه إلى سلمان الفارسي عليه السلام قال: دخلت على فاطمة عليها السلام والحسن والحسين عليهم السلام يلعبان بين يديها، وفرحت بهما فرحاً شديداً، فلم ألبث حتى دخل رسول الله ﷺ.

فقلت: يا رسول الله، أخبرني بفضيلة هؤلاء لأزاد لهم حباً.
فقال: يا سلمان، ليلة أسري بي إلى السماء أدارني جبرئيل في سماواته وجناته، فبينما أنا أدور في قصورها وبساتينها ومقاصيرها إذ شممت رائحة طيبة، فأعجبني تلك الرائحة.

فقلت: يا حبيبي، ما هذه الرائحة التي غلبت على روائح الجنة كلها؟
فقال: يا محمد، تفاحة خلقها الله تبارك وتعالى بيده منذ ثلاثمائة ألف عام، ما ندري ما يريد بها!

فبينما أنا كذلك إذ رأيت ملائكة ومعهم تلك التفاحة. [فقالوا: يا محمد، ربنا السلام يقرأ عليك السلام وقد أتحنك بهذه التفاحة] ^(٢).

قال رسول الله ﷺ: فأخذت تلك التفاحة فوضعتها تحت جناح جبرئيل. فلما هبط بي إلى الأرض أكلت تلك التفاحة، فجمع الله ماءها في ظهري، فغشيت خديجة بنت خويلد فحملت بفاطمة من ماء التفاحة.

فأوحى الله ﷻ [إلي] ^(٣) أن قد وُلد لك حوراء أنسية، فزوج النور من النور - فاطمة من علي - فإنني قد زوجتها في السماء وجعلت خمس الأرض مهرها، وستخرج فيما بينهما ذرية طيبة وهما سراجا الجنة - الحسن والحسين - ويخرج من صلب الحسين أئمة يقتلون ويُحذَلون، فالويل لقاتلهم وخاذلهم. فلا ينافي الخبر الذي قد مناه؛ لأنه ليس في ذلك الخبر أن تلك التفاحة من أي شجرة، ويُحمل على أنها من شجرة طوبى

ليوافق الخبر الأول، وليس في الخبر الأول أنه عليه السلام أين أكلها، ويَحْمَلُ على أنه أكلها حين هبط ليتوافق الخبران.

وفي أصول الكافي^(١): عنه، عن أبيه، عن عبدالله بن القاسم، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: فَإِنَّ لأهل الدين علامات يُعَرَفُونَ بها: صدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وصلة الأرحام، ورحمة الضعفاء، وقلة المراقبة للنساء، أو قال: قلة الموافاة^(٢) للنساء، وبذل المعروف، وحسن الخلق، وسعة الخلق، واتباع العلم وما يقرب إلى الله ﷻ زلفى «طوبى لهم وحسن مآب».

و«طوبى» شجرة في الجنة، أصلها في دار النبي محمد ﷺ. وليس مؤمن إلا وفي داره غصن منها، لا يخطر على قلبه شهوة [شيء]^(٣) إلا أتاه به ذلك. ولو أن راكباً مجدداً سار في ظلها مائة عام ما خرج منه، ولو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتى يسقط [هرماً]^(٤)، ألا ففي هذا فارغبوا. إن المؤمن من نفسه في شغل والناس منه في راحة، إذا جنَّ عليه الليل افترش وجهه وسجد لله ﷻ بمكارم بدنه، يناجي الذي خلقه في فكاك رقبته، ألا فهكذا كونوا.

وفي عيون الأخبار^(٥)، بإسناده إلى الرضا عليه السلام أنه قال: ولقد حدثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه في «أب ت ث» قال: «الألف» آلاء الله. - إلى أن قال عليه السلام: - و«الطاء» طوبى للمؤمنين وحسن مآب.

وإسناده^(٦) إلى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي، أنت المظلوم بعدي، وأنت صاحب شجرة طوبى في الجنة؛ أصلها في دارك وأغصانها في دور^(٧) شيعتك ومحبيك. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

١. الكافي ٢/ ٢٣٩، ح ٣٠.

٢. المصدر: المؤاتاة، وهو الأصح.

٣ و٤. من المصدر.

٥. عيون الأخبار، ج ١/ ٢٣٧، باب ٢٨ ح ٦٣.

٦. عيون الأخبار ١/ ٢٣٧- ٢٣٨، ح ٦٣.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: دار.

وفي كتاب الخصال^(١): عن محمد بن سالم، رفعه إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه: تعلموا تفسير أبجد.. إلى أن قال صلوات الله عليه: -وأما «حطّي» فالحاء: خطوط للخطايا عن المستغفرين في ليلة القدر وما نزل به جبرئيل مع الملائكة إلى مطلع الفجر. وأما الطاء: «فطوبى لهم وحسن مآب» وهي شجرة غرسها الله تبارك وتعالى بيده ونفخ فيها من روحه، وأن أغصانها لثرى من وراء سور الجنة، تنبت بالحلي والحلل، والثمار متدلّية على أفواههم.

عن أبي سعيد الخدري^(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: من رزقه الله حبّ الأنمة من أهل بيتي فقد أصاب خير الدنيا والآخرة، فلا يشكّن أحد أنّه في الجنة، فإنّ في حبّ أهل بيتي عشرين^(٣) خصلة: عشرة منها في الدنيا وعشرة منها في الآخرة، فأما التي في الدنيا فالزهد والحرص على العلم.. إلى أن قال ﷺ بعد تعدادها: -فطوبى لهم^(٤) [والمحبّي أهل بيتي].

وفي احتجاج^(٥) عليّ عليه السلام يوم الشورى على الناس، قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: يا عليّ، إنّ الله خصّك بأمر وأعطاكه، ليس من الأعمال شيء أحبّ إليه ولا أفضل منه عنده: الزهد في الدنيا، فليس تنال منها شيئاً ولا تناله منك، وهو زينة الأبرار عند الله ﷻ يوم القيامة، فطوبى لمن أحبّك وصدّق عليك، وويل لمن أبغضك وكذّب عليك [غيري]^(٦).

قالوا: اللهم لا.

[وفي هذا الاحتجاج^(٧) أيضاً]^(٨) قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد قال له

١. الخصال ٣٣٢/١-٣٣٢، ح ٣٠.

٣. المصدر: عشرون.

٥. الخصال ٥٥٦/٢، ح ٣١.

٧. الخصال ٥٥٨/٢، ح ٣١.

٢. الخصال ٥١٥/١، ح ١.

٤. ليس في المصدر.

٦. من المصدر.

٨. من نور الثقلين ٥٠٥/٢، ح ١٢٩.

رسول الله ﷺ [١] كما قال لي: إن طوبى شجرة في الجنة، أصلها في دار علي، ليس من مؤمن إلا في داره غصن من أغصانها. غيري؟
قالوا: اللهم لا.

عن أبي أمامة ^(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: طوبى لمن رآني ثم آمن بي، وطوبى [ثم طوبى] ^(٣)، يقولها سبع مرّات، لمن ^(٤) لم يرني وآمن بي.
وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة ^(٥)، بإسناده إلى مروان بن مسلم، عن أبي بصير قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: طوبى لمن تمسك بأمرنا في غيبة قائمنا فلم يزغ قلبه بعد الهداية.

قيل له: جعلت فداك، وما طوبى؟

قال: شجرة في الجنة في دار علي بن أبي طالب عليه السلام. وليس من مؤمن إلا وفي داره غصن من أغصانها، وذلك قول الله ﷻ: «طوبى لهم وحسن مآب».
وبإسناده ^(٦) إلى أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: طوبى لمن أدرك قائم أهل بيتي وهو يأتّم به في غيبته قبل قيامه، ويتولّى أوليائه، ويعادي أعداءه، ذلك من رفقائي وذو [ي] ^(٧) مودّتي وأكرم أمّتي عليّ يوم القيامة.
وفي تفسير العيّاشي ^(٨): عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر محمد بن علي، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: بينما رسول الله ﷺ جالس ذات يوم إذ دخلت [عليه] ^(٩) أم أيمن وفي ملحفتها ^(١٠) شيء.

فقال لها رسول الله ﷺ: يا أم أيمن، أي شيء في ملحفتك؟

١. من المصدر.

٢. الخصال ٣٤٢/٢، ح ٦.

٣. من المصدر.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: إن.

٥. كمال الدين ٣٥٨/٢، ح ٥٥.

٦. كمال الدين ٢٨٦/١، ح ٢.

٧. من المصدر.

٨. تفسير العيّاشي ٢١١/٢ - ٢١٢، ح ٤٥.

٩. من المصدر.

١٠. الملحفة: الملاءة التي تلتحف بها المرأة.

فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَانَةُ بِنْتُ فَلَانَةٍ أَمْلَكُوها^(١) فَشَرُّوا عَلَيْهَا فَأَخَذَتْ [مِنْ نَارِهَا شَيْئاً. ثُمَّ إِنَّ أُمَّ أَيْمَنَ بَكَتْ.

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا يَبْكِيكَ؟

فَقَالَتْ: فَاطِمَةُ [٢] زَوْجَتَهَا فَلَمْ يُثَرَّ عَلَيْهَا [شَيْءٌ] [٣]!

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَبْكِينَ، فَوَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا^(٤) بَشِيرًا وَنَذِيرًا، لَقَدْ شَهِدَ إِمْلَاكُ فَاطِمَةَ جِبْرِئِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فِي أُلُوفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَلَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ طُوبَى فَنَثَرَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ حُلَلِهَا وَسَنْدَسِهَا وَاسْتَبْرَقِهَا وَدَرَّهَا وَزَمَرَدَهَا وَيَاقُوتَهَا وَعُطْرَهَا، فَأَخَذُوا مِنْهُ حَتَّى مَا دَرَوْا مَا يَصْنَعُونَ بِهِ، وَلَقَدْ نَحَلَ اللَّهُ طُوبَى فِي مَهْرٍ^(٥) فَاطِمَةَ، فَهِيَ فِي دَارِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

عَنْ أَبِي حَمْزَةَ^(٦)، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ: طُوبَى هِيَ شَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ، غَرَسَهَا رَبُّنَا بِيَدِهِ.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ^(٧) ﷺ قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا لَقِيَ أَخَاهُ وَتَصَافَحَا^(٨)، لَمْ تَزَلِ الذُّنُوبُ تَحْتَاحُ^(٩) عَنْهُمَا مَا دَامَا مُتَصَافِحِينَ، كَتَحَاتِ الْوَرَقَ عَنِ الشَّجَرِ، فَإِذَا افْتَرَقَا، قَالَ مُلْكَاهُمَا: جَزَاكُمَا اللَّهُ خَيْرًا عَنْ أَنْفُسِكُمَا، فَإِنْ التَزَمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، نَادَاهُمَا مَنَادٌ: طُوبَى لَكُمَا وَحَسَنَ مَآبٍ. وَطُوبَى شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ أَصْلُهَا فِي دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ وَفِرْعَاهَا فِي مَنَازِلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. فَإِذَا افْتَرَقَا، نَادَاهُمَا مُلْكَانُ كَرِيمَانِ: أَبْشِرَا، يَا وَلِيِّيَ اللَّهِ، بِكَرَامَةِ اللَّهِ وَالْجَنَّةِ مِنْ وَرَائِكُمَا.

وَفِي كِتَابِ ثَوَابِ الْأَعْمَالِ^(١٠): عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ أَطْعَمَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْ

١. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ. وَفِي النُّسخ: مُلْكُوها.

٢. لَيْسَ فِي أ، ب، ر.

٣. مِنَ الْمَصْدَرِ.

٤. لَيْسَ فِي الْمَصْدَرِ.

٥. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ. وَفِي النُّسخ: لِمَهْرٍ.

٦. تَفْسِيرُ الْعِيَاثِيِّ ٢١٢/٢، ٤٧.

٧. تَفْسِيرُ الْعِيَاثِيِّ ٢١٢/٢ - ٢١٣، ح ٤٩.

٨. الْمَصْدَرُ: فَصَافَحَا.

٩. تَحَاتِ الْوَرَقَ عَنِ الشَّجَرِ: تَنَاسَرَتْ.

١٠. الْمَجْمَعُ ٢٩١/٣.

المؤمنين، أطعمه الله من ثلاث جنان: ملكوت [السماء] ^(١) الفردوس، وجنة عدن، وطوبى هي شجرة من جنة عدن غرسها ربنا بيده.

وفي مجمع البيان ^(٢): وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بالإسناد، عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: سئل رسول الله ﷺ عن طوبى.

[قال: شجرة أصلها في داري، وفرعها على أهل الجنة.

ثم سئل عنها مرة أخرى، فقال: [^(٣) في دار علي.

ف قيل له في ذلك، فقال: إن داري ودار علي في الجنة بمكان واحد.

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك، يعني إرسال الرسل قبلك.

﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا﴾: تقدّمها ^(٤).

﴿أَمَّمْ﴾: أرسلوا إليهم، فليس يبدع إرسالك إليها.

﴿لَتَسْلُوْا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: لتقرأ عليهم الكتاب الذي أوحينا إليك.

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾: وحالهم أنهم يكفرون بالبلغ الرحمة، الذي أحاطت

بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته، فلم يشكروا نعمته، وخصوصاً ما أنعم عليهم

بإرسالك إليهم وإنزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم.

وقيل ^(٥): نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم: اسجدوا للرحمان، فقالوا: وما

الرحمان ^(٦)؟

﴿قُلْ هُوَ رَبِّي﴾: أي الرحمان خالقي، ومتولي أمري.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا مستحق للعبادة سواه.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: في نصرتي عليكم.

٢. ثواب الأعمال / ١٦٥، ح ١.

٤. أ، ب: تقدّمها.

١. ليس في أ، ب، ر.

٣. من المصدر.

٥. أنوار التنزيل ٥٢٠/١.

٦. فالمعنى: يكفرون بإطلاق هذا الإسم عليه تعالى، أي ينكرون إطلاقه عليه.

﴿وَالَيْهِ مَنَابٍ﴾ (٣٦): مرجعي ومرجعكم، فيثبتني على مجاهدتي ومصابرتي ويعاقبكم على مخالفتي.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾: شرط حُذِفَ جوابه، والمراد منه تعظيم شأن القرآن أو المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم، أي ولو أن كتاباً زُعِزَت به الجبال عن مقارَها.

﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾: تصدعت من خشية الله عند قراءته. أو شَقَّتْ، فجعلت أنهاراً وعيوناً.

﴿أَوْ كُلَّمْ بِهِ الْمَوْتَى﴾: فتسمع وتجب عند قراءته لكان هذا القرآن، لأنه الغاية في الإعجاز، والنهاية في التذكير والإنذار، أو لَمَّا آمنوا به، كقوله: «ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة» الآية (١).

وقيل (٢): «إِنْ قَرِيشاً قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، إِنْ سَرَكَ أَنْ تَنْبَعَكَ فَسَيَرُ بِقِرَانِكَ الْجِبَالُ عَنْ مَكَّةَ حَتَّى تَتَسَّعَ لَنَا، فَتَتَّخِذَ فِيهَا بَسَاتِينَ وَقَطَائِعَ. أَوْ سَخَّرَ لَنَا بِهِ الرِّيحَ لِنَرْكَبَهَا وَنَتَجَرَّ إِلَى الشَّامِ. أَوْ ابْعَثْ لَنَا قَصِيَّ بَنِ كِلَابٍ وَغَيْرِهِ مِنْ آبَائِنَا، لِيَكَلِّمُونَا فِيكَ. فَنَزَلَتْ. وَعَلَى هَذَا فَتَقْطِيعُ الْأَرْضِ قَطْعُهَا بِالسَّيْرِ.

وقيل (٣): الجواب مقدّم، وهو قوله: «وهم يكفرون بالرحمن» وما بينهما اعتراض. وتذكير «كَلَّمْ» خاصة (٤) لاشتغال الموتى على المذكر الحقيقي.

وفي أصول الكافي (٥): محمد بن يحيى، عن أحمد بن أبي زاهر أو (٦) غيره، عن محمد بن حمّاد، عن أخيه أحمد بن حمّاد، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي الحسن الأول (عليه السلام) قال: قلت له: جعلت فداك، أخبرني عن النبي ﷺ ورث النبيين كلهم؟ قال: نعم.

١. من أنوار التنزيل ٥٢٠/١.

٢. وأنوار التنزيل ٥٢٠/١.

٤. أي تذكيره دون «قُطِعَتْ» و«سُيِّرَتْ».

٥. الكافي ٢٢٦/١، ح ٧.

٦. في النسخ: و.

قلت: من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟

قال: ما بعث الله نبياً إلا ومحمد ﷺ أعلم منه.

قال: قلت: إن عيسى ابن مريم عليهما السلام كان يحيي الموتى بإذن الله.

قال: صدقت.

وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، وكان رسول الله ﷺ يقدر على هذه

المنازل؟

قال: فقال: إن سليمان بن داود قال للهدد حين فقده وشك في أمره: «فقال مالي لا

أرى الهدد أم كان من الغائبين» حين فقده وغضب عليه، فقال: «لأعذبه عذاباً شديداً

أو لأذبحه أو ليأتينني بسلطان مبین». وإنما غضب لأنه كان يدله على الماء. فهذا وهو

طائر قد أعطي ما لم يعط سليمان، وقد كانت الريح والنمل والإنس والجن والشياطين

[و] ^(١) المردة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء، وكان الطير يعرفه، وإن

الله يقول في كتابه: «ولو أن قرأنا الآية، وقد ورثنا نحن هذا القرآن [الذي] ^(٢) فيه ما

تُسیر به الجبال، وتقطع به البلدان وتحیی به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء.

وإن في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلا أن يأذن الله به، مع ما قد يأذن الله مما كتبه

الماضون ^(٣) جعله الله لنا في أم الكتاب. إن الله يقول: «وما من غائبة في السماء والأرض

إلا في كتاب مبین». ثم قال: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» فنحن الذين

اصطفانا الله ﷻ وأورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كل شيء.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٤): قال: لو كان شيء من القرآن كذلك، لكان هذا.

﴿بَلِ اللَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعاً﴾: بل لله القدرة على كل شيء.

وهو إضراب عما تضمنته «لو» من معنى النفي ^(٥)، أي بل الله قادر على الإتيان بما

١. يوجد في المصدر مع المعقوفتين. ٢. من المصدر.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: المأمون. ٤. تفسير القمي ٣٦٥/١.

٥. قوله: «وهو إضراب عما تضمنته لو من معنى النفي» إذ يفهم منها أنه لم يوجد قرآن كذلك فكأنه قيل:

اقترحوه من الآيات، لكنَّ الإرادة لم تتعلَّق بذلك لعلمه بأنَّه لا تليّن له شكيمتهم.
 قيل^(١): ويؤيد ذلك قوله:

﴿أَفَلَمْ يَيَّاسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: عن إيمانهم مع ما رأوا من أحوالهم.

وقيل^(٢): أي أفلم يعلم. وهو لغة قوم من النخع.

وقيل^(٣): إنّما استعمل اليأس بمعنى العلم؛ لأنَّه مسبَّب عن العلم، فإنَّ الميؤوس عنه لا يكون إلّا معلوماً^(٤).

وفي مجمع البيان^(٥): قرأ عليّ وعليّ بن الحسين وجعفر بن محمّد عليهم السلام: «أفلم يتبيّن».

وقيل^(٦): تُنسب هذه القراءة إلى جماعة من الصحابة والتابعين، وهو تفسيره.

﴿أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾: معناه نفى هدى بعض الناس لعدم تعلُّق المشيئة باهتمامهم.

وهو على الأوّل متعلِّق بمحذوف؛ تقديره: أفلم ييأس الذين آمنوا عن إيمانهم علماً منهم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً [أو يـ «آمنوا»]^(٧).

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾: من الكفر وسوء الأعمال.

﴿قَارِعَةً﴾: داهية تفرعهم وتقلعهم وتهدمهم.

﴿أَوْ تَحُلْ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ﴾: فيفزعون منها، ويتطايروا إليهم شرورها.

وقيل^(٨): الآية في كفّار مكة لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله ﷺ، فإنَّه

⇒ لم يوجد قرآن شُيِّرت به الجبال، الخ «بل الله الأمر جميعاً» بمعنى الإضراب عن المقدّر المذكور، لكن لا يخفى أنَّ الملائم للإضراب أن يكون الجواب المقدّر: لَمَّا آمَنُوا، حتّى يكون المعنى: ولو وُجد قرآن بالوصف المذكور لَمَّا آمَنُوا، أي ليس القرآن المذكور موجِباً لإيمانهم «بل الله الأمر جميعاً» فإيمانهم منوط بإرادته.

١-٣. أنوار التنزيل ٥٢٠/١.

٤. لأنَّ اليأس عن حصول الشيء لا يكون إلّا بعد العلم به، لأنَّ اليأس عنه هو اعتقاد عدم حصوله.

٥. المجمع ٢٩٢/٣. ٦. أنوار التنزيل ٥٢٠/١.

٧. من أنوار التنزيل ٥٢٠/١. ٨. أنوار التنزيل ٥٢١/١.

كان ﷺ لا يزال يبعث السرايا عليهم فتغير^(١) حوالهم وتختطف مواشيهم. وعلى هذا يجوز أن يكون تحلّ خطاباً للرسول ﷺ، فإنه حلّ بجيشه قريباً من دارهم عام الحديبية.

﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾: القيامة. أو الموت. أو فتح مكة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(٢): لا متناع الكذب في كلامه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة» وهي النقرة. «أو تحلّ قريباً من دارهم» فتحلّ بقوم غيرهم فيرون ذلك ويسمعون به، والذين حلّت بهم عصاة كفار مثلهم ولا يتعظ بعضهم ببعض، ولن يزالوا كذلك «حتى يأتي وعد الله» الذي وعد المؤمنين من النصر ويخزي الله الكافرين.

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾: تسليّة

للرسول ﷺ ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه.

و«الإملاء» أن يُترك ملاوة^(٤) من الزمان في دعة وأمن.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): أي طوّلت لهم الأمل، ثم أهلكتهم.

﴿فَكَفَّكَ كَانَ عِقَابِ﴾^(٦): أي عقابي إياهم.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ﴾: رقيب عليها، حافظ

﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: من خير أو شرّ، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، ولا يفوت عنده شيء من جزائهم.

والخبر محذوف، تقديره: كمن ليس كذلك. أو لم يوحّدوه.

وفي أصول الكافي^(٧): علي بن محمّد، مرسلًا عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: اعلم

١. أغار عليهم: دفع عليهم الخيل وأوقع بهم. ٢. تفسير القمي ٣٦٥/١-٣٦٦.

٣. قال في الصحاح: أقمت بهذه ملاوة وملاءة، أي حيناً وبرهة.

٤. الكافي ١٢٠/١-١٢٢، ح ٢. ٥. تفسير القمي ٣٦٧.

عَلَّمَكَ اللهُ الْخَيْرِ، أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدِيمٌ. -إِلَى أَنْ قَالَ: -وَهُوَ قَائِمٌ، لَيْسَ عَلَى مَعْنَى انْتِصَابٍ وَقِيَامٍ عَلَى سَاقٍ فِي كَيْدٍ^(١) كَمَا قَامَتِ الْأَشْيَاءُ، وَلَكِنْ قَائِمٌ يَخْبِرُ أَنَّهَ حَافِظٌ، كَقَوْلِ الرَّجُلِ: الْقَائِمُ بِأَمْرِ [نَا] ^(٢)فُلَانٍ. وَاللهُ هُوَ الْقَائِمُ «عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ». وَالْقَائِمُ أَيْضاً فِي كَلَامِ النَّاسِ: الْبَاقِي، وَالْقَائِمُ أَيْضاً يَخْبِرُ [عَنْ] ^(٣)الْكَفَايَةِ، كَقَوْلِكَ لِلرَّجُلِ: قُمْ بِأَمْرِ [بَنِي] ^(٤)فُلَانٍ، أَيْ أَكْفِهِمْ. وَالْقَائِمُ مَتَا قَائِمٌ عَلَى سَاقٍ، فَقَدْ جَمَعْنَا الْأَسْمَاءَ وَلَمْ يَجْتَمِعِ الْمَعْنَى.

وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ ^(٥): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ [مُحَمَّدَ بْنِ] ^(٦)الدَّقَاقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْكَلِينِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفُ بِعَلَّانٍ ^(٧)، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ عَيْسَى، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ خَالِدٍ ^(٨)، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: اعْلَمْ، عَلَّمَكَ اللهُ الْخَيْرِ. وَذَكَرَ نَحْوَهُ.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾: اسْتِنَافٌ. أَوْ عَطْفٌ ^(٩)عَلَى «كَسَبَتْ» إِنْ جُعِلَتْ «مَا» مُصَدَّرِيَّةً، أَوْ «لَمْ يَوْخِدُوهُ» الْمَقْدَرُ [وَجَعَلُوا] عَطْفٌ عَلَيْهِ ^(١٠)، وَيَكُونُ الظَّاهِرُ فِيهِ مَوْضِعُ الْمَضْمَرِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ، وَقَوْلُهُ: «قُلْ سَمَوْهُمْ» تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ الشُّرَكَاءَ لَا يَسْتَحَقُّونَهَا. وَالْمَعْنَى صَفَوْهُمْ فَانْظُرُوا، هَلْ لَهُمْ مَا يَسْتَحَقُّونَ بِهِ الْعِبَادَةَ وَيَسْتَأْهِلُونَ الشَّرِكَةَ؟

-
١. الكبد: المَشَقَّةُ وَالْعَنَاءُ.
 - ٢-٥. من المصدر.
 ٥. العيون ١/١٢٠، ح ٥٠.
 ٦. من المصدر.
 ٧. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ. وَفِي النسخ: بِقَلَانٍ.
 ٨. كَذَا فِي الْمَصْدَرِ وَجَامِعِ الرَّوَاةِ ٢٣٨/١. وَفِي النسخ: الْحَسَنُ بْنُ خَالِدٍ.
 ٩. قِيلَ: الْاسْتِنَافُ لَا يَكُونُ بِالْوَاوِ، فَكَيْفَ جُعِلَ «وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ» اسْتِنَافاً؟ قُلْنَا: الْاسْتِنَافُ عَلَى تَوْعِينٍ: أَحَدُهُمَا الْمَعْتَبَرُ عِنْدَ النَّحَاةِ مَا يَكُونُ مَسْبُوقاً بِوَاوِ الْاسْتِنَافِ بِأَنْ يَكُونَ كَلَاماً مُسْتَقِلاً.
 ١٠. من المصدر. يَعْنِي الْعَطْفُ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ «جَعَلُوا» عَطْفاً عَلَى «كَسَبَتْ» بِأَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْكَسْبِ، وَجُعِلَ بِمَعْنَى الْجَعْلِ، عَطْفُ الْمَصْدَرِ عَلَى الْمَصْدَرِ حَقِيقَةً، أَوْ يَكُونُ هَاهُنَا جُمْلَةً مُقَدَّرَةً وَهِيَ «لَمْ يَوْخِدُوهُ» وَيَكُونُ «جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ» لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ الْأُلُوهِيَّةَ مُوجِبٌ لاسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ، وَأَيْضاً لِلنَّدَاءِ عَلَى فُسَادِ مَا لَهُمْ بِأَنَّهُمْ جَعَلُوا الْجَمَادَ شُرَكَاءَ لِلذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ الْجَامِعِ لِجَمِيعِ الْكَمَالَاتِ.

﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ﴾: بل أتنبئونه.

وقرئ^(١): «تنبئونه» بالتخفيف.

﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾: شركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم. أو بصفات لهم يستحقونها لأجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء، فإذا لم يعلمهم لم يكونوا شيئاً يتعلّق به العلم، والمراد: نفي أن يكونوا له شركاء.

﴿أَمْ يَظَاهِرُ مِنْ الْقَوْلِ﴾: أم تسمّونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى، كتسمية الزنجي كافوراً.

وهذا احتجاج بليغ على أسلوب عجيب ينادي على نفسه بالإعجاز^(٢).

﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾: تمويههم، فتخيّلوا أباطيل ثمّ خالوها حقاً. أو كيدهم للإسلام بشركهم.

﴿وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾: سبيل الحق.

وقرأ^(٣) ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر «وَصَدُّوا» بالفتح، أي وصدّوا الناس عن الإيمان.

وقرئ^(٤) بالكسر، و«صدّ» بالتنوين.

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾: يخذله.

﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾: يوفّقه للهدى. ﴿٣٧﴾

١. أنوار التنزيل ٥٢١/١.

٢. قوله: «وهذا احتجاج بليغ» الخ، فقوله تعالى: «أفمن هو قائم على كلّ نفس بما كسبت» حجة على نفي الشريك، لأنّه ليس كذلك. وقوله تعالى: «قل سمّوهم» احتجاج آخر، إذ يدلّ على أن ليس للشركاء صفة يستحقّون بها العبادة والتسمية بالإله. وقوله تعالى: «أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ» حجة ثالثة على نفي الشرك، لأنّه ليس كذلك، إذ لو كان لعلمه الله لأنّ علمه محيط بالأشياء. وقوله تعالى: «أَمْ يَظَاهِرُ مِنْ الْقَوْلِ» حجة رابعة، إذ معناه: أنّ أخذهم الشركاء ليس ممّاله حقيقة، بل مجرّد أمر ظاهر خالٍ عن المعنى. وإبراده هذه الحجج بهذه العبارات الوجيزة من أعجب الأساليب.

٣ و٤. أنوار التنزيل ٥٢١/١.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: بالقتل والأسر، وسائر ما يصيبهم من المصيبات.
 ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾: لشدته ودوامه.
 ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾: من عذابه. أو من رحمته.
 ﴿مِنْ وَاقٍ﴾ (٣٦): حافظ.
 ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾: صفتها التي هي مثل في الغرابة.
 وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه، أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة.
 وقيل (١): خبره ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: [على طريقة قولك: صفة زيد أسمر (٢)،
 أو على حذف موصوف، أي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار] (٣) أو على زيادة
 المثل. وهو على قول سيبويه حال (٤) من العائد المحذوف، أو من الصلة.
 ﴿أَكُلُهَا دَائِمٌ﴾: لا ينقطع ثمرها.
 ﴿وَوَظِلُّهَا﴾: أي وظلها كذلك لا ينسخ، كما يُنسخ في الدنيا بالشمس.
 ﴿تِلْكَ﴾: أي الجنة الموصوفة.
 ﴿عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: مآلهم ومنتهى أمرهم.
 ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (٣٧): لا غير. وفي ترتيب النظمين (٥) إطماع للمتقين،
 وإقناط للكافرين.

١. أنوار التنزيل ٥٢١/١.

٢. فإن المراد منه: أن صفته هو الأسمر بعينه، لأن الأسمر صادق عليها، كما يقال: إن زيداً أسمر. والمراد:
 أن حال الجنة هو بعينه مفهوم تجري من تحتها الأنهار، لأن «تجري من تحتها الأنهار» صادق على حال
 الجنة.
 ٣. ليس في ب.

٤. قوله: «وهو على قول سيبويه حال» الخ، إذا كان «مثل الجنة» مبتدأ خبره محذوف، ويكون «تجري من
 تحتها الأنهار» حالاً من الضمير المحذوف العائد إلى الموصول، أي مثل الجنة التي وعد بها المتقون حال
 كونها تجري من تحتها الأنهار. والأولى أن يقال: إن الجملة استئناف، فكأن سائلاً قال: ما حال تلك
 الجنة؟ فأجيب: تجري من تحتها الأنهار.

٥. أي في ذكر «تلك عقبي الذين اتقوا وعقبى الكافرون النار» بعد قوله تعالى: «مثل الجنة» الإطماع والإقناط
 المذكوران إذ يفهم من «تلك عقبي الذين اتقوا» مع المقابل الآخر أن الجنة للذين اتقوا والكافرين، وأن
 النار عقبي لهم دون الذين اتقوا.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): أي عاقبة ثوابهم النار.

قال أبو عبدالله عليه السلام: إن ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم، وقد أطفئت سبعون مرة بالماء ثم التهمت، ولولا ذلك ما استطاع [آدمي]^(٢) أن يطفئها، وأنها ليؤتى بها يوم القيامة حتى توضع على النار، فتصرخ صرخة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا^(٣) على ركبتيه فزعاً من صرختها.

«وَالَّذِينَ آمَنَّا هُمْ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ»: قيل^(٤): يعني المسلمين من أهل الكتاب كابن سلام وأصحابه ومن آمن من النصارى، وهم ثمانون رجلاً: أربعون بنجران، وثمانية باليمن، واثنان وثلاثون بالحبشة. أو عامتهم، فإنهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): وفي رواية أبي الجارود، [عن أبي جعفر عليه السلام]^(٦): أي يفرحون^(٧) بكتاب الله إذا يتلى عليهم، وإذا تلوه تفيض أعينهم دمعاً من الفرح والحزن، وهو علي بن أبي طالب.

«وَمِنَ الْأَحْزَابِ»: يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ بالعداوة، ككعب بن الأشرف وأصحابه، والسيد والعاقب وأشياعهما.

«مَنْ يُنْكِرْ بَعْضَهُ»: وهو ما يخالف شرائعهم. أو ما يوافق ما حرّفه منها.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٨): وفي قراءة ابن مسعود: «وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ هُوَ الْحَقُّ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِهِ» أي علي بن أبي طالب يؤمن به «وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يَنْكُرُ بَعْضَهُ» أنكروا^(٩) من تأويله ما أنزله في علي وآل محمد وآمنوا ببعضه، فأما المشركون فأنكروه كله أولاً وآخره وأنكروا أن محمداً رسول الله.

١. تفسير القمي ٣٦٦/١. ٢. من المصدر.

٣. جثا الرجل: جلس على ركبتيه. ٤. أنوار التنزيل ٥٢٢/١.

٥. تفسير القمي ٣٦٦/١. ٦. ليس من المصدر.

٧. المصدر: فرحوا. ٨. تفسير القمي ٣٦٦/١.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: أنكر.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾: جواب للمنكرين، أي قل لهم: إنني أُمِرْتُ فيما أنزل إليّ بأن أعبد الله وأوحدّه، وهو العمدة في الدين، ولا سبيل لكم إلى إنكاره. ﴿وَالَيْهِ أَدْعُو﴾: لا إلى غيره.

وقيل ^(١): يعني هذا هو القدر المتفق عليه بين الأنبياء، وأمّا ما عدا ذلك من التفاريح فمما يختلف بالأعصار والأمم، فلا معنى لإنكاركم المخالفة فيه.

﴿وَالَيْهِ مَابِ﴾ ^(٢): وإليه مرجعي لا إلى غيره.

وقرئ ^(٣): «لا أشرك» بالرفع على الاستئناف.

﴿وَكَذَلِكَ﴾: ومثل هذا الإنزال المشتمل على أصول الديانات المجمع عليها.

﴿أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا﴾: يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة.

﴿عَرَبِيًّا﴾: مترجماً بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه. وانتصابه على الحال ^(٤).

﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾: التي يدعونك إليها، كتقرير دينهم، والصلاة إلى قبلتهم

بعد ما حوّلت عنها.

﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾: بنسخ ذلك.

﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾: ينصرك.

﴿وَلَا وَاقٍ﴾ ^(٥): يمنع العقاب عنك. وهو حسم لأطعامهم، وتهيج للمؤمنين على

الثبات في دينهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾: بشراً مثلك.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾: نساء وأولاداً، كما هي لك.

وفي روضة الكافي ^(٦): سهل، عن الحسن بن علي، عن عبدالله بن الوليد الكندي،

١. أنوار التنزيل ٥٢٢/١.

٢. أنوار التنزيل ٥٢٢/١.

٣. قوله: «وانتصابه على الحال» يدل على أن «عربياً» حال، لكن «حكماً» حال و«عربياً» صفته، وقد صرح صاحب الكشف بأن «حكماً عربياً» حال، في كلام المصنف إشارة إلى أن الحال في الحقيقة هو «عربياً» كما صرحوا في قوله تعالى: «قرآناً عربياً». ٤. الكافي ٨١/١، ح ٣٨.

عن أبي عبد الله عليه السلام: قال الله ﷻ في كتابه: «ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية» فنحن ذرية رسول الله ﷺ. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير العياشي^(١): عن معاوية بن وهب، عن الصادق عليه السلام: فما كان رسول الله ﷺ إلا كأحد أولئك، جعل الله له أزواجاً وجعل له ذرية، ثم لم يسلم مع أحد من الأنبياء مثل من أسلم رسول الله ﷺ من أهل بيته، أكرم الله بذلك رسول الله ﷺ. عن بشير الدهان^(٢)، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: ما أتى الله أحداً من المرسلين شيئاً إلا وقد آتاه محمداً ﷺ، وقد آتاه الله كما أتى المرسلين من قبله. ثم تلا هذه الآية. «ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية».

عن علي بن عمر^(٣) بن أبان الكلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام [قال^(٤)]: أشهد على أبي أنه كان يقول: ما بين أحدكم وبين أن يغتبط^(٥) ويرى ما تقر به عينه إلا أن تبلغ نفسه هذه. وأهوى إلى حلقة، قال الله في كتابه: «ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية» فنحن ذرية رسول الله ﷺ.

[عن المفضل بن صالح^(٦)، عن جعفر بن محمد عليه السلام: قال: قال رسول الله ﷺ: (٧)
خلق الله الخلق قسمين، فألقى قسماً وأملك قسماً، ثم قسم ذلك القسم على ثلاثة أثلاث فألقى ثلثين وأمسك ثلثاً، ثم اختار من ذلك الثلث قريشاً، ثم اختار من قريش بني عبد المطلب، ثم اختار من بني عبد المطلب رسول الله ﷺ فنحن ذريته. فإن قلت الناس: لرسول الله ﷺ ذرية، جحدوا، ولقد قال الله: «ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية» فنحن ذريته.

٢. تفسير العياشي ٢/٢١٤، ح ٥٢.

٤. من المصدر.

٦. تفسير العياشي ٢/٢١٤، ح ٥٤.

١. تفسير العياشي ٢/٢١٤، ح ٥١.

٣. تفسير العياشي ٢/٢١٤، ح ٥٣.

٥. المصدر: يغبط.

٧. من المصدر.

قال: فقلت: أنا أشهد أنكم ذرّيته.

ثم قلت له: ادع الله لي، جعلت فداك، أن يجعلني معك في الدنيا والآخرة. فدعالي بذلك.

قال: فقَبِلْتُ باطن يده.

وفي رواية شعيب^(١)، عنه عليه السلام أنه قال: نحن ذرية رسول الله ﷺ. ما أدري على ما يعادوننا إلا لقربتنا من رسول الله ﷺ.

وفي محاسن البرقي^(٢): عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في آخر كلام له: «ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية» فجعل لرسول الله ﷺ من الأزواج والذرية مثل ما جعل للرسل من قبله، فنحن عقب رسول الله ﷺ وذريته، أجرى الله لآخرنا مثل ما أجرى لأولنا.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٣): وروى الشيخ أبو جعفر، محمد الطوسي رحمتهما الله، عن محمد بن محمد قال: أخبرني أبو الحسن [أحمد بن محمد بن الحسن] ^(٤) بن الوليد رحمتهما الله، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني محمد بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن [أبي] ^(٥) حمزة، عن عبد الله بن الوليد قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في زمن بني مروان. فقال: ممّن أنتم؟ قلنا: من أهل الكوفة.

قال: ما من البلدان أكثر محبّاً لنا من أهل الكوفة، لا سيّما هذه العصابة، إنّ الله هداكم لأمر^(٦) من^(٧) جهله الناس فأحببتمونا وأبغضنا الناس، وتابعتونا وخالفنا الناس، وصدّقتمونا وكذّبنا الناس، فأحياكم الله محياناً وأماتكم مماتنا، وأشهد على أبي أنه كان يقول: ما بين أحدكم وبين ما تقرّ عينه أو يغتبط إلا أن تبلغ به نفسه هكذا. وأهوى بيده

٢. المحاسن / ١٤١، ح ٣٢.

٤ و ٥. من المصدر.

٧. ليس من المصدر.

١. تفسير العيّاشي ٢/ ٢١٤، ح ٥٥.

٣. تأويل الآيات ٢٣٨/١، ح ١٨.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: إلى.

إلى خلقه، وقد قال ﷺ في كتابه: «ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية» فنحن ذرية رسول الله ﷺ.

وفي الجوامع^(١): كانوا يعيرون رسول الله ﷺ بكثرة تزوج^(٢) النساء، ف قيل: إن الرسل قبله كانوا مثله ذوي أزواج وذرية.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾: وما صح له، ولم يكن في وسعه.

﴿أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾: تفتّرح عليه، وحكم يلتمس منه.

﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: فإنه الملبى بذلك والقادر عليه.

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾^(٣): لكل وقت وأمد حكم يُكتب على العباد على ما يقتضيه

استصلاحهم.

﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾: ينسخ ما يستصوب نسخه.

﴿وَيُثَبِّتُ﴾: ما تقتضيه حكمته.

وقيل^(٤): يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها.

وقيل^(٥): يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتاً، أو يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه.

وقيل^(٦): يمحو قرناً ويثبت آخرين.

وقيل^(٧): يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات.

والآية بعمومها أو إطلاقها تشتمل المعاني كلها.

وقرأ^(٨) ابن عامر وحمزة والكسائي: «ويُثَبِّت» بالتشديد.

﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٩): أصل الكتب، وهو اللوح المحفوظ عن المحو والإثبات،

إذ ما من كائن إلا وهو مكتوب فيه، ففيه إثبات المثبت وإثبات المحو ومحوه وإثبات بدله.

٢. المصدر: تزويج.

١. الجوامع / ٢٣٠.

٣-٧. أنوار التنزيل ٥٢٢/١.

وفي أصول الكافي^(١): علي بن محمد ومحمد بن الحسن، عن سهل بن زياد [ومحمد بن يحيى]^(٢)، عن أحمد بن محمد بن عيسى، جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: يا ثابت، إن الله تبارك وتعالى قد كان وقت هذا الأمر في السبعين، فلما أن قُتل الحسين عليه السلام اشتد غضب الله على أهل الأرض فأخبره إلى أربعين ومائة، فحدثناكم فأذعتم الحديث فكشفتم^(٣) قناع الستر^(٤) ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً عندنا «ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب».

قال أبو حمزة: فحدثت بذلك أبا عبد الله عليه السلام.

فقال: قد كان كذلك.

علي بن إبراهيم^(٥)، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم وحفص بن البختري وغيرهما، عن أبي عبد الله عليه السلام قال في هذه الآية: «يمحو الله ما يشاء ويثبت» قال: فقال: وهل يمحو إلا ما كان ثابتاً، وهل يثبت إلا ما لم يكن؟

وفي روضة الكافي^(٦): عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن خلف بن حماد، عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله ﷻ عرض على آدم ذرئته عرض العين في صور الذر، نبياً فنبياً، ملكاً فملكاً، مؤمناً فمؤمناً، كافراً فكافراً.

فلما انتهى إلى داود عليه السلام قال: من هذا الذي تبنته^(٧) وكرمته وقصرت عمره؟ قال: فأوحى الله ﷻ إليه: هذا ابنك داود، عمره أربعون سنة، فأني قد كتبت الآجال وقسمت الأرزاق، وأنا أمحو ما أشاء وأثبت وعندي أم الكتاب، فإن جعلت له شيئاً من عمرك أثبتته^(٨) له.

١. الكافي ٣٦٨/١، ح ١.

٢. من المصدر.

٣. كذا في المصدر. وفي النسخ: فتكشفتم.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: السر.

٥. الكافي ١٤٦/٢، ح ٢.

٦. الكافي ٣٧٨/١، ح ١.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: مكتته.

٨. المصدر: الحق.

قال: يا رب، قد جعلت له من عمري ستين سنة تمام المائة.

قال: فقال الله ﷻ لجبرئيل وميكائيل وملك الموت: اكتبوا عليه كتاباً، فإنه سينسى. فكتبوا عليه كتاباً، فحتموه بأجنحتهم من طينة عليين. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير العياشي^(١): عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر ﷺ قال: إن الله ﷻ عرض على آدم أسماء الأنبياء وأعمارهم.

قال: فمرّ آدم باسم داود النبي ﷺ وإذا عمره أربعون^(٢) سنة.

فقال: يا رب، ما أقلّ عمر داود وأكثر عمري! إن زدت داود من عمري ثلاثين سنة أينفد ذلك له؟

قال: نعم يا آدم.

قال: فأبني قد زدته من عمري ثلاثين سنة، فأنفذ ذلك له وأثبتها له عندك، واطرحها من عمري.

قال: فأثبت الله لداود من عمره ثلاثين سنة ولم يكن عند الله مثبتة، ومحا من عمر آدم ثلاثين سنة وكانت له عند الله مثبتة.

فقال أبو جعفر ﷺ: فذلك قول [الله] ^(٣): «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب».

قال: فمحا^(٤) الله ما كان عنده مثبتاً لآدم، وأثبت لداود ما لم يكن عنده مثبتاً.

قال: فلما دنا عمر آدم، هبط عليه ملك الموت ﷻ ليقبض روحه. فقال له آدم ﷺ: يا ملك الموت، قد بقي من عمري ثلاثون^(٥) سنة.

فقال له ملك الموت: ألم تجعلها لابنك داود النبي ﷺ وطرحتها^(٦) من عمرك

١. تفسير العياشي ٢١٨، ح ٧٣.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: أربعين.

٣. من المصدر.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: يمحو.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: ثلاثين.

٦. المصدر: واطرحتها.

حيث عرض [الله] ^(١) عليك أسماء الأنبياء من ذُرِّيَّتِكَ وعرض أعمارهم، وأنت يومئذ بوادي دحنا ^(٢)؟

فقال آدم: يا ملك الموت، ما أذكر هذا.

فقال له ملك الموت: يا آدم، لا تجهل، ألم تسأل الله أن يثبتها لداود ويمحوها من عمرك، فأثبتها لداود في الزبور ومحاها من عمرك من الذكر؟
قال: فقال آدم: فأحضر الكتاب حتّى أعلم ذلك.

قال أبو جعفر عليه السلام: فمن ذلك اليوم أمر الله العباد أن يكتبوا بينهم إذا تداينوا وتعاملوا إلى أجل مسمّى، لنسيان آدم وجحده ما جعل على نفسه.
عن عمّار بن موسى ^(٣)، عن أبي عبد الله عليه السلام [سئل] ^(٤) عن قول الله: «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب».

قال: إنّ ذلك الكتاب كتاب يمحو الله فيه ما يشاء ويثبت، فمن ذلك الذي يردّ الدعاء القضاء، وذلك الدعاء مكتوب عليه: الذي يردّ به القضاء، حتّى إذا صار إلى أمّ الكتاب لم يغنّ الدعاء فيه شيئاً.

عن زرارة وحرمان ومحمّد بن مسلم ^(٥)، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام عن قوله: «يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم».

قال: كتبها لهم ثمّ محاها.

عن مسعدة بن صدقة ^(٦)، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سئل عن قول الله تعالى: «ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم».

١. من المصدر.

٢. المصدر: بوادي الروحا. ودحنا: واد بين الطائف ومكّة. قال: ياقوت: «دحنا» بفتح أوّله وسكون ثانيه ونون وألف، يروى فيها القصر والمدّ: وهي أرض خلق الله تعالى منها آدم.

٤. من المصدر.

٣. تفسير العيّاشي ٢/٢٢٠، ح ٧٤.

٦. نفس المصدر والموضع، ح ٧٢.

٥. تفسير العيّاشي ١/٣٠٤، ح ٦٩.

قال: كتبها لهم ثم محاهها، ثم كتبها لأبنائهم فدخلوها، والله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب.

عن زرارة^(١)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: لولا آية في كتاب الله لحدثتكم بما يكون إلى يوم القيامة. فقلت له: آية^(٢) آية؟

قال: قول الله: «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب».

عن جميل بن دراج^(٣)، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» قال: هل يثبت إلا ما لم يكن، و[هل] ^(٤)يمحو إلا ما كان مثبتاً^(٥).
عن حمران^(٦) قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب».

فقال: يا حمران إنه إذا كان ليلة القدر ونزل الملائكة الكتبة إلى السماء الدنيا فيكتبون ما يقضي في تلك السنة من أمر، فإذا أراد الله أن يقدم شيئاً أو يؤخر أو ينقص منه أو يزيد، أمر الملك فمحا ما شاء ثم أثبت الذي أراد.

قال: فقلت له عند ذلك: فكل شيء يكون وهو عند الله في كتاب؟ قال: نعم.

قلت: فيكون كذا وكذا حتى ينتهي إلى آخره؟ قال: نعم.

قلت: فأَيُّ شيء يكون [بيده] ^(٧)بعده^(٨)؟

قال: سبحانه الله! ثم يحدث الله أيضاً ما شاء تبارك وتعالى.

١. تفسير العياشي ٢/٢١٥، ح ٥٩.

٣. تفسير العياشي ٢/٢١٥، ح ٦٠.

٥. ليس من المصدر.

٧. من المصدر.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: أي.

٤. من المصدر.

٦. نفس المصدر والمجلد ٢١٦/، ح ٦٢.

٨. المصدر: [بعده].

عن أبي حمزة الثمالي^(١) قال: قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام: يا أبا حمزة، إن حدثناك [بأمر أنه يجيء من هاهنا [فجاء من هاهنا]^(٢) فإن الله يصنع ما يشاء، وإن حدثناك^(٣) اليوم بحديث وحدثناك غداً بخلافه فإن الله يمحو ما يشاء ويثبت.

عن إبراهيم بن أبي يحيى^(٤)، عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: ما من مولود يولد إلا وإبليس من الأبالسة بحضرته، فإن علم الله أنه [من شيعتنا حجه عن ذلك الشيطان]^(٥) وإن لم يكن^(٦) من شيعتنا أثبت الشيطان إصبغه السبابة في دبره فكان مأبوناً^(٧)، وذلك أن الذكر يخرج للوجه، وإن كانت امرأة أثبت في فرجها فكانت فاجرة، فعند ذلك يبكي الصبي بكاء شديداً إذا هو خرج من بطن أمه، والله بعد ذلك يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب.

عن أبي الجارود^(٨)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله إذا أراد فناء قوم أمر الفلك فأسرع الدور بهم فكان ما يريد من النقصان، وإذا أراد بقاء قوم أمر الفلك فأبطأ الدور بهم فكان ما يريد من الزيادة، فلا تنكروا، فإن الله يمحو ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب.

عن ابن سنان^(٩)، عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: إن الله يقدم ما يشاء، ويؤخر ما يشاء، ويمحو ما يشاء، ويثبت ما يشاء، وعنده أم الكتاب.

وقال: لكل أمر^(١٠) يريد الله فهو في علمه قبل أن يصنعه^(١١)، وليس شيء يبدو له إلا وقد كان في علمه، إن الله لا يبدو له من جهل.

وفي قرب الإسناد^(١٢) للحميري: أحمد بن محمد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال أبو عبد الله وأبو جعفر وعلي بن الحسين

١. تفسير العياشي ٢١٧-٢١٦، ح ٦٦.

٢. من المصدر.

٣. ليس في ب.

٤. تفسير العياشي ٢١٨/٢، ح ٧٢.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: ليس.

٦. من المصدر.

٧. تفسير العياشي ٢١٨/٢، ح ٧٠.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: وكان مأبوناً.

٩. كذا في المصدر. وفي النسخ: لأمر.

١٠. نفس المصدر والموضع، ح ٧١.

١١. كذا في المصدر. وفي النسخ: يضعه.

١٢. قرب الإسناد ١٥٥.

والحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام : والله ، لولا آية في كتاب الله لحدّثناكم بما يكون إلى أن تقوم الساعة «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» .

وفي الخرائج والجرائح ^(١) : روي عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن عمرو بن الحمق قال : دخلت على علي عليه السلام حين ضرب الضربة بالكوفة ، فقلت : ليس عليك بأس ، إنّما هو خدش .

قال : لعمرى ، إنّني مفارقتكم .

ثم قال : إلى السبعين بلاء ، قالها ثلاثاً .

قلت : فهل بعد البلاء رخاء ؟ فلم يجبني وأغمي عليه ، فبكت أم كلثوم .

فلما أفاق قال : لا تؤذيّني يا أم كلثوم ، فإنّك لن ترى ما أرى ، إنّ الملائكة من السماوات السبع بعضهم خلف بعض والنبیین يقولون : يا عليّ انطلق ، إنّما أمامك خير لك ممّا أنت فيه .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّك قلت : «إلى السبعين بلاء» فهل بعد السبعين رخاء ؟

قال : نعم ، وإنّ بعد البلاء رخاء «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» .

قال أبو حمزة ^(٢) : قلت لأبي جعفر عليه السلام : إنّ عليّاً عليه السلام قال : إلى السبعين بلاء ، وقال :

بعد السبعين رخاء ، وقد مضت السبعون ولم نر رخاء !

فقال أبو جعفر عليه السلام : إنّ الله قد كان وقت هذا الأمر في السبعين ، فلما قُتِل

الحسين عليه السلام غضب الله على أهل الأرض فأخّره إلى الأربعين ومائة سنة ، فحدّثناكم

فأدعتم الحديث وكشفتم القناع فأخّره الله ولا يجعل له بعد ذلك وقتاً ، والله يمحو ما

يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب .

قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : وكان ذلك ؟

فقال : قد كان ذلك .

وفي كتاب علل الشرائع^(١)، بإسناده إلى سماعة، أنه سمعه عليه السلام يقول: ما رد الله العذاب عن قوم قد أظلمهم إلا قوم يونس.

فقلت: أكان قد أظلمهم؟

فقال: نعم، حتى نالوه بأكفهم.

قلت: فكيف كان ذلك؟

قال: كان ذلك في العلم المثبت عند الله ﷻ الذي لم يُطْلَع عليه أحداً أنه سيصرفه عنهم.

وفي كتاب الخصال^(٢): عن علي عليه السلام حديث طويل، وفيه يقول عليه السلام: وبنا يمحو الله ما يشاء وبنا يثبت.

وفي كتاب التوحيد^(٣)، بإسناده إلى الأصمغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، يقول فيه: ولولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية: «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب».

وبإسناده^(٤) إلى إسحاق بن عمار، عمن سمعه، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في قول الله ﷻ: «وقالت اليهود يد الله مغلولة» لم يعنوا أنه هكذا، ولكنهم قالوا: قد فرغ من الأمر فلا يزيد ولا ينقص. وقال الله جلّ جلاله تكذيباً لقولهم: «عُلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء» ألم تسمع الله ﷻ يقول: «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب».

وفي عيون الأخبار^(٥)، في باب مجلس الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي، قال الرضا عليه السلام بعد كلام طويل لسليمان: ومن أين قلت ذلك، وما الدليل على أن إرادته علمه، وقد يعلم ما لا يريد أبدأ وذلك قوله تعالى: «ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا».

٢. نور الثقلين ٥١٤/٢، ح ١٧٠.

٤. التوحيد ١٦٧، ح ١.

١. العلل ٧٧/١، ح ٢.

٣. التوحيد ٣٠٥-٣٠٤، ح ١.

٥. العيون ١٥١/١، ح ١.

إليك» فهو يعلم كيف يذهب به ولا يذهب به أبداً؟

قال سليمان: لأنه قد فرغ من الأمر، فليس يزيد فيه شيئاً.

قال الرضا عليه السلام: هذا قول اليهود، فكيف قال: «ادعوني أستجب لكم»؟

قال سليمان: إنما عنى بذلك أنه قادر عليه.

قال: أفيعد بما لا يفي به، فكيف قال: «يزيد في الخلق ما يشاء» وقال ﷺ: «يمحو الله

ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» وقد فرغ من الأمر؟ فلم يحر^(١) جواباً.

وفي هذا المجلس^(٢) أيضاً قال الرضا عليه السلام: إن من الأمور أموراً موقوفة عند الله تعالى

يقدم منها ما يشاء ويؤخر ما يشاء [ويمحو ما يشاء]^(٣)، يا سليمان، إن علياً عليه السلام كان

يقول: العلم علمان: فعلم علمه الله ملائكته ورسله [فما علمه ملائكته ورسله]^(٤) فإنه

يكون ولا يكذب نفسه ولا ملائكته ورسله. وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحداً من

خلقه، يقدم منه ما يشاء، ويؤخر منه ما يشاء، [ويمحو ما يشاء، ويثبت ما يشاء]^(٥).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): حدثني أبي، عن النضر بن سويد، عن يحيى

الحلي، عن عبدالله بن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا كان ليلة القدر نزلت

الملائكة والروح والكتب إلى سماء الدنيا فكتبوا^(٧) ما يكون من قضاء الله تبارك وتعالى

في تلك السنة^(٨)، فإذا أراد الله أن يقدم شيئاً أو يؤخره أو ينقص شيئاً [أو يزيده]^(٩) أمر

الملك^(١٠) أن يمحو ما يشاء، ثم أثبت الذي أراد.

قلت: [وكل شيء]^(١١) هو عند الله مثبت في كتاب؟

قال: نعم.

١. لم يحر جواباً، أي لم يرّد.

٢. العيون ١٤٦/١، ح ١.

٣ و ٤. من المصدر.

٥. ليس في المصدر.

٦. تفسير القمي ٣٦٦/١-٣٦٧.

٧. المصدر: فيكتبون.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: الليلة.

٩. من المصدر.

١٠. المصدر: الله.

١١. ليس في أ، ب.

قلت: فأَيُّ شيء يكون بعده؟

قال: سبحانه الله! ثم يحدث الله أيضاً ما يشاء تبارك وتعالى.

وفي أصول الكافي^(١): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحجاج، عن أبي إسحاق ثعلبة، عن زرارة بن أعين، عن أحدهما عليه السلام قال: ما عبد الله بشيء مثل البدء.

وفي رواية^(٢) ابن أبي عمير، عن هشام [بن سالم]^(٣)، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما بعث الله نبياً حتى يأخذ عليه ثلاث خصال: الإقرار بالعبودية، وخلع الأنداد، وإن الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء.

الحسين بن محمد^(٤)، عن معلى بن محمد قال: سئل العالم عليه السلام كيف علم الله؟ قال: علم وشاء وأراد وقدر وقضى وأمضى، فأمضى ما قضى وقضى ما قدر وقدر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئة، وبمشيئته كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبالتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء، والعلم مقدم على المشيئة، والمشيئة ثانية والإرادة ثالثة، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء، فله تبارك وتعالى البدء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء. فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بدء، فالعلم في المعلوم قبل كونه، والمشيئة في المنشأ قبل عينه، والإرادة في المراد قبل قيامه، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً^(٥) وقتاً، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المعقولات^(٦) ذوات الأجسام المدركات بالحواس من ذي^(٧) لون وريح ووزن وكيل، وما دب ودرج من إنس وجن وطير وسباع وغير ذلك مما لا يدرك بالحواس، فله تعالى فيه البدء مما لا عين له، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بدء، والله يفعل ما يشاء.

١. الكافي ١/١٤٧، ح ١.

٢. الكافي ١/١٤٧، ح ٣.

٣. من المصدر.

٤. نفس المصدر والمجلد ١/١٤٩، ح ١٦.

٥. كذا في المصدر. وفي النسخ: عيوناً.

٦. المصدر: المفعولات.

٧. المصدر: ذوي.

محمّد بن يحيى^(١)، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن الحسن بن محبوب، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما بد الله^(٢) في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدوله.

عنه، عن^(٣) أحمد، عن الحسن بن علي بن فضال، عن داود بن فرق، عن عمر بن عثمان الجهني، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله لم يبد^(٤) له من جهل.

علي بن إبراهيم^(٥)، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن منصور بن حازم قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام: هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمر؟ قال: لا، من قال هذا فأخزاه الله.

قال: قلت: أرايت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، أليس في علم الله؟ قال: بلى، قبل أن يخلق الخلق.

عده من أصحابنا^(٦)، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن بعض أصحابنا، عن محمد بن عمرو^(٧) الكوفي أخيه يحيى، عن مرازم بن حكيم قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ما تنبأ نبي قط حتى يقرّ الله بخمس [خصال]^(٨): بالبداة وبالمشيئة والسجود والعبودية والطاعة.

وبهذا الإسناد^(٩): عن أحمد بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن يونس، عن جهم [بن أبي جهمة]^(١٠)، عن حدّثه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله عز وجل أخبر محمداً عليه السلام بما كان منذ كانت الدنيا وبما يكون إلى انقضاء الدنيا، وأخبره بالمحتوم من ذلك واستثنى عليه فيما سواه.

٢. كذا في المصدر. وفي النسخ: الله.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: لم يبد.

٦. نفس المصدر والموضع، ح ١٣.

٨. من المصدر.

١٠. من المصدر.

١. الكافي ١/١٤٨، ح ٩.

٣. الكافي ١/١٤٨، ح ١٠.

٥. الكافي ١/١٤٨، ح ١١.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: عمر.

٩. الكافي ١/١٤٨، ح ١٤.

وفي مجمع البيان^(١): وروى عمر بن حفص، عن النبي ﷺ قال: هما كتابان سوى أم الكتاب، يمحوا الله منه ما يشاء ويثبت. وعنده أم الكتاب، لا يغير منه [شيء]^(٢).

وروى محمد بن مسلم^(٣)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألت عن ليلة القدر. فقال: ينزل الله فيها الملائكة والكتب إلى السماء الدنيا فيكتبون ما يكون من أمر السنة وما يصيب العباد، وأمر ما عنده موقوف له فيه المشيئة، فيقدم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ويثبت وعنده أم الكتاب.

روى زرارة^(٤)، عن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: هما أمران: موقوف ومحتوم، فما كان من محتوم أمضاه، وما كان من موقوف فله فيه المشيئة يقضي فيه ما يشاء.

وفي من لا يحضره الفقيه^(٥): وروى أحمد بن إسحاق بن سعد، عن عبد الله بن ميمون، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: قال الفضل بن عباس: قال لي رسول الله ﷺ: إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله ﷻ. قد مضى القلم^(٦) بما هو كائن، فلو جهد الناس بما ينفعوك بأمر لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بأمر لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه.

وفي كتاب علل الشرائع^(٧)، بإسناده إلى يحيى بن أبي العلاء الرازي، عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل، يقول عليه السلام في آخره، وقد سُئل عن قول الله ﷻ: «ن والقلم وما يسطرون»: وأما «ن» فكان نهراً في الجنة أشدّ بياضاً من الثلج وأحلّ من العسل، قال الله ﷻ له: كن مداداً. فكان مداداً، ثم أخذ شجرة فغرسها بيده، ثم قال: «واليد» القوة، وليس حيث تذهب إليه المشيئة، ثم قال لها: كوني قلماً. ثم قال له: اكتب. فقال له: يا ربّ، وما أكتب؟

١. المجمع ٢٩٨٣. وفيه: وروى عمران بن حصين.

٢. من المصدر. ٣. المجمع ٢٩٨٣.

٤. المجمع ٢٩٨٣. ٥. الفقيه ٢٩٦/٤، ح ٨٩٦.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: العلم. ٧. العلل ٤٠٢، ح ٢.

قال: [اكتب] ^(١) ما هو كائن إلى يوم القيامة.

ففعل ذلك، ثم ختم عليه وقال: لا تنطقن إلى يوم الوقت المعلوم.

وفي كتاب معاني الأخبار ^(٢)، بإسناده إلى سفيان بن سعيد الثوري، عن الصادق عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: وأما «ن» فهو نهر في الجنة، قال الله تعالى: اجمد. فجمد فصار مداداً، ثم قال عليه السلام للقلم: اكتب. فسطر القلم في اللوح المحفوظ ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٣): حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن عبد الرحيم ^(٤) القصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألتُه عن «ن والقلم»؟

قال: إنّ الله خلق القلم من شجرة في الجنة يقال لها: الخلد. ثم قال لنهر في الجنة: كن مداداً. فجمد النهر، وكان أشدّ بياضاً من الثلج وأحلى من الشهد، ثم قال للقلم: اكتب.

قال: يا ربّ، ما أكتب؟

قال: اكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة.

فكتب القلم في رقّ ^(٥) أشدّ بياضاً من الفضة وأصفى من الياقوت، ثم طواه فجعله في ركن العرش، ثم ختم على فم القلم فلم ينطق بعد ولا ينطق أبداً، فهو الكتاب المكنون الذي منه النسخ كلّها، أولستم عرباً، فكيف لاتعرفون معنى الكلام وأحدكم يقول لصاحبه: انسخ ذلك الكتاب. أوليس إنّما ينسخ من كتاب أخذ من الأصل؟ وهو قوله: «إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون».

حدّثني أبي ^(٦)، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوّل ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة.

١. من المصدر.

٢. المعاني ٢٣/ح ١.

٣. تفسير القمي ٣٧٩/٢ - ٣٨٠.

٤. بعض نسخ المصدر: عبد الرحمن.

٥. الرقّ: الصحيفة البيضاء.

٦. تفسير القمي ٣٨٠ - ٣٧٩.

وفي مجمع البيان^(١): قيل: «إن» هو نهر في الجنة، قال الله له: كن مداداً. فجمد وكان أبيض من اللبن وأحلى من الشهد، ثم قال للقلم: اكتب. فكتب القلم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة. عن أبي جعفر عليه السلام.

وفي تفسير العياشي^(٢): عن الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله كتب كتاباً فيه ما كان وما هو كائن، فوضعه بين يديه، فما شاء منه [قدّم، وما شاء منه] أخر، وما شاء منه محا، وما شاء منه أثبت، وما شاء منه كان، وما لم يشأ^(٣) منه لم يكن.

وفي أصول الكافي^(٤): محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن حماد بن عيسى، عن ربيعي بن عبد الله، عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: العلم علمان: فعلم عند الله مخزون ولم يُطلع عليه أحداً من خلقه، وعلم علمه ملائكته ورسله، فما علمه ملائكته ورسله فإنه سيكون لا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله. وعلم عنده مخزون، يقدم منه ما يشاء، ويؤخر منه ما يشاء، ويثبت ما يشاء.

وبهذا الإسناد^(٥): عن حماد، عن ربيعي، عن الفضل^(٦) قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من الأمور أمور موقوفة عند الله، يقدم منها ما يشاء ويؤخر منها ما يشاء.

عدة من أصحابنا^(٨)، عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن جعفر بن عثمان، عن سماعة، عن أبي بصير [ووهيب بن حفص عن أبي بصير]^(٩)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن لله علمين: علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو، من ذلك يكون البداء، وعلم علمه ملائكته ورسله وأنبياءه، فنحن نعلمه.

وفي كتاب التوحيد^(١٠)، في باب مجلس الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي: قال

١. المجمع ٣٣٢/٥.

٢. تفسير العياشي ٢١٦/٢، ح ٦٤.

٣. من المصدر.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: شاء.

٥. الكافي ١٤٧/١، ح ٦.

٦. الكافي ١٤٧/١، ح ٧.

٧. المصدر: الفضيل.

٨. الكافي ١٤٧/١، ح ٨.

٩. التوحيد ٤٤٣-٤٤٤، ح ١.

١٠. من المصدر.

الرضا عليه السلام: لقد أخبرني أبي، عن آبائه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله تعالى أوحى إلى نبي من أنبيائه، أن أخبر فلان الملك أنني متوفي به إلى كذا وكذا.

فاتاه ذلك النبي فأخبره، فدعا الله الملك وهو على سريرته حتى سقط من السرير، فقال: يا رب، أجلني حتى يشب طفلي وأقضي أمري. فأوحى الله تعالى إلى ذلك النبي، أن انت فلان الملك فأعلمه أنني قد أنسيت في أجله وزدت في عمره خمس عشرة [سنة] ^(١).

فقال ذلك النبي: يا رب، إنك لتعلم أنني لم أكذب قط. فأوحى الله تعالى إليه: إنما أنت عبد مأمور، فأبلغه ذلك، والله لا يسأل عما يفعل. ﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: وكيفما دارت الحال أريناك بعض ما أوعدناهم، أو توفيناك قبله. ﴿فَأَنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾: لا غير.

﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ ^(٢): للمجازاة لا عليك، فلا تحتفل بإعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فإنما فاعلون له، وهذا طلائعه ^(٣).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾: قيل ^(٤): أي أرض الكفرة.

﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: بذهاب أهلها.

وقيل ^(٥): بما نفتحه على المسلمين.

وفي أصول الكافي ^(٦): عذة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد [عن محمد] ^(٧) بن

علي، عن ذكره، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: إنه

١. من المصدر.

٢. أي الإخبار بأن «علينا الحساب» طليعة العذاب، أي مقدّمته، إذ هو مخبر عنه.

٣. أنوار التنزيل ٥٢٣/١.

٤. الكافي ٣٨/١، ح ٦.

٥. من المصدر.

يسخى نفسي^(١) في سرعة الموت والقتل فينا قول الله ﷻ: «أو لم يروا أننا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها». وهو ذهاب العلماء.

وفي من لا يحضره الفقيه^(٢): وسئل عن قول الله ﷻ: «أو لم يروا أننا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها».

فقال: فقد العلماء.

وفي كتاب الاحتجاج^(٣) للطبرسي: عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: «أو لم يروا أننا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها» يعني بذلك ما يهلك من القرون، فسمّاه إتياناً.

وفي مجمع البيان^(٤): اختلف في معناه على أقوال.. إلى قوله: - ثانيها «ننقصها» بذهاب علمائها وفقهائها وخيار أهلها. وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام.

«وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ»: لا رادّ له. وحقيقته الذي يعقّب الشيء بالإبطال. ومنه قيل لصاحب الحق: معقّب، لأنّه يقفو غريمه بالافتضاء^(٥). والمعنى أنّه حكم للإسلام بالإقبال، وعلى الكفر بالإدبار، وذلك كائن لا يمكن تغييره.

ومحلّ «لا» مع معموله النصب على الحال، أي يحكم نافذاً حكمه، كما تقول: جاء زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة، تريد حاسراً.

«وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ»^(٦): فيحاسبهم عمّا قليل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والإجلاء في الدنيا.

«وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ»: بأنبيائهم والمؤمنين منهم.

«فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً»: إذ لا يؤبه^(٧) بمكر دون مكره، لأنّه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره.

١. قال الفيض: يعني مفاد هذه الآية يجعل نفسي سخيّة في سرعة الموت أو القتل فينا أهل البيت، فتجود نفسي بهذه الحياة اشتيقاً إلى لقاء الله تعالى. ٢. الفقيه ١/١١٨، ح ٥٦٠.

٣. الاحتجاج ٢٥٠/٣. ٤. المجمع ٣/٣٠٠.

٥. أي يعقّب غريمه ملتبساً بالتقاضي. ٦. أي لا يبالي ولا يعتبر.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): قال: المكر من الله هو العذاب.

﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾: فيعدّ جزاءها.

﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ﴾^(٢): من الحزبين حيثما يأتيهم العذاب المعدّ لهم وهم في غفلة منه. وهذا كالتفسير لمكر الله بهم.

و«اللام» تدلّ على أن المراد بالعقبي العاقبة المحمودة^(٣)، مع ما في الإضافة كما عرفت.

وقرأ^(٤) ابن كثير ونافع وأبو عمرو: «الكافر» على إرادة الجنس.

وقرئ^(٥): «الكافرون» و«الذين كفروا» و«الكفر» أي أهله.

«وسيعلم» من أعلمه: إذا أخبره.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُزْسَلًا﴾: قيل^(٦): المراد بهم: رؤسا اليهود.

﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: فإنه أظهر من الأدلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها.

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٧): مرتفع بالظرف، فإنه معتمد على الموصول.

ويجوز أن يكون مبتدأ والظرف خبره.

وقيل^(٨): أي علم القرآن وما ألّف عليه من النظم المعجز. أو علم التوراة، وهو ابن سلام وأضرابه. أو علم اللوح المحفوظ، وهو الله تعالى، أي كفى بالذي يستحقّ العبادة والذي لا يعلم ما في اللوح إلا هو شهيداً بيننا، فيخزي الكاذب منا. ويؤيده قراءة من قرأ: «ومن عنده» بالكسر^(٩).

وفي كتاب الاحتجاج^(١٠) للطبرسي^(١١): محمّد بن أبي عمير الكوفي، عن عبد الله بن

١. تفسير القمي ٣٦٧/١. ٢. لأن اللام للنفع.

٣-٦. أنوار التنزيل ٥٢٣/١.

٧. أي قراءة «من عنده» الذي هو من الحروف الجارة، والتأييد لأجل أن الذي حصل من عنده علم الكتاب هو الله تعالى، يؤيد، قول من قال: «من» بفتح الميم عبارة عن الله.

٨. الاحتجاج ٣٧٥.

الوليد السمّان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما يقول الناس في أولي العزم وصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام؟

قال: قلت: ما يقدّمون على أولي العزم أحداً.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى قال لموسى: «وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة» ولم يقل: كل شيء، وقال لعيسى عليه السلام: «ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه» ولم يقل: كل شيء [شيء] (١) الذي تختلفون به (٢)، وقال لصاحبكم (٣) أمير المؤمنين عليه السلام: «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب» وقال عليه السلام: «ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين» وعلم هذا الكتاب عنده.

عن سليم بن قيس (٤) قال: سألت رجلاً علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له، وأنا أسمع: أخبرني بأفضل منقبة لك.

قال: ما أنزل الله في كتابه.

قال: وما أنزل الله فيك؟

قال: قوله: «ويقول الذين كفروا لست مرسلًا» إلى قوله: «بينني وبينكم ومن عنده علم الكتاب» إيتاني عنى بمن عنده علم الكتاب.

وفي أصول الكافي (٥): علي بن إبراهيم، عن أبيه. ومحمد بن يحيى، عن محمد بن الحسن (٦)، عمّن ذكره، جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن بريد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب». قال: إيتانا عنى، وعليّ أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي ﷺ.

وفي الخرائج والجرائح (٨): عن سعد (٩)، عن محمد بن يحيى، عن عبيد بن

١. كذا في المصدر. وفي النسخ: عن عيسى.

٢. من المصدر.

٣. ليس من المصدر.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: من صاحبكم.

٥. نور الثقلين ٥٢١/٢، ح ٢٠٥.

٦. الكافي ٢٢٩/١، ح ٦.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: الحسين.

٨. الخرائج ٧٩٨/٢، ح ٨.

٩. ب: سعيد.

معروف، عن عبيد الله^(١) بن الوليد السَّمَّان، عن الباقر عليه السلام مثله.

وفي أصول الكافي^(٢): أحمد بن محمد، عن محمد بن الحسن، عن عباد بن سليمان، عن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن سدير، قال: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزّاز وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج علينا^(٣) وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه قال: يا عجباً لأقوام يزعمون أنّا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله تعالى. لقد هممت بضرب جاريّتي فلانة فهربت منّي، فما علمت في أيّ بيوت الدار هي!

قال سدير: فلما أن قام من مجلسه وصار في منزله دخلت أنا وأبو بصير وميسر، فقلنا له: جعلنا فداك، سمعناك وأنت تقول كذا وكذا في أمر جاريّتك، ونحن نعلم أنّك تعلم علماً كثيراً ولا ننسبك إلى علم الغيب.

قال: فقال: يا سدير، ألم تقرأ القرآن؟

قلت: بلى.

قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله تعالى: «قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك»؟

قال: قلت: جعلت فداك، قد قرأته^(٤).

قال: فهل عرفت الرجل، وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟

قال: قلت: أخبرني به.

قال: قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر، فما يكون ذلك من علم الكتاب؟

قال: قلت: جعلت فداك، ما أقلّ هذا!

قال: فقال: يا سدير، ما أكثر هذا^(٥) أن ينسب الله تعالى إلى العلم الذي أخبرك به! يا

١. ب: عبد الله.

٢. الكافي ٢٥٧/١، ح ٣.

٣. المصدر: إلينا.

٤. كذا في المصدر. وفي النسخ: قرأت.

٥. قال في مرآة العقول: لعلّ هذا ردّ لما يفهم من كلام سدير من تحقير العلم الذي أوتي آصف عليه السلام بأنّه وإن كان قليلاً بالنسبة إلى علم كلّ الكتاب فهو في نفسه عظيم كثير لانتسابه إلى علم الكتاب.

سدير، فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله ﷻ أيضاً: «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب»؟

قال: قلت: قد قرأته، جعلت فداك.

قال: أفمن عنده علم الكتاب كله [أفهم، أم من عنده علم الكتاب بعضه؟

قلت: لا، بل من عنده علم الكتاب كله^(١).

قال: فأوماً بيده إلى صدره، وقال: علم الكتاب والله كله عندنا.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن

أبي عبدالله عليه السلام قال: الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام.

وسئل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم، أم الذي عنده علم الكتاب.

فقال: ما كان علم الذي كان^(٣) عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلا

بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر.

وقال: أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ألا إن العلم الذي هبط به آدم من السماء إلى

الأرض وجميع ما فُضِّلَ به النبيون إلى خاتم النبيين، في عترة خاتم النبيين.

وفي أمالي الصدوق^(٤)، بإسناده إلى أبي سعيد الخدري قال: سألت رسول الله ﷺ

عن قول الله عز وجل ثأؤه: «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب».

قال: ذاك أخي علي بن أبي طالب.

وفي تفسير العياشي^(٥): عن عبدالله بن عطاء^(٦) قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: هذا ابن

عبدالله بن سلام^(٧) يزعم أن أباه الذي يقول الله: «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن

عنده علم الكتاب»!

١. ليس من المصدر.

٢. تفسير القمي ٣٦٧/١.

٣. ليس من المصدر.

٤. أمالي الصدوق ٤٥٣/ح ٣.

٥. تفسير العياشي ٢٢٠/٢، ح ٧٧.

٦. كذا في المصدر. وفي النسخ: عبيد الله بن عطاء.

٧. كذا في المصدر. وفي النسخ: مسلم.

قال: كذب، هو علي بن أبي طالب.

عن عبدالله بن عجلان^(١)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قوله: «قل كفى بالله؟ فقال: نزلت في علي بعد رسول الله ﷺ وفي الأئمة بعده، وعلي عنده علم الكتاب»^(٢).

عن الفضيل بن يسار^(٣)، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «وعنده علم الكتاب» قال: نزلت في علي عليه السلام. إنه عالم هذه الأمة بعد النبي ﷺ.

عن عمر بن حنظلة^(٤)، عن أبي عبدالله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب» فلما رأي أني أتبع هذا وأشباهه من الكتاب قال: حسبك كل شيء في الكتاب من فاتحته إلى خاتمته مثل هذا، فهو في الأئمة عني به. وفي روضة الواعظين^(٥) للمفيد رحمه الله: قال الباقر عليه السلام: «ومن عنده علم الكتاب» علي بن أبي طالب عنده علم الكتاب الأول والآخر.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٦): ذكر الشيخ محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن بريد بن معاوية، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﷻ: «ومن عنده علم الكتاب» قال: إيانا عني، وعلي أولنا وخيرنا وأفضلنا بعد النبي ﷺ.

وروي^(٧) أيضاً عن رجاله، بإسناده إلى جابر بن عبدالله قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل^(٨) إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزل [الله] ﷻ إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده عليه السلام.

١. تفسير العياشي ٢/٢٢١، ح ٧٩.

٢. ليس في ب.

٣. تفسير العياشي ٢/٢٢١، ح ٧٩.

٤. نور الثقلين ٢/٥٢٣، ح ٢١٥. تفسير العياشي ١/١٣، ح ٨.

٥. نور الثقلين ٢/٥٢٤، ح ٢١٦. روضة الواعظين ١٠٥.

٦. تأويل الآيات ١/٢٣٨، ح ١٩.

٧. تأويل الآيات ١/٢٣٩، ح ٢٠.

٨. كذا في المصدر. وفي النسخ: أنزله.

٩. ليس من المصدر.

وروى الشيخ المفيد^(١)، عن رجاله حديثاً^(٢) مسنداً إلى سلمان الفارسي^{عليه السلام} قال: قال لي أمير المؤمنين صلوات الله عليه: [يا سلمان]^(٣) الويل كلّ الويل لمن لا يعرف لنا حقّ معرفتنا وأنكر فضلنا، يا سلمان، أيّما أفضل: محمد^{عليه السلام} أو سليمان بن داود؟

قال سلمان: فقلت: بل محمد^{عليه السلام}.

فقال: يا سلمان، هذا آصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش بلقيس من سبأ إلى فارس في طرفة عين وعنده علم من الكتاب، ولا أقدر أنا وعندي علم ألف كتاب، أنزل الله منها على شيث بن آدم خمسين صحيفة، وعلى إدريس النبي ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم الخليل عشرين صحيفة، وعلم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان؟ قلت: صدقت، يا سيدي.

فقال: اعلم يا سلمان، أنّ الشاكّ في أمورنا وعلومنا كالممتر في معرفتنا وحقوقنا، وقد فرض الله [طاعتنا و]^(٤) ولايتنا [في كتابه]^(٥) في غير موضع، ويبيّن فيه ما وجب العمل به، وهو مكشوف.

[تمّ الجزء السادس من تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب]

٢. ليس من المصدر.

٤. ليس من المصدر.

١. تأويل الآيات ١/٢٤، ح ٢٤.

٣. من المصدر.

٥. ليس في أ، ب، ر.

الفهرس

٥	كلمة المحقق
٩	سورة يونس
١١٣	سورة هود
٢٧٣	سورة يوسف
٤١٩	سورة الرعد